

مارك غريني

مكتبة

THE
**GRAY
MAN**

الرجل
الرمادي

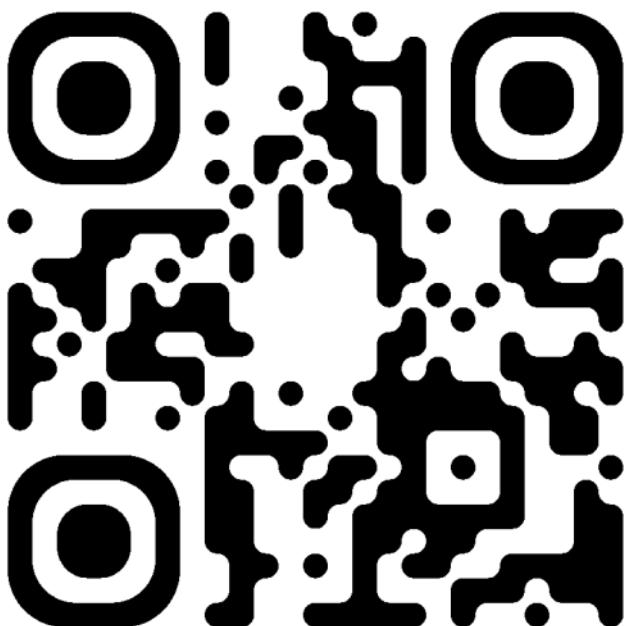
MARK GREANEY

ترجمة: كريم كيلاني



انضم لمكتبة .. اسعح الكور

انقر علينا .. اتبع الرابط



telegram @soramnqraa

الرجل الرمادي

غرينبي، مارك
الرجل الرمادي: رواية / مارك غرينبي.
ترجمة: كريم الكيلاني.

القاهرة: كيان للنشر والتوزيع، 2024.
صفحة، 20 سـم.

تدمك: 978-977-820-125-3

- القصص الأمريكية

- كيلاني، كريم (مترجم)

ب- العنوان: 823

رقم الإيداع: 19045 / 2022

الطبعة الأولى: يناير 2024.

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

مكتبة

t.me/soramnqraa



كيان للنشر والتوزيع
إشراف عام:
محمد جميل صبرى
نيفين التهامي

Copyright © 2009 by Mark Strode Greaney

In agreement with Trident Media Group through Bears Factor

Literary Agency FZC

٤ ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني - الهرم
هاتف أرضي: 0235918808

هاتف محمول: 01001872290 – 01000405450

بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com
info@kayanpublishing.com

الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com
• إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشرين.

مكتبة

t.me/soramnqraa

الرجل الرمادي

مارك غريني

ترجمة
كريم كيلاني



هذا العمل خيالي، الأسماء والشخصيات والأماكن والحوادث هي إما من خيال المؤلف، وأي تشابه مع أشخاص حقيقيين، أحياء أو أماوات، أو مؤسسات تجارية، أو أحداث، أو أماكن فهو من قبيل الصدفة البعثة، وليس لدى الناشر أي سلطة ولا يتحمل أي مسؤولية عن المؤلف أو المواقع الإلكترونية لطرف ثالث أو محتواها.

الإهداء

إلى إدوارد إف غرينبي جونيور وكاثلين كليغورن غرينبي: أمي وأبي،
أفتقدكم كثيراً

أود أنأشكر جيمس بيغر وكادره الرائع من المدربين في شركة الاستجابة التكتيكية في كامدن بولاية تينيسي على تمكيني من الاطلاع على البنادق والمسدسات وتقنيات العمل الطبي الفوري وتقنيات الفريق وخاصةً للمهارة التي أظهروها في إخماد الحريق الذي لحق بي، بارك الله فيكم، أمريكا مكان أكثر أماناً بسبب كل ما تفعله أنت وطلابك، الآن اذهب واقض على بعض الكراهية.

كما أتوجه بالشكر الجزييل إلى الكتاب الذين يقدرون القراء: جيمس رولينز وديفين جريني وكاريون أوت ماير وجون وكاري إيكولز ومايك كوان وجريج جونز وأبريل آدامز ونيكول جير روبرتس وستيفاني وآبي ستوفال وجيني كرافت، إنني أقدركم جميعاً.

امتناني العميق والأبدى لوكيل أعمالي سكوت ميلر في مجموعة ترايدنت ميديا، والمحرر توم كولجان في بيركلி ، كان هذا ممتعاً يا رفاق ، ستفعل ذلك مرة أخرى في وقت ما.

MarkGreaneyBooks.com

لفت انتباه سائق سيارة اللاند روفر الملطخ بالدماء ومضي يلمع بعيداً في سماء الصباح، وحمى عينيه من أشعة الشمس الشديدة بنظارة أوكليز المستقطبة، وحدق عبر عدساتها المتوججة يحاول يائساً أن يحدد الطائرة المحترقة التي كانت تدور وتندفع نحو الأرض، مخلفة وراءها ذيلاً من الدخان الأسود المتتصاعد.

كانت طائرة هليوكوپتر عسكرية كبيرة من طراز الشينوك. وبالرغم من كون الوضع مأساوياً لمن كانوا على متنهما، فإن سائق اللاند روفر تنفس الصعداء، إذ كان من المقرر أن تكون وسيلة خروجه روسية الصنع من طراز (KA-32T)، وبها طاقم من المرتزقة البولنديين ليتقلوا فوق الحدود في تركيا، أحـس السائق أن طائرة شينوك البالية مثيرة للإزعاج، ولكن هذا أفضل من أن يكون في طائرة (KA-32T) الموشكة على السقوط.

شاهد المروحة تدور في أثناء هبوطها غير المنضبط، وتلطخت السماء الزرقاء أمامه بالوقود المحترق.

أدار السيارة اللاند روفر بقوة إلى اليمين، وأسرع باتجاه الشرق. أراد السائق الملطخ بالدماء أن يبتعد بأسرع ما يمكنه، تمنى لو كان يوسعه أن يفعل شيئاً من أجل الأميركيين على متن الطائرة الشينوك، لكنه كان يعلم أن مصيرهم ليس بيده، وأن أمامه مشكلاته الخاصة.

أسرع لمدة خمس ساعات عبر الأراضي المنبسطة في غرب العراق، هرباً من العمل القذر الذي تركه وراءه، والآن كان على بعد أقل من عشرين دقيقة من موقع انسحابه، وإسقاط مروحة يعني أنه في غضون دقائق سيقع هذا المكان بالمقاتلين المسلحين، سيمثلون بالجثث، ويطلقون رصاصاً بنادقهم في الهواء، ويقفزون مثل الحمقى الأغبياء. لقد كانت حفلة لا يمانع السائق الملطخ بالدماء في تفويتها، إلا خشية أن يصبح هو نفسه هدية الحفلة.

غرقت طائرة شينوك على يساره، واختفت خلف سلسلة من التلال البنية المترامية، ثبت السائق عينيه على الطريق أمامه، وقال لنفسه: «ليست مشكلتي». لم يتدرّب على البحث والإنقاذ، ولا على تقديم المساعدة، وبالتالي لم يكن مدرباً على التفاوض من أجل تحرير الرهائن.

لقد تدرّب على القتل، وقد فعل هذا على حدود سوريا، والآن حان وقت الخروج من منطقة القتال.

مع ازدياد سرعة سيارته اللاند روفر عبر الضباب والغبار بأكثر من مائة كيلو متر في الساعة بدأ حواراً مع نفسه، حدثه نفسه بالعودة إلى الوراء، وأن ينطلق إلى موقع تحطم الشينوك للبحث عن ناجين، من ناحية أخرى، كان عقله أكثر واقعية، وقال له: «استمر في الحركة يا جيستري، لا تتوقف، انتهي أمر هؤلاء الرجال، لا يمكنك فعل أي شيء حيال ذلك».

كانت كلمات جيستري التي نطق بها عقلانية، لكن حديث نفسه لم يصمت.

لم يكن أول الوافدين إلى موقع الحطام من المسلحين ينتمون إلى القاعدة، ولا علاقة لهم بإطلاق النار، بل كانوا أربعة فتيان محلين بينما دق كلاشنكوف قديمة ذات كعب خشبي، يسيطرون على حاجز أمني صباحي مهملاً على بعد عدة أمتار من موقع سقوط المروحية في أحد شوارع المدينة.

تدافعوا عبر حشد المتفرجين المتزايد، وأصحاب المتاجر، وأطفال الشارع الذين أسرعوا للاختباء عندما اندفعت المروحية ذات الدوار المزدوج لتسقط عليهم في الشارع، بينما انحرف سائقو عربات الأجرة عن الطريق لتفادي الطائرة الأمريكية.

اقترب الشباب المسلحون من الموقع بحذر، لكن دون أي شيء ينم عن مهارة عسكرية، دوت فرقعة من النيران المشتعلة، رصاصة مسدس فجرتها الحرارة أجبرتهم جميعاً على الاختباء، بعد لحظة من التردد، رفعوا رؤوسهم مرة أخرى، وصوبوا بنادقهم، ثم أفرغوا ذخيرة أسلحتهم المدوية في الآلة المعدنية المشوهة.

زحف رجل يرتدي زعيماً عسكرياًأمريكيًا أسود خارجاً من الحطام، فتلقي عشرين رصاصة من أسلحة الفتى، انتهت معاناة الجندي فور أن مزقت الرصاصات الأولى ظهره.

خرج الفتية من مخبئهم مدفوعين بالشجاعة التي أفرزها أدريناالين قتلهم شخصاً أمام صراغ حشود المدنيين، أعادوا تعبئة ذخيرة بنادقهم، ورفعوها ليطلقوا النار على الجثث المشتعلة لطاقم الطائرة في قمرة القيادة، لكن قبل أن يطلقوا الرصاص هرعت من الخلف ثلاثة شاحنات، ذات دفع رباعي مملوقة بمسلحين عرب. إنهم من القاعدة.

انسحب الفتى الم المحليون بحذر من موقع الطائرة، ووقفوا بين المدنيين، علت أصواتهم بالتكبير، بينما انتشر الملتهمون حول الحطام، سقطت جثتاً جنديين آخرين من مؤخرة الطائرة الشينوك، وكانت هذه هي أولى الصور التي التقظها طاقم قناة الجزيرة المكون من ثلاثة أفراد، كانوا قد نزلوا من الشاحنة الثالثة إلى موقع الحطام.

على بعد ميل تقريباً انعطف جينترى عن الطريق إلى مجرى نهر جاف، ودفع سيارة اللاند روفر بصعوبة عبر حشائش النهر البنية، ثم ترجل من الشاحنة، وأسرع إلى الباب الخلفي، تأرجحت على ظهره حقيقة، بينما أحكم قبضته على حقيقة عمل طوبيلة ذات لون جملي.

وهو يبتعد عن الشاحنة - لاحظ لأول - مرة الدماء الجافة على ملابسه المحلية الفضفاضة، لم تكن دماءه، لكن بقع الدماء لم تكن لغزاً، كان يعرف دماء من هذه، بعد ثلاثين ثانية وصل إلى قمة التلال الصغيرة بجوار مجرى النهر الجاف، وزحف إلى الأمام بأسرع ما يستطيع، دافعاً عتاده أمامه، عندما شعر جينترى بأنه اختباً بشكل جيد بين الرمال والقصب، سحب منظاراً من الحقيقة، ونظر من خلاله إلى عمود دخان أسود يتصاعد في الأفق.

انقبضت عضلات فكيه المشدودة.

كانت الطائرة الشينوك قد استقرت في أحد شوارع قرية الباуж، وقد هجمت عليها - بالفعل - عصابة من الغوغاء لتغنم ما فيها، لم يكن منظار جينترى قوياً بما يكفي ليظهر هذه التفاصيل؛ لذا زحف على جانبه وفتح الحقيقة ذات اللون الجملي، التي بداخلها بندقية آلية من طراز باريت إم 107، وهي بندقية من عيار خمسين، تطلق قذائف بنصف حجم زجاجة بيرة، وينطلق رصاصها الثقيل من فوهه سرعتها تغطي تقريباً تسعه ملاعب كرة قدم في الثانية.

لم يلقم جينترى سلاحه ذخيرة، بل صوب بندقيته تجاه موقع الحطام لاستخدام عدساتها القوية ذات قوة ست عشرة درجة، ومن

خلالها استطاع أن يرى النار والشاحنات الصغيرة والمدنيين العزل والمسلحين، بعضهم لم يكن يرتدي قناعاً، بل كانوا من العصابات المحلية.

كان بعضهم يرتدي أقنعة سوداء، بينما يخفي بعضهم الآخر وجوههم بالكوفيات، كان هذا فريق القاعدة الأوغاد الأجانب الذين جاؤوا لقتل الأميركيان ومعاونيهما، واستغلال الاضطراب في المنطقة.

ارتفع بريق معدني في الهواء، ثم هوى إلى أسفل، كأنه سيف يخترق هيئة ما على الأرض، حتى من خلال منظار القناصة القوي لم يعرف جينترى ما إذا كان الرجل الممدد أرضاً حياً أم ميتاً عندما اخترقه نصل السيف.

انقبض فكاه مرة أخرى، لم يكن جينترى جندياً أميريكياً فحسب، بل كان مواطناً أميريكياً قبل ذلك، وعلى الرغم من أنه لم يكن مسؤولاً أو تربطه علاقة بالجيش الأميركي، فقد شاهد على مدار سنوات صوراً تلفزيونية لمذابح كتلك المذبحة التي تحدث أمام عينيه، وأصابته بالغضب والاشمئاز لأبعد ما يمكن أن تتحمله قدرته على ضبط النفس.

احتشد الرجال الذين تجمعوا حول الطائرة معاً كأنهم شخص واحد، احتاج لحظة ليفهم ما يجري عند الوهج الذي ينبعث من الأرض القاحلة، لكن سرعان ما ميز بهجة الجزارين الذين تجمعوا حول الطائرة المنكوبة، كان الأوغاد يرقصون فوق الجثث.

أبعد جينترى إصبعه عن زناد البنديبة البيريت الكبيرة، وظل يحرك طرفه الناعم بأصابعه، أوضح له الليزر المسافة، وألهمه بضم خيام مصنوعة من الخيش رفرفت في النسيم بمسار الرياح، لكنه ما كان ليطلق النار من البنديبة البيريت، فلو أنه ألقم سلاحه، وضغط على الزناد فسيقتل بضعة أوغاد بالفعل، ولكن المنطقة ستتشتعل بأسرها، فضلاً عن انتشار خبر وجود قناص سلاحقه كل ذكر بالغ يحمل

مسداً وهاهـاً قبل أن يبتعد لمسافة خمسة أميال ويهرـب، وحينها ستلـغـي عملية تسلـل جـينـتـري، وسيـتعـينـ عليهـ أنـ يـشقـ طـرـيقـهـ بـنـفـسـهـ ليـغـادـرـ منـطـقـةـ القـتـالـ.

لاـ.

قالـهاـ جـينـتـريـ لنـفـسـهـ، منـ حـقـهـ أـنـ يـثـأـرـ قـلـيلـاـ بـالـطـبـعـ، لـكـنـ هـذـاـ قدـ يـشـيرـ عـاصـفـةـ مـنـ الـمـاتـاعـبـ، وـهـوـ غـيرـ مـسـتـعـدـ لـلـتـعـاـمـلـ مـعـهـاـ، لـمـ يـكـنـ جـينـتـريـ مـقـامـراـ، بلـ قـاتـلاـ يـعـمـلـ لـحـسـابـهـ الـخـاصـ، قـاتـلاـ مـأـجـورـاـ مـتـعـاـقـداـ، يـمـكـنـهـ أـنـ يـصـبـ سـتـةـ مـنـ هـؤـلـاءـ الـذـينـ أـمـامـهـ بـالـشـظـاـيـاـ بـنـفـسـهـ سـرـعـةـ رـيـطـهـ لـحـذـائـهـ الـعـالـيـ، لـكـنـ يـعـلـمـ أـنـ مـثـلـ هـذـاـ الـانتـقامـ لـنـ يـسـتـحقـ التـكـلـفـةـ.

بـصـقـ أـمـامـهـ مـزـيـجـاـ مـنـ الـلـعـابـ وـالـرـمـالـ، ثـمـ اـسـتـدارـ لـيـضـعـ بـنـدـقـيـتـهـ

الـبـيـرـيـتـ مـرـةـ أـخـرىـ فـيـ حـقـيـقـيـتـهـ.

كانـ طـاقـمـ قـناـةـ الـجـزـيرـةـ قـدـ تـسـلـلـواـ عـبـرـ الـحـدـودـ السـوـرـيـةـ قـبـلـ أـسـبـوعـ مـنـ أـجـلـ هـدـفـ وـاحـدـ هوـ تـوـثـيقـ اـنـتـصـارـ الـقـاعـدـةـ فـيـ شـمـالـ الـعـرـاقـ، سـارـ كـلـ مـنـ مـصـورـ الـفـيـدـيـوـ وـفـنـيـ الصـوتـ وـالـمـارـسـلـ /ـ الـمـنـتـجـ عـلـىـ طـرـيقـ يـسـيـطـرـ عـلـيـهـ تـنـظـيمـ الـقـاعـدـةـ، وـنـامـواـ فـيـ بـيـوـتـ آـمـنـةـ تـابـعـةـ لـلـقـاعـدـةـ بـجـوارـ خـلـيـةـ الـتـنظـيمـ، وـقـدـ صـورـواـ إـطـلـاقـ الـقـذـيفـةـ الـتـيـ اـصـطـدـمـتـ بـالـطـائـرـةـ الشـيـنـوكـ، وـكـذـلـكـ صـورـواـ الـكـرـةـ الـمـلـهـبـةـ فـيـ السـمـاءـ.

الـآنـ يـصـورـونـ مـرـاسـمـ قـطـعـ رـأـسـ الـجـنـديـ الـأـمـرـيـكـيـ الـمـيـتـ مـسـبـقاـ، رـجـلـ فـيـ مـنـتـصـفـ الـعـمـرـ، اـسـمـهـ مـكـتـوبـ عـلـىـ شـارـةـ بـخـطـ الـيدـ مـلـصـقـ بـسـتـرـتـهـ الـلـوـاـقـيـةـ «ـفـيلـيـبـسـ -ـ الـحرـسـ الـوطـنـيـ بـمـيـسـيـسيـبيـ»ـ. لـمـ يـكـنـ أـحـدـ مـنـ طـاقـمـ الـتـصـوـيرـ يـتـحدـثـ إـلـاـنـجـليـزـيـةـ، لـكـنـهـمـ جـمـيـعـاـ اـتـفـقـواـ أـنـهـمـ سـجـلـواـ -ـ بـوـضـوحـ لـتوـهـمـ -ـ تـدـمـيرـ آـلـيـةـ مـنـ صـفـوـةـ كـوـمـانـدـوزـ الـإـسـتـخـبـارـاتـ الـمـركـزـيـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ.

علـتـ التـكـبـيرـاتـ التـقـلـيدـيـةـ، بـيـنـماـ يـرـقـصـ الـمـقـاتـلـونـ عـلـىـ وـقـعـ إـطـلـاقـ الرـصـاصـ فـيـ الـهـوـاءـ، وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـ عـدـدـ أـفـرـادـ الـخـلـيـةـ كـانـ سـتـةـ عـشـرـ رـجـلـاـ، فـقـدـ كـانـ هـنـاكـ أـكـثـرـ مـنـ ثـلـاثـيـنـ مـسـلـحـاـ يـتـمـشـيـ بـعـضـهـمـ بـجـوارـ بـعـضـ أـمـامـ هـذـاـ الـعـلـمـ الـمـعـدـنـيـ الـمـشـتـعـلـ فـيـ الشـارـعـ.

ركز مصور الفيديو عدسته على المختار، وهو شيخ قبيلة يرقص في وسط الاحتفال، وصورة تصوّرًا متقدًا أمام الحطام، فأظهر بياض دشداشه الانسيابي تباهيًّا ساحرًا مع الدخان الأسود الذي يتتصاعد خلفه، وثب المختار على قدم واحدة فوق جثة الأمريكي مقطوع الرأس، ورفع يده إلى أعلى في الهواء ليلوح بسيف معقوف مضرج بالدماء.

كانت هذه هي أهم لقطة، ابتسم مصور الفيديو، وبذل قصارى جهده ليحافظ على أحترافيته، يحدّر أن ينساق وراء الألحان ورقصات الاحتفال بنصرة الله، التي شهد عليها هو والكاميرا.

صاحب المختار عاليًا: «الله أكبر!».

راح يقفز بنشوة مع باقي المسلمين المقنعين، وانكشفت أسنانه من بين شعر لحيته الكثيفة وشاربه الكثيف إذ يضحك، بينما ينظر تحته إلى قطعة اللحم الأمريكية المحترقة الدامية الملقة في الشارع.

صاحب فريق الجزيرة أيضًا في نشوة، وسجّل مصور الفيديو المشهد كلّه بيد ثابتة، كان محترفاً، فظل هدفه في المنتصف تماماً، ولم تتحرك الكاميرا أو تهتز.

وفي تلك اللحظة، تمزقت رقبة المختار من جانبها، وانفجرت كالعنبر المهروس، تناثرت الأوتار والدماء والمعظام بعنفٍ في كل الاتجاهات.

وحينئذٍ اهتزت الكاميرا.

لم يتمالك جيتربي أعصابه، فأطلق رصاصة تلو الأخرى على حشد المسلمين، وهو يطلق السباب بصوت عالٍ لعدم ضبط نفسه، إذ أدرك أنه يخاطر بوقته وبالعملية كلها، هذا لا يعني أنه قد سمع سبابه، فحتى مع سدادات الأذن كان صوت البنديبة البريت يصم الأذان، وقد أطلق على الهدف كمية هائلة من الرصاص، ومع توالي إطلاق النار انحل كعب البنديبة، فاندفعت إلى وجهه وذراعه الحجارة والرماد التي ملأت الأرض من حوله.

مكتبة

t.me/soramnqraa

توقف ليلتقط خزينة ثقيلة أخرى ليثبتها في البنديبة، وقيم موقفه، من وجهة نظر احترافية، فهذه أشد الحركة غباء يمكن أن يؤديها، وعملياً كان يصبح في وجه المسلحين أن عدوهم اللدود موجود هنا بينهم.

ليته لم يعتقد أنها خطوة سديدة. أمّن وضعية البنديبة الآلية عند ثانية كتفه التي ارتجت بالفعل من أثر الارتداد، وشخص بيصره نحو موقع سقوط المروحة، ثم واصل قصاصه العادل. رأى من المنظار الكبير أعضاء بشرية تدور في الهواء، في اللحظة التي استقرت رصاصة ضخمة أخرى في جسد ملثم من المسلحين.

كان هذا انتقاماً فحسب ليس أكثر. عرف جيتري أن أفعاله غيرت قليلاً حسابات المشهد، هذا بخلاف قتله بضعة أوغاد، واصل إطلاق النار على حشد القتلة وهم يتشتتون، لكن عقله انشغل بالفعل بمستقبله القريب، ضاعت فرصة الوصول إلى مهبط طائرات الآن، إن ظهور مروحة أخرى فرصة لن يتجاهلها الناجون من القاعدة.

لا. فرّ جنتري. سيختبئ، سيبحث عن قناة للصرف الصحي أو وادٍ صغير، ويغطي نفسه بالتراب والطين، ويقضي طول النهار في الحرارة، ويتجاهل الجوع ولدغات الحشرات ورغبته في التبول. سيكون وضعياً سيئاً، ومع ذلك ظل يبرر أفكاره، بينما يثبت الخزينة الثالثة والأخيرة في البنديبة الساخنة، كان لقراره الأهوج منافع أيضاً، ففي النهاية يظل قُتل ستة أوغاد مكتسباً.

بعد أربع دقائق من إطلاق القناص آخر وابل من الرصاص، مال أحد الناجين من القاعدة برأسه خارج مدخل محل تصليح الإطارات حيث كان يحتمي، بعد لحظات قليلة، كانت كل ثانية تمنحه ثقة متزايدة بأن رأسه سيقى ملتصقاً برقبته، حتى خرج اليمني البالغ من العمر ستة وثلاثين عاماً بأكمله إلى الشارع.

سرعان ما تبعه آخرون، ووقفوا جميعاً حول المذبحـة، أحصـى سـبعة قـتـلى، وحسبـهم عن طـرـيق تحـديـد عـدـد أـرـجـلـهـمـ الـمـلـتوـيـةـ فيـ الـوـحـلـ الدـامـيـ، ثم قـسـمـ عـدـدـهـ عـلـىـ اـثـنـيـنـ، إـذـ لمـ يـتـبـقـ سـوـىـ الـقـلـيلـ مـنـ الرـؤـوسـ والـجـذـوعـ الـتـيـ يـمـكـنـ التـعـرـفـ بـهـاـ عـلـىـ الجـثـثـ، كـانـ خـمـسـةـ مـنـ الـقـتـلـىـ مـنـ إـخـوانـهـ فـيـ الـقـاعـدـةـ، بـمـنـ فـيـهـمـ الرـجـلـ الـكـبـيرـ فـيـ الـخـلـيـةـ وـكـبـيرـ مـلـازـمـيهـ، وـاثـنـانـ آـخـرـانـ مـنـ السـكـانـ الـمـحـلـيـينـ.

على يـسارـهـ استـمرـ اـحـتـرـاقـ الطـائـرةـ، سـارـ نـحـوـهـاـ، وـمـرـ بـرـجـالـ يـخـبـثـونـ وـرـاءـ السـيـارـاتـ وـصـنـادـيقـ الـقـمـامـةـ، اـتـسـعـتـ حـدـقـاتـ عـيـونـهـمـ مـنـ الصـدـمةـ، بـيـنـمـاـ فـقـدـ أـحـدـ السـكـانـ السـيـطـرـةـ عـلـىـ أـمـعـائـهـ بـسـبـبـ الرـعـبـ فـسـقـطـ عـلـىـ الرـصـيـفـ يـتـلـوـيـ كـالـمـجـنـونـ وـقـدـ لـطـخـ سـرـوـالـهـ. صـاحـ فـيـ الـيـمـنـيـ المـقـنـعـ: «ـأـنـهـضـ أـيـهـاـ الـأـحـمـقـ!ـ». ثـمـ رـكـلـ الرـجـلـ فـيـ جـانـبـهـ، وـوـاـصـلـ طـرـيـقـهـ نـاحـيـةـ الـمـرـوـحـيـةـ. وـقـفـ أـرـبـعـةـ آـخـرـونـ مـنـ زـمـلـائـهـ خـلـفـ إـحـدـيـ شـاحـنـاتـهـمـ الصـغـيـرـةـ مـعـ طـاقـمـ تـصـوـيرـ قـناـةـ الـجـزـيرـةـ. كـانـ مـصـورـ الـفـيـدـيـوـ يـدـخـنـ بـيـدـ مـرـتـجـفـةـ كـمـاـ لـوـ كـانـ فـيـ مـرـحلـةـ مـتـقـدـمـةـ مـنـ الشـلـلـ الرـعـاشـ، بـيـنـمـاـ عـلـقـ كـامـيرـتـهـ إـلـىـ جـانـبـهـ.

أـحـضـرـواـ كـلـ مـنـ بـقـيـهـ إـلـىـ الشـاحـنـاتـ، سـنـعـثـرـ عـلـىـ القـنـاصـ. نـظـرـ إـلـىـ الـحـقولـ وـالـتـلـالـ الـجـافـةـ وـالـطـرـقـ الـمـمـتدـةـ جـنـوـيـاـ، تـعلـوـهـاـ سـحـابـةـ مـنـ الغـبارـ عـلـىـ اـرـتـفـاعـ مـاـ يـقـرـبـ مـنـ مـيـلـ وـاحـدـ.

أشار اليمني قائلاً: «هناك!».

سأل فني الصوت في الجزيرة: «نحن. سذهب إلى هناك؟». إن شاء الله. إن شاء الله.

عندما فقط نادى صبي محلي أحد ممثلي القاعدة طالباً منهم أن يأتوا ويلقوا نظرة، كان الصبي قد اختبأ في كشك شاي على بعد خمسة عشر متراً من مخروط مقدمة المروحة المثقوب. صعد اليمني واثنان من رجاله فوق جذع بشري غارق في الدماء لم يثبته بباقي الجسد سوى رداء أسود ممزق، كان هذا قائدهم الأردني، تشتبّع مسار الدماء من حيث سقط على الجدران الخارجية ونافذة كشك الشاي، فاكتسى المبني باللون القرمزى.

صاحب اليمني باندفاع غاضب: «ما هذا يا فتى؟». وتحدث الطفل لاهثاً من فرط التنفس مجيئاً: «ووجدت شيئاً!».

تبع اليمني واثنان من رجاله الصبي إلى المقهى الصغير، بينما يخطون في الدماء، ونظروا حول طاولة مقلوبة، ثم عادوا خلف المنضدة. كان هناك جندي أمريكي شاب يجلس على الأرض وظهره إلى الحائط. كانت عيناه مفتوحتين وترمسان بسرعة، ويحتضن كافراً آخر بين ذراعيه. كان هذا الرجل أسود، وبدا إما فاقداً للوعي أو ميتاً، ولم يكن هناك أي أسلحة.

ابتسم اليمني وربت على كتف الصبي، استدار وصاح إلى من في الخارج: «أحضروا الشاحنة!». بعد اثنين عشرة دقيقة افترقت شاحنات القاعدة الثلاث عند مفترق طرق.

توجه تسعه رجال إلى الجنوب في شاحنتين، وأجرعوا اتصالات عبر هواتفهم محمولة للحصول على مساعدة المحليين في بحثهم عن القناص الوحيد، تولى اليمني واثنان آخران من القاعدة نقل السجينين الأمريكيين الجريحين إلى منزل آمن في مدينة الحضر القريبة، حيث اتصل اليمني بقيادته لمعرفة أفضل طريقة لاستغلال مكافأة صيده

الحدث، تولى اليمني عجلة القيادة، وركب شاب سوري في مقعد الراكب، بينما تولى مصرى حراسة الجندي شبه المسلح وشريكه المحترض فى صندوق الشاحنة.

• • •

استفاق ريكى بايليس ذو العشرين عاماً من صدمة الحادثة بعض الشيء، عرف هذا لأن الارتفاع الثقيل الذي شعر به في عظمته المكسورة تحول إلى نوبات مؤلمة تصل سخونتها إلى درجة الانصهار. نظر إلى الأسفل نحو ساقه فلم ير سوى سرواله العسكري الممزق محترقا، وحذاء معلق وممزق إلى اليمين يرقد خلفه الجندي الآخر، لم يكن بايليس يعرف الجندي الأسود، لكن شارة الاسم أوضحت أن اسمه كليفلاند، وكان كليفلاند فاقداً للوعي، كاد بايليس يظن أن كليفلاند مات، لو لا أنه لاحظ أن يتحرك ينفتح قليلاً أسفل سترته الواقفة.

في لحظة مفعمة بالأدرينالين ومدفعه بالغريزة سحب ريكى الرجل بعيداً عن موقع الحطام، بينما يزحف إلى متجر قريب من موقع الحادثة، لكن كشف أمره بعد عدة لحظات أطفال عراقيون ذوو عيون واسعة.

للحظة فكر في أصدقائه الذين ماتوا في الطائرة الشينوك، وشعر بحزن خيم عليه الذهول وعدم التصديق، تبدد الحزن سريعاً عندما رفع بصره ليرى الرجل الجالس في صندوق الشاحنة، أصدقاء ريكى الأوغاد كانوا محظوظين بموتهم، بينما كان هو البائس، هو وكليفلاند الذى له استقطاب فسيقاطع (أساهما علناً وعلم الهواء ماشرة).

نظر الإرهابي إلى الأسفل نحو بالييس، وداس بحذائه الرياضي ساقه المحطم، وضغط بيته مع ابتسامة واسعة كشفت عن أسنانه المكسورة حتى بدت كأنها مفترس.

صرخ ریکی

三

انطلقت الشاحنة بسرعة على الطريق حتى بلغت منطقة مرتفعة خارج الباخر، ثم تباطأت فجأة قبيل حاجز على أطراف المدينة، كان كميناً محلياً اعتقدياً نصبه المتمردون، عبارة عن سلسلة ثقيلة ملفوفة في عمودين معلقين على مستوى منخفض فوق الرصيف المغبر.

ظهر اثنان من رجال الميليشيات، يجلس أحدهما بكسل على مقعد بلاستيكي، ورأسه متكم على جدار ملعب مدرسة ثانوية، ووقف الآخر عند أحد طرفي السلسلة بجانب شريكه الذي يقضي وقت القليلة نائماً، معلقاً على ظهره رشاش كلاشنكوف وجهاً فوهته إلى الأسفل، وبين يديه صحن من الحمص والخبز المسطح، وقد علق الطعام في لحيته.

على الجانب الآخر من الحاجز، حيث راعي ماعز عجوز قطيعه الهزيل على التحرك بطول الرصيف. وسبَّ رجل القاعدة ضعف عزيمة التمرد هنا في شمال غرب العراق. ألم يكن بوعهم سوى حشد رجلين كسلانين مثلهما لنقطة تفتيش؟ بهذه الحماقة قد يسلم السُّنَّة السيطرة للأكراد والإيزيديين.

أبطأ اليمني شاحنته، وأنزل زجاج النافذة، صرخ في العراقي الواقف: «افتح هذه البوابة أيها الأحمق! هناك قناص في الجنوب!».

ترك رجل الميليشيات غداً، وسار ببطء نحو الشاحنة الصغيرة في منتصف الطريق، ثم وضع يده على أذنه كأنه لم يسمع صياح اليمني. وأكمل: «افتح البوابة وإلا...».

أدأر اليمني رأسه بعيداً عن المتمرد الذي يقترب من شاحنته ناحية الآخر الذي يجلس قبالة الجدار، وقد مال رأسه جانباً، وظل معلقاً هكذا، بعد لحظة تدحرج جسده إلى الأمام وسقط من المقعد أرضاً، اتضحت أن رجل الميليشيات ميت، لقد قُطعت رقبته من الفقرة العنقية. لاحظ ذلك أيضاً المسلح الذي يجلس في مؤخرة الشاحنة، ونهض بسرعة في الصندوق حين استشعر التهديد، لكن الموقف أثار حيرته،

عاود النظر، هو وقائده الجديد في المقعد الأمامي، إلى الرجل المحلي على الطريق، رفع عضو المليشيات الملتحي ذراعه اليمنى أمامه، فظهر أسفل كمي عباءته الفضفاضة مسدس أسود.

طلقتان سريعتان لا تردد بينهما أردتا المصري الجالس في صندوق الشاحنة قتيلاً.

استلقى بايليس على ظهره رافعاً بصره إلى الشمس الحارقة وقت الظهيرة، شعر أن السيارة تبطئ وتتوقف، وسمع صراخ السائق، والطلقات النارية السريعة بشكل لا يصدق، وشاهد الرجل الملثم يسقط فوقه ميتاً.

سمع دوي وابل آخر من طلقات المسدس من حوله، ووقد رأى زجاجاً يتحطّم، كما سمع صياحاً وجيزاً باللغة العربية، ثم ساد الصمت، راح ريكى يصرخ ويضرب بشكل محموم ليُبعد عنه الجثة الدامّة، انتهى كفاحه عندما أبعِد الإرهابي القتيل من صندوق الشاحنة والقاهم في الشارع.

أمسك رجل ملتح يرتدي الدشداشة الرمادية ريكى من سترته العسكرية، ورفعه إلى أعلى مثبتاً إياه في وضعية الجلوس، طفت الشمس القاسية على رؤية بايليس وجهًا غريبًا، وسألها: «هل يمكنك المشي؟».

ظن ريكى أنها هلوسة ما بعد الصدمة، لقد تحدث الرجل باللغة الإنجليزية بلهجة أمريكية، ثم صاح الغريب مردداً ما قاله: «أنت يا فتى! هل تسمعني؟ هل يمكنك المشي؟».

قال بايليس ببطء مجيئاً طيف ذلك الرجل : «ساقى مكسورة، وهذا الشخص مصاب بشدة».

فحص الغريب ساق بايليس المصابة وشخصها: «كسر في عظم الشظية. ستعيش».

ثم وضع يده على عنق الرجل الذي فقد وعيه وقدم تشخيصاً أولياً محبطاً قائلاً: «لا أمل في نجاته».

التفت حوله بسرعة، وحتى هذه اللحظة لم يتمكن الشاب القادم من ميسيسبي من رؤية وجهه.

اتركه هنا، ستفعل من أجله ما بوسعنا، لكنني أحتج إليك في مقعد الراكب، لف هذه حول وجهك.

سحب الرجل الملتحي الكوفية من رقبة الإرهابي الميت وأعطتها بايليس إليها.

لا يمكنني المشي على هذه الساق.

تحمل! علينا أن ننطلق، سأحضر عتادي، هيا تحرك! استدار الغريب، وركض في زفاف مظلل، رمى بايليس خوذته الكيفلر في الكابينة، ولف غطاء الرأس مكانها، ثم نهض ونزل من صندوق الشاحنة على ساقه السليمة، سرى ألم مبرح من ساقه اليمنى إلى دماغه. ازدحم الشارع بمدنيين من شتى الأعمار، يقفون على مسافة كأنهم جمهور يشاهد مسرحية عنيفة.

قفز بايليس إلى باب مقعد الراكب ثم فتحه، فسقط عربي يرتدي قميصاً أسود في الشارع، وقد أصيب برصاصة واحدة فوق عينه اليسرى، وكان هناك إرهابي ثان ملقى على المقود، يقطر من شفتيه زبد دام وهو يلهث بخفوت. كان ريكى قد أغلق بابه لتوجه عندما فتح الأمريكي الغريب باب السائق، وأخرج الرجل ثم تركه يسقط على الأسفلت، سحب مسدسه مرة أخرى، ودون أن يلتفت أطلق رصاصة واحدة على الرجل في الشارع، ثم التفت إلى الشاحنة ليلقي فيها حقيبة معدات بنية اللون، وبندقية كلاشنكوف AK-47، وبندقية (M4)، قفز خلف المقود، ومالت الشاحنة إلى الأمام، إذ تعبر فوق سلسلة الحاجز المنخفضة.

تحدث ريكى بهدوء، فما زال يحاول استيعاب ما يحدث حوله:-
 علينا أن نعود، ربما هناك آخرون على قيد الحياة.

- لا يوجد. أنت فقط.

- كيف عرفت ذلك؟

- أنا أعرف.

تردد ريكى ثم قال: «لأنك كنت ضمن فريق القناصة الذي مزق هؤلاء الرجال في موقع الحطام؟». - ربما.

كان هناك صمت لمدة دقيقة تقريباً، نظر باليليس من الزجاج الأمامي إلى الجبال، ثم إلى أسفل حيث ترتعش يداه، وسرعان ما انتبه الجندي الشاب إلى السائق، فصاح الغريب: «لا تنظر إلى وجهي!». أطاعه باليليس، وعاد ينظر إلى الطريق أمامه قبل أن يسألة: «هل أنت أمريكي؟».

- هذا صحيح.

- أنت ضمن القوات الخاصة؟

- لا.

- أنت ضمن القوات البحرية؟

- لا.

- هل أنت من العمليات الخاصة في البحرية؟

- لا.

- أنت منتم إلى قوات المشاة البحرية؟

- لا.

- فهمت، ربما أنت تعمل في وكالة الاستخبارات المركزية أو شيء من هذا القبيل.

- لا.

كاد بایلیس ينظر إلى الرجل الملتحي مرة أخرى، ولكنه منع نفسه.
سأله: «ماذا إذن؟».

أجابه: «فقط عابر سبيل».

ـ فقط عابر سبيل؟

ـ هل تمزح؟

ـ لا مزيد من الأسئلة.

وأصلوا السير نحو كيلو متر كامل، قبل أن يسأل ريكى: «ما الخطة؟».
أجابه: «لا توجد خطة».

ـ أليس لديك خطة؟ إذن ماذا نفعل؟ إلى أين نحن ذاهبون؟
أجابه:

ـ «كان لدى خطة لكن لم تكن جزءاً منها، فلا تبدأ في التذمر، و-toneبني على ما يحدث بينما أمضى».

ظل بایلیس هادئاً لبرهة ثم قال: «علم! الخطط أمر مبالغ فيه».

بعد دقيقة أخرى من القيادة ألقى بایلیس نظرة خاطفة على عدد السرعة، ورأى أنهم يسررون بسرعة 60 ميلاً في الساعة على طريق يغطيه الحصى.

سأله الجندي: «الدريك أي مورفين في هذه الحقيقة؟ سأقي تولمني للغاية».

ـ آسف يا فتى، أحتاج إليك متيقظاً، يجب أن تقود.
ـ أقود؟

ـ عندما نبلغ التلال سنتوقف جانبًا. سأنزل أنا وستكملان طريقكما وحدكما.

ـ وماذا عنك؟ لدينا قاعدة جوية في تلعرف، كانت هذه وجهتنا عندما تعرضنا للقصف، يمكننا أن نذهب إلى هناك.

قاعدة العمليات الأمامية ستكون بسيطة ومعزولة، لكنها مجهزة على نحو كافٍ لصد المهاجمين، وستكون أكثر أماناً من شاحنة صغيرة على طريق مفتوح.

ـ يمكنك أنت، أنا لا أستطيع.

ـ لماذا؟

ـ إنها قصة طويلة، لا مزيد من الأسئلة أيها الجندي، هل تذكر؟

ـ ما الذي يقلقك يا أخي؟ سيعطونك ميدالية أو هراءً من هذا القبيل نظير ما فعلته.

ـ سيعطونني هراءً.

بعد عدة دقائق وصلوا إلى سفوح تلال منطقة جبال سنجار، أوقف الغريب الشاحنة على جانب الطريق في بستان تملئه أشجار التحيل، وخرج وسحب البنادقية الآلية M4، وحقيقةً، ثم ساعد الجندي على الجلوس خلف المقود. تأوه بايليس ألمًا.

بعد ذلك تفقد الغريب الجندي الذي يرقد في صندوق الشاحنة، ثم قال بلا مبالغة: «لقد مات».

سارع يازالة درع كليفلاند الواقية وزيه الرسمي، وتركه في صندوق الشاحنة مرتدياً سرواله وقميصه البنين، انزعج بايليس من معاملة الجندي القتيل، لكنه لم يقل شيئاً، هذا الرجل، هذا. أيّاً من كان بالضبط، لم ينجُ هنا في بلد قطاع الطرق هذا إلا باستغلال الفرصة، وليس بالعاطفة.

ألقى الغريب المعدات بجوار جذع نخلة، وقال: «سيتعين عليك استخدام ساقك اليسرى للضغط على المكابع والوقود».

ـ عُلم يا سيدي!

ـ إن قاعدتك في الشمال على بعد خمسة عشر كيلو متراً، أبق هذا الرشاش في حجرك، والخزائن بجوارك، وإذا أمكنك فلتبق مختبئاً.

ـ ماذا تقصد بمختبئ؟

– اختبئ. لا تُسرع أو تظهر، ولا تنزع هذه الكوفية عن وجهك.
– عُلِمَ.

– لكن لو تحتم عليك الاشتباك، فلتطلق النار على أي شيء يشير
رippiك، هل تفهم؟ استخدم عقلك يا فتى، عليك أن تكون شرساً بعض
الشيء لتنجو في نصف الساعة المقبلة.

– حسناً يا سيدى. وماذا عنك؟
– أنا شرس بالفعل.

جفل الجندي ريكى بايليس إذ يضرب الألم ساقه، نظر إلى الأمام
وليس إلى الرجل عن يساره وقال: «أيّا من كنت، شكرًا لك».

– اشكريني بأن تعود إلى المنزل، بحق الجحيم وأن تنسى أنك التقيتي.
قال: «عُلِمَ». ثم هز رأسه متممّاً: «فقط عابر سبيل».

غادر بايليس البستان، وعاد بالشاحنة إلى الطريق، نظر إلى المرأة
الخلفية ليلقى نظرة خاطفة أخيرة على الغريب، لكن سديم الحرارة،
والغبار المنبعث من إطارات الشاحنة أعاقة الرؤية من الخلف.

في شارع بيزووتر بلندن يشرف مبني تجاري من ستة طوابق على ريف وسط المدينة، وحديقة هايد بارك وحدائق كنسينجتون.

يضم الطابق العلوي من المبني الأبيض جناحاً كبيراً لمكاتب شلتنهام للخدمات الأمنية، وهي شركة خاصة تعاقد مع ضباط لحماية المسؤولين، وأفراد لحراسة المنشآت، وخدمات الاستخبارات الاستراتيجية للشركات البريطانية، وغيرها من الشركات الأوروبية والغربية التي تعمل بالخارج. أشرف على تصميم (ش.خ.أ.)⁽¹⁾ وتأسيسه وتشغيله يومياً رجل إنجليزي يبلغ من العمر ثمانية وستين عاماً، يُدعى سير دونالد فيتزروي.

قضى فيتزروي الجزء الأول من يوم الأربعاء منهمكاً في العمل، لكنه بعد ذلك أجبر نفسه على إخراج هذه المهمة من ذهنه، استغرق لحظة لتصفية أفكاره، دق بأصابعه على مكتبه المزخرف ذي الأدراج والخزائن الجانبية، لم يكن لديه وقت للرجل الذي يتضرر بأدب في الخارج مع سكرتيته، ثمة مسألة ملحقة تتطلب تركيزه الكامل، لكن لم يكن بوسعه إبعاد الزائر، على فيتزروي أن يؤجل أزمته اللحظية وحسب.

لقد اتصل الشاب قبل ساعة، وأخبر سكرتيرة السير دونالد بأنه يحتاج إلى التحدث مع السيد فيتزروي في شأن طارئ. مثل هذه المكالمات اعتيادية في مكاتب (ش.خ.أ.)، لكن الغريب في المكالمة، والسبب الذي منع فيتزروي من أن يطلب من الشاب العيني الحضور في يوم آخر، هو أن زائره يعمل لدى مجموعة لوران، وهي شركة فرنسية

تولت شركة فيتزروي تأمين موقع مكاتب مجموعة لوران في بلجيكا وهولندا والمملكة المتحدة، ولكن بالرغم من ضخامة عقد فيتزروي مع لوران مقارنة بحسابات الشركات الأخرى في (ش.خ.أ.)، فقد أدرك السير دونالد أن الأمر لم يكن أكثر من قطرة في محيط المجموعة، مقارنة بالمتينة الأمينة السنوية الإجمالية للشركة العملاقة.

اشتهرت مجموعة لوران في دوائر الحماية بأنها تدير أقسامها الأمنية الخاصة بها بطريقة لا مركزية، وتوظف السكان المحليين لتأدية معظم المهام الثقيلة في الدول الثمانين التي تستثمر فيها الشركة.

قد يعني هذا شيئاً بسيطاً كفحص سكريات في مكتب في
كوالالمبور، لكنه قد يشمل أيضاً أموراً شنيعة مثل كسر ساقى عامل
ميناء غير مطيع في بومباي، أو تفرقة تجمع نقابي مثير للمناوشات في
غدانسك.

بالتأكيد بعض الأزمات كانت تضرر المسؤولين التنفيذيين في مكتب لوران بياريس إلى السفر من وقت إلى آخر في مهام أطول أمداً، وكان فيتربوي يعلم أن لديهم رجالاً مستعدين لذلك أيضاً.

هناك نقطة ضعف قدرة لدى معظم الشركات متعددة الجنسيات في جميع أنحاء العالم، إذ تعاملت مع بلطجية أكثر من تعاملها مع رجال شرطة، ومع جوعى يبحثون عن عمل أكثر من متعلمين يريدون التنظيم والإصلاح. نعم، استخدمت معظم الشركات متعددة الجنسيات أساليب لا تُحصي في جلسات إحاطة رؤساء الشركة، أو في بنود

الميزانية في التقرير المالي السنوي. لكن عُرف عن مجموعة لوران أنها شركة عملاقة، خصوصاً فيما يتعلق بعملاء العالم الثالث وموارده. لم يؤثر هذا في أسعار السوق على الإطلاق.

أبعد دونالد فيتزروي عن رأسه قلقه بشأن الأمر الآخر، وضغط على زر الاتصال الداخلي طالباً من سكرتيرته أن تدخل الزائر، لاحظ فيتزروي أولاً البذلة الأنثقة التي يرتديها الشاب الوسيم، كان هذا عرفاً محلياً في لندن، فالحكمة تقول: «تعرّف إلى الخياط تعرف إلى الرجل». علم أنه اشتراها من متجر هانتسمان في شارع سافيل رو، وقد أخبرت تلك الملاحظة فيتزروي الكثير عن زائره، السير دونالد نفسه كان من زبائن متجر نورتون وأبنائه⁽¹⁾، ملابسه أنثقة لكنها بشكلٍ ما لا تناسب بيئه العمل، رغم ذلك فقد أعجبه ذوق الرجل.

بنظرة سريعة متدرسة توصل الرجل الإنجليزي إلى أن زائره محام، تلقى تعليماً جيداً، وأمريكي بالرغم من احترامه عادات المملكة المتحدة وآدابها.

قال فيتزروي وهو يقطع مكتبه بابتسامة لطيفة: «لا تخبرني سيد لويد، دعني أخمن، كلية حقوق هنا في مكان ما؟ كلية الملك في لندن؟ أعتقد ربما بعد الانتهاء من الجامعة في وطنك بالولايات المتحدة، سأغامر وأخمن، جامعة بيل، لكن يجب عليَّ أن أسمع منك أولاً».

ابتسم الشاب، ومد يده مقلمة الأظفار بقبضة قوية وهو يقول: «صحيح يا سيدي، كانت كلية الملك، لكنني تخرجت في برينستون في وطني».

(1) Norton & Sons: متجر خياطة شهير في لندن أسسه والتر جرانت نورتون في عام 1821، واشتراه المصمم الأسكتلندي باتريك جرانت في عام 2005. (المترجم)

تصافحاً، وأشار فيتزروي إلى مكان جلوس أمام مكتبه وهو يقول:
«نعم، الآن أفهم. برينستون».

عندما جلس فيتزروي على المقهى المواجه لطاولة القهوة أمام ضيفه، قال لويد: «مذهل يا سير دونالد، أظن أنك تعلمت تقدير الناس من وظيفتك السابقة».

رفع فيتزروي حاجبيه الأبيضين الكثيفين، بينما يصب القهوة لكليهما من أدوات الخدمة الفضية على الطاولة وقال: «كان هناك مقالعني قبل عام أو نحو ذلك في الإكونومست⁽¹⁾، ربما عرفت شذرات عن عملي مع الناج⁽²⁾». وأمواً لويد، وأخذ رشفة من قهوته قبل أن يقول: «مذنب بحسب الاتهام، قضيت أغلب الأعوام الثلاثين التي أمضيتها في الاستخبارات العسكرية في أولستر⁽²⁾ في أثناء الاضطرابات، ثم غيرت مهنتك لأمن المؤسسات، أثق أن هذا المقال الرائع قد ساعدك في عملك».

قال فيتزروي بابتسامة تدرب عليها جيداً: «بالطبع». قال لويد: «ويجب أن أعترف أنني لم ألتقي فارساً نزيهاً من قبل».

ضحك فيتزروي بصوت عال ثم قال: «إنه لقب ما زالت زوجتي السابقة تسخر منه أمام أصدقائنا، إنها تحب أن تشير إلى أنه لقب يُمنح للكرماء وليس النساء، وبما أن كلا الوصفين لا ينطبق علىي، فقد رأت أنها تسمية غير مناسبة تماماً».

قال فيتزروي هذا بلا ضغينة، بل بسخرية ذاتية مرحة، بينما ضحك لويد بشكل مهذب.

وقال: «في العادة أباشر الأعمال مع السيد ستانلي في مكتبكم بلندن، ماذا تفعل في مجموعة لوران يا سيد لويد؟».

(1) : الناج البريطاني. كنابة عن الحكومة البريطانية

(2) : إحدى مقاطعات أيرلندا الأربع، تقع في أيرلندا الشمالية. (المترجم)

وضع لويد فنجانه على صحنه ثم قال: «أرجو أن تعذرني لطلبي المفاجئ لقاءك، وكذلك فظاظتي».

أجابه فيتزروي: «إطلاقاً إليها الشاب. على عكس العديد من الإنجليز وخاصة من جيلي، فإني أحترم فطنة رجل الأعمال الأمريكي، لقد أضرت كثرة الشاي والكعك بالإنتاجية البريطانية ولا شك في ذلك، لذا اطلب مني ما تريده بكل جرأة، كما تحبون أن تقولوا إليها البانكيز». ورشف فيتزروي قهوته.

مال الشاب الأمريكي إلى الأمام وقال: «إن اندفاعي لا علاقة له بكوني أمريكيّاً بقدر الطبيعة الحرجية لاحتياجات شركتي».

ـ آمل أن أساعدك.

ـ أنا واثق بهذا، أنا هنا لمناقشة حدث وقع قبل عشرين ساعة في الحسكة.

أطرق فيتزروي برأسه في حيرة وابتسم قائلاً: «نلت مني يا فتي، أعرف أنني لا أعرف الاسم».

ـ إنها في شرق سوريا يا سيد فيتزروي.

تلاذت ابتسامة دونالد فيتزروي المتمرة ولم يقل شيئاً. أنزل فنجانه بيضاء إلى صحنه ووضعه أمامه على المنضدة.

قال لويد: «أعتذر مرة أخرى عن الطريقة التي أندفع بها، لكن الوقت في هذه المسألة ليس أمراً مهماً فحسب، بل مؤثراً وخطيراً جداً». ـ كلي آدان مصغية.

الآن ماتت ابتسامة الرجل الإنجليزي الدافئة قبل عشر ثوان ودفت.

ـ في الساعة الثامنة تقريباً بالتوقيت المحلي مساء أمس، أنهى قاتل مأجور حياة الدكتور إسحاق أبو بكر، ربما تعرف أنه كان وزير الطاقة النيجيري.

تحدث فيتزروي بنبرة أقل ودية بشكل واضح عن ذي قبل: «أثرت فضولي، هل لديك أي فكرة عما كان يفعله وزير الطاقة النيجيري في

شرق سوريا؟ الطاقة الوحيدة التي يمكن استخراجها هناك هي حماسة الجهاديين الذين يحتشدون قبل التسلل إلى العراق لتأجيج الصراع». ابتسם لويد: «كان الطبيب الطيب مسلماً ذا فكر متطرف، ربما كان في المنطقة لتقديم بعض الدعم المادي للقضية. لست هنا للدفاع عن أفعال الرجل، أنا قلق فقط بشأن قاتله الذي نجا وهرب إلى العراق». – يا لسوء الحظ!

– ليس للقاتل، كان القاتل بارعاً، بل أفضل من بارع، كان الأفضل على الإطلاق، كان هو من يطلقون عليه الرجل الرمادي.

عقد فيتزروي ساقيه ومال إلى الخلف. وقال: «أسطورة!».

– ليس أسطورة بل رجلاً، رجلاً مهاراته عالية، لكنه في النهاية رجل من لحم ودم.

خلا صوت فيتزروي من الحس الأبوي الذي حفلت به المحادثة السابقة وسألته: «لماذا أنت هنا؟».

– أنا هنا لأنك المسؤول عنه.

– أنا ماذا؟

– المسؤول عنه، أنت تنتقي له عقوبه، توفر له الاحتياجات اللوجستية، تساعدته بالمعلومات الاستخباراتية، تجمع الأموال من دافعيها، وتحول التعويضات إلى حساباته المصرفية.

– أين سمعت هذا الهراء؟

– سير دونالد، لو كان لدى وقت لقدمت لك كل المجاملات التي تستحقها، ويمكننا أن نتجادل، وأن نتبارز بالكلمات، فأضرب وتفادي، كنا سنحوم حول الغرفة حتى يسجل أحدهنا بسيفه ضربة قاتلة. لكن لسوء الحظ يا سيدي، أنا تحت ضغط هائل، مما يجبرني على الاستغناء عن المجاملات المعتادة.

ارتشف قهوته مرة أخرى، وقد امتعض وجهه قليلاً من مرارتها.

وأكمل: «أعرف أن القاتل هو الرجل الرمادي، وأنا أعلم أنك مسؤول عنه، يمكنك أن تسألني: كيف أعرف هذا؟ لكنني سأكذب وحسب، وعلاقتنا في الساعات القليلة القادمة تعتمد على قدرتنا على التحدث بصراحة».

ـ أكمل.

ـ كما قلت، هرب الرجل الرمادي إلى العراق، لكنه أخطأ في عملية خروجه، لأنه اشتباك - بحمامة - مع قوة متفوقة من المتمردين في معركة بالأسلحة النارية، قتل أو جرح أكثر من عشرة رجال، وأنقذ أحد رجال الحرس الوطني الأميركي، وأخرج جثة آخر، والآن هو هارب.

ـ كيف تعرف أن الرجل الرمادي هو من قتل الدكتور أبي بكر؟

ـ لم يكن ليُرسل أي شخص آخر في العالم من أجل هذه المهمة، لأنه لا يوجد شخص آخر في العالم يمكنه توجيه هذه الضربة.

ـ ومع ذلك تقول إنه قد ارتكب خطأً أحمق!

ـ أقوى دليل على كلامي، أن الرجل الرمادي عمل لدى حكومة الولايات المتحدة، وارتكب خطأً ما فاستهدفته وكالة الاستخبارات الأمريكية، واختبأ من رؤسائه السابقين، بالرغم من علاقته المتواترة بلانجلي⁽¹⁾ فإن الرجل الرمادي يعتبرأمريكيّاً وطنيّاً، لم يستطع أن يترك تحطم طائرة مروحية، ومقتل أحد عشر أمريكيّاً يمر من دون عقاب.

ـ لهذا هو دليلك؟

سوى لوييد طيبة معطف بذلته وقال: «نعلم منذ فترة أن الرجل الرمادي قبل التعاقد لتنفيذ اغتيال أبي بكر، عندما مات الطبيب الصالح غدرًا لم يكن من الصعب التنبؤ بشخصية القاتل».

(1) : كناية دارجة عن وكالة الاستخبارات الأمريكية، التي يقع مقرها في منطقة لانجلي بولاية فيرجينيا. (المترجم)

- اعذرني يا سيد لويد؛ أنا رجل عجوز، عليك أن تعيني على الفهم،
ماذا تفعل في مكتبي؟

- إن شركتي على استعداد لأن تعرض عليك عقوبًا بزيادة قدرها
ثلاثة أضعاف لو ساعدتنا على التخلص من الرجل الرمادي. ودون
الخوض في تفاصيل غير ضرورية، فإن الرئيس النيجيري يطلب منا
أن نساعده على القصاص، وأخذ حق أخيه من قاتله.

- لماذا مجموعة لوران؟

- سيتضمن ذلك تفاصيل غير ضرورية.

- ستكتشف أنها ضرورية إن أردت لهذه المحادثة أن تستمر.

تردد لويド ثم أومأ ببطء وقال: «ممتأز. هناك سببان: الأول أن شركتي تمتلك جهازاً أمنياً قوياً ويعيد المدى، ويعتقد الرئيس أن لدينا الوسائل المتاحة للتعامل مع هذا الوضع نيابةً عنه. لقد نفذنا عمليات مشبوهة صغيرة للنيجيريين في الماضي، أنت تفهم مقصدي». ثم أضاف وهو يلوح بيده: «خدمة عملاء جيدة».

ارتفع حاجباً فيتزروي حتى تماساً.

«أما السبب الثاني فهو أن يوليوس أبو بكر يشعر بأن لديه بعض النفوذ علينا، لدينا عقدٌ واحدٌ ينتظر التوقيع، كان على مكتبه عندما قتل رجلك شقيقه، سيغادر الرئيس منصبه في أقل من أسبوع، وقد منحنا مهلة حتى ذلك الحين للانتقام لمقتل أخيه».

- ما نوع العقد الذي تنتظر موافقته عليه؟

- من النوع الذي لا يمكننا تحمل خسارته، هل تعلم يا سير دونالد، لا تنتج نيجيريا فائضاً من النفط فحسب، بل لديها أيضاً فائضاً من الغاز الطبيعي؟ هذا الغاز يُهدَر بالكامل ويعلو على شكل فقاعات تخرج من آبار النفط التي يملكونها لتتبخر في الهواء، هدر كامل للطاقة والربح.

- وتطمع مجموعة لوران في الغاز؟

- قطعاً لا، الغاز مورد طبيعي يملكه شعب نيجيريا الطيب، لكن لدينا التكنولوجيا الكافية لأن نعمل في آبارهم، وتبعد الغاز المسال في أنابيب حتى يُشحن في لاجوس، ثم يُنقل إلى محطات التصفية في ناقلاتنا مزدوجة الهياكل، التي تخضع حرارتها للتحكم، ثم تكريره من أجل النيجيريين، لقد أمضينا أربع سنوات، وأنفقنا أكثر من ثلاثة

مليون دولار على بحث هذا المشروع وتطويره، بنينا السفن، وطورنا ترسانات السفن لبناء المزيد منها، وتفاوضنا على حقوق الأرض لمد خط الأنابيب.

قال فيتزروي ساخراً: «كل ذلك دون عقد لتصدير المنتج؟ يبدو أن مجموعة لوران بحاجة إلى محامين جدد». أجابه لويد «محامي المجموعة» بغضب: «كان لدينا عقد مع أبي بكر، لكن شعبه عشر فيه على ثغرة فأصلحنا الخطأ المؤسف، واحتاجنا فقط إلى إمضائه فوق المستند لإبرام الصفقة وبدء العمليات، حتى قتل رجلك أخيه». «ما زلت لا أرى الصلة».

الصلة - وسامحني على هذه الكلمات - هي أن الرئيس أبي بكر هذا وعده.

لاحظ فيتزروي شيئاً ما في هياج المحامي الشاب.

ـ أعتقد أنني فهمت، ارتكب مكتبك خطأً بسبب ثغرة في العقد، وأرسلك سادتك في هذه المهمة لإصلاح ما أفسدوه. خلع لويد نظارته الرفيعة، وفرك عظمة أنفه بيطء.

ـ وهو ضئيل لن يبرر الاحتياز خمس ثوان في أي قاعة محكمة في العالم المتحضر.

ـ لكنك تعامل مع أكثر الدول فساداً على وجه الأرض.

قال لويد: «ثالث أكثر الدول فساداً في الواقع، لكن وجهة نظرك صحيحة».

ابتسم بصعوبة بعد أن رشف من القهوة، وأكمل: «أبو بكر يهدد بإسناد العملية لمنافستنا، شركة لم تسع حتى إلى الحصول على العقد، يحتاج منافستنا إلى نحو عشر سنوات قبل أن يصل إلى مستوى بنيتنا التحتية من عملاء وخبرة فنية، وستخسر نيجيريا مليارات الدولارات بعد سنوات».

ـ وكذلك مجموعة لوران.

ـ بالتأكيد، لسنا قسم خدمات اجتماعية داخل الحكومة النيجيرية. مصلحتنا الذاتية هي دافعنا. أنا فقط أذكر الفائدة المشتركة لفقراء نيجيريا البائسين الذين سيخسرون، إذا لم أجد الرجل الرمادي وأقتله. لو ظل هؤلاء البائسون المساكين فقراء بعد المليارات السنوية من الثروة النفطية التي تتدفق بالفعل إلى نيجيريا، فلا أظن أن بضعة خطوط من الغاز ستحسن مصيرهم في الحياة كثيراً.

هز لويد كتفيه وقال: «يبدو أننا نحيد عن موضوعنا الرئيس». سأل فيتزروي: «ماذا عن مُمول المشروع؟ لماذا لا يطارده الرئيس؟ لو كانت معلوماتكم صحيحة، فالرجل الرمادي ما هو إلا أجير».

ابتسم لويد ببرودٍ وقال: «كما تعلم جيداً، فقد قُتل مُمول المشروع في حادثة تحطم طائرة منذ أشهر. كان يمكن للرجل الرمادي أن يحتفظ بالمال الذي حُول إليه بالفعل وينسى المهمة، لكن قاتلك واصل مهمته، يبدو أنه كان يعتقد أنه يفعل شيئاً نبيلاً».

ـ ماذاعني؟ إذا كنت تعتقد أنني متورط في التخطيط لموت إسحاق أبو بكر، فلماذا لا تخلص مني أيضاً؟ مكتبة سُر من قرأ

ـ نحن نعلم أن مُمول المشروع تصرف من خلال وسيط، هذا الوسيط بدورهـ كان لديه وسيط، وهو الذي تفاوض معك، الرئيس يوليوبس أبو بكر ليس من يهتمون بمثل هذه المؤامرات، إنه فقط يريد رأس قاتل أخيه، هذا كل شيء.

ـ أفترض أنك حين تقول يريد رأساً، فأنت تتحدث مجازاً. وهل كنت سأفعل ذلك؟ لقد أرسل الرئيس رجلاً من طاقمه الشخصي ليتحقق من إنجازي المهمة، يخبرني هذا الرجل أنه سيضع رأس الرجل الرمادي في صندوق من الثلج، ويسلمه لقائده في حقيبة دبلوماسية. أوغاد متواشون.

بدا أن لويد كان يتحدث نفسه في الجملة الأخيرة.

سأله فيتزروي: «ألا توجد طريقة أخرى يمكنك أن ترשו بها الرئيس أبا بكر؟». كان يعلم كيف تسير عقود القطاع العام في العالم الثالث. نظر لويد إلى بقعة على الحائط، وشردت عيناه واتسعتا حتى أصبحتا أكبر من ملامحه، قبل أن يقول: «لقد رشوناه بالفعل يا سيد فيتزروي بالمال والعاهرات والمخدرات والمنازل والبواخر. إنه وغد لا يشع، لقد قدمنا الغالي والنفيس من أجل عقد لاجوس، ومع ذلك يتفاوض مع منافسنا. ولكن أن نحضر له رأس قاتل أخيه فهو أمر لا يمكن لأحد آخر أن يفعله، وهو الشيء الذي يستخدمه ضدنا».

سأل فيتزروي: «إذا كان أبو بكر طاغية هكذا، فلماذا يتخلى عن الحكم طواعية؟».

لَوَّح لويد بيده في الهواء، كأن الإجابة بدبيهية وقال: «إنه بالفعل رجل فاحش الثراء، لقد استنزف موارد بلاده والآن حان الوقت لينعم بغنائه».

ولهذا أنت هنا.

ـ بمنتهى البساطة يا سيد فيتزروي، واعذرني مجدداً على تدخلني الفظ، لكنني على ثقة أن العمل الذي سنوفره لشركة شلتنهام الأمنية سيعوض خسارة قاتل مأجور واحد، مهما تبلغ براعته.

قال فيتزروي: «سيد لويد، أنا أوظف شيئاً يعتمد عليهم اعتماداً أساسياً، يفهمون معاني الولاء والثقة والشرف. أحياناً تضيع مثل هذه المعاني، لكنها بالرغم من ذلك تحفظهم. فإذا تخليت عن حياة رجل، بل أفضل رجالي، من أجل عقد مربح، فلن يخدم هذا مصالحي».

قال لويد: «على العكس، رجلك هذا ليس سوى منتج كباقي المنتجات، هذا النوع مدة صلاحيته قصيرة. ستة أشهر، سنة. بالتأكيد ليس أكثر من ثلاثة أعوام، وبعدها إما سيموت وإما سيصبح عاجزاً، أي بلا قيمة لك كونه مصدرًا للدخل، ما أعرضه عليك سيملأ خزائين شركتك ما بقيت.

ـ أنا لا أضحي برجالي في سبيل العمل.

بعد لحظة صمت، قال لويد:

ـ أفهمك، سأتواصل مع باريس، ربما يمكنني تحلية العرض قليلاً.

ـ الأمر لا يتعلّق بمذاق ما تعرّضه، أنا أرفض العرض برمته.

ـ مال لويد مقترباً، وكان ثمة تهديد خافت في صوته:

ـ إذا لم أتمكن من تحلية العرض، فسأضطر إلى تقليله، أريد إنهاء قاتلك، أود استخدام الجمرة، لكنني على استعداد لاستخدام العصا.

ـ ربما يجب أن تحذر يا فتى، لا أحب الاتجاه الذي تحرف إليه هذه المناقشة.

حدق الرجلان أحدهما إلى الآخر لعدة ثوان. قال لويد: «أعلم أن لديك فرقة إخلاء في الطريق لالتقاط الرجل الرمادي الليلة. أريدك أن تأمر رجالك بالقضاء عليه، بمكالمة هاتفية واحدة وحافز مالي يمكن أن ينتهي هذا الأمر بسرعة وبصورة نظيفة».

ضاقت عينا فيتزروي وسألته: «أين سمعت هذا؟».

ـ لا يمكنني الكشف عن مصادرِي الاستخباراتية.

ـ أنت مخادع. أنت لا تعرف شيئاً.

ابتسم لويد: «سأعطيك لمحّة سريعة عما أعرفه، وبعد ذلك قرّر ما إذا كان الأمر كله خدعة. أظن أن ما أعرفه عن فتاك أكثر مما تعرفه. الاسم الحقيقي لقاتلك هو كورتلاند جينتري ولقبه كورت، يبلغ من العمر ستة وثلاثين عاماً، أمريكي وكان والده يدير مدرسة لفرقة التدخل السريع بالقرب من تالاهاسي بفلوريدا، حيث نشأ جينتري، تدرب الصبي مع الضباط المقاتلين يومياً، وفي السادسة عشرة من عمره كان يوجه فرق التدخل السريع لتقنيات العمليات القتالية المتلاحمـة.

عندما كان في الثامنة عشرة من عمره، صاحب أصدقاء سوء في ميامي، وعمل لفترة مع عصابة كولومبية، واغتُل في كي ويست؛ لمقتل ثلاثة من تجار المخدرات الكوبيين بالرصاص في فورت لودرديل.

تمكن مسؤول كبير في وكالة الاستخبارات المركزية - تدرب في ميدان رمادية والد كورت - من تهريب الفتى من السجن، وأرسله للعمل مع وحدة سرية داخل إدارة العمليات. لسنواتٍ تولى تنفيذ مهام سرية حول العالم، أغفلها عمليات تجسس، حتى 11 سبتمبر حيث نُقل إلى قسم الأنشطة الخاصة، وعمل أحياناً ضمن فرقه العمليات الخاصة في وحدة الترحيل السري، المعروفة رسميًا باسم كتيبة جولف سييرا الخاصة، التي اشتهرت بين القلة الذين عرفوا عنها على الإطلاق باسم فرقه الأشقياء».

- بالتأكيد أنت تختلف هنا.

تجاهله لويド وواصل: «لقد كانت فرقه هجومية مخصصة للعقوبات، مؤلفة مما نسميه في العمل: عملاء ذوي سرعة عالية وفعالية أكيدة. الأفضل على الإطلاق، وليس طراز جيمس بوند. كان هؤلاء الرجال يركزون أكثر على الضرب بالخنجر ويتجاهلون صيت دراما التجسس. لبعض سنوات كانوا أفضل وأشرس وحدة في وكالة الاستخبارات المركزية. لقد قتلوا من لم نتمكن من تسليمهم، وقتلوا من لم نكن متوقع أن نعرف منهم الكثير من المعلومات المفيدة، وقتلوا أولئك الذين يزرع موتهم الخوف في قلوب الإرهابيين وعقولهم.

ثم ساءت الأمور قبل أربع سنوات. يقول البعض إن الحسابات السياسية كان لها شأن، والبعض الآخر مقتنع بأن جينترى أخطأ في عملية ما ولم يعد مفيداً، ولا يزال آخرون يصرؤون على أنه أصبح قذراً. أياً كان السبب فقد صدر بحقه إشعار حرق⁽¹⁾ ، ثم أمر بقتله حال روئته. لقد استهدفه زملاؤه السابقون في قسم الأنشطة الخاصة. ولكن جينترى لم يستسلم قط، لقد قتل بعض زملائه في كتيبة أشقياء جولف سييرا الذين كانوا يعتزمون قتله، ثم توارى عن الأنظار.

(1) : بيان رسمي عن وكالة استخبارات إلى وكالات أخرى، يعلن فيه أن أحد العملاء أو مصدر استخبارات أصبح غير موثوق به لسبب أو لآخر.

أمضى فترة في بيرو وبنجلاديش وروسيا، وأماكن أخرى غير معلومة. في غضون ستة أشهر نفذ ماله، فانخرط في العمل في القطاع الخاص، وعمل عندك، ليفعل كل ما يبرع فيه: من طلقات في الرأس، ونحر الأعنق، وبنادق قنص، ومطاو».

كانت هناك دقات خافتة على باب المكتب، مالت سكرتيرة فيتزروي إلى الداخل.

قالت: «عذرًا يا سيدي، لديك مكالمة». ثم أغلقت الباب وراءها. نهض فيتزروي ثم تبعه لويد. قال له الشاب الأمريكي: «يمكنتني أن أنتظر بالخارج».

ـ لا داعي، لقد انتهت المقابلة.

ـ أنت ترتكب خطأ فادحًا بالتخلص مني، أحتاج أن تأمر فرقة الإلقاء التابعة لك بأن تصفي الرجل الرمادي، وإذا لم يقنعك العرض الذي قدمته لك، فيمكنتني أن أجري بعض مكالمات هاتفية، وسأبذل ما بوسعني، لكن ما ليس بوسعي فعله يا سيد فيتزروي هو رجوعي لمرؤوسي دون حل لهذه الأزمة.

ـ كان فيتزروي قد اكتفى.

ـ لقد أساءت شركتك الحكم، فلا يمكنهم رشوتني كما فعلوا مع ذلك дикتور الإفريقي الوضيع.

ـ حدجه الشاب الأمريكي بنظره ثم قال: «إذا، أقدم إليك اعتذاري». تصافح الرجالان، لكن نظراتهما كانت باردة. عندما سار لويد نحو الباب، انحرف إلى اليسار وتطلع إلى نسخة مؤطرة من مقالة الإيكonomist معلقة على الحائط. جاء في العنوان: «مدير وكالة تجسس سابق يصبح رجل أعمال في مجال أمن الشركات»، وأشار لويد إلى الإطار، وعاد إلى الرجل الإنجليزي الأكبر سنًا.

ـ وقال: «مقال رائع، به الكثير من المعلومات». ثم نظر إلى صورة على الحائط لابن فيتزروي مع زوجته وابنه المراهق.

وأكمل: «ابنك لديه ابنتان الآن، أليس كذلك؟ يعيش هنا في لندن، لديه منزل مستقل في حدائق ساسكس، إذا كنت أتذكر جيداً ما قرأته في مجلة الإيكonomist».

- لم يرد ذلك في مقال الإيكonomist.

- حقاً؟

هز لويد كتفيه ثم أكمل: «ربما التقطت هذا من مكان آخر. يوماً سعيداً يا سير دونالد، سنكون على اتصال، قد تتوقع طرداً في غضون ساعة.

استدار واحتفى من الباب.

وقف فيتزروي وحيداً في مكتبه للحظة.

لم يكن السير دونالد ليفرز بسهولة، لكنه شعر برعشة خوف لا ريب فيها.

قبل الفجر بساعتين كانت الحرارة قد ارتفعت بالفعل في المطار المهجور. كانت الطائرة العملاقة لوكهيد إل-100 الجائمة في نهاية المدرج متوقفة عن العمل، وقد أطفأت أنوارها حتى لا ترى من مسافة بعيدة، لكن طاقم الطائرة جلسوا في مقاعدتهم وأيديهم ترتعش بالقرب من الصمام الخانق، نفثت المراوح الغبار الجاف والرماد الحادة في وجوه الرجال الخمسة التي أرهقتها الرياح، بينما أصاب الجفاف حلوقهم، وهم يقفون في المطار عند نهاية مدرج الطائرة المنخفض. كانت كل العيون تنظر نحو الجنوب، بعيداً عن المطار الأشبه بكوخ صغير، وإلى الخارج عبر السياج المتشارب، وخارجه نحو الظلام اللامتناهي في غرب العراق.

وقف الرجال الخمسة متقاربين، لكن التواصل الطبيعي كان مستحيلاً. حتى في وضع الاسترخاء، ملأت محركات أليسون في الطائرة ذات الشفرات الأربع الهواء بطنين متواصل هز الأرض، لو لا جهازة راديو هاريس فالكون للمسافات القصيرة وميكروفونات الصوت لضاعت كلمات الرجال مثل المناظر الطبيعية التي لا تلتقطها نظاراتهم للرؤية الليلية.

أمسك ماركهام بيده اليسرى رشاشاً من طراز هيكلر وكوخ⁽¹⁾ متديلاً على صدره، وضغط بيمنيه على زر الإرسال اللاسلكي على سترته متعددة الجيوب ثم قال: «لقد تأخر».

(1) Heckler & Koch GmbH: شركة ألمانية شهيرة لتصنيع المسدسات والبنادق والمسدسات الرشاشة وقاذفات القنابل اليدوية.

عض بيريني طرف الأنوب المعلق فوق كتفه، وامتص الماء الدافئ من القرية نصف الفارغة في حقيقته، بصدق معظمه على مهبط الطائرات الرملي أمام حذائه، تدللت بندقيته الآلية من طراز موسبرج من يده اليمنى.

وقال: «إذا كان هذا الوغد بارعاً، فلماذا لا ينفذ عملية الإخلاء في الوقت المحدد؟».

قال دولين: «إن الرجل الرمادي شخص بارع، وإذا تأخر فلديه سبب وجيه»، بينما يضع يديه على وركيه، والرشاش ذو المسورة القصيرة معلق أفقياً على صدره، وأكمل: «كن حذراً، إنها عملية صغيرة فحسب، ستأخذه ونعتني به حتى الحدود، ثم ننسى أننا رأينا هذا الوغد».

قال ماكفي ببعض التمجيل: «الرجل الرمادي، إنه الرجل الذي قتل ميلوسيفيتش، لقد تسلل إلى سجن تابع للأمم المتحدة وسمّ ذلك الوغد»، تدلى مسدسه الرشاش (إم بي 5) من حمالته، بينما يشير كاتم الصوت إلى الأسفل مباشرة باتجاه المدرج، ثبت رسغه على كعب السلاح القصير.

قال بيريني: «لا يا أخي، لقد فهمتها بالعكس، لقد قتل الرجل الذي قتل ميلوسيفيتش. كان ميلوسيفيتش على وشك أن يكشف أسماء، مسؤولي الأمم المتحدة الذين ساعدوه في الإبادة الجماعية في البوسنة وكوسوفو. أرسلت الأمم المتحدة قاتلاً لتسميم سلوبو العجوز، ثم قتل الرجل الرمادي القاتل بعد الواقعـة». شرب بشرابة ثم بصدق الماء الدافئ من فمه، وقال: «الرجل الرمادي بارع للغاية، إنه لا يعبأ بشيء ولا يخاف».

كرر دولين ما قاله من قبل: «إنه متأنـر للغاـية، هو دومـا كذلك». ثم نظر إلى ساعته وهو يقول: «قال فيترروي إنه قد يتـعين علينا

الانتظار، وقد نضطر إلى القتال، فكل خمسين كيلو متراً ينتظره صياد ما ليصطاده بأبشع الطرق».

كان بارنز صامتاً، لكنه تحدث الآن: «سمعت أنه نفذ هذه العملية في كيف». .

تمشي بعيداً عن مدرج الطائرة، إذ يمسح الظلام بمنظر الرؤية الليلية الثلاثية على بندقيته الآلية القصيرة إم 4.

قال دولين: «هراء!». وعلى الفور اتفق معه الاثنان الآخران، إلا أن ما كفى أيد بارنز قائلاً: «نعم، هذا ما سمعته، هذا الشخص الرمادي نفذ العملية بمفرده».

قال ماركام: «مستحيل! ما كان لعملية كييف أن ينفذها رجل واحد، بل على الأقل فريق من اثنين عشر رجلاً على أعلى مستوى».

هز بارنز رأسه في الظلام، وقال: «سمعت أنه كان صياداً واحداً. سمعت أنه الرجل الرمادي».

أجاب ماركمام: «أنا لا أؤمن بالسحر».

في تلك اللحظة دوت خشخشة في سماعات أذن الرجال الخمسة بالتزامن. رفع دولين يده لإسكات فريقه، وضغط على زر التحدث على جهاز صدره وقال: «كرر الإرسال الأخير».

سمعت خشخشة أخرى، في النهاية ظهرت كلمات أخرى مفككة عبر جهاز الإرسال «ثلاثين ثانية. تحرك. مطارد!». لم يكن هناك إمكانية للتعرف إلى الصوت، ولكن من الواضح أن الرسالة كانت عاجلة. سأل بارنز: «هل هذا هو؟».

لا أحد يمكنه التأكيد.

مرة أخرى دبت الحياة في جهاز الاتصالات بصورة أكثر وضوحاً الآن، نظروا نحو البوابة المفتوحة في مقدمة المطار الصغير.

ـ أنا قادم بسرعة! لا تطلقوا النار!

رد دولين عبر جهاز الاتصالات: «إشارتك متقطعة. حدد موقعك مرة أخرى». سمعت خشخة إرسال: «شمال غرب».

عندما فقط سمعوا صوت اصطدام في الشمال ويوق سيارة. تطلع الجميع جنوباً، وأداروا رؤوسهم وفوهات بنا دقهم الآلية شمالاً باتجاه الضجة، ورأوا شاحنة دفع رباعي مدنية، أحد مصابيحها الأمامية مطفأ، تحطم السيار وتخرج فجأة من الرمال إلى مدرج المطار. كانت الشاحنة تتحرك بسرعة مذهلة مباشرة نحو الطائرة (L-100).

جاء الصوت عبر الاتصالات مرة أخرى: «لست وحدي!».

حينها فقط ظهرت إضاءة مصابيح أمامية بطول المسار الواسع خلف الشاحنة التي راحت تقفز بعنفٍ، في البداية ظهرت مجموعتان، ثم أربعة، ثم أكثر.

قيم دولين الوضع في ثانية واحدة، ثم صاح في طاقمه وسط طنين المحرك: «إلى الطائرة!».

صعد الخمسة جمِيعاً إلى متن الطائرة، وكانت (L-100) تتحرك بالفعل على مدرج المطار عندما انطلق رجل مسلح يرتدي ملابس قدرة وسترة واقية وصعد إلى الباب الخلفي. أمسك ماكفي بيد «الرجل الهاوب» المرتدي القفازات، وسحبه أعلى المنحدر الحاد، وضرب ماركهام يده على ذراع الرفع الهيدروليكي لإغلاق الباب الخلفي إذ أمر دولين الطيارين عبر نظام الاتصال الداخلي في المقصورة، وأطلقت المحركات الأربع المروحة من أجل الإقلاع.

مع إغلاق المخرج الخلفي، سقط الرجل على واقيات الركبة التي يرتديها في منتصف المقصورة الخالية، علق ببنديقته (4M) على حزام الأدوات حول صدره، لكنه فقد معظم ذخيرته، وسترة نومكس بنية

مزقة في عدة أماكن، غطت نظارة واقية وجه الرجل الذي تلطم بالشحوم والعرق.

خلع خوذته وألقاها على أرضية المقصورة، التي مالت في أثناء دوران الإقلاع، انبعث البخار من شعره البني الكثيف المتشابك، وظللت لحيته تقطر عرقاً كصنوبر مسرب.

رفع دولين الرجل الرمادي عن الأرض، ووضعه على المقعد المثبت في جسم المقصورة، ثبته على المقعد بحزام وجلس بجانبه. سأل: «هل تتألم؟». هز الرجل رأسه.

صاح دولين وسط دوي المحرّكات: «دعني أساعدك على نزع معداتك».

ـ لن أنزعها.

ـ كما تشاء، مدة الرحلة أربعون دقيقة فقط، فور وصولنا تركيا سنمضي إلى مأوى آمن، ومساء غد سيطلعك فيتزروي على التعليمات، سنحميك حتى ذلك الحين.

قال الرجل المتسلخ وقد شق عليه التنفس: «أقدر ذلك». وتسمّرت عيناه في الأرض إذ يتحدث، وضم ذراعيه حول طرف البنديبة التي تتدلى من رقبته.

جلس الأربعه الآخرون في المقعد الشبكي الأحمر الذي يبطّن جانب جسم الطائرة، وراحوا يحدّقون جميعاً إلى الرجل، وحاولوا دون جدوى التوفيق بين العميل متوسط المظهر الذي يجلس بينهم وبين سمعته الخارقة.

جلس الرجل الرمادي، ودولين بجوار لوح لنقل المعدات مربوط بحزام إلى وسط الطائرة.

قال دولين: «سأتصل بفيتزروي وأخبره أننا أفلعنا، سأجلب لك ماء وأعود بسرعة».

استدار وجاهد ليصل إلى مقدمة المقصورة في أثناء الارتفاع الحاد للطائرة. أخرج هاتفه المتصل بالقمر الصناعي في أثناء مشيه.

كانت الساعة قد تخطت الثالثة صباحاً في لندن، وفي الطابق السادس من مبني تجاري أبيض في طريق بيزووتر، طرق رجل مسن يرتدي بدلة مقلمة ومجعدة بأصابعه على مكتبه. كان وجهه شاحباً والعرق يتصبب على رقبته المكتنزة، ليليل بذلكه الأكسفورد المصنوعة من الصوف المصري. حاول دونالد فيتزروي الاسترخاء لإزالة القلق البارز في صوته.

رن الهاتف الذي يعمل بالأقمار الصناعية مرة أخرى.

نظر مرة أخرى، للمرة العشرين، إلى الصورة المؤطرة على مكتبه، كانت لابنه. أنه في الأربعين الآن، جالس على أرجوحة على الشاطئ، بجواره زوجته الجميلة، بينما يجلس توأمان، فتاتان، على ساقى الأب والأم إذ تبتسمان بشدة.

أبعد فيتزروي نظره عن الصورة المؤطرة، ونظر إلى مجموعة من الصور المترفرفة بين يديه المكتنزتين وقد ألقى عليها عشرين نظرة أيضاً. كانوا الأربعه أنفسهم، العائلة نفسها، على الرغم من أن التوأم قد صارت أكبر سنًا بعض الشيء.

كانت عملية مراقبة تقليدية: الأسرة في الحديقة، والتتوأمان في مدرستهما بالقرب من ميدان جروسفيور، وزوجة الابن تدفع عربة التسوق في السوق. استنتاج فيتزروي من الزوايا والمسافة من الأهداف رسالة المصور ومفادها: أن بإمكانه الوصول بسهولة إلى الأربعه والإمساك بكل واحد منهم.

كان تلميح لويذ واضحًا: يمكن الوصول إلى عائلة فيتزروي في أي وقت.

رن الهاتف عبر الأقمار الصناعية مرة ثالثة. زفر فيتزروي بقوه ملقى
الصور على الأرض، وأمسك الجهاز المزعج.
ـ ستاندستيل. هل تسمعني يا فولكورت؟

قال دولين: «أسمعك بوضوح، ستاندستيل». ضغط أذنه بقوه على
سماعة هاتف القمر الصناعي ليتخلص من هدير المحرك. وأكمل:
«كيف تسمعني؟».

ـ صوتك واضح وعال. أبلغ عن حالتك.
ـ ستاندستيل. فولكورت، الرجل معنا، وأخلينا الموقع المستهدف.
ـ مفهوم. ما وضعه؟

ـ يبدو في حالة سيئة يا سيدى، لكنه يقول إنه على ما يرام.
قال فيتزروي: «مفهوم، انتظر لحظة».

فرك دولين وجهه بيده ذات القفاز، ونظر إلى الجزء الخلفي من طائرة
الشحن إلى مساعديه الأربع، ثم وقع بصره على الرجل الرمادي الذي
جلس في نهاية المقعد، تخفي وجهه نظارة واقية ولحية وشحم، ومع
ذلك استطاع دولين أن يستنتاج أن الرجل مرهق، إذ مال ظهره على
جدار جسم الطائرة، واستند بذراعيه إلى بندقيته (إم 4) وحدقت عيناه
إلى الفراغ.

كان طاقم دولين على يمين الرمادي، وكانوا جميعاً مسلحين تسليحاً
موحداً، ولكن تفصلهم عنه بضم أقدام. أي مسافة مقعد.

بعد ثلاثين ثانية، عاد دونالد فيتزروي إلى الخط. وقال: «فولكورت،
هذا ستاندستيل. هناك تغيير في العملية، سيدفع أجرك أنت ورجالك
بالطبع وفقاً لذلك».

اعتذر دولين في جلسته وقطب جبينه. وقال: «علم يا ستاندستيل.
تابع تحديث تفاصيل العملية».

-أحتاج إلى إلغاء تسليم الرجل.

أطرق دولين برأسه. وقال: «هذا أمر مرفوض يا ستاندستيل، لا يمكننا العودة إلى المطار، إنه يضع بعناصر المعارضة و...».

-ليس هذا ما أعنيه يا فولكورت، أحتاجك أن... تقضي عليه. لحظة صمت، ثم قال: «ستاندستيل. فولكورت. كرر جملتك الأخيرة».

تغيرت نبرة الصوت عبر هاتف الأقمار الصناعية، فصارت أقل رسمية وأكثر إنسانية. قال: «لدي مشكلة. هنا، فولكورت».

قال دولين بينما فقدت نبرة صوته الإيقاع المقتضب لبروتوكول الراديو: «نعم، أظن أن لديك مشكلة بالفعل».

-أريد أن يُقضى عليه.

وضع دولين رأسه في يده التي ترتدي قفازاً. بدأ ينقر بأصابعه على جانب وجهه.

وسأل: «هل أنت واثق بهذا؟ إنه أحد رجالك».

-وأنا أعلم ذلك.

-أنا أحد رجالك.

-الأمر معقد، يا فتى هذه ليست الطريقة التي أدير بها الأمور عادة.

-لا يبدو هذا صائباً.

-كما قلت، ستعوضون جميعاً عن هذا التغيير في العملية الأصلية.

طللت عيناً دولين على الرجل الرمادي وهو يسأل: «كم؟».

بعد خمس دقائق، نظر دولين إلى رجاله وهو يبحث عن مفتاح اختيار الراديو الخاص به على جهاز الصدر. أدار الاتصال الهاتفي ببعض نقرات.

وقال: «لا تنتظروا شيئاً. فقط أومئوا برأوسكم إذا سمعتم».

تطلع كلٌّ من بارنز وماكفي وبيريني وماركهام إلى أعلى ومن حولهم حتى استقرت نظراتهم على دولين عند الحاجز وأؤمنوا في الوقت نفسه.

لم يدرك الرجل الرمادي ما يدور حوله، وحدق بهدوء إلى منصة تحميل المعدات أمامه.

قال دولين: «اسمعوا، أمرنا ستاندستيل أن نتخلص من الرجل الرمادي».

رأى دولين الذهول على وجوه رجاله عبر ثلاثة قدمًا من المساحة الواسعة في المقصورة عالية الإضاءة، وهز كتفيه تملصًا: وأكمل: «لا تسألوني يا شباب، أنا فقط أعمل هنا».

نظر إليه الرجال الأربع الجالسون على المقعد مع الرجل ، ورأوه الأقرب إلى الباب المنحدر، مريوطا، وبنديتيه (إم 4) على صدره، ووجهه الملتحي يحدق إلى أرضية المقصورة.

تطلعوا مرة أخرى إلى قائدتهم، وأؤمنوا برؤوسهم بيضاء في حركة واحدة.

جلس كورت جينترى بمفرده بالقرب من مخرج الطائرة المغلق، واستمع إلى صوت المحركات محاولاً التقاط أنفاسه للسيطرة على مشاعره. كان جسده على مقعد شبكي في الجزء الخلفي من الطائرة، لكن عقله كان يهوي إلى الأسفل، في الظلام، في الرمال. في المتابعة. نهض العميل الأقرب ليمينه وتحرك حول منصة المعدات، ثم جلس على المقعد المواجه له. نظر جينترى مكتوف اليدين إلى يمينه، ولاحظ قائد فريق الأخلاع وهو يضبط معداته. بدأ ينظر إلى الرجال الآخرين، لكن رأسه عاد إلى الرجل عند الحاجز.

شيء ما لم يكن على ما يرام.

كان ظهر قائد الفريق مستقيماً، ووجهه جاداً، رغم أنه لم يكن ينظر إلى أي شيء محدد، كان رشاش (إم بي 5) على صدره، وعدّل قفاز يده اليمنى في أثناء تحرك فمه، كان يبعث بإشارات عبر جهاز الإرسال القريب، يرسل الأوامر إلى رجاله.

نظر جينترى إلى جهاز راديو هاريس فالكون الخاص به، لقد كان على القناة نفسها مثل باقى الفريق، لكنه الآن لا يستطيع سماع الإرسال. استدار كورت إلى الرجال الثلاثة بجانبه على المنصة، من وقوفهم وتعابير وجوههم توصل جينترى إلى أن شأنهم شأن قائهم، لم يتخلصوا من التوتر بعد الإجلاء من منطقة الخطر. لا، لقد تحركوا وبدا كأنهم على وشك الشروع في العمل. أمضى جينترى ستة عشر عاماً في العمليات السرية، درس الوجوه وتقييم تهديدات الحياة. كان يعرف كيف يبدو المجند عند انتهاء المعركة، ويعرف كيف يبدو عندما يكون هناك قتال على وشك البدء.

حل الشريط الذي يثبته إلى المقعد خلسة، واستدار في مقعده لمواجهة الرجال حوله. كان دولين على الحاجز، لم يعد يرسل إشارات بل راح يحدق إلى جيترى.

صاح جيترى عبر هدير المحرك: «كيف الحال؟». وقف دولين ببطء، فصاحت كورت مرة أخرى عبر المقصورة المزعجة: «أياً كان الذي تفكك في فعلك، عليك فقط...».

استدار ماركهام بسرعة على المقعد، والتفت باتجاه الرجل الرمادي، شاهراً مسدسه أمامه بالفعل. ضغط جيترى بحذائه المغبر بالرمال على الجدار وراء المقعد، وانطلق عبر المقصورة، حاول أن يستتر خلف منصة المعدات المثبتة على الأرض.

بدأ القتال. لم ينشغل كورت بمعرفة سبب انقلاب من أنقذوه عليه، لم يهدى خلية دماغية واحدة في تأمل مجريات الأحداث. كان كورت قاتل بشر، وهو لاء كانوا بشراً، وهذا كل ما في الأمر.

أطلق ماركهام رصاصة من مسدسه الألماني طاز سيج سوير، لكن أخطأ الهدف قبل أن يختفي جيترى خلف شحنة بضائع، ورأى ماركهام وبارنز يفكان أحزمة مقعديهما بسرعة.

لم يكن هناك سوى ماكفي على يسار جيترى، حيث جثم الرجل الرمادي خلف المنصة مواجهًا أبواب قمرة القيادة على بعد ثلاثة قدماً. وقف دولين بالقرب من الجدار الفاصل عند الأبواب، وكان المجندون الثلاثة الآخرون في المقدمة وإلى يمينه.

علم جيترى أنه إذا تخلص من الرجل على يساره، فسيقضي على أحد مراكز قوتهم؛ لذلك خرج من خلف المنصة، مستنداً إلى كتفه اليسرى، رافعاً البندقية الآلية (M4)، وأطلق وابلًا من الرصاص على المجند. ارتطم وجه الرجل الذي أخفته النظارة الواقية بالحائط، وسقط مسدسه الرشاش (HK) من أطراف أصابعه.

تراجع ماكفي مرة أخرى على المقعد ميتاً.

قتله جينترى، ولم يكن لديه أى فكرة عن السبب.

سرعان ما بدأ كل رجل في الجزء الخلفي من الطائرة يطلق النار من سلاحه. أربعة بنادق تنهال بالرصاص ناحية جينترى.

اختباً جينترى خلف مخزن المعدات، وهنا بدأ جدار هيكل الطائرة خلفه يئن. سمح التقوب، التي أحدثتها العشرات من طلقات البنادق، للهواء المضغوط أن يخرج من الطائرة. لم يتمكن طاقم طائرة الشحن في المقدمة من سماع صوت الهيكل إذ يتحطم، لكن من الواضح أنهم سمعوا إطلاق النار من خلفهم، لأنهم وضعوا الطائرة في حالة هبوط للوصول إلى هواء أكثر سُمْكاً، ولخفض فرق الضغط على أمل أن يحافظوا على طائراتهم من التحطّم إلى أشلاء.

يبدو أن هبوط الطائرة وفر بيئة منعدمة الوزن لجينترى وباقى القتلة الأربع المحتملين.

تحرك كورت بعيداً نسبياً عن موقع منصة المعدات الآمن، وهبط أخيراً على سقف المقصورة بقفزتين خلفيتين، ثم انطلق بسرعة على سطحها إلى السلم الخلفي، الذي صار أعلى نقطة في حجرة الشحن. ارتفع اثنان من المسلحين في الهواء أيضاً وأطلقا النار إلى أعلى على هدفهم.

شعر جينترى برصاصتين يبلغ قطرهما تسعة ملليمترات من رشاش (MP5) تنغرزان في درع سترته الواقية.

أفقدته قوة الاصطدام توازنه للحظة، لكنه رأى من موقعه - وقد انقلب رأساً على عقب - مجندًا لم يفك حزام مقعده، وراح يركل الهواء بشكل محموم، مقيداً إلى الحائط على يمين جينترى. هدف سهل، أطلق جينترى النار على رأس بيريني ببنديقية (M4) القصيرة،

فترنج جسده، ورقصت ذراعاه وساقامه مع انعدام الوزن بسبب هبوط الطائرة السريع.

في الثاني عشر التالية، دار الأربعه الذين ظلوا على قيد الحياة بالمقصورة في الهواء مثل الجوارب في الغسالة. كان قائداً الفريق دولين تحت الآخرين. لقد تمكّن من الإمساك بجزء من الحزام على الحاجز الأمامي وربط ذراعه بأمان. والآن حاول توجيه مسدسه الرشاش نحو جينتري الذي يعلوه بثلاثين قدماً.

لكن ماركمام وبارنز اصطدموا بجينتري، إذ يحلقون جميعاً في الهواء بلا سيطرة على الإطلاق. تطايرت أعقاب البنادق والأحذية والقبضات كلما تحرك الهدف للإمساك بالبنديقة.

بالرغم من انعدام وزن الرجال، لكنهم كانوا في الواقع يندفعون نحو الأرض، ويسقطون من السماء بأقصى سرعة. لكن هناك طائرة تحملهم وتسقط أيضاً، لهذا لم يتمكنوا من رؤية أي نقاط استدلال ليدركوا بها أنهم يسقطون مثل الحجارة.

وسط الفوضى والصراخ والتشویش الناتج عن فقدان الأرض الثابتة، دار كورت عائداً إلى الخلف مرة أخرى، وانزلقت يداه اللتان كانتا تقapan على البنديقة، فانخلعت حمالتها من رأسه، وظل السلاح يبتعد، فأخرج مسدسه الجلوك وأطلق النار دون تصويب، لكنه شعر بلدغة الرصاصية وهي تخترق ساقه اليمنى، ارتدت ساقه إلى الوراء من أثر الرصاصية كأنها مطرقة، لكنه تجاهل الإصابة، وثبت قدميه على أرض السلم الخلفي. نظر إلى أعلى - الذي قد صار في الأسفل - ورأى دولين في محيط نظره، كان قائداً فريق الإجلاء قد تعلقت ذراعه بالشبكة الحاجزة، وبالذراع الأخرى أمسك بالرشاش الملفوف حول رأسه وصوبه إلى الرجل الرمادي.

أطلق كورت ست رصاصات بسرعة ورأى كيف تفاعل جسد المجند مع اختراق الرصاص جذعه وفخذه، ثم التفت جينتري ليصوب باتجاه

بارنز وماركهام، هدفيه الآخرين، لكن جثة ماكفي طارت عبر مرمى نيرانه. عندها فقط قرر الطيار -على ما يبدو- أنه رأى ما يكفي من الرمال في زجاجه الأمامي، وسرعان ما خرج من وضع الهبوط. طار جميع الركاب في الخلف، الموتى والأحياء معاً، في الهواء واصطدموا بأرضية الطائرة الفولاذية بقوة، ليتدرجوا مثل كرات البولينج نحو حاجز الطائرة الأمامي.

طار مسدس كورت بعيداً عن يده عند الاصدام، وارتدى هو إلى الأمام، حيث اشتعلت حرارة جرح الرصاصة في فخذه مع كل هزة. تدرج كورت نحو شبكة الحاجز الأمامي في أثناء اعتدال الطائرة، وكاد يمسك به، لكن الطيار وضع الطائرة (L-100) مرة أخرى في وضع الصعود. استعان جينتري بقوة الدفع ليقى في الأمام لبعض الوقت، لكن عندما أصبحت أرضية البصائر منحدراً حاداً يتجاوز خمساً وأربعين درجة فقد آخر ما لديه من ثبات، وبصعوبة تمكنت أطراف أصابعه من لمس حزام النايلون بجوار دولين الذي تحجر مكانه.

عاد الرجل الرمادي إلى الخلف، وتدرج مستقراً على كعبيه وسقط، ثم انزلق قبل أن يتدرج، وأخيراً أصبح كورت في الجو عندما انتصفت المسافة بينه وبين المقصورة. تفاقم ألم فخذه عندما هبط على وركيه عند مخرج الطائرة، لكن هذا الألم لم يكن يقارن بألم ارتظام جسد ماركهام بصدر كورت.

واجه ماركهام الاتجاه الآخر وقد دُهل أكثر من جينتري نفسه من أثر الارتطام، لذلك كان من السهل على الرجل الرمادي أن يلف ذراعه حول رأس المجندي، كسرت رقبة ماركهام بالتواء بالغ، مما أدى إلى تدمير جبهة الشوكبي وقتله على الفور.

كان المجندي الميت قد لف الرشاش حول عنقه بحملة ذات طرف واحد، وكأنها قلادة تتدلى منها تميمة على هيئة سلاح آلي. حاول

كورت أن ينزعه لكن الحمالة علقت بسترة المجند الثقيلة، سحب كورت السلاح من كتف الرجل الميت، وحاول بسرعة أن يلحق بأخر أعضاء فريق الإجلاء، الذي استعان بأرجل أحد المقاعد ليصعد من المقصورة إلى المطبخ الملحق بمنصة التحميل في الأمام.

ضغط كورت الزناد، لكن لم يطلق السلاح شيئاً. تحسس ذخيرة سترته بحثاً عن خزينة جديدة، وثبتها بعنف في رشاش (MP5)، عندما استعد للتصوير على هدفه، كان الأخير قد اختفى في المطبخ. استقرت الطائرة مرة أخرى، فاستعاد كورت جاذبيته. اختباً خلف منصة التحميل قرب الفتحة الخلفية، منتظرًا بارنز أن يخرج ليلاقي نظرة.

فجأة سمع جينتري جلة عالية، وشعر ببوابة الشحن الخلفي تتحرك، وعوّت الرياح.

لقد فتح بارنز المخرج من المقصورة الأمامية، بعد ثانية أخرى بدأت الطائرة تهبط بحدة. وبينما كان كورت يندفع للإمساك بالشبكة فوق المنصة أمامه، ظهر بارنز بالقرب من الحاجز.

كان المجند يرتدي ملابس دكناه، وقد علق على ظهره مظلة. يبدو أنه اعتقاد أن هذه الطائرة قد نالت ما يكفي من الأضرار، أو ربما كان يشعر بالقلق من أن الطيارين قد لقوا حتفهم بنيران طائشة. أمسك بارنز بحزام الحاجز بكل قوته، وأطلق دفعه رصاص تلو الأخرى في اتجاه جينتري ممسكاً بالبنادق القصيرة (M4) بيد واحدة، حيث انفتح المخرج المنحدر بالكامل خلف الرجل الرمادي.

تسلل كورت خلفه، وجرد رقبة ماركمام من السلاح قبل أن تندحر جثته مباشرةً من الطائرة إلى الظلام.

واصل الطيار صعوده، وفور انزلاق جسد ماكفي أمام جينتري إلى ظلام الليل، كانت جثة بيريني مثبتة في مقعده، بينما لم تبرح جثة دولين مكانها في شبكة الحاجز.

لم ينج سوي جينتري وبارنز.

أمسك جينتري بالمسدس الرشاش في يده اليمنى، وضغطت يده اليسرى على شبكة منصة المعدات، فاعتصرت القفازات أصابعه، وعلم أنه لن يصمد أطول من ذلك. ركل بحذائه أرض الطائرة بكل قوته حيث أصبحت زاوية التسلق أكثر انحداراً.

كان على بعد ثوانٍ من السقوط للخلف أسفل المخرج المنحدر. لكن جينتري كانت لديه فرصةأخيرة. رفع بنديمة ماركهام، وأطلق وابلاً طويلاً من الرصاص فوق منصة العدة صوب بارنز، فأصابه مباشرة في سترته، وضرب رأسه مرة أخرى على الحاجز بقوة كافية للقضاء عليه تماماً.

انحدرت الطائرة بزاوية حادة، وفقد بارنز الجريح قبضته على الشبكة ليسقط على ركبتيه، ثم تدحرج بطول الطائرة نحو الفتاحة الخلفية. كانت هذه هي رحلة خروج جينتري من الطائرة المتضررة، ولم يكن ليفوتها. ترك كورت المنصة حين تخطاه العميل العاجز، ودفع نفسه عن الأرض بحذائه وواقيات ركبتيه. قفز جينتري إلى الميمنة، وأمسك بالرجل الذي فقد وعيه من حزام مظلته، فأبحرا معاً عبر الكوة المفتوحة إلى سماء الليل.

ربط جينتري ذراعيه حول بارنز وعقد ساقيه خلف ظهره. اختفت الطائرة فوقهما، وسرعان ما تلاشى هدير المحركات، وحل مكانه عواء الريح.

راح كورت يصبح ويصرخ محاولاً أن يتثبت بقدر الإمكان. لم يجرؤ على الوصول إلى حبل فتح المظلة. فلو فقد قبضته الضعيفة فلن يجدها مرة أخرى في سماء الليل الحالك. كان واثقاً تمام الثقة أن هذه المعدات تحتوي على جهاز تشغيل أوتوماتيكي من شأنه أن

يطفو على ارتفاع سبعمائة وخمسين قدماً إذا كان راكبها لا يزال في حالة سقوط حر.

ظل جينترى وقاتلته المحتمل ينقلبان رأساً على عقب عبر السواد البارد.

ثبت كورت كورت إحدى يديه على حزام الكتف في المظلة، وحرر اليد الأخرى ليجد موضعًا ثابتاً آخر، وما إن تركه، سمع صوت نغمة واحدة استمرت أقل من ثانية. ثم انفتحت المظلة الاحتياطية. أمسك جينترى بيده واحدة. لم تكن هذه المظلة مخصصة لشخصين، أحدهما كان يركل وينتحب، في محاولة يائسة للحصول على قبضة أقوى، لذلك سقط الرجلان بسرعة كبيرة، ودار أحدهما حول الآخر مثل دوامة.

استمر هذا لبضع ثوانٍ فقط قبل أن يبدأ جينترى بالتنقؤ من الدوار. لم يكن أمامه الكثير من السقوط، لكن غثيانه قد جف بالفعل قبل أن يصطدم بالأرض.

لم يتأثر جينترى بالاصطدام، إذ هبط مباشرة فوق الرجل المعلق بالمظلة. تفقده وتبين أنه هبط بقوة على وجهه، بينما كان جينترى على ظهره. لم يعثر له جينترى على أي نبض.

ما إن وقف جينترى على أرض صلبة تحكم في غثيان معدته، وأمسك بفخذه، وتلوى من الألم للحظة، ثم تعافي بما يكفي للجلوس. توهجت ألوان الصباح الأولى على يساره، مما دل على الشرق.

الآن بعد أن أصبح يعرف الاتجاهات، رصد محبيه. كان على أرض مستوية، في سفح وادٍ هادئ. ثمة جدول مياه قريب بما يكفي لسماع ثغاء الماعز من بعد. رقد العميل الميت محطمًا والمظلة الاحتياطية ترفرف خلفه في النسيم البارد قبيل الفجر. فتش جينترى في معدات الرجل ووجد حقيقة إسعافات طبية على ساق بارنز.

جلس على العشب، وينزل أقصى ما بوسعه لعلاج جرحه في الظلام. أراد أن يعالج ساقه المصابة حتى تتمكن من تحمل الرحلة، إذ افترض

أن أمامه مسافة طويلة سيمشيها قبل أن يصل إلى الحدود. كان جرحاً نظيفاً، في الداخل والخارج. لم تتضرر الأوعية الدموية أو العظام؛ لذا فلم يكن هناك داع للقلق إذا عالجه مبكراً وعلى نحو جيد، وتحمل أياماً أو أسبوعاً من الخفقان المزعج. تقأ جينتري الصفراء مرة أخرى، لا يزال جسده وعقله يحاولان استيعاب فوضى الدقائق الخمس الماضية.

ثم نهض وبدأ يمشي ببطء شملاً نحو تركيا.

جلس فيتزروي على أريكة مكتبه مواجهًا لويد. لم يبعد عينيه الغاضبين بعيداً عن المحامي الشاب حتى عندما كان الرجل الأكبر سنًا يستمع إلى الطرف الآخر من اتصال القمر الصناعي.

قال فيتزروي عبر الهاتف: «أفهمك، شكرًا لك».

أنهى المكالمة ووضع الهاتف برفق على المنضدة أمامه. بادله لويد التحديق متفائلاً، لكن فيتزروي كسر مسابقة التحديق بنظره إلى السجادة، وقال: «يبدو أن جميعهم قد ماتوا».

سأل لويد وقد ازداد صوته تفاؤلاً: «من مات؟». الكل ما عدا طاقم الطائرة. قيل لي إن عراكاً قد نشب على متن الطائرة. لم يسقط كورتلاند بسهولة. لا عجب، وقد عشر الطيار على جثتين من رجاله في الخلف، ولم يكن هناك أي أثر للأربعة الآخرين. دماء على الأرض والجدران والسقف، وأكثر من خمسين ثقب رصاص في جسم الطائرة.

قال لويد دون اكتئاث حقيقي بينما يتتحنج: «ستعوضك شركتي عن الأضرار. لكنهم لم يجدوا جثة جينترى؟ أيمكن أن يكون قد نجا؟».

ـ لا يedo. فقد الكثير من المعدات، وحلقت الطائرة لأميال، بينما كان باب حمولتها الخلفي مفتوحاً، ومن بين المعدات مجهرولة المصير مظلة، ولكن لا يوجد سبب للافتراض....

قاطعه لويد: «إذا فقد هدفنا عند فتحة طائرة مع مظلة، فلا يمكنني إقناع النيجيريين بأن المهمة أنجزت».

ـ لقد كان الطاقم من الدرجة الأولى، ومكوناً من خمسة أفراد، بينما هو فرد واحد، وجميعهم من القوات الخاصة الكندية سابقاً. من

الواضح أنني أوفيت باتفاقنا حتى النهاية. أطلب منك الآن التفضل بتنفيذ الاتفاق أيضاً. أوقف تهديداتك لعائلتي.

لَوْح لويد بيد رافضة في الهواء. «يريد أبو بكر دليلاً. لقد طلب رأس جينترى في صندوق جلidi». .

قال فيتزروي: «تبأ يا رجل! لقد فعلت ما قيل لي!». كان فيتزروي غاضباً، لكنه لم يعد خائفًا على عائلة ابنه. قبل وقت قليل من وصول لويد، اتصل السير دونالد بابنه، وطلب منه اصطحاب زوجته وطفليه، وأن يهرب إلى محطة سانت بانكراس في الوقت المناسب، ليأخذ قطار يوروستار الثاني في الصباح إلى فرنسا.

حالياً عليهم أن يستقرروا في الفيلا الصيفية للعائلة جنوب شواطئ نورماندي، شعر فيتزروي بالثقة لأن رجال لويد لن يجدوه هناك.

- نعم، لقد فعلت ما قيل لك، وستواصل فعل ذلك. لدى مواطن نيجيري هادئ للغاية لكنه يتوعّد بسوء شديد في مكتبي ولن يغادر بتأكيداتي وحسب. سأحتاج أن تتحقق من مسار رحلة من الطيارين، وأسأحتاج إلى إرسال فريق للتحقيق....

رن الهاتف على مكتب فيتزروي برنة مميزة أقرب إلى ثغاء قصير، أدار السير دونالد رأسه إليه ثم عاد إلى لويد.

قال لويد: «إنه هو!». ردًا على صدمة فيتزروي الواضحة.

- تلك هي رنته.

- أجبه إذن، وشغّل مكبر الصوت.

قطع فيتزروي الغرفة وضغط على زر في وحدة التحكم على مكتبه. «أمن شلتنهام» كان الصوت الذي سمع عبر الخط بعيداً، خرجت الكلمات بين أنفاسه المجهدة: «هل تسمى هذا إنقاذا؟».

- أمر جيد أن أسمع صوتك. ماذا حدث؟

سحب لويد دفتر ملاحظات من حقيبته بسرعة.

- كنت سأسألك الشيء نفسه.

- هل تأذيت؟

- سأعيش. لا، الفضل يرجع إلى فريق الإجلاء الذي أرسلته لاصطحابي.

نظر فيتزروي إلى لويد، كتب الشاب الأمريكي شيئاً ما في دفتر ملاحظاته ورفعه عالياً: «نيجيريا».

- يا بني. سمعت من طاقم الطائرة عن المشاجرة، لم يكن هؤلاء موظفين دائمين لدىَّ، إنهم وحدة مرتزقة فحسب، استخدمتها مرة فيما مضى، علىَّ أن أشكل فريقاً بسرعة بعد انسحاب البولنديين.

- بسبب ما حدث في العراق؟

- نعم، أصبح هذا القطاع بأكمله منطقة محظورة بعد احتجاجك الصغير أمس، رفض البولنديون الدخول. وبدلاً من ذلك أخبرني الرجال الذين أرسلتهم أنهم سيفعلون أي شيء مقابل المال مهما تكن المخاطر، ومن الواضح أن شخصاً ما وصل إليهم واشتراهم.

- من؟

- تخبرني مصادرني أن الرئيس النيجيري يوليوس أبو بكر يلاحقك. كيف يعرف أنني من قتل أخيه؟

- سمعتك بلا شك، لقد بلغت مكانة يصعب فيها على غيرك تولي المهام شديدة الصعوبة أو رفيعة المستوى.

قال الصوت عبر الخط: «تبّا!». سأل فيتزروي: «أين أنت؟ سأرسل فريقاً آخر لاصطحابك».

- مستحيل، لن يحدث!

- يمكنني مساعدتك يا كورت. سيترك أبو بكر منصبه في غضون أيام قليلة، سيغادر بثروة لا يمكن تصورها، لكن ستقل قوته ونفوذه ما إن يصبح مدنياً. قريباً سينتهي الخطر الذي تواجهه. اسمح لي أن أحضرك، سأحميك حتى ذلك الحين.

-يمكنتني أن أختبئ بمفردي. اتصل بي عندما تحصل على مزيد من المعلومات عمن يلاحقونني. لا تحاول أن تتعثر عليّ، لن تستطيع. وهكذا انتهت الاتصال.

صفق لويد: «أحسنت اللعب يا سير دونالد. أداء رائع! لم يشك فيك رجلك على الإطلاق».

قال فيتزروي بغضب: «إنه يثق بي. أربع سنوات تكفي ليقتنع بأنني صديقه».

تجاهل المحامي الأمريكي غضب السير دونالد وسأل: «أين سيذهب؟».

جلس السير دونالد على الأريكة ومرر يديه على رأسه الأصلع. نظر إلى الأعلى بسرعة. وقال: «شبيه! تريد رأساً في صندوق متجمد؟ سأحضر لك رأساً في صندوق متجمد! كيف بحق الجحيم سيعرف أبو بكر الفرق؟».

هز لويد رأسه وقال: «قبل أسابيع، قبل أن يطالب الرئيس بقتله، سألنا عن كل المعلومات الاستخباراتية التي كانت لدينا عن الرجل الرمادي. تصادف أن لدى صوراً وسجلات أسنان وتاريخاً كاملاً وما إلى ذلك. أرسلت ذلك إليه، معتقداً أنه هذا الوعد سيقتل جينترى بنفسه قبل أن يُقتل أخوه. أبو بكر يعرف وجه رجلك. لا يمكننا استخدام جسد شبيه، أو كما تقترح رأس شبيه».

أطرق فيتزروي برأسه: «كيف حصلت على هذه المعلومات بحق الجحيم؟».

تأمل لويد السؤال هنيئة، ثم التقط قطعة من الوير على ركبة سرواله، وقال: «قبل انتقالي إلى باريس للانضمام إلى لوران، عملت أنا والرجل الرمادي معاً».

- هل كنت تعمل في الاستخبارات المركزية الأمريكية؟ -سابقاً، قطعاً سابقاً، دعني أقل لك: إن الوطنية غير مربحة. -لكن ملاحقة الوطنيين والتهديد بيايذاء الأطفال مربح؟

- مربح للغاية. يتضاد أن العالم مكان غريب، لقد نسخت ملفات سرية في أثناء عملها في الوكالة، وعزمت على استخدامها ورقة مساومة لو لاحقوني يوماً ما. إنها مصادفة بحثة أن تساعدني هذه الأوراق في موقفي الحالي.

نهض لويد، وبدأ يقطع مكتب فيتزروي جيئةً وذهاباً. وقال: «أريد أن أعرف أين جينترى الآن، إلى أين سيذهب، وما الذي يفعله عادة عندما يختبئ».

- عندما يختبئ، فإنه يتلاشى، يمكنك أن تودع غازك الطبيعي، لن يتمكن أحد من رصد الرجل الرمادي مرة أخرى لعدة شهور.

- غير مقبول، أريدك أن تقدم لي شيئاً، شيئاً لا أعرفه بالفعل عن جينترى، عندما كان يعمل لدينا كان كالآللة. بلا أصدقاء ولا عائلة يهتم لأمرها، ولا حبيبة عالقة بانتظاره بعد ليالي العمل الطويلة، ملفه الإداري هو الأكثر مللاً في قراءته، لا ردائل ولا نقاط ضعف لديه، إنه الآن أكبر سنًا، وتحتَّماً أقام علاقات ذات طابع شخصي، وطور ميولاً يمكننا أن نستنتج منها خطوطه المقلبة، أثق أن بوسعي إطلاعي على شيء، مهما يبدُّ تافهاً، يمكنني استخدامه للتخلص منه.

ابتسم فيتزروي قليلاً وقد أحمس بباس خصمه الشاب.

وقال: «لا شيء، لا شيء مطلقاً. إننا نتواصل عبر هاتف قمر صناعي غير قابل للرصد، أو عبر البريد الإلكتروني، لو كان لديه بيت أو حبيبة أو عائلة مختبئون في مكان ما، فأنا لا أعرفه حتى أخبرك به».

سار لويد إلى النافذة خلف مكتب فيتزروي، لم يبرح الرجل الإنجليزي أريكته وراح يشاهد ضيفه الذي كان يتحرك في المكتب كأنه هو مالك شلتنهام للأمن وفيتزروي ضيفه.

فجأة استدار الأمريكي وقال: «يمكنك أن تعرض عليه عملاً، مهمة سهلة ومربيحة، حتى لن يرفض مهمة سهلة ومربيحة للغاية، أرسل له بشأن مهمة جديدة، وسأرسل فريقاً إلى هناك ليقبضوا عليه».

ـ تـ؟ هل حسبـت أنه نجا هناك كل هذا الوقت لكونه مغفلـ؟ إنه لا يعبـأ حالـياً بجـني المال، بل بالاختـفاء في المـكان المـحيـط بهـ. كانت لديكـ فرصةـ واحدةـ للقضاءـ علىـهـ، وقدـ أفسـدـتهاـ، عـدـ إلىـ مـكتـبـكـ والعـقـ جـراـحـكـ، دـعـنـيـ أناـ وـعـائـلـتـيـ وـشـائـنـاـ.

لاحظـ فيـتزـروـيـ رـعشـةـ غـاضـبـةـ فيـ وجـهـ لـويـدـ، تـبـلـتـ عـلـىـ مـهـلـ إـلـىـ اـبـسـامـةـ.

ـ حـسـناـ، إـذـاـ لمـ تـسـاعـدـنـيـ عـلـىـ اـسـتـخـدـامـ نـقـاطـ ضـعـفـ جـينـتـريـ للـقـضـاءـ عـلـيـهـ، فـسـأـضـطـرـ إـلـىـ اـسـتـخـدـامـ نـقـاطـ ضـعـفـكـ أـنتـ.

سحبـ هـاتـفـهـ منـ جـيـبـهـ مـبـتـسـمـاـ لـلـسـيدـ فيـتزـروـيـ، بـيـنـماـ يـتـحدـثـ عـبـرـ الـهـاتـفـ. وـقـالـ: «اـذـهـبـ، وـخـذـ فـيلـيـبـ فيـتزـروـيـ وـأـسـرـتـهـ، إـنـهـ فـيـ مـتـزـلـهـمـ الصـيفـيـ فـيـ نـورـمـانـدـيـ، خـذـهـمـ إـلـىـ قـصـرـ لـورـانـ».

ـ هـبـ فيـتزـروـيـ وـاقـفـاـ عـلـىـ قـدـمـيـهـ وـصـاحـ: «أـيـهاـ الـوـغـدـ الـحـقـيرـ!».

ـ قـالـ: «ـمـذـنـبـ وـأـعـتـرـفـ». كـانـتـ نـبـرـةـ لـويـدـ تـسـتـهـزـئـ بـالـرـجـلـ الإـنـجـليـزـيـ. وـأـكـملـ: «ـشـرـكـائـيـ سـيـحـتـجـزـونـ اـبـنـكـ وـأـسـرـتـهـ فـيـ مـنـزـلـ مـتـرـفـ تـابـعـ لـشـرـكـةـ لـورـانـ فـيـ نـورـمـانـدـيـ، سـيـتـولـونـ رـعـاـيـتـهـ حـتـىـ تـنـتـهـيـ هـذـهـ الـمـهمـةـ، سـتـتوـاـصـلـ مـعـ الرـجـلـ الرـمـادـيـ وـتـعـطـيـهـ مـوـقـعـهـ، وـتـخـبـرـهـ أـنـ الـنـيـجـيرـيـنـ يـحـتـجـزـونـ هـنـاكـ اـبـنـكـ الـوحـيدـ وـزـوـجـتـهـ الـحـبـيـبـةـ وـطـفـلـتـهـ الصـغـيرـتـيـنـ، أـخـبـرـهـ أـنـ أـولـثـكـ الـمـتوـحـشـيـنـ السـوـدـ يـتـوـعـدـونـ باـغـتـصـابـ مـاـمـاـ الـعـزـيـزةـ وـذـبـحـ بـاـقـيـ الـعـائـلـةـ خـلـالـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ لـوـ لـمـ تـسـلـمـ مـوـقـعـ قـاتـلـكـ الـمـأـجـورـ».

ـ وـمـاـ فـائـدـةـ ذـلـكـ؟

ـ أـنـاـ أـعـرـفـ جـينـتـريـ، إـنـهـ وـفـيـ كـلـبـ مـخلـصـ، فـحـتـىـ لـوـ تـعـرـضـ لـلـغـدرـ عـدـةـ مـرـاتـ، فـسـيـظـلـ يـدـافـعـ عـنـ صـاحـبـهـ حـتـىـ الـمـمـاتـ.

ـ لـاـ لـنـ يـفـعـلـ!

-بل سيفعل، سيتحمل عبء إنقاذ الموقف، سيتفهم أن الشرطة لا جدوى منها، وسيفعل ما بوسعه للوصول إلى فرنسا. فكما ترى يا سيد دوني، لم يذهب كورت جينترى يوماً إلى الشمال، إنه قاتل مأجور بحق الله! وعلى الرغم من ذلك فكل عملياته، سواء كانت التابعة لوكالة الاستخبارات الأمريكية أو لحسابه الخاص، كلها ضد من حكم باستحقاقهم الإعدام خارج القانون مثل: إرهابيين، ورؤساء مافيا، وتجار سلاح، وكل شرير يأتي بأعمال شائنة. كورت قاتل، لكنه يحسب نفسه حامي العدالة، أداة لتحقيق العدل، هذا هو عيه القاتل، وسيكون هذا سبب سقوطه.

كان فيتزروي أيضاً يعلم ذلك عن كورت جينترى، كلام لويد منطقى. ومع ذلك حاول الرجل العجوز أن ينادى المحامي الشاب قائلًا: «لم تكن بحاجة لإفحام عائلتى، سأفعل ما تريد، وقد رأيت ذلك، لا ينبغي لك أن تتحجزهم حتى أخبر كورت أنهم محتجزون».

لوح لويد بيده في الهواء رافضاً عرض السير دونالد وهو يقول: «سنوليمهم أفضل رعاية، وإن حاولت خداعي أو الاحتيال علىَّ، فسأكون في موقع أقوى منك، أليس كذلك؟».

نهض فيتزروي وقطع الغرفة ببطء باتجاه لويد متوعداً، وبالرغم من أنه كان أكبر سنًا من المحامي الأمريكي بثلاثين عاماً، فإن بنية العميل السابق في القسم الخامس بالاستخبارات العسكرية البريطانية كانت أضخم. تراجع لويد خطوة إلى الوراء وصاح منادياً: «سيد ليري! سيد أونيل! فلتتدخلا إن شئتما».

كان فيتزروي قد أعطى سكريترته عطلة اليوم، وكان بمفرده تماماً في مكان عمله، إلا أن لويد كان قد أحضر زميله. دخل المكتب رجلان بهيئة رياضية، ووقفا عند الباب، أحدهما كان أصحابه ولون بشرته أبيض يناهز عمره الأربعين عاماً، يحمل حقيبة عمل بسيطة منتفخة عند ساقه، كان بداخلها كعب مسدس. وكان الثاني أكبر سنًا،

في الخمسين من عمره تقريباً. قص شعره الرمادي بطريقة عسكرية، وستره فضفاضة للغاية بحيث يمكنه أن يخفي بداخلها ترسانة أسلحة كاملة دون أن يلحظ أحد، كان بوسع فيتزروي التعرف إلى البلطجية ما إن يراهم.

قال لويد: «إنهما من الجمهوريين الأيرلنديين، أعداؤكم القدامى، مع أنهم لن يبذلوا جهداً كثيراً. أنا وأنت سترى معًا الكثير في الأيام المقبلة، فلا داعي لأن تفقد علاقتنا ودها».

بلغت كلير فيتزروي الثامنة في الصيف الماضي. إنها نهاية نوفمبر الآن، وقد توقعت هي وشقيقتها التوأم كيت أن تبقا في لندن طوال الخريف الممطر البارد والغائم دون أن تغير نظامها اليومي، فستيقظ مبكراً صباح كل يوم من أيام الأسبوع الأسبوع لتذهب إلى مدرستها الابتدائية في شارع أو드리 الشمالي، وبعد المدرسة ثمة درس بيانو ثلاث مرات أسبوعياً لكلير، وتمرينات غناء لكيت، أما العطلات الأسبوعية فتقضيها إما في التسوق مع أمها، أو مع أبيها في المنزل، أو في ملعب كرة القدم، وكل أسبوعين تدعوه واحدة من الفتيات صديقتها من أجل سهرة مبيت، بينما تحول سماء لندن الخريفية الكثيبة إلى شتوية أكثر كآبة، تهفو كل أحلام كلير إلى عيد الميلاد.

دائماً ما تقضي عطلة عيد الميلاد في فرنسا في كوخ أبيها في بايو بعد القناة مباشرة في نورماندي. كانت كلير تفضل نورماندي على لندن، وكانت تخيل مستقبلها في مزرعة، لذا كانت لحظة مفاجئة ومخاطرة عظيمة عندما دخل مدير المدرسة إلى فصل الفتاتين صباح الخميس، بعد الصاف مباشرة، لينادي كلير وكيت، ويدعوهما إلى مكتبه. وقال: «أحضرناكما الدراسية يا آنستي من فضللكما، آسف على المقاطعة سيدة ويلينج، من فضلك أكملني».

كان الأب في المكتب، وقد أمسك بيده كل فتاة وقادهما إلى سيارة الأجرة التي انتظرت بالخارج.

امتلك الأب سيارة جاكوار، بينما تقود الأم سيارة من طراز ساب؛ لذلك لم تعرف الفتاتان إلى أين سينذهبون في سيارة الأجرة. جلست الأم في المقعد الخلفي الشاسع، وكانت مثل الأب جادة ومنزوية. – ابنتي. نحن في عطلة صغيرة، ستنزل إلى نورماندي بقطار يوروستار. وبالطبع لا توجد مشكلة، لا تكوننا سخيفتين.

في القطار لم تجلس الفتاتان على مقعديهما إلا قليلاً. تاجي كيل من الأم والأب تاركين كلير وكيت تركضان في العربية صعوداً وهبوطاً، سمعت كلير أباها يتتحدث إلى الجد دون على هاتفه المحمول. بدأ يتتحدث بصوت هادئ، لكنه غاضب. وهو صوت لم تسمعه من قبل مع الجد دون. توقفت عن متابعة أختها وهي تحاول القفز بطول العربية بالكامل على ساق واحدة.

نظرت إلى أبيها القلق، وسمعت نبرة صوته الحادة، والكلمات التي يستحيل سمعها، ولكن من المستحيل أن تكون سوى غضب. أغلق والدها الهاتف وتتحدث إلى أمها. كانت المرة الوحيدة التي شاهدت فيها كلير والدها متزعجاً ازعجاً واضحاً عندما صرخ في عامل يصلح الحوض في منزل بلدتهم، بعد أن قال شيئاً للأم جعل وجهها يتحول إلى اللون الأحمر كالفراولة.

بدأت كلير في البكاء، لكنها لم تُظهر الأمر. غادرت وعائلتها قطار يوروستار ليلاً، واستقلوا قطاراً آخر غرباً إلى نورماندي. بحلول الظهيرة كانوا في كوخهم. ساعدت كيت أمها في المطبخ بغسل الذرة الطازجة لتناول العشاء.

جلست كلير على فراشها بالطابق العلوي، وتطلعت إلى والدها إذ يقطع الممشى المفروش بالحصى ذهاباً وإياباً بينما يتتحدث عبر هاتفه

المحمول، ومن حين إلى آخر كان يضع يده على السياج الخشبي حول الحديقة.

أدى غضب والدها وذهولها إلى تلُّك أحشائهما الصغيرة، بينما لم تُعْلَم أختها بالأسفل ما يحدث ولم تكن قلقة، لكن كلير اعتبرت كيت أقل نضجاً منها.

أخيراً وضع الأب هاتفه في جيده، وانتفض من برودة سرت في الهواء، ثم استدار ليخطو على الممشى.

لم يكدر يخطو خطوتين عندما توقفت خلفه سياراتان بنيتان، التفت للسيارة في أثناء اندفاع الرجال منها. عدّتهم كلير، فكانوا ستة رجال ضخام البنية، يرتدون سترات جلدية بأكثر من لونٍ وطراز، ابتسם أقربهم لوالدتها ومد يده، فصافحه الأب.

وقف باقي الرجال حول أبيها، وتقدموا على الممشى باتجاه الكوخ، نظر الأب إليهم إذ يمرون، وللحظة رأت كلير تعبير وجهه، في البداية كانت حيرة، ثم رعباً، قفزت كلير الصغيرة على قدميها في غرفتها الصغيرة. وعندما مد الرجال الستة أيديهم داخل ستراتهم مرة واحدة وسحبوا مسدسات سوداء وفضية ضخمة، صرخت كلير فيتزروي ذات الأعوام الثمانية.

كيرت ريجيل في الثانية والخمسين من عمره، طويل القامة وأشقر وعربيض المنكبين كما يوحى اسمه герماني.

انضم إلى مجموعة لوران بعد خروجه من الجيش الألماني قبل سبعة عشر عاماً، وترقى من مساعد مدير الأمن في مكتب هامبورج، مروراً بعشرات المواقع الأجنبية في العالم الثالث، كل موقع أقدر وأخطر من سابقه. والآن يستقر في مكتب منزله في باريس نائب رئيس عمليات إدارة المخاطر الأمنية. كان مسمى وظيفياً طويلاً يشرح وظيفته على نحو كاذب.

ريجيل هو من يهاهفونه إن أراد شخص أن يحدث شرّاً: كمشروعات مشبوهة، أو فن أسود، أو مشكلات الموارد البشرية التي تتطلب زيارة من أشخاص عنيفين. أو حقيقة سوداء وفرق سطو ومراقبة، وفرق تجسس للشركات، وخبراء في التضليل الإعلامي. إضافة إلى القتلة المأجورين.

إذا جاء عملاء ريجيل إلى مكتبه، فهذا يعني إما أنهم جاؤوا لمساعدتك على حل مشكلة صعبة، وإما أنك أنت المشكلة الصعبة التي أرسلهم شخص لحلها.

أكدت قيادة «قسم الإجراءات الضارة» فعلياً أن ريجيل لن يصعد إلى أعلى سلم الشركة. لا أحد يريد أن يدير كبير البلطجية الشركة. لكن ريجيل لم يمانع السقف الزجاجي فوقه. على العكس من ذلك، فقد رأى أن منصبه ثابت تقريباً، إذ أنها حوله أسرة أمنية. خلال السنوات الأربع التي قضتها في منصب نائب رئيس إدارة المخاطر. تخلص عملاً من ثلاثة مرشحين سياسيين في إفريقيا، وثلاثة من قادة

حقوق الإنسان في آسيا، وجنرال كولومبي، وصحفيين استقصائيين، وما يقرب من عشرين موظفاً في مجموعة لوران الذين فشلوا، بسبب أو آخر، في الإذعان لإدارة الشركة.

كان ثمة رجل واحد فقط في لوران على علم بجميع العمليات؛ قسم ريجيل من هم دونه جيداً، أما من هم فوقه في الشركة فيعرفون ما يكفي من تكتيكاته، ليدركون أنهم في الحقيقة لم يرغباً في معرفة المزيد.

تظهر المشكلات فُيُستدعي ريجيل، تختفي المشكلات فُيُقدر بهدوء، مما جعل كيرت ريجيل رجلاً شديداً القوة بالفعل.

كان مكتب الألماني الكبير، في المقر الرئيس بياري، مكسوباً بألواح من خشب الساج، يلائمه على نحو مثالي. كان مثل ريجيل نفسه، ضخماً وأشقر ومتين البنية لكنه هادئ ومحافظ، ويقع بالقرب من قسم الذكاء الاستراتيجي وتكنولوجيا المعلومات في الجناح الجنوبي من شركة لوران، وقد علق على جدران مكتبه أكثر من اثنى عشر تذكاراً للصيد.

هناك عامل تحنيط في مونمارتر يكسب عيشه فعلياً من رحلات السفاري الإفريقية التي ذهب إليها كيرت وبعثاته إلى كندا. حدق وحيد القرن، والأسد، والوعول، والغزال في فراغات من أعلىهم على الجدران حول الغرفة. وهنا أيضاً يمارس تمارينه الرياضية اليومية بعد ظهرة كل يوم في الخامسة.

كان على وشك الانحناء للمرة المائة على ركبته، وقد تعرق بشدة عندما رن خط هاتفه الخارجي، يمكنه أن يتجاهل عدة مكالمات حتى ينتهي من تدريباته، لكن هذا كان الرقم المشفر، الخط الساخن، وقد انتظر هذه المكالمة طوال اليوم تقريباً. أمسك بفوطة وسار ناحية مكتبه، وشغل مكبر الصوت في هاتفه.

-ريجيل.

— مساء الخير سيد ريجيل، معك لويد من الشؤون القانونية.

رشف ريجيل من زجاجة ماء بالفيتامينات، بينما يجلس على حافة مكتبه.

وقال: «كيف يمكنني مساعدتك يا لويد من الشؤون القانونية؟». كان صوت ريجيل قوياً كما يليق بضابط سابق في المدفعية.

— أبلغوني أنك تنتظر مكالمتي.

— تواصل معي الرئيس التنفيذي مارك لوران بنفسه، وأخبرني أن أترك كل شيء وأركز كل جهودي على مشروع ستقدمه لي. أخبرني أيضاً أن أمدك برجالي ومتخصصي اتصالات، أتمنى أن يكون الفني وفريق المرتزقة البيلاروسيين قد أعادوك على حل مشكلتك.

قال لويد: «نعم أشكرك، الفني معي هنا، والرجال في فرنسا في هذه اللحظة ينفذون ما أبلغوا به».

— جيد، إنها المرة الأولى التي يتصل فيها مارك لوران بنفسه ليطلب مني أن أولي عملية ما اهتماماً، عندي فضول أن أعرف أي فوضى أفحتم أنفسكم فيها في الشؤون القانونية.

— حسناً، هذه المشكلة بحاجة إلى حل سريع من أجل الصالح العام للشركة.

— إذن دعنا لا نفوت لحظة، ماذا تريدين أن أوفر لك بخلاف الفريق الذي أرسلته؟

توقف لويد للحظة ثم قال: «حسناً أكره أن أصدنك بالآتي، لكنني أحتج إلى قتل شخص ضروريًا».

لم يقل ريجيل شيئاً.

ثم أتى لويد: «هل أنت معي؟».

— أنتظر أن تقول ما ستصدمني.

— أفهم من ذلك أنك فعلت هذا من قبل؟

- نحن هنا في قسم إدارة المخاطر نقول إن كل مشكلة لها حلًّا، إما مشكلة يمكن حلها أو يجب إنهاُها، إذا كان يمكن حل المشكلة يا سيد لويد فإن هاتفي لا يرن.

- هل أنت على دراية بعقد لاجوس للغاز الطبيعي؟

أجاب ريجيل على الفور: «أظن أن له علاقة بالنكبة النيجيرية. تقول الشائعات إن بعض المحامين الأغبياء هناك في الشؤون القانونية نسوا مراجعة العقد، والنيجيريون يتراجعون عن صفقة قيمتها عشرة مليارات دولار استثمرنا فيها بالفعل مائة مليون دولار. كنت أشعر أنه سيجري الاتصال بي بشأن هذه المسألة».

- نعم، الأمر أكثر تعقيداً من ذلك بقليل.

- لا يبدو الأمر معقداً للغاية. أنا فقط بحاجة إلى عنوان هذا المحامي المؤذي، سنجعل الأمر يبدو كأنه انتحار، لا بد أن هذا الوغد الغبي مخلص بما يكفي للشركة، فيشرع في قتل نفسه، لكن لا تنتظر هذا النوع من الولاء من محام في الشؤون القانونية مع احترامي يا لويد.

- لا، لا، ريجيل لقد فهمت الأمر فهماً خاطئاً. نحن بحاجة لقتل شخص آخر.

تنحنح ريجيل. وقال: «أكمل إذاً».

أخبر لويد نائب رئيس عمليات إدارة المخاطر الأمنية باعتيال إسحاق أبو بكر، ورفض الرئيس توقيع العقد المعدل دون إثبات وفاة قاتل شقيقه.

قال كيرت ريجيل بسخرية: «نحن نولي ظهورنا لهؤلاء الطغاة، ثم نتفاجأ حين يطعنوننا في ظهورنا».

كانت إنجلزية ريجيل مثالية وباصطلاحات أمريكية. جلس خلف مكتبه وأمسك بقلم، وسحب ورقة من دفتر جلدي ثم قال: «إذا نحتاج إلى تحديد هوية القاتل والتخلص منه؟».

- لقد حددنا هويته بالفعل.

— تريد فقط أن تتخلص منه؟ كنت أتوقع شيئاً أكثر تعقيداً من هذا بعد مكالمة السيد لوران الهاتفية.

— نعم، هذا القاتل ليس سهلاً.

— المشكلة مع القاتلة المأجورين تكمن في تحديد هويتهم، إذا كنت تعرف من هو، فسأعثر عليه، وسيموت في غضون أربع وعشرين ساعة. سيكون هذا مثالياً.

— أعني، ما لم نكن نتحدث عن الرجل الرمادي. إنه أصعب من غيره قليلاً.

لم ينطق لويد.

بعد تردد الأميركي الطويل قال ريجيل: «آه إذا! نحن نتحدث عن الرجل الرمادي، أليس كذلك؟».

— هل ستكون هذه مشكلة؟

سكت ريجيل في هذه المرة، ثم قال أخيراً: «أمر معقد بلا شك، لكن ليست مشكلة. إنه بارع للغاية في التخفي، ومن هنا جاء لقبه. سيكون من الصعب العثور عليه، لكن الخبر السار أنه لا سبب يدفعه ليتوقع أننا سنلاحقه».

صمت لويد مرة أخرى.

— أم سيتوقع ذلك؟

— لقد رتبت محاولة لاغتياله الليلة الماضية. فشلت ونجا منها.

— كم عدد الرجال الذين قتلهم؟ — خمسة.

— أحمق!

— سيد ريجيل من الواضح أن الرجل الرمادي ليس بأحمق، يُظهر لنا تاريخه...

— ليس هو! بل أنت الأحمق! محام لعين يحاول تنظيم ضربة لأعظم قاتل بارز في العالم. حتماً خططت هذه العملية تخطيطاً سيئاً، ونُفذت

على عجل! كان يجب أن تأتي إلى على الفور. الآن سيكون على أهبة الاستعداد، متوقعاً أن كل من دبر محاولة اغتياله سيحاول مرة أخرى.

- أنا لست أحمق، ريجيل، رئيسه في عهدي. لقد أقنعته بمساعدتنا على تحديد موقع جينترى.

- من جينترى؟

- كورتلاند جينترى هو الرجل الرمادى.

اعتدل ريجيل في جلسته، فبدأ عريضاً ضحاماً مثل المكتب أمامه.

وأسأله: «كيف حددت هويته؟».

- لا يمكنني الإفصاح عن ذلك.

- من رئيسه؟

لم يرق لريجيل أن يكون الطرف المتلقى لمثل هذه المعلومات داخل مجموعة لوران. كانت لديه شبكة استخبارات خاصة به. أن ينقل له محام أمريكي قدر هذه المعلومات كبدبيهيات جعله يضم قضيته في غضب.

- اسم رئيسه هو دون فيتزروي. إنه بريطاني، ويعمل رسمياً هنا في لندن، إنه يؤدي بعض الأعمال من أجلانا. أحكم ريجيل إغلاق قضيته معًا بشكل أقوى، وقال: «قل لي يا لويد من الشؤون القانونية إنك لم تختطف سير دونالد فيتزروي!».

- لدى ابنه وعائلته ابنه في مكانٍ تابع لمجموعة لوران في نورماندي. أرخي ريجيل كتفيه العريضتين، ووضع رأسه بين يديه. بعد عدة ثوان نظر إلى مكبر الصوت الخاص به، ثم قال: «لقد أخبرتني بوضوح شديد أنك مسؤول عن هذه العملية، سأقدم لكم الرجال والعتاد والمعلومات، وأي نصيحة لديك؟».

- هذا صحيح.

- إذا لماذا لا أبدأ ببعض النصائح؟

- ممتاز.

-نصيحتي يا لويد من الشؤون القانونية أن تعذر للسير دونالد على سوء التفاهم الجسيم، وأن تطلق سراحه هو وعائلته، وارجع إلى بيتك، وضع مسدساً في فمك، وشد الزناد! تجاوزك مع فيتزروي كان خطأ كبيراً.

-يمكنك أن تستغني عن نصيحتك، وتكلّفي بترويжи بمزيد من الرجال، حالياً لا أعرف أين الرجل الرمادي، لكنني أعرف إلى أين سيذهب، سيرسله فيتزروي إلى نورماندي، سيسافر برياً من الشرق إلى الغرب، لا أعرف نقطة انطلاقه بعد، لكن إن وفرت لي الدعم الكافي، فسأرسلهم إلى كل أنحاء أوروبا للإيقاع به في أثناء افتتاحه.

-لماذا سيدهب إلى نورماندي؟ لينقذ عائلة فيتزروى؟

- بالضبط، سنخبره أن النيجيريين اختطفوهم، ويحتجزونهم لحين تسليم فيتزروى له، سيتعهد بإيقاف الموقف.

نفر ريجيل على مكتبه ثم قال: «وأنا أتفق مع تقديرك. لديه سمعة بأنه نصير الحق، ولن يشق بالسلطات الفرنسية».

-بالضبط. أحتاج أن توفر لي فقط فريق مراقبة وفريق قتل. في الوقت الحالي، يحرس عائلته طاقمك من مينسك في فرنسا، لكنني أود أن يموت جينترى قبل أن يصل إلى نورماندي، لأن الوقت مهم للغاية.

ـ إنه الرجال الماديـ. أنت بحاجة إلى أكثر من ذلك.

-ماذا تفتخر؟ أعني، غير أن أقتا نفسك.

نظر ريجيل إلى أبعد حائط عن المكتب، حيث يحدق إيه رأس خنزير بري وكتفه، أو ماكيرت بيضاء إلى نفسه.

لإنجاز هذا في الوقت المسموح به ستحتاج إلى مائة مخبر.
هل يمكنك أن تحضر لي مائة خبير مراقبة؟ - نطلق عليهم فناني أرصفة.

أنا كار، يمكنك توفير ذلك؟

- بالطبع. ونحتاج إلى توزيع عشرات الفرق من القتلة الصيادين؛ ليتمركزوا في كل طريق محتمل، بالتنسيق مع مقر قيادة مركبة، وأن تحفز كل وحدة للعثور على الهدف وقتله.

قال لويد بنبرة ذهول من حجم المهمة التي عرضها ريجيل: «عشرات الفرق؟».

- ليسوا من موظفي الشركة بالطبع، سيكون هناك الكثير من الأعمال الانتقامية ضد شركة لوران، ولا عناصر محلية كذلك، فهؤلاء تعرفهم الشرطة المحلية، وسيكشف هذا عملية المطاردة، لا. نحن بحاجة إلى عناصر أجنبية من مناطق مجهولة، أو كما تطلقون عليهم أيها الأميركيان «أشقياء» إذا كنت تفهمني يا لويد من الشؤون القانونية، فأولئك الأشقياء هم من يتولون المهام التي لا حل لها.

- هل تقصد مرتبقة؟

- قطعاً لا، فقد أفلت الرجل الرمادي من كل القتلة المأجورين الذي أرسلوا في إثره في الماضي أو قتلهم. نحتاج تحديداً إلى وحدات ميدانية، فرق قتل حكومية.

- لا أفهم، أي حكومة؟

- لدينا مكاتب لفروعنا في ثمانين بلداً، ولديّ علاقات جيدة مع رؤساء الأمن الداخلي في بعض عشرات من دول العالم الثالث، هؤلاء يديرون مجموعات من القتلة في بلادهم ليبقوا مواطنיהם وأعداءهم تحت السيطرة.

توقف ريجيل لحظة متأنلاً خطته.

وأكمل: «نعم سأتواصل مع زملائي في مكاتب بالعالم الثالث، في بعض الأماكن الخطيرة، إذ يمكنني أن أغير على رجال أشقياء بلا ذرة ضمير واحدة، سأتصل بأولئك الرجال، وفي غضون نصف يوم من هذه اللحظة ستتحقق عشرات الطائراتقادمة من تلك البلاد، كل طائرة ستمتنئ عن آخرها بأعنف الرجال وأكبر المسدسات، وسيطلب

من كل فريق تنفيذ المهمة نفسها، سيتنافس جميعهم على فرصة قتل الرجل الرمادي».

ـ كمسابقة؟

ـ بالضبط.

ـ رائع!

ـ لقد فعلناها من قبل، على مستوى أصغر باعتراف الجميع، لكننا فعلناها، كان لدينا مبرر في الماضي لجمع عدة فرق ليتافسوا على هدف واحد.

ـ لكنني لا أفهم لماذا قد تساعدنا هذه الحكومات؟

ـ ليست الحكومات نفسها، بل وكالات الاستخبارات. هل تخيل ماذا ستفعل مكافأة عشرين مليون دولار تضاف إلى خزائن المباحث في دول مثل ألبانيا؟ أو الجيش الأوغندي؟ أو إدارة الاستخبارات الداخلية في إندونيسيا؟ تلك المنظمات تعمل باستقلالية عن رؤساء دولها من وقت لآخر كلما كان هذا يناسب أغراض المنظمة أو قادتها. أعرف أي دول تجيز أجهزة أمنها الداخلي لرجالها القتل مقابل المال. ليس لدي شك في ذلك.

ـ كانت هناك وقفة قبل أن يرد لويد: «فهمت، وكالات الاستخبارات هذه لن تقلق بشأن الانتقام الأميركي. سيعرفون أن وكالة المخابرات المركزية لن تلاحق قتلة الرجل الرمادي».

ـ لويد، من الوارد أن يخبر الفريق المنتصر وكالة الاستخبارات المركزية نفسها. إنهم يسعون إلى الحصول على مكافأة من الأميركيين أيضاً. لأنجلي تلاحق الرجل الرمادي منذ سنوات. لقد قتل أربعة منهم كما تعلم.

ـ نعم أنا أعرف. تعجبني خطتك يا ريجيل. لكن هل يمكننا فعل ذلك بهدوء؟ أعني، دون تأثير سلبي في مجموعة لوران؟

- يحتفظ مكتبي بشركات صورية من أجل إنكار المسئولية. سنتستخدم الأطقم الجوية لمجموعة لوران في طائرات تحلق تحت القذائف، لتسلل على متنها فرق القتل وأسلحتهم إلى القارة. سيكون ذلك مكلفاً، لكن مارك لوران أوصاني بالنجاح بأي وسيلة ممكنة.

لا يمكن إنكار اتصالات ريجيل بالمستويات العليا للشركة، لكن فراسة لويد السياسية دفعته إلى إعادة تأكيد موقفه. فقال: «ما زلت مسؤولاً عن العملية. سأنسق تحركات المراقبين والقتلة. أنت فقط أحضر لي هذه القوة البشرية».

- اتفقنا. سأرتب لمسابقتنا الصغيرة، سأجهز الجميع، لكن سأدعك تقود الفرق. أطلعني على التطورات، ولا تتردد في طلب مشورتي. أنا صياد يا لويد. سيكون صيد الرجل الرمادي في شوارع أوروبا أعظم رحلة استكشافية في مسيرتي».

صمت للحظة. ثم أتبع: «كنت فقط أتمنى لو لم تعبث مع فيتزروي».

- اتركه لي.

- أوه، لا أنوي غير ذلك بالضبط. سيد دونالد وعائلته مشكلتك ليست مشكلتي.

- لا توجد مشكلة على الإطلاق.

اعترف جينتري لنفسه أخيراً بأن حظه بدا كأنه يتغير. بعد أن خرج وهو يعرج شمالاً باتجاه الحدود التركية لمدة أقل من ساعة، التقته دورية من الشرطة الكردية المحلية. الأكراد في شمال العراق يحبون الأميركيين، وخاصة الجنود الأميركيين. افترضوا من إصاباته وزيه العسكري الممزق أنه عامل في القوات الخاصة الأمريكية. ولم يحاول جينتري تغيير افتراضهم هذا.

اقتادوه إلى الموصل، وساعدوه على تنظيف نفسه، وأعادوا تضميد جرح ساقه في عيادة أنشأتها الحكومة الأمريكية. في غضون سبع ساعات من هبوطه من فتحة طائرة دون مظلة على ظهره، وجد القاتل الأميركي نفسه مرتدياً بنطلوناً ضيقاً وقميصاً من الكتان، على متن طائرة تجارية متوجهة إلى تبليسي، بجورجيا.

لم يكن تحسن ظروفه بسبب الحظر وحده، لكن تضمنت إحدى خطط جينتري الاحتياطية أن يجد طريقه للخروج من العراق، وقد استعد لهذا الاحتمال بتزوير جواز سفر ونقود وتأشيرات لجورجيا وتركيا، وغيرها من المستندات الضرورية في سرواله.

لا، لقد استفاد جينتري من الحظ قليلاً من حين إلى آخر، لكنه لم يعتمد عليه. لم يكن شيئاً إن لم يكن رجلاً مستعداً. بعد اجتياز الجمارك الجورجية بجواز سفر كندي يعرف عن نفسه باسم مارتن بالدوين، صحفي مستقل، اشتري تذكرة إلى براغ، بجمهورية التشيك. كانت الرحلة التي استغرقت خمس ساعات خالية تقريباً من أي شيء، وهبط جينتري في مطار روزين بعد الساعة العاشرة مساءً بقليل.

كان يحفظ براوغ عن ظهر قلب. عمل هنا مرة واحدة، وغالباً ما استخدم الضواحي المجاورة مكاناً للاختباء.

بعد أن استقل سيارة أجرة، وركب المترو، سار في الشوارع المرصوفة بالحصى في منطقة ستير ميستو، ثم حجز غرفة في فندق صغير يقع على بعد ربع ميل من نهر فلتافا. قضى فترة طويلة في الاستحمام، ثم جلس أخيراً لتضميد فخذه، حينئذ أصدر هاتف القمر الصناعي في حقيقة ظهره الجديدة صوت تنبية.

نظر جينتري إلى الهاتف، ورأى أن فيتزروي يتصل به. راح يتحدث مع دون في ذلك الصباح، بينما يواصل تضميد جرح الرصاصية. وبدا غضب جينتري مفهوماً من فريق الإجلاء الذي انقلب عليه.

لم يفكر في احتمال أن يكون السير دونالد نفسه قد أمر رجاله بقتله. لا، لقد كان غاضباً لأن عملية فيتزروي تعرضت لاختراق واضح، لدرجة أن النيجيريين كان بوسفهم التسلل إلى مهمة قيد التنفيذ، وكادوا يفلحون في تحويل رجال الإنقاذ إلى قاتليه.

عارض فيتزروي جينتري بشدة لمهاجمة أبي بكر بعد وفاة مصدر التمويل، والآن يتساءل جينتري: هل وضع فيتزروي نصف هيكل دعمٍ وسيلةً يُبدي بها احتجاجه؟

أطلق على هيكل الدعم المنظم لفيتزروي اسم الشبكة، وكانت الشبكة بمثابة شريان الحياة الوحيد لجينتري في هذا المجال. تألفت من أطباء شرعيين يضمدون جروح الرجل دون طرح أي أسئلة، وطياري شحن شرعيين يأخذون مسافراً خلسة دون النظر إلى المعدات الموجودة على ظهره، وأشخاص قانونيين يمكنهم طباعة المستندات وتغييرها.

تطول القائمة وتزداد بمرور الوقت، استخدم جينتري الشبكة أقل استخدام ممكن، أقل بكثير من الرجال الآخرين في وكالة فيتزروي. في النهاية كان الرجل الرمادي موظفاً سريعاً وفعالاً. لكن يحتاج كل

من يعمل في مهنة جينتري الشاقة إلى بعض المساعدة من وقت إلى آخر، ولم يختلف الأمر مع كورت.

عمل جينتري لدى فيتزروي لأربع سنوات، وذلك بعد بضعة أشهر من الليلة التي قررت فيها الاستخبارات المركزية الاستغناء عن خدمات أفضل قاتل لديها وأكثراهم مهارة ونجاحاً. تذكر كورت تلك الليلة، حين عبروا فوراً عن استيائهم منه بوضع قبلة في سيارته، وإرسال فريق اغتيال إلى شقته، ومذكرة اعتقال دولية أصدرتها وزارة العدل، وزعها الإنتربول على كل جهاز أمني في الكوكب.

كان جينتري حينئذ يبحث باستماتة عن عمل لينفق على نفسه، كونه هارباً من حكومة الولايات المتحدة، ولهذا تواصل مع السير دونالد فيتزروي، ظاهرياً كان الرجل الإنجليزي يعمل في مجال الأمن، لكن جينتري تعامل مع الجانب المظلم من شركة شلتنهام لخدمات الأمن، في أثناء تنفيذه لعمليات هجوم وتسلیم سرية مع إدارة الأنشطة الخاصة في الاستخبارات المركزية. لذلك كان مكاناً مناسباً لقاتل أصبح لتوه عاطلاً يبحث عن عمل.

ومنذ ذلك الحين ذاع صيته في عالم العملاء المأجورين، بالرغم من أنه - عملياً - لم يكن أحد يعرف اسمه الحقيقي، أو حقيقة أنه يعمل لدى فيتزروي، لكن الرجل الرمادي أصبح أسطورة بين العملاء السريين عبر العالم الغربي.

وكما هو الحال مع أي أسطورة، فقد زادت تفاصيلها وأثريت أو حتى اختلقت بالكامل. إلا أن إحدى تفاصيل أسطورة الرجل الرمادي كانت حقيقة، وهي مبدأ الأخلاقي الشخصي بعدم قبول أي عقد إلا ضد أهداف يرى أنها تستحق الإعدام خارج القانون. كان هذا جديداً تماماً على عالم القتلة المأجورين، صحيح أنه عزز سمعته، لكن هذا جعله حريصاً للغاية بشأن العمليات التي يوافق عليها.

تولى جينترى أصعب العمليات، ذهب بمفرده إلى أعلى البلدان، وواجه حافل الأعداء، وأسس – باعتراف الجميع – سمعة وثرة لا مثيل لهما، ودون أن يظهر في الصورة.

في أربع سنواتٍ نفذَ اشتباكات عشرة عمليات على نحوٍ مرضٍ ضد إرهابيين والجهات التي تمولهم: تجارِ الرقيق الأبيض، مهربِي المخدرات والأسلحة غير القانونية، وزعماء المافيا الروسية. ثمة شائعة بأنه جنى من المال – بالفعل – ما يزيد على حاجته؛ لذا ساد الاستنتاج بأنه يفعل ما يفعله من أجل رد المظالم، وحماية المستضعفين، وتحويل العالم إلى مكان أفضل بفوهة مسدسه.

كانت الأسطورة خيالاً ولم تكن حقيقة، لكن عكسُ أغلب الخيالات، كان الرجل الذي تدور حوله هذه الأسطورة حقيقياً وموجداً، أما دوافعه فكانت معقدة خلافاً للقصص الهرزلية المثيرة التي تُنسب إليه، لكن في أعماقه اعتبر نفسه بالفعل أحد الأخيار. لا لم يكن في حاجة إلى المال، ولم يكن يتمنى الموت أيضاً، كان كورت جينترى هو الرجل الرمادي؛ لأنَّه آمن بأنَّ هذا العالم به أشرار يستحقون الموت حقاً.

اصطحب لويد وتابعاه الأيرلنديان المخلصان فيتزروي إلى سيارة ليمزين تابعة لمجموعة لوران، التي سارت في المدينة تحت المطر الغزير. لم تكن هناك أي محادثة، جلس فيتزروي في صمت، ممسكاً بقعبته بين ركبتيه، بينما يتأمل الليلة الممطرة عبر الزجاج كرجل مهزوم.

انهمك لويد في هاتفه يرسل ويستقبل مكالمات تلو أخرى، ويتبع باستمرار مع ريجيل، الذي كان يتواصل – بدوره – مع رجال حول العالم لبدء تنفيذ العملية العاجلة.

وصلت الليموزين إلى فرع مجموعة لوران في المملكة المتحدة بعد الساعة الواحدة صباحاً. يقع مكتب الشركة الفرنسية المحلي في مبني من ثلاثة طوابق في فولهام. دخل كل من لويد ورجاله وبضاعتهم من البوابة الأمامية، ومرروا أمام صفين من الحرس المسلمين، ثم هبطوا عبر الطريق المؤدي إلى مبني من طابق واحد بجانب مهبط للطائرات. سيتوفر لك بيت بعد قليل يا سيد دونالد، أعتذر إن لم يرق إلى المستوى الذي اعتدته، لكن - على الأقل - لن تفتقد الصحبة، فأنا ورجالي لن نتركك حتى نسوى الأمور كلها، ويمكنكنا حينها أن نعيدك إلى شارع بيزووتر، ونتركك حيث أخذناك بعد أن نربت على رأسك الأصلع.

لم يقل فيتزروي شيئاً، بل اتبع الوفد الذي يحاوطه تحت المطر إلى المبني، حيث عبر رواقاً طويلاً. مر برجلين آخرين، يرتدي كل واحد منهم بدلة، ويقفان في مطبخ صغير، وعلى الفور تعرف إليهما، فهما ضابطاً أمن بملابس مدنية، للحظة شعر فيتزروي بومضة من الأمل لاحت على وجهه.

قرأ لويد أفكاره فقال على الفور: «آسف يا سيد دونالد، هؤلاء ليسوا من رجالك، بل بضعة أشقياء من مكتبنا في إدنبره، يدين هؤلاء الأسكتلنديون بالولاء لي وليس لك».

واصل فيتزروي المضي إلى القاعة، وتمتم: «أنا أعرف ألف شاب من هذا القبيل، هؤلاء الرجال ليس عندهم ولاء، إنهم ينضمون إليك من أجل المال، وسينقلبون عليك إذا كان السعر مناسباً».

مرر لويد بطاقة فوق آلة المرور الإلكترونية بجانب آخر باب في القاعة وهو يقول: «حسناً، من حسن حظي أنني أدفع جيداً».

كانت قاعة اجتماعات كبيرة، فيها طاولة مصنوعة من خشب البلوط، ومقاعد بظهور عالية، وجدران مبطنة بشاشات مراقبة مسطحة وأجهزة كمبيوتر وشاشة (إل سي دي) كبيرة تعرض خريطة أوروبا الغربية.

قال لويد: «لماذا لا تترأس الطاولة بما أنك حاصل على لقب فارس نبيل؟ أعتذر لأننا لم نتمكن من توفير طاولة مستديرة، لم نوفق سوى في شراء هذه الطاولة البيضاوية». قهقهة الأمريكي على مزحته.

وقف فرداً الأمن الأسكنلنديان بالقرب من الباب، وتمرّكز الأيرلنديان الشماليان في زوايتين. دخل رجل أسود نحيف يرتدي بدلة بنية كستنائية وجلس إلى الطاولة وأمامه زجاجة ماء، فسرّ لويد الأمر قائلاً: «السيد فيليكس يعمل لصالح الرئيس أبي بكر». كان تقديمًا مختصراً. وأكمل: «إنه هنا للتحقق من أننا قتلنا الرجل الرمادي».

أومأ السيد فيليكس برأسه إلى فيتزروي عبر الطاولة.

تشاور لويد مع شاب يربط شعره على هيئة ذيل حصان، ويضع حلقاً في أنفه، وتعكس نظارته ذات العوافات السميكة الضوء من أجهزة الكمبيوتر الموجودة على المكتب أمامه. نظر إلى لويد هامساً، فالتفت لويد إلى السير دونالد وقال: «كل شيء له موعد محدد. سيكون هذا الرجل مسؤولاً عن جميع الاتصالات بيني وبين المراقبين والصيادين. سنسمه الفني».

وقف الشاب، ومد يده بأدب كأنه لا يعرف أنه يتعرف إلى إحدى ضحايا الاختطاف، فالتفت فيتزروي بعيداً.

عندئذ تلقى الفني مكالمة في سماعة رأسه. تحدث بهدوء إلى لويد بلهجة بريطانية، فأجاب لويد: «ممتناز، أرسل دعماً إلى هناك على الفور. حدد موقعه».

ابتسم لويد في وجه فيتزروي: «لقد حان الوقت لقليل من الحظ لي، شوهد جينتري في تبليس، يستقل طائرة متوجهة إلى براغ. لقد هبطت الرحلة بالفعل؛ لذا لا يمكننا تتبعه من المطار، لكن لدينا رجال يفحصون الفنادق. نأمل أن يكون لدينا فريق ناجح هناك في انتظاره عندما يستيقظ في الصباح».

بعد مرور ساعة جلس لويد في مواجهة فيتزروي على الطاولة، كانت الأضواء خافتة، ووضع الفني وراء الأميركي إضاءة خلفية، ثم دارت كاميرا معلقة بالسقف لتواجده، وعرضت الشاشة صورة ظلية للويد غير واضحة تماماً لدرجة أن المحامي الشاب اضطر إلى رفع ذراعه في الهواء ملوحاً للتحقق من أنه كان ينظر إلى نفسه بالفعل.

بعد ذلك، ظهرت شاشات (إل سي دي) بطول الجدار عبر الطاولة واحدة تلو أخرى، في الجزء السفلي من كل شاشة عنوان وتوقيت محلي.

اتصلت لواندا⁽¹⁾ وبوتسلانا أولاً بالإنترنت. جلس أربعة رجال في غرفة اجتماعات مماثلة لتلك الموجودة في إنجلترا. كانت مضاءة من الخلف وفي صورة ظلية على غرار لويد. ثم ظهرت جاكرتا، بإندونيسيا. هذه المرة، كان هناك ستة أشخاص ذُكِن البشرة بجلسون جنباً إلى جنب على طاولة وينظرون إلى الشاشة. ثم طرابلس في ليبيا. بعد دقيقة كاراكاس في فنزويلا، وبريتوريا في جنوب إفريقيا، والرياض في المملكة العربية السعودية، أضاءت كلها في وقت واحد. في غضون الدقائق الخمس التالية، كان البث يعمل من ألبانيا وسريلانكا وكازاخستان وبوليفيا. استغرقت مدينة فريتاون في سيراليون دقيقة أخرى حتى يتمكن الفني من توصيلهم، أخيراً ظهر الإرسال من كوريا الجنوبية.

جلس رجل آسيوي على المكتب بمفرده. هذه هي فرق القتل الحكومية التي جهزها كيرت ريجيل للمطاردة. لقد تحدث ريجيل بالفعل إلى رئيس وكالة كل فريق، لذلك رفض التحدث إلى العملاء مباشرة. إنها مهمة لويد، كما قال ريجيل، كان فقط يساعد في الترتيبات والاستشارات.

(1) : عاصمة أنجولا.

قبل اتصال الصوت بالإنترنت، نادى لويد الفني عبر الغرفة: «أين باقي الكوريين؟». قرأ الفني ورقة على مكتبه بسرعة ثم قال: «لقد أرسلوا رجلاً واحداً فقط. لا أظن أن الأمر يهم، فالإجمالي لدينا أكثر من خمسين رجلاً من مجموع الفرق الاثنين عشرة».

أكَدَ الفني للويد أن صوته سيتغير عبر كل الأجهزة والبرامج لتجهيله تماماً. بعد لحظة أخيرة فحص فيها الفني اتصال الصوت مع المترجمين، الذين يجلسون بعيداً عن الكاميرا في كل موقع يحتاجون إليه، تتحقق لويد، وأظهرت صورته الظلية يده إذ يضعها على فمه ثم ينزلها.

وقال: «أيها السادة، أعلم أنكم قد اطلعتم بشكل عام على المهمة التي نكلفك بها، إنها بسيطة للغاية حقاً. أحتاج إلى العثور على رجل، لكن هذه ليست مشكلتكم. لدى ما يقرب من مائة من فناني الأرصفة، إما متأهبون أو يمشطون بالفعل مسرح العمليات في هذه اللحظة تحديداً. وما إن نعثر عليه، أحتاج إلى القضاء عليه، سيكون هذا هدفكما».

تغيرت الصورة في الشاشات في اثني عشر موقعاً متفرقاً، وظهرت على الشاشة صورة ملونة لرجل حليق الذقن، يرتدي معطفاً رياضياً، ونظارة بإطار سلكي. أخذها لويد من جواز سفر مزور في ملف وكالة الاستخبارات المركزية.

ثم أكمل: «هذا هو الرجل الرمادي، كورت جينترى، التقطت صورته المعروضة أمامكم قبل خمس سنوات. لا أعرف كيف غير مظهره. لا تدع حياته الطبيعية تخدعك. لقد كان أفضل قاتل عمل في وكالة الاستخبارات المركزية على الإطلاق».

تمت شخص ما بشيء ما باللغة الإسبانية. فهم لويد كلمة واحدة فقط: «ميلوسيفيتش».

فقال: «نعم، كنت أتوقع أن بعضكم قد يعرف هذا الرجل بالفعل من خلال سمعته. تكثر الشائعات حول عملياته. يقول البعض إنه

قتل ميلوسيفيتش، والبعض يقول إنه لم يفعل. يقول البعض إنه كان مسؤولاً عن الأحداث في كيف العام الماضي. أغلب العقول المنطقية تحسب هذا مستحيلاً. ومع ذلك، فأنا أعرف ما يكفي عن العمليات المحددة التي نفذها، سواء مع الحكومة الأمريكية أو لحسابه الخاص، لأؤكد لكم أن السيد جينترى هو أروع عميل منفرد ستواجهونه على الإطلاق».

تحدث صوت جديد مجهول: «يبدو مختناً».

من الل肯ة؛ حول لويد انتباهه على الفور إلى بث جنوب إفريقيا. تردد صدى صوت لويد المجهل عبر مكبرات الصوت: «هذا المخت سيمشي نحوك مباشرة، ويدس محرز ثلج بين ضلوعك، ويفرقع رئيتك، ويقف فوقك، بينما تختنق حتى الموت في دمائك». كان هناك غضب في صوت المحامي الأمريكي. وأتبع: «اقتله، وبعد ذلك يمكنك أن تخبرني أي مزحة سخيفة هو، ولكن حتى تقتله فلتتحفظ بتعليقاتك الصبيانية لنفسك».

صمت بث جنوب إفريقيا.

تابع لويد وهو لا يزال يحدق إلى الصور الظلية التي تُثبت من بريتوريا: «الرجل الرمادي مدرب على القنص لمسافات طويلة، وعلى المعارك القريبة، والقتال بالأسلحة البيضاء، وكراف ماغا⁽¹⁾، فنون الدفاع عن النفس التي تستخدمها القوات الخاصة الإسرائيلية. يمكنه القتل بسلاح طويل أو سلاح قصير أو دون سلاح على الإطلاق. يمكنه أن يقضي عليك على بعد ميل، أو يمكن أن تموت وأنفاسه في أذنك. لديه

(1) فن قتالي للدفاع عن النفس يرجع أصله إلى قتال الشوارع الذي استخدم للدفاع عن الحي اليهودي ضد الجماعات الفاشية في تشيكوسلوفاكيا في ثلاثينيات القرن الماضي. ثم طوره جيش الدفاع الإسرائيلي، ويضم تقنيات من الملاكمه والمصارعة والجودو والأيكيدو والكارate. (المترجم)

تدريب مكثف على استخدام الذخائر المتفجرة وحتى السموم. هناك شائعة تدور في وكالة الاستخبارات المركزية مفادها أنه في لاهور بباكستان استخدم نبلة لقتل هدف في مطعم، دون أن يلاحظ أحد من العناصر الأمنية المرافقة للهدف».

توقف لويد للحظة، ثم أكمل: «كان جينتري على الطاولة المجاورة، وواصل تناول وجبته، بينما سقط الهدف ميتاً. ما إن ننتهي، ستصلون جميعاً على متنه الطائرات. سرسل عشرات الفرق في اثنى عشر طائرة إلى اثنى عشر مطاراً على طول الطريق الذي تتوقع أن يسلكه جينتري عبر أوروبا في الثمانين والأربعين ساعة القادمة. ساشرف على التحركات، وأتولى التنسيق بينها من هنا، وسأنقل أي معلومات استخبارية قد أحصل عليها. سيحصل كل فريق يشارك في الصيد وينجو على مليون دولار، بالإضافة إلى أي نفقات يت肯دها. سيحصل الفريق الذي يقتل جينتري على مكافأة قدرها عشرون مليون دولار». سأل رجل بصوت إفريقي جهوري: «ماذا ستفعل أمريكا إذا قتلناه؟». تحول لويد إلى البث القادر من سيراليون، لكنه لم يكن واثقاً. قال: «لقد ناقشنا هذا مع قادة منظماتكم. هذا الرجل محكوم عليه بالموت بالفعل من حكومة الولايات المتحدة، وهناك عقوبة في وكالة الاستخبارات المركزية تقضي بقتل المدان عند رؤيته. ليس لديه أصدقاء ولا عائلة مقربة. لا أحد على هذه الأرض سيبكي عليه عندما يموت».

بعد ذلك تحدث شخص ما بلغة آسيوية، وعندهما انتهى سأل المترجم: «أين هو الآن؟».

أجاب: «لقد طار إلى براغ الليلة الماضية. عملاًونا يسألون عنه في الفنادق، لكن لا توجد طريقة لمعرفة ما إذا كان لا يزال هناك».

سأل أحدهم: «أي فريق سيذهب إلى براغ؟». أجاب: «الألبان، هم الأقرب».

صرخ الإفريقي الجنوبي: «هذا ليس عادلاً!». خلع لويد نظارته في الصورة الظلية، وفرك أربنة أنفه ثم قال: «مع احترامي للألبان، لكنني لا أعتقد أن أول فريق سيواجه سيكون هو الذي سيقضى عليه». كان هناك تذمر في البث اللبناني، ولكن سرعان ما أخذ مع الهمسة.

ثم أكمل: «سنقتل جينتري في اليومين المقبلين، نعم. لكن من المحتمل أن نفعل ذلك بالاستفزاف. قد يموت الكثير منكم». توقف للحظة في محاولة مصطنعة ليبدو كشخص يكرث بهذا. وقال: «ومع ذلك، لسنا على يقين من أن الألبان سيواجهونه أولاً. ربما يتحرك غريباً عندما تهبط طائرتكم. إذا حدث. إذا اقتفيانا أثره بعد براغ، فسعيديكم إلى طائرتكم، واستخدمنا نقطة رصد جديدة أقرب إلى الوجهة النهاية. ما من ميزة في الوجود أقصى الشرق أؤكد للجميع».

استقام لويد على كرسيه. بدت صورته الظلية نحيفة لكنها رياضية. وقال: «اسمحوا لي أن أنهي بقولي هذا. افعلوا ما يلزم لإنجاز المهمة. لا أعبأ كثيراً بالأضرار الجانبية. إذا كنتم لا تتحملون قتل بعض الأطفال أو المتقاعدين أو الجراء، فلا تصدعوا على متى طائرتي. مهمتكم هي قتل كورت جينتري. افعلوا ذلك تجنوا الملايين لمنظمتكم، وستشكرونكم وكالة الاستخبارات المركزية. وإذا فشلتם، فعلى الأرجح فستموتون على يده. وستانالون ما يكفي من التقدير لمحو مخاوفكم من أي شيء آخر. أي أسئلة؟». لم تكن هناك أسئلة.

فاختتم: «إذا أيها السادة. لقد بدأت المهمة».

في الساعة الثانية صباحاً، عرض ضابط أمن في مجموعة لوران، من مزرعة ضخمة تابعة للشركة في برنو بجمهورية التشيك، صورة جينتري لموظفي مكتب فندق هادئ، في مبنى ضيق من أربعة طوابق في أحد

الرجل العجوز الذي
أطال ببراغ. أطال الرجل العجوز الذي
يقف خلف منضدة الاستقبال بالفندق النظر في الصورة، وقال إنه
لا يستطيع التأكيد، ولكن بعد أن دفع الشخص الغريب ذو النظارات
الثاقبة خمسمائة كرونة غير العجوز نبرة حديثه.

كان على يقين من أن الرجل الحليق في الصورة والسائح الملتحي في غرفته العلوية هما نفس الشخص.

أتصل عميل المراقبة بلويد على الفور. كان موظفًا في مجموعة لوران، وقد أمر لويد بشكل صارم أن يبعد موظفي الشركة عن أي إجراء مباشر، لذلك أمره لويد بالعودة إلى المنزل.

قال لويد: «هناك فريق في الطريق».

– اذا كنت تريده ميّتاً، فسأفعل ذلك مقابل مائة ألف كرونة.

ضحك لويد في الهاتف وقال: «لا، لن تفعل».

- هل تقول إني لا أستطيع التعامل... -نعم. هذا بالضبط ما أقوله.
- وغد أمريكي.

أنا الودغ الأمريكي الذي أنقذ للتوك حياتك التشيكية التافهة. اذهب إلى المنزل، وانس الأمر. ستحصل على مكافأة نظير عملك الجيد.

- كم أكره الأميركيكان!

راح لويد يضحك بصوت عال عندما انقطع الخط.

استيقظ جينترى في الخامسة صباحاً، ظل جرح الرصاصة يخنقه ويحرقه، لم ينعم بنوم هادئ الليلة على الإطلاق. اعتدل في جلسته ببطء وصعوبة، وانحنى للأمام يمطر أسفل ظهره وأوتار ركبته، وانثنى بقوّة للجانبين، أراد أن يمضي اليوم في التحرك. لم يحدد وجهته بعد، لكنه أدرك أنه كلما أسرع بمعادرة الفندق كان هذا أفضل.

بعد زيارة سريعة للحمام ليقضي حاجته، ويفحص ضمادة جرح ساقه، ارتدى الملابس نفسها التي كان يرتديها في الليلة الماضية، ثم تطلع عبر النافذة متفحضاً إذا ما كان أحد يراقبه، فلم يعثر على ما يشير القلق. هبط الدرج، وغادر المبنى في الساعة الثانية وخمس وعشرين دقيقة.

حدد في عقله قائمة مهام، كانت المهمة الأولى أن يذهب إلى مخبأ أسلحة هنا في براغ ليحصل على مسدس صغير. لن يطير مرة أخرى، لم تكن الرحلات الجوية في الساعات الأربع والعشرين الأخيرة مألوفة له. كره كورت تجرده من السلاح، فلم يكن يستقل الطائرات التجارية إلا مضطراً، ولم يسافر سوى اثنتي عشرة مرة في السنوات الأربع الأخيرة. والآن وبينما يسير في شوارع براج الحجرية الخالية، شعر بأنه عار، لم يعوضه عن أسلحته سوى مطاواه في حزامه استراها من ضابط كردي. كانت أفضل من لا شيء، ولكن أقل من أي نوع من الأسلحة النارية.

سيتعين عليه الخروج من البلد بعد أن يحصل على سلاحه من المخبأ، ويشتري دراجة نارية رخيصة، ثم ينطلق خارج براج. ربما يقضي أسبوعاً أو نحو ذلك متنقلًا من قرية إلى أخرى في جمهورية

التشيك أو سلوفاكيا، كان يأمل أن يبييه ذلك في أمان لحين مغادرة الرئيس النيجيري قصر الرئاسة، وأن يتركه في سلام. لا أحد يستطيع التخفي بمهارة وسرعة مثل ذلك الأمريكي ذي الستة وثلاثين عاماً.

وبينما يمشي كورت باتجاه محطة المترو، قرر أن يضع في مقدمة أولويات قائمة مهامه أهم أمر على الإطلاق. اشتم رائحة قهوة طازجة تبعت من مقهى صغير كان قد فتح لتوه، وفي تلك اللحظة شعر أنه بحاجة إلى القهوة بقدر حاجته إلى مسدس. لكنه كان مخططاً.

ملأ الضباب الكثيف الشارع أمام المقهى، وبدأت تمطر عندما ارتقى كورت بضع درجات إلى المطعم الصغير. كانت الساعة الخامسة والنصف، وشعر أنه أول زبائن المكان. كان كورت يعرف من اللغة التشيكية ما يكفي ليحيي الفتاة الواقفة خلف منضدة الحساب. أشار إلى وعاء يتضاعد منه البخار وفطيرة كبيرة، وراح يشاهد الفتاة التحيفة الشاحبة تصب له كوبًا علته الرغوة، مليئًا بالقهوة الغنية السوداء، ووضعت إفطاره في حقيقة.

في تلك اللحظة دق جرس الباب خلفه، التفت للخلف ورأى ثلاثة رجال يدخلون، وبلغلون مظلاتهم، وينفضون عن معاطفهم مياه المطر. بدوا محللين، لكن كورت لم يستطع التأكد، رقمه الرجل الأول بينما يأخذ جيتري ما اشتراه باتجاه طاولة صغيرة، ومعه حليب وسكر ليضيفهما إلى قهوته.

نظر كورت إلى منشور ورقى معلق خلف زجاج على الحائط يروج لقراءة شعرية، وسرح ببصره في النافذة على يمينه، باتجاه الشارع المظلم والغارق في المطر.

خرج بعد ثوان قليلة متوجهًا للأمطار، وسار نحو محطة المترو في ماستيك. لم يكن هناك مشاة آخرون حوله بفضل البرد والمطر والوقت

المبكر. لم يتأنف كورت من الهواء المتجمد، بل استحسن قدرته على حقن الحياة في عضلاته المنهكة ورأسه المرهق. كان هناك عدد قليل من شاحنات التوصيل، نظر جينترى عبر الزجاج الأمامي المبلل لكل شاحنة تمر، ثم عثر على مدخل المترو، فنزل على الدرجات شديدة الانحدار.

تكلفت عيناه المرهقتان ببطء مع الإضاءة الكهربائية العالية حوله، والبلاط الأبيض البارد الذي يعكسها لأعلى. اتبع الإشارات أسفل نفق متعرج باتجاه القطارات. قاده سلم متحرك آخر إلى عمق أكبر أسفل المدينة النائمة، وقاده منعطف آخر إلى مسافة أبعد في أعماق محطة المترو ذات الإضاءة الساطعة.

سرعان ما انعطف إلى اليمين، ومر بصدقوق قمامـة. ألقى فيه قهوته التي لم يمسها، وحقيقة المعجنات الخاصة به. ثم اتجه إلى اليمين وسار خطوتين آخرين، وتوقف. مكتبة سُرَّ من قرأ

ثني عضلاته بسرعة؛ ذراعيه وظهره وساقيه ورقبته وحتى فكه المتوتر. ثم مد يده إلى حزام خصره ليسحب مطاوهه، نفضها ليفتحها، فعل هذا بسرعة وكفاءة مذهلتـين، ثم استدار إلى الخلف، وخطـا خطوة واحدة إلى الوراء في الطريق الذي جاء منه، وقفـز في الهواء ليقطع أكبر مساحة ممكـنة من الأرض بأقصـى سرعة، ليهـوي بالشـفرة ذات البوصـات الثلاث بعمق في حلق الرجل الأول الذي كان يتبعـه.

كان رجـلاً ممتـلاً وقوـياً وطـويـلاً وعـريـضاً. قبـضـتـ يـدهـ اليـمنـيـ المـكتـزةـ على مـسدـسـ آليـ منـ الفـولـاذـ المـقاـومـ للـصـدـأـ. أـمسـكـ جـينـترـىـ بـكـعبـ المسـدسـ وـوـجهـ فـوهـتـهـ إـلـىـ الأـسـفـلـ وـيـعـيـداًـ، خـشـيـةـ أـنـ تـتـسـبـبـ تـشـنجـاتـ الرـجـلـ المـحـضـرـ فـيـ إـطـلاقـ النـارـ.

لم يستغرق كورت الكثير من الوقت في النظر إلى عيني الرجل عريض الفكين، فلو فعل لرأى الصدمة والذهول قبل هجوم الذعر والألم، بدلاً من ذلك دفعه الرجل الرمادي إلى زاوية النفق في الخلف

ليصطدم بثاني القتلة المحتملين، أمسك بهذا الرجل الذي كان يحاول تبديل الأدوار وسحب مسدسه. قبض كورت على المطواة بيده اليمنى. كانت لا تزال عالقة في حلق الرجل الأول، فاستخدمها لدفع الأول إلى الثاني، واستخدم بيده الأخرى لينزع المسدس الذي في قبضة المحتضر الأول.

لم يتحرر المسدس، لكن استطاع كورت أن يرى الرجل الثالث الواقف خلف الرجل الثاني في أثناء سقوطه، وكان مسدس الثالث يرتفع استعداداً لإطلاق النار. وضع جينتري رأسه في صدر الرجل غارزاً المطواة في حلقه، ودفعه على المأجور الذي يهوي أرضاً، وانطلق في إثر الرجل الأخير.

هزت طلقة نارية النفق المكسو بالبلاط بصوت يصم الآذان، وتضخم ضجيج الانفجار الذي امتد بفعل السقف المنخفض والممر الضيق. شعر جينتري بالرصاصة ترتطم بظهر الرجل الملطخ بالدماء بين ذراعيه، دوت رصاصة أخرى وثبتت شريك كورت في الرقصة. كان الأمريكي لا يزال يدفع الرجل إلى الوراء، وفي النهاية دفعه بأقصى قوة ممكنة. وعندما ألقى جثة العميل الدامية على الرجل الثالث، أخرج جينتري المطواة من حلقه ووصل أخيراً إلى المسدس الذي يُحكم عليه قبضته الميتة.

استطاع أن يمسك بالمطواة، لكن الجثة اصطدمت بالعميل الثالث بيده الميتة التي لا تزال تمسك المسدس بقوة.

الآن يقف جينتري بين قاتلين حيَّين، كلاهما مسلح، كل منهما على بعد أقل من عشر أقدام منه. خلف كورت كان المسلح ملقى على الأرض. من المؤكد أنه كان يزحف ليتمكن من التصويب، أمام كورت الرجل الذي كان لا يزال واقفاً، والآن يدفع شريكه الذي يتقيأ دماً بعيداً عن طريقه حتى يتمكن من إعادة التصويب على هدفه.

نفض كورت مطواطه فأمسك بالشفرة، وسرعان ما ألقاها نحو المسلح الواقف. ضرب النصل بشكل مثالي، ودفن في محجر عين الرجل اليسرى. تدفق الدم، وأسقط العميل مسدسه ليضع كلتا يديه على المطواة، ثم سقط على ركبتيه.

لم يتبه جينترى إلى الخطر المحدق به من الخلف، بل تقدم إلى الأمام بذراعين ممدودتين، في محاولة يائسة لوضع يديه على السلاح النارى. وقبل أن يصطدم بالأرض، اخترقت رصاصة أخرى الممر. لم يشعر بأى تأثير، حيث افترض أن العميل الذي يقف خلفه كان يستهدف ظهره، لكنه أخطأ بسبب قفزته على الأرض.

ارتطم كورت بالبلاط البارد وإنزلق إلى الأمام، ثم رفع مسدس المسلح الثالث. كان الرجل الذى غرزت المطواة في عينه قد جثا على ركبتيه، يحتضر، ولكنه لم يمت بعد، ويصرخ بشدة. استلقى جينترى على ظهره بجانبه، واستدار لإطلاق النار على آخر عدو لا يزال في القتال. كان لهذا الرجل نصف فرصة لإطلاق النار لكنه تردد، إذ كان كورت يقف بجانب شريكه.

ومع ذلك، لم يتردد الرجل الرمادي، وأطلق رصاصة تلو الأخرى في أثناء انبطاحه على الرجل المسلح بين ساقيه الممدودتين، وشاهده وهو يتربع ويسقط ميتاً. عندما تأكد كورت أن الرجل الوحيد على قيد الحياة هو الرجل المصاب بجانبه والمطواة في عينه، وضع فوهة المسدس في صدغه، وضغط على الزناد دون تردد.

وقف الأمريكي فوق جثث ثلاثة رجال ممددة في الممر الأبيض الساطع. تلطخ الحائط ببقع الدم، وتسربت من الجثث برك من الدماء بلغت قدميه. شعر بصفير في أذنيه وألم نابض في جرح فخده.

لقد كشفوا أنفسهم في المقهى. أدرك أنهم عملاء فيما يزيد قليلاً على ثانية واحدة عندما دخلوا من الباب، ولاحظ وميضاً لا لبس فيه على وجه الرجل الأول عندما ألقى نظرة على جينترى.

بعد التحقق من التهديد الذي يمثله هؤلاء الرجال الثلاثة، شاهدتهم كورت في انعكاس لمنشور قراءة الشعر، في انعكاس نوافذ المقهى، وفي الشارع في الزجاج الأمامي للسيارات القليلة التي كانت تمر، وفي السلم المؤدي إلى المترو، شعر بهم يقتربون، ثم اقتربوا أكثر في النفق، وعندما بلغ المنعطف الأخير قبل القطارات، كان يعلم أن الوقت قد حان للعمل.

كان كورت أسرع، وأفضل تدريباً، وأكثر بروداً، ولكن عندما وقف فوق الجثث الثلاث، تأكد أن هناك مبرراً واحداً فقط لذبحهم هكذا، واصل نبضه المتسارع ضخ الدم.

يا لسوء الحظ التّعس!

لقد قرر هؤلاء القتلة التوقف لتناول القهوة قبل أن يتمركزوا خارج فندقه، وصادف وجود كورت في المقهى عندما وصلوا إلى هناك. وحدثت كل الأشياء الأخرى بعد ذلك تباعاً.

كان كورت محظوظاً، ويعلم أن الحظ السعيد مكسب. لكنه يعلم أيضاً أن حظه قد يتبدل في لحظة. فالحظ عابر، ومتعسف، ومتقلب. نبش كورت في الجثث بسرعة ودون ذرة ندم. فهو يعلم أن أوائل ركاب الصباح سيظهرن قريباً، وإنما سيتجهون نحو القطارات أو سيهربون منها. بعد أقل من ثلاثين ثانية من آخر طلقة نارية، كان مع الرجل الرمادي مسدس تشيكى الصنع، ومجموعة صغيرة من اليورو والкроنة.

بعد دقيقة واحدة، كان قد عاد إلى الشارع، وارتدى سترة قماشية أخذها من أحد الرجال، في حين تكفلت الأمطار بإخفاء الدماء عن سرواله البني. مشى تحت الضباب، بخطى حثيثة، لكن من دون تسريع، نحو محطة للحافلات بالقرب من جسر تشارلز. كان يعرج قليلاً في أثناء مشيه، لكن لم يميزه شيء آخر عن الحشود المتزايدة من الناس في الشارع، حيث كان كل منهم يبدأ تنقلاته اليومية.

عرض على فيتزروي غرفة صغيرة مع سرير نقال، لكنه رفض، وكان يغفو غفوات متقطعة في غرفة الاجتماعات على كرسي دوار عالي الظهر.

انتقل الفني من جهاز إلى آخر بهيئته المنحنية، وأجرى لويد مكالمة تلو الأخرى على هاتفه المحمول، بينما وقف رجال الأمن خارج الغرفة وداخلها طوال الليل.

في السادسة والنصف استيقظ السير دونالد، واحتسى القهوة السوداء حين نادى الفني لويد عبر الغرفة: «سيدي. الألبان لم يسجلوا وصولهم».

جلس لويد على كرسي مقابل فيتزروي يشرب القهوة ويحدق إلى خريطة براغ. نظر إلى رجله، ثم هز كتفيه وزم شفتيه. «يصعب تسجيل الوصول عندما تكون ميتاً».

كان الفني ما زال متفائلاً: «لا يمكننا التتحقق بعد».

لم يكن لويد ينصل، في الغالب يتحدث إلى نفسه. قال: «سقط واحد، تبقى أحد عشر. هذا سريع».

ابتسم فيتزروي وهو يشرب فنجان قهوته، ولاحظ لويد ذلك. نهض واقفا على قدميه، ودار حول الطاولة المصنوعة من الماهوجني، وجثأ أمام السير دونالد ثم قال بصوت خفيض: «قد نبدو أنا وأنت خصمين، لكن لدينا الهدف نفسه هنا. إذا كنت تحتفل سرّاً بانتصار الرجل الرمادي، فتذكر أنه كلما اقترب من هدفه زادت المخاطر. وكلما اقترب من قبره كان ذلك أفضل لك ولابنك وزوجة ابنك وبناتيك الصغيرتين الغاليتين».

تللاشت ابتسامة السير دونالد.

بعد أكثر من ساعة، رنّ هاتف فيتزروي المتصل بالقمر الصناعي. صمت كلّ من لويد ورجاله على الفور، وبعد الرنة الثالثة مباشرةً ضغط السير دونالد على مكبر الصوت:

ـ كورت؟ كنت أحاول الاتصال بك، كيف حالك؟
ـ ماذا يجري بحق الجحيم؟
ـ ماذا تقصد؟

ـ فرقة قتل أخرى حاولت القضاء على لتواها.
ـ أنت تمزح.
ـ هل أمزح؟

ـ لا يبدو هذا على الإطلاق. من كانوا؟
ـ أنا واثق أنهم لم يكونوا نيجيريين. ثلاثة رجال بيض، بدوا من وسط أوروبا. لم يتبنّ لي التحقق من وثائق هوياتهم، كانوا ماهرين، ربما لم يحملوها على أي حال.

ـ لا بد أن أبا بكر ما زال يستخدم مأجورين. ليس غريباً بالنظر إلى موارده الواسعة. هل أصبحت على أي نحو؟

ـ نعم، أنا كذلك، ولكن ليس بسبب المهرجين. لقد تلقيت رصاصة في فخذي في الطائرة صباح أمس.

ـ تعرضت لإطلاق نار؟
ـ لا يهم.

أخذ لويد المفكرة سريعاً، وراح يدون هذه المعلومات.
ـ يابني، كانت هناك تعقيدات.

ـ تعقيدات؟ اضطررت إلى القضاء على ثمانية رجال في الثمانين والعشرين ساعة الماضية؛ بسبب بعض الخرق في شبكتك. أنت محق تماماً بحق الجحيم كانت هناك تعقيدات!
ـ النيجيريون يعرفون أنك تعمل لدى.

توقف الاتصال بالقمر الصناعي للحظة. أخيراً قال جينترى: «تبأ يا دون! كيف حدث ذلك؟».

ـ كما قلتُ، تعقيدات.

ـ إذا فأنت أيضاً في خطر مثلى، إنها مسألة وقت قبل أن يصلوا إليك.
بدا صوت الشاب قلقاً.

ـ لقد فعلوا ذلك بالفعل.

ـ بعد صمت للحظات: سأله: «ماذا حدث؟».

ـ أجاب: «لديهم عائلتى. ابني وزوجته وحفيدتاي».

ـ قال كورت بهدوء: «التوأمان؟».

ـ نعم. إنهم يحتجزونهم في فرنسا، ويقولون إن عليَّ أن أسلمك وإلا
فسيقتلونهم. قبل ثلاثين دقيقة منحوني ثمانى وأربعين ساعة لآتي بك
حيّاً أو ميتاً. لديهم فرق تبحث عنك، لكنهم يريدوننى أن أقدم لهم
معلومات عن مكانك.

ـ وهو ما فعلته على ما يبدو.

ـ لا يا بني، أنا لم أنطق، لقد كشفت في العراق بطريقة ما، راك عميل
نيجيري تستقل الطائرة في تبليسي. لم أخبرهم بشيء، ولا أنوي ذلك.
ـ وماذا عن عائلة ابنك؟

ـ أنا لا أسلم رجالى، أنت أيضاً من عائلتى.

ـ تحولت تعبيرات وجه فيتزروى إلى اشمئاز مؤلم من كلماته، لكنَّ
عيني لويد اتسعتا بشكل كبير في دهشة من قدرة الرجل الإنجليزي
الأكبر على التملق والخيانة في وقت واحد. كان فيتزروى يعزف
ببراعة على ما تبقى من مشاعر قاتله. لكن لويد كان يحفظ ملف
جينترى عن ظهر قلب، وكان يعلم ما سيحدث بعد ذلك.

ـ أين يحتجزونهم؟

ـ في قصر في نورماندي، بفرنسا، شمال بلدة بايو.

- منحوك ثماني وأربعين ساعة؟

- أقل من ثلاثين ساعة. الموعد النهائي في الثامنة من صباح يوم الأحد. يقولون إن لديهم صلات بالشرطة الوطنية الفرنسية؛ أي تلميح إلى عملية هجومية على موقعهم سيؤدي إلى مذبحة.

- نعم، رجال الشرطة لن ينفعوا في شيء. لدى فرصة أفضل إذا ذهبت بمفردي.

- كورت، لا أعرف ما الذي تفكر فيه، لكن من الخطر الشديد عليك أن تحاول أي...

- دون، ثق بي. أفضل ما يمكنني فعله هو الوصول إلى هناك وتنظيف هذه الفوضى بمنفسي. أريدك أن تعطيني كل المعلومات الممكنة عن هيكل قوتهم، لا تفصح عن أي معلومة عنني، وسأستعيد عائلتك.

- كيف؟

- بطريقة ما.

هذه المرة كان دور السير دونالد للتوقف. فرك عينيه بأصابعه الغليظة وقال ببطء: «سأظل مديناً لك إلى الأبد يا فتي».

قال: «كل شيء في وقته يا رئيس». ثم انقطع الخط.

لوح لويد بقبضته في الهواء انتصاراً. والتفت إليه فيتزروي قائلاً: «سأحضر لك الرأس الذي تبحث عنه، لكن عليك الالتزام بالصفقة حتى نهايتها».

سير دونالد، لا شيء يسعدني أكثر من أن أسحب رجالي وأتركك أنت وعائلتك وشأنكم.

عمل كورت جينترى عميلاً خاصاً لأربع سنوات، قبل ذلك كان في جولف سيراً أو ما يعرف بفرقة الأشقياء، وقبل هذا كان ينفذ عمليات بمفرده لصالح الاستخبارات الأمريكية، على الرغم من وجود بعض عملاء الوكالة شديدي الذكاء، فإن جينترى أمضى أغلب حياته بمفرده. طور - بلا شك - العلاقات الالزمة لإجراء مهامه في فترة اختيائه، لكن هذه المعاملات كانت عابرة وقائمة على مجموعة من الأكاذيب. كانت حياته تزدهر في البرد. لم تكن هناك سوى فترة واحدة في السنة عشر عاماً الماضية لم يكن فيها كورت قاتلاً، ولم يكن جاسوساً، أو شخصية غامضة تتحرك داخل المشهد وخارجها. قبل ذلك بعامين، وأقل من شهرين، عين فيتزروي الرجل الرمادي في وظيفة مميزة تماماً عن أي شيء آخر في سيرته الذاتية، إذ تولى كورت منصباً في الحماية الشخصية القريبة، إذ عمل حارساً شخصياً لحفيدتي السير دونالد.

كان والدهما، نجل السير دونالد، مطروراً عقارياً ناجحاً في لندن. لم يتبع خطى والده في عوالم الاستخبارات الغامضة. لقد كان رجل أعمال نزيهاً، وعمل وفقاً لقواعد العمل. ومع ذلك، تورط فيليب فيتزروي مع بعض جوانب العالم السفلي الباكستاني، وذلك أمر له علاقة بضغط شركته ضد اقتراح من البلدية، الذي كان سيسمح بمزيدٍ من العمالة غير المعتمدة وغير المؤهلة في موقع البناء الخاصة به.

اعتراض فيليب فيتزروي أن من الأفضل للجميع في لندن أن يتولى العمال المدربون جيداً فقط أمر بناء المساكن ومراكيز التسوق، لكن العصابات الباكستانية ظلت تبتز السكان غير المسجلين لسنوات،

فقرروا استقطاع مقابل أكبر من المهاجرين، ما داموا سيحصلون على وظائف برواتب أعلى.

بدأ الأمر بتهديد عبر المكالمات الهاتفية. كان على فيليب أن يتراجع ويتوقف عن حملة الضغط. عثرت زوجة فيليب، إليز فيتزروي، على قنبلة أنبوبية مزيفة في صندوق البريد، أجرت شرطة سكوتلاند يارد تحقيقاً. فرك المحققون الواجهون ذقونهم، ووعدوا بتكتيف جهودهم. واصل فيليب معركته ضد قانون العمل، فناله المزيد من التهديدات، ووضعت الشرطة أمام منزلهم في بلدة ساسكس جاردنز سيارة مع ضابط يغلب عليه النعاس.

كانت إليز تنظف حقيبة ظهر كيت البالغة من العمر ست سنوات بعد ظهر أحد الأيام بينما تشاهد الفتاتان التلفاز. ساحت ورقة مطوية من جيب خارجي، معتقدة أنها رسالة إلى المنزل من السيدة بيلي. فتحتها، كانت مكتوبة بخط سيئ وحروف كبيرة للغاية: «يمكنا أن نحصل عليهما في أي وقت نشاء. توقف يا فيل!».

هافت إليز فيليب في حالة هisteria، واتصل فيليب بالسيد دونالد ولم يكن أقل هisteria، وبعد سبع ساعات وصل السيد دونالد إلى الباب ويرفته رجل أمريكي.

لم يكن اليانكي⁽¹⁾ كبيراً ولا صغيراً، لكنه كان هادئاً، ولم يرفع بصره كثيراً. اعتقدت إليز أنه كان في أواخر العشرينيات من عمره. وافتراض فيل أنه ينافر الأربعين. كان يرتدي الجينز، وحقيقة ظهر صغيرة لا تفارق كتفه أبداً، وسترة فضفاضة افترض فيليب أنه يخبئ تحتها أدوات خطيرة للحاق الأذى بالآخرين.

(1) لقب يطلق على الأميركيان.

جلس فيتزروي مع إليز وفيليب في غرفة الرسم، بينما انتظر الرجل في الردهة. قال للوالدين القلقين إن الرجل اسمه جيم، وإنه تقريباً الأكثر براءة في مجاله على مستوى العالم.

سأل فيليب: «ما هذا بالضبط يا أبي؟».

ـ دعني أخبرك أنه أفضل لك من اصطفاف الشارع كله بالشرطة لدرجة الانفجار، لست أبالغ.

ـ لا يبدو بهذه البراءة يا أبي.

ـ هذا جزء من وظيفته، إنه متخفّ.

ـ أبي، وكيف يمكننا أن نتعامل معه بحق الجحيم!ـ قدم له شطيرة بضع مرات يومياً، وأبقي إناء القهوة في المطبخ ساخناً، ثم انسَ أنه موجود.

لكن إليز رفضت أن تعامل الرجل على أنه جماد، لقد كانت مهذبة، وووجدته يبادلها الرد بلطف. لم ينظر إليها يوماً، أكدت ذلك عندما سألها زوجها، قالت: «إنه ينظر عبر النافذة إلى الشارع، وإلى الحديقة الخلفية، أو عبر الباب إلى غرفة التوأم، لكن لم ينظر إليّ قط، وهذه سمة مشتركة بينكم يا فيليب، ستسجمان معًا كثيراً».

أدى إدخال رجل إضافي إلى أسرة فيتزروي - بلا شك - إلى خلافات بين الزوج والزوجة.

أحبت كلير وكيت جيم، وكانتا تقلدان لهجته الأمريكية، وتكييف هو مع الأمر. كان يذهب بهما إلى المدرسة يومياً بالسيارة الساب، بينما تجلس إليز إلى جواره. ذات مرة مازحته كيت الصغيرة بشأن قيادته السيئة، وفاجأ الأم والابنة بأن انفجر ضاحكاً، واعترف بأنه يسافر عادة بالقطار أو الدراجة النارية. وفي ثانية واحدة عاد وجهه إلى جموده المعتمد، مثبتاً عينيه مرة أخرى على المرايا والطريق أمامه. لقراة الشهرين لازم الفتاتين في كل لحظة كانتا فيها مستيقظتين، وكان ينام على سرير صغير أمام باب غرفتها. أنت لحظة الإثارة

الوحيدة في الأشهر الثمانية يوم الأحد في الطريق إلى السوق، عندما أعاقت الطريق حادثة سيارة، فتوقفت حركة المرور، حينئذ دفع جيم السيارة على الرصيف. فتح معطفه الرياضي، ورأى إليز كعب مسدس تحت ذراعه. قاد السيارة على الرصيف بيده اليسرى، وسط الحشد المتدافع، بينما كانت يده اليمنى تمسك المسدس الموضوع في الجراب المعلق على كتفه. بعد عشر ثوان كانوا في أمان. لم يقل لهن كلمة واحدة، كما لو كانت رحلة قصيرة أخرى فحسب يوم الأحد لتناول الحليب والكعك. بينما حدقت إليه الأم والطفلتان بعيون متسمة طوال بقية الرحلة.

ثم رحل ذات صباح. ترك اللحاف مطويًا على الفراش الصغير وفوقه الوسادة. نشرت الصحف أن رجال الشرطة ذوي الوجوه الصارمة في سكوتلاند يارد ألقوا القبض على رجال العصابات الباكستانيين، وكان الخطر قد انتهى، فأرسل السير دونالد رجله الأمريكي بعيداً.

تنفس فيليب وإليز الصعداء في ذهول حين زال التهديد، وسقط القانون السخيف. لكن الفتاتين الصغيرتين بكتا عندما أخبرهما والدهما أن العم جيم يجب أن يعود إلى أمريكا، لا. ليس من المحتمل أن يعود.

بعد أقل من ساعة من مكالمته مع فيتزروي اشتري كورت دراجة نارية، كانت **86 هوندا سي إم 450** بمحرك قوي، وإطارين يوحيان بقدرتها على تحمل يومين من العمل الشاق.

كان البائع فتى محلياً يعمل في محطة وقود على طريق سيبيروف جنوب شرق براغ. لقد اشتراها دون أوراق، عملية نقدية فحسب. بضع مئات إضافية من الكرونات لقاء خوذة وخريطة وبعدها أصبح كورت على الطريق.

لم يتردد للحظة منذ أغلق الخط مع دون. كان يعلم أن أمامه يوم سفر أو أكثر إلى نورماندي، يمكنه تجهيز خطة في أثناء التنقل، وفي طريقه سيتابع مع فيتزروي. لا، لا يوجد وقت للجلوس على مقعد في الحديقة هنا على بعد ستمائة ميل من أجل التفكير.

بعد شراء الدراجة النارية، عرج على مخبئه الخاص للأسلحة، في منطقة سكن بالإيجار طويل المدة، على بعد أربعة أميال من جنوب وسط المدينة. اضطر إلى كسر القفل بعد أن أضاع مفتاح الباب. يمكنه الآن تسميع رقم بطاقة الائتمان المستخدمة في دفع إيجاره الشهري إذا جرى استجوابه ولن يسمعه أحد. لقد أنشأ المخبأ منذ ما يقرب من ثلاثة سنوات، ولم يعد إليه سوى مرة واحدة فقط، والآن أصبحت الغرفة الصغيرة المظلمة مغبرة ومتعرجة وباردة. كانت مساحتها ثمانية أقدام مربعة، فارغة باستثناء أربعة أكياس من القماش الخشن مكشدة بعضها فوق بعض، كل واحدة ملفوفة في كيس قمامنة أبيض يغطيه الغبار.

احتوى المخبأ على مسدسات وبنادق وذخيرة، وملابس وأغذية معلبة وإمدادات طبية. ألقى في إحدى الحقائب المسدس التشيكى، الذي التقى به في معركة الأسلحة النارية في المترو. وأخذ مسدس والتر (P99) صغير وخزنتين إضافيتين.

كان السلاح نظيفاً ومزيناً بعناية، لكن لم يمنعه هذا من فحص الذخيرة وشريحة التشغيل وإبرة الإطلاق. متجاهلاً بقية بنا دقته. كان يعلم صعوبة أن يعبر الحدود إلى الاتحاد الأوروبي وعلى ظهره ترسانة من الأسلحة.

يكفي المسدس.

بعد ذلك، مزق العدة الطيبة فاتحاً إياها، وأنزل سرواله، وجلس على الأرض الباردة المتتسخة. أدرك من خربشة جرذ على الجدران الألومنيوم مدى سوء هذه الظروف. لقد فحص إصاباته التي أصيب بها

منذ يوم واحدٍ باحتراافية مذهلة، لم يُصب كورت بالرصاص من قبل، لكنه أصَيب بعشرات الإصابات الأخرى في أثناء عمله.

آلمته ساقه لدرجة لا تُحتمل، لكنه تعرض لإصابات أسوأ من الحروق وكسر العظام، وقتل الشظايا في رقبته، هكذا كانت متطلبات وظيفته. سكب رذاذا غزيراً من اليود حول الجرح، ومنزق رزماً مفتوحة من الضمادات وكريم مطهر، وضمد إصابته قدر الإمكان في الإضاءة المنخفضة، ثم كَوَمَ كل إمداداته في كيس صغير دَسَّه في جيده.

في الحقيقة السميكة الثانية وجد معدات الطقس البارد. بدأ ملابسه الخفيفة ليرتدي سروالاً قصيراً سميكاً، لونهبني ملطفخ بالدهون، وقميصاًقطنِياً وسترة قماشية سميكة. ارتدى زوجاً من قفازات العمل على يديه فتولياً تدفعة أصابعه على الفور، وحذاء تنزه جلدياً، وقبعة سوداء يمكن سحبها إلى أسفل عند وضع قناع التزلج على رأسه. أغلق كل حقائبه، وتركها كما وجدتها، وأغلق الباب، واستقل دراجته النارية مرة أخرى.

بعد دقائق وجد نفسه عند مفترق طرق جنوب المدينة. على بعد ساعات قليلة من الغرب كانت الحدود الألمانية، ثم الحدود الفرنسية، ثم نورماندي.

تنهد إذ يizar صوت محرك دراجته النارية. وخرج البخار من زفيره في قناع التزلج المصنوع من الألياف الدقيقة ليغطي فمه. لو كان الأمر فقط بهذه البساطة!

لا، كان عليه أن يتوقف عدة مرات ضرورية على الطريق. احتاج جينترى إلى بعض المعدات قبل وصوله إلى نورماندي. كان يعرف أين يحصل على ما يحتاج إليه، لكنه يعلم أيضاً أن الأمر سيستغرق نصف يوم إضافياً على الطريق.

أولاً، يحتاج كورت إلى «هروب» جديد، وأوراق هوية مزورة جديدة. لا يزال يحمل جواز السفر الذي استخدمه للدخول إلى جمهورية

التشيك، وكان يعرف أنه سيصل به إلى أوروبا الوسطى، حيث لم تكن جميع عمليات الهجرة الخاصة بهم محسوسة ومدمجة بعد.

لكنه كُشف مرة واحدة باسمه المزيف مارتن بالدوين، الصحفي الكندي المستقل. فقط شخص متوفّل يائس أو أحمق هو من قد يستخدمه للدخول إلى الاتحاد الأوروبي، ولم يكن جيتربي هذا أو ذاك. لكن الأهم من دخوله إلى الاتحاد الأوروبي، أنه كان بحاجة إلى هروب سريع بما يكفي لإخراجه من أوروبا عندما يتوقف إطلاق النار. يدرك أن عليه التواري عن الأنظار بعد إتمام مهمته في نورماندي، في مكان بعيد، وستكون أوراق الهوية الجديدة أسهل طريقة لتحقيق هذه الغاية.

يعرف كورت رجلاً في المجر يمكن أن يدبر له الوثائق المطلوبة سريعاً، يمكنه أن يعبر إلى إحدى دول الاتحاد الأوروبي بسرعة، وعلى النحو المطلوب بأوراق سليمة. وإذا اضطر في أثناء رحلته إلى استخراج أوراق أخرى لأي سبب، فيمكنه أن يفعل ذلك بأمان، وفور أن يُنهي مهمته يمكنه أن يتخلص من كل أسلحته وعدته، ويقفز في طائرة متوجهة إلى أمريكا الجنوبية أو جنوب المحيط الهادئ، أو حتى أنتاركتيكا، إذا استمر الضغط الذي يواجهه منذ يومين.

وقته لا يسمح له بالتجول وشراء وثائق مزورة بعد ما حدث في نورماندي، ومن المستحيل أن يغادر القارة دونها.

هبت رياح شهر نوفمبر الباردة من الغرب بينما يسلك طريق E65، وهو الطريق السريع الذي يربط مدينة برنو بسلوفاكيا، وقرب باتيسلافا، ثم جنوباً إلى الحدود المجرية، ومن هناك سيصل سريعاً إلى بودابست، ست ساعاتٍ من السفر، متوقفاً بضع مرات للتزوّد بالوقود، وعند نقطتين حدوديتين بحراسة ضعيفة.

قاد بأقصى سرعة، وانحني في وجه الريح الباردة. أجبر نفسه على التفكير في الثماني والأربعين ساعة القادمة. كان تفكيراً قاتماً،

لـكـه ضـرـورـي وـأـفـضـل بـكـثـير مـن الـبـقـاء فـي الـثـمـانـي وـالـأـرـبـعـين الصـعـبة
الـماـضـيـة.

مـكـتبـة

t.me/soramnqraa

دخل جينترى عاصمة المجر في الثالثة بعد الظهر.

كانت الغيوم الممطرة منخفضة، ولو أنها رمادياً باهتاً، تلامس أطراف تلال بودا الدائرة الخضراء على الجانب الغربي من نهر الدانوب، الذي يقسم المدينة البالغ عدد سكانها أربعة ملايين نسمة. مرت أربع سنوات منذ آخر زيارة لكورت إلى بودابست. حين كانت أول مهمة لحساب فيتزروي، وهي عملية محلية يسيرة ضد قاتل صربي كان قد وضع قبلة في مطعم محلي لقتل مهرب أسلحة، لكنه بذلك قتل أيضاً شقيق رجل أمريكي.

كان لدى الأخ الناجي من تلك الحادثة أموال وعلاقات بعالم الجريمة؛ لذا لم يجد صعوبة في التواصل مع فيتزروي وتوظيف قاتل. وكان أمراً يسيراً بالنسبة لفيتزروي أن يرسل أحد عملائه إلى بودابست ليجد الصربي المعتمدي في بار برصيف الميناء، ويحثه على الشرب، ثم يغرس سكيناً في عموده الفقري، ويترك جسده الميت ينزلق بصمت في مياه نهر الدانوب السوداء.

عرف جينترى أيضاً بودابست قبل ذلك، في أثناء عمله مع وكالة الاستخبارات الأمريكية. كان يدخل ويخرج من المدينة مرة كل عامين منذ نحو عقد من الزمان؛ يتعقب دبلوماسيين، ويدير عمليات مراقبة وخطف لرجال الأعمال الروس المشبوهين في قصور بودا أو فنادق بيست. ذات مرة طارد قاتلاً طاجيكياً استهدف رئيس المقل المحلي للاستخبارات المركزية، إذ لم يكن هناك غيره لتنفيذ المهمة. وخلال عمل كورت في المدينة، خاض عدة جولات مع أحد السكان المحليين، محتال اسمه لازلو سزابو. كان سزابو مخدعاً حقيقةً بلا

أخلاق، يفعل أي شيء لأي شخص يلوح في وجهه بحزمة كافية من الفورنت المجري. تخصص في التزوير وشراء أوراق الهوية وبيعها وتعديلها لمن يريد تغيير هويته بسرعة. لقد ساعد عشرات من مجرمي الحرب الصرب المطلوبين وسط أوروبا على الفرار من محكمة العدل الدولية، وجمع الكثير من الأموال للتخلص من التبعات القدرة الواسعة لتلك الحرب وغيرها. ثم في عام 2004 التقى جيتري عندما وافق على إنشاء أوراق لإرهابي شيشاني تسلل من جروزني وهرب من الروس إلى بودابست في طريقه إلى الغرب، لكن تمكّن كورت وفرقته من الأشقياء من اللحاق بالشيشاني في مستودع يملكه لازلو في إحدى الضواحي.

احتدمت الأمور، وفي المشاجرة انفجر حوض من المواد الفوتوغرافية الكيميائية الخاصة بـ سزابو، مما أسفر عن مقتل الإرهابي. اضطر كورت وفريقه إلى التواري عن الأنظار قبل وصول سيارات الإطفاء، تاركين لازلو يفلت من أيديهم.

بعد ذلك مباشرةً أرسل كورت للإمساك بصيد أكبر، لكنه لم ينس سزابو وظل مطلاً على المزور في حال احتاج إلى خدماته يوماً ما. عادةً ما يستخدم كورت الوثائق من شبكة السير دونالد فيتزروي، ولكن كانت ميزة إضافية أن يعرف رجلاً في بودابست يمكن أن يحوله بالسعر المناسب إلى أي شخص يريد، على الأقل على الورق.

كورت على يقين من أن لازلو سزابو حقير لا يمكن إصلاحه، لكنه يعلم أيضاً أن سزابو بارع في عمله.

كانت الساعة الثالثة والنصف عندما عُبأ كورت خزان الوقود الخاص به، واشتري بوصلة جيروسكوب وعصير ليمون من كشك تركي صغير في شارع أندراسي. وأوقف دراجته على بعد مبني واحد من مخبأ لازلو في بيست، على بعد كيلو متر واحد أو نحو ذلك من شواطئ نهر

الدانوب. تساقطت أوراق مجمرة من المطر البارد، لكن جينترى لم يفعل شيئاً لحماية نفسه من الطقس.

أنهكت عضلاته من يوم طويل بالفعل. بلل المطر شعره ولحيته وملابسها، لكنه أبقاء في حالة تأهب. كان باب مبني لازلو خادعاً. صفيحة حديدية صدئة، قد ثبّتت على مفصلات غارزة في مبني حجري في شارع إيوتفوس أوتكا، تغطيه نشرات إعلانية صفراء ممزقة، وبلغ ارتفاعه نحو خمس أقدام.

بدا الأمر كأن أحداً لم يمر منذ الحرب العالمية الثانية. أنهى كورت لتوه وجبهة التي بلالها الماء، والمكونة من قطع لحم الضأن وصلصة الخيار مطوية في خبز بيتا، عندما انفتح الباب ليحدث صريراً ويخرج رجلان أسودان نحوه. خمن كورت أنهما صوماليان، موجودان في أوروبا وجوداً غير قانوني. من الواضح أن أي شخص لا يستطيع الحصول على أوراق رسمية يأتي إلى لازلو.

لكن كورت يدرك مدى سهولة هجرة الأفارقة والشرق - أوسطيين هجرة قانونية إلى القارة في هذه الأيام. هذان الأحمقان اللذان يمشيان أمامه تحت المطر، بطريقة لا توحّي أنهما حصلاً على أي ختم موافقة دولي من أي نوع، نبئها جينترى إلى أنهما كانوا مشبوهين خطرين.

في لحظة تدبر، أدرك الرجل الرمادي أن عدداً قليلاً من الأشخاص على وجه الأرض مطلوبون أكثر منه، لذلك كان كورت -بحكم طبيعته- ربما أكثر شبهة وخطراً من هذين الصوماليين.

دق جينترى الباب الحديدى الصغير باسطا كفه اليسرى، ويمينه فوق مسدس فالتر في حزام خصره المختبئ تحت سترته المبللة. لم يأته جواب بعد دقيقة، وطرفة أخرى. أخيراً عشر كورت على زر اتصال داخلي بلاستيكى صغير مطوي في أعلى الزاوية اليسرى من المدخل. «سزابو؟ أحتاج إلى مساعدتك. يمكنني الدفع».

جاءه رد مقتضب عبر خط الاتصال الداخلي: «ما توصياتك؟» كانت لهجته مجرية لا لبس فيها، لكن لغته الإنجليزية كانت جيدة، ونبرة صوته الرتيبة، كأنه موظف في محل دهانات. كورت هو خطوة تالية في صف طويل من العلماء الذين وصلوا إلى النافذة للاستفسار عن البصائر.

«أنا أحد رجال دونالد فيتزروي». على الرغم من أن سزابو لم يكن ضمن علماء الشبكة، لكنه كان يعرف بالتأكيد السير دونالد. توقف للحظة امتدت بما يكفي لإثارة قلق كورت، وانتهى بأذى ثم صوت فتح أفال الأبواب التي يجري التحكم فيها عن بُعد. دفع كورت الباب الحديدية بحذر، وانحنى ليدخل إلى ردهة مظلمة تقع خلف الباب، تبعث إضاءتها الطفيفة على بعد خمسين قدماً.

يفضي الضوء إلى مدخل آخر، عثر كورت من خلاله على ورشة كبيرة تشمل على مختبر علمي، ومكتبة واستوديو تصوير. جلس لازلو على مكتب مقابل للحائط، ثم التفت لمواجهة زائره. أرخي سزابو شعره الرمادي الطويل على كتفيه، وكان يرتدي سترة باهتة ذات طابع عسكري، وسرروا جينز أسود، وقميصاً بوليستر مفتوحاً في المنتصف كاشفاً عن صدره النحيل.

يبلغ من العمر ستين عاماً، لكن بالمقاييس الشرقية، أي إن ملامحه توحى بأنه في الثمانين، بينما يبدو جسده في الثلاثين. حياة قوامها الحرفة والمشقة. لقد بدا لكورت كنجم موسيقى الروك المسن الذي ما زال يشعر بتألقه.

حدق إلى كورت لفترة طويلة وقال: «وجه مؤلوف. ربما كنت سأعرفك دون اللحية ومياه المطر؟». كان كورت يعرف أن سزابو لم ير وجهه قط. لقد كان يرتدي قناع بالاكلافا عندما استولى على مخبأ سزابو مع فرقة الأشقياء في عام 2004، بالإضافة إلى أن الظلام كان دامساً، والحركة سريعة ومربيكة.

قال جينتري وهو ينظر في أرجاء الغرفة بحثاً عن أي تهديدات أمنية: «لا أظن».

الأسلك معلقة على الجدران مثل اللبلاب، وبطول الحائط توجد طاولات ورفوف للمعدات وصناديق وكتب وخزائن الملفات المغلقة، وفي الزاوية استوديو تصوير كامل مع كاميرا على حامل ثلاثي القوائم يواجه كرسيّاً على حامل خشبي.

قال: «أمريكي. عمرك خمسة وثلاثون عاماً، طولك 180، وزنك 71 كيلوجراماً، لا يبدو من سلوكك أنك جندي أو شرطي، وهذا أمر جيد».

تذكر كورت شذرات من ملف الرجل. درب السوفيت سزايو على المراقبة الإلكترونية والتزوير وغيرهما من الفنون السوداء غير المميتة. استخدمه الروس للتجسس على شعبه، لكنه عمل لمصلحة لكلا الفريقين، وأعطى موسكو معلومات عن مواطنه، بينما يوفر للمقتدرين من أهل وطنه المجرمين فرضاً للهروب عبر الستار الحديدي⁽¹⁾.

كانت مساعدته الهامشية والمشروطة وغير المخلصة لشعبه كافية لإبعاد السكين عن صدره بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، على الرغم من أن جينتري يذكر أنه قرأ ذات مرة كيف تعرض لازلو للأذى انتقاماً من ارتباطه بموسكو.

قال كورت: «أنا فقط رجل يحتاج إلى بعض ما تبيع وبسرعة». وقف لازلو ومدينه نحو عصا مستندة إلى المنضدة. اتكأ عليها بشدة وهو يقطع الغرفة باتجاه زائره. ولاحظ كورت جسد المجري

(1) : حدود سياسية قسمت أوروبا إلى منطقتين منفصلتين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية في عام 1945 وحتى نهاية الحرب الباردة في عام 1991.
(المترجم)

المتهدل، وعرجه الشديد. لقد اشتدت هذه الإصابة منذ أن رأه آخر مرة قبل خمس سنوات.

استغرق سزابو الكثير من الوقت حتى صار أمام كورت، وانحنى مفترئاً منه قدر ما استطاع. وضع يده على ذقن الأميركي وأدار رأسه يميناً ويساراً.

سأله: «أي منتج تريده؟».

- جواز سفر سليماً، وليس مزيفاً، أحتاج إليه الآن. سأدفع ثمن أي متاعب إضافية.

أومأ لازلو برأسه. وسأله: «كيف حال نوريس؟».

- نوريس؟

- ابن السير دونالد فيتزروي بالطبع!

- تقصد فيليب.

- نعم. أما زال لدى السير دونالد مكان صيفي في برايتون؟

- لا أعرف هذا.

اعترف سزابو في خجل رافعاً كتفيه: «ولا أنا صراحة». قال كورت: «أتفهم حاجتك إلى إثبات حسن نيتها، لكنني في عجلة من أمري». أومأ سزابو برأسه، ومشى وهو يعرج حتى وصل إلى مقعد صغير من بين عشرة في الغرفة وكل واحد أمام طاولة أو مكتب مختلف مغطى بأجهزة كمبيوتر، وميكروسكوبيات، وأوراق، وكاميرات، وغيرها من المعدات.

- فيتزروي لديه شبكة الخاصة. وسطاء خصوصيون للتوثيق. ما الذي أنزله للتعامل مع لازلو؟ - أحتاج إلى شخص بارع، شخص سريع. الكل يعلم أنك الأفضل. أومأ المجري برأسه.

وقال: «ربما هذا تملق فحسب، لكنك محق تماماً. لازلو الأفضل». استرخي سزا ابو ثم أردف: «سانفذ عملاً رائعاً من أجلك، ربما يمكنك أن تخبر فيتزروي بهذه الخدمة. قل عن لازلو خيراً.. أنت تفهم». كان كورت يكره من يشيرون إلى أنفسهم بصيغة الغائب. لكنه معروف أيضاً بكونه مهذباً إذ اقتضى الأمر؛ لذا قال: «آخر جني من هنا بأوراق سليمة في أقل من ساعة، وسأفعل هذا بالضبط».

سر سزا ابو على ما يبدو، وأوّلأ برأسه وهو يقول: «حصلت مؤخراً على شحنة من جوازات سفر بلجيكية. أرقام تسلسلية جديدة، لم يُبلغ عن سرقتها. شرعية تماماً».

هز كورت رأسه بحزن وقال: «لا. ثلثا جوازات السفر المسروقة في السوق البلجيكية، إنها تخضع لفحص إضافي. أحتج إلى شيء أقل وضوحاً».

قال: «عميل مطلع، أحترم هذا».

وقف لازلو متكتكاً على عصاه، وشق طريقه إلى مكتب آخر. كان يضغط بأصابعه على دفتر صغير مليء بخرشة قلم رصاص، ثم رفع بصره وقال: «نعم. أفترض أنك يمكن أن تمر ككيوي⁽¹⁾. كان لدى القليل من جوازات السفر النيوزيلندية لفترة طويلة. معظم زبائني هذه الأيام أفارقة أو عرب.. لا يمكن الإمساك بكوي، وبالطبع كما قلت، ٩٧ عليها وقت طويل، لكن لازلو يمكنه معالجة الرقم التسليلي عندما أدخل معلوماتك دون تشويه الصورة المجسمة، يستحيل تتبعه كونه جوازاً مفقوداً».

قال له: «لا بأس».

(1) بمعنى «نيوزلندي» مشتق من طائر الكيوي الذي لا يطير، وهو رمز وطني لنيوزيلندا.

جلس سزابو مرة أخرى وتنهد بعمق، ما أوحى لجينتري أن الحركة كانت متعبة وغير مريحة له.
أخبره: «خمسة آلاف يورو».

أومأ جينتري برأسه، وسحب المال من حقيبته وأظهره إلى لازلو، لكنه لم يسلمه له.

ـ ماذا عن مظهرك؟ يمكنني تصويرك كما أنت، أو يمكننا عمل شيء أكثر احترافية.

ـ أود أن أغتنس أولاً.

ـ لدى حمام لتستحم وشفرة حلقة ومعطف بذلة ورابطة عنق تناسبك. جهز أنت نفسك، بينما ينجز لازلو الأوراق.

مشى كورت في الردهة، وشق طريقه إلى الحمام الذي تفوح منه رائحة عفن بشري. كان الحمام مجهزاً بالصابون وشفرات الحلقة والمقص، كلها مصممة للعملاء والمهاجرين غير الشرعيين وال مجرمين الذين يحتاجون إلى إخفاء قبحهم لبعض دقائق، من أجل التقاط صورة توحّي لرجال الشرطة ووكلاء مراقبة الحدود أنهم اللورد الصغير فونتلروي⁽¹⁾.

لأول مرة منذ ثلاثة أشهر يحلق جينتري لحيته. لقد وضع مسدسه الفالتر على الرف الصغير بجوار الشامبو وشفرات الحلقة، ومع انتهاءه من الاستحمام كان المسدس قد غطته الرغوة. نظف جينتري بقايا حلاقته، إذ رأى أن كل شعرة بنية دليل على حمضه النووي، لذلك أمضى وقتاً أطول في جمع لحيته أكثر مما أمضى وقتاً في حلقاتها.

(1) : رواية للكاتبة البريطانية فرانسيس هودجسون بورنيت. تُشرت في عام 1886. تُمتعت بذلة فونتلروي التي أبرزتها رسومات الرواية بشعبيّة كبيرة في أمريكا بعد نشر الرواية، وكانت من الأزياء الرئيسة للأولاد حتى في القرن الحادى والعشرين.

نظر إلى نفسه في المرأة إذ يمشط شعره البني إلى اليمين فيجف بالتدريج. كان وجهه يشيخ، حُفرت في جلده تجاعيد من أثر الشمس والرياح والحياة نفسها. يمكنه أن يميز ما فقده من وزن منذ بدأ عملية سوريا، ومن الفراغات الدكناه الرخوة أسفل عينيه.

ذات مرة عندما كان في السادسة والعشرين من عمره لم يتم لأربعة أيام، بينما يترصد عميلاً في موسكو، وتعقبه حتى منزله الريفي، وهناك تعطلت سيارة كورت اللادا الحقيرة ذات البابين في الثلج، فاضطر الرجل الرمادي إلى مواصلة التحرك براكبي لا يتجمد حتى الموت. الآن وهو في السادسة والثلاثين من عمره، يشعر أن حالي أصبحت أسوأ بعد أربعة أيام من العمل، عكس ما كان عليه حينها، عندما أخرجه فريق الإجلاء شبه متجمد ونقلوه إلى المروحة.

بعدما جفف نفسه، ارتدى سرواله المبلل بالمطر مرة أخرى، وكان حذراً لثلا يغير مكان الضمادة المبللة على ساقه، أوثق ربط حزامه مرتدياً جوربيه وحذاءه العالي. ارتدى قميصاً أبيض تركه له لازلو، لكنه كان ضيقاً عند الرقبة، وعقد رابطة العنق الرخيصة بحذر عقدة كبيرة تغطي اليافة، وسترة زرقاء توحى أن ثمة كرتوناً محشوّراً عند كتفيه. لم يسع إلى إغلاق أزرارها، أنزل كورت المسدس على ساقه، وألقى الطلقات الإضافية وسكيته السويسري في جيده، ثم عاد إلى معمل لازلو.

جلس سزا بو أمام طاولة رسم على كرسيه المتحرك، وقد انحنى أمام جواز سفر مفتوح ممسكاً بشفرة، ثم رفع بصره لينظر إلى زبونه مطولاً وقال: «يا له من تحول!».

ـ أجل.

ـ من فضلك، اجلس لالتقطان الصورة.

كان هناك مقعد بلاستيكي صغير على حامل أمام خلفية زرقاء معلقة في السقف، وكاميرا رقمية على حامل ثلاثي، وقد اتصلت بجهاز كمبيوتر على مكتب قريب.

صعد كورت على الحامل الخشبي الأجوف، وجلس على المقعد متحسّناً سترته ورابطة عنقه، بينما سحب سزاابو الكرسي المتحرك خلف الكاميرا قائلاً: « علينا أن نفك في اسم جديد لجواز السفر، اسم كيوبي جيد».

أجابه: «سأترك الأمر لك. أي اسم جيد».

ومضت الكاميرا، فشرع جينتري في النهوض.

قال له: «صورتان آخرتان من فضلك».

عاود الجلوس.

-لديّ اسم لك. لا أعرف إذا كان سيعجبك.

-أي شيء.

-إنه لامع، درامي وغامض.

-حسناً، لا أعتقد أنني بحاجة إلى...

-لماذا لا نسميك الرجل الرمادي؟

حدق جينتري بهدوء إلى الكاميرا وهي تومض في وجهه. تباً!

حملق سزاابو إلى وجهه. بدأ جينتري ينهض، شعر بحركة في مقعده، إذ ينقل وزنه إلى قدميه، لكن شعر أن كعبيه يسقطان، قبل أن يتمكن من الرد، طارت ذراعاه إلى جانبيه، وارتقت سترته المستعارة على رقبته، ورأى ركبتيه مرفوعتين أمام عينيه.

كان يسقط إلى الوراء، وكان الكرسي البلاستيكي يتزلق معه. اختفى الضوء من حوله، وسقط في الظلام. في النهاية هبط على جانبه، وخفف من وقع سقطته شيءٌ ناعمٌ ورطب.

على الرغم من أن التأثير خفته بطانة ما، لكنه لا يزال ينتفض، وكرد فعل هبّ واقفا على قدميه، وسحب المسدس من ساقه، يدور في جميع الاتجاهات لمواجهة أي تهديدات وليرحدد كل وجهاته.

كانت حفرة مبطنة بالطوب، خزانًا من نوع ما. نظر إلى الأعلى فاكتشف أنه سقط في عمق اثنين عشرة قدماً أو نحو ذلك، حيث انفتح الحامل لابتلاعه. وقبل أن يتمكن من الوصول إلى الكرسي، كان قد ارتفع في الهواء، إذ رُبطت ساقه بسلسلة رفيعة، وتربع مرأة أخرى عائداً إلى الحامل ثم اختفى.

أغلق فوقه باب سحري من الزجاج البلاستيكي. وحجز في الحاوية الـ

انحنى سزابو ببطء على الجانب، ونظر إلى أسيره بالأسفل عبر البلاستيك مبتسمًا. صاح جيترى في إحباط شديد: «أنت تمزح!». قال له: «أعتقد أنك مسلح. عادة ما تكون الوحش مثلك هكذا، فكر جيداً قبل أن تطلق النار عندك».

استخدم سزابو طرف عصاه ليضغط على الغطاء الشفاف فوق الحفرة وقال: «بوستان من زجاج شبكي مقوى. ستضطر إلى تفادي شظايا سلاحك». ثم نقر على جبهته بإصبع نحيلة قائلًا: «لا تكن أحمق». ليس لدى وقت لهذا يا سزابو!

- على العكس تماماً، القليل من الوقت هو كل ما تبقى لديك.
ثم توارى سزابو عن ناظريه.

مزق جينترى السترة، ورابطة العنق والقميص، ونظر إلى الحفرة من حوله. كانت دائرة عرضها سبع أقدام، وبيدو أنها نوع من آبار الصرف الصحي القديمة. جدار أسطواني من الحجر شديد الانحدار والزلوجة بسبب العفن، بحيث يصعب تسلقه للغاية. وكانت رائحة المراتب التي سقط عليها كريهة ومتغترة.

كانت هناك مشكلة في الصرف بلا شك. نظر تحت المراتب، واكتشف أنبوب ماء حديدياً قديماً. لف يده حوله فوجده ساخناً. الحمامات الحرارية في بودابست نقطة جذب سياحي. من المحتمل أن هذا الأنبوبي يضخ مياه الينابيع الساخنة من مكان إلى آخر. يندفع الماء من خلاله، يقطر ويتبخر قليلاً ثم يختفي في الحائط. نظر كورت إلى أعلى وحوله. سيكون هذا مكاناً مروعاً للموت. بعد عشر دقائق، عاد سزابو، ووقف فوق كورت وابتسم. قال جينترى: «أياً كان ما تخطط لفعله...».

قاطعه سزابو: «أنا أتذكرك. هل حسبت أنني قد أنسى؟ 2004، وكالة الاستخبارات المركزية.. فريق الوكالة شديد الخصوصية».

كان كورت يعلم أن سزابو لم ير وجهه في العملية في عام 2004 ومع ذلك صاح: «هذا صحيح، وفريق الميداني يعرف مكاني الآن». «هذا مثير للشفقة. لم تعد مع الوكالة. – أين سمعت هذا؟

اختفى المجري الستيني دقيقة ثم عاد فوق الحفرة، ووضع ورقة ووجهها إلى أسفل على الرجاج على ارتفاع ست أقدام فوق رأس السجين. نظر جينترى إلى وجهه، صورة قديمة التققطها وكالة

الاستخبارات المركزية لبعض الوثائق. وفوق الصورة كانت عبارة «يطلبه الإنتربول للاستجواب». كانت صورة ووصفاً فحسب. لم يُذكر اسمه.

ـ تمترس رجال الحكومة الأمريكية في سيارة بالخارج في الشارع لمدة سبعة أيام أسبوعياً طوال عام كامل بعد أن، دعنا نقل، استقلت من منصبك في الوكالة. لقد اعتقدوا في الواقع أنك ستأتي إلى لازلو طلباً للمساعدة. لقد أضر وجودهم بعملي أيها السيد الرمادي.

ـ سزابو، هذا أمر جاد. حسناً أنا أعرفك جيداً، وأعلم أنك ستسمح لي بأن أدفع ثمن خروجي. فقط حدد السعر. ويمكنني الاتصال برجل ليدير المال... .

ـ السير دونالد لا يقدر على ثمن إنقاذه. لا أريد ماله. نظر جينترى إلى الرجل فوقه وقال بصوتٍ منخفض: «أكره أن أؤذى شخصاً مثلولاً».

ـ أنت من أصابني بالشلل!

ـ عمَّ تتحدث؟

ـ لقد أطلقت النار على غرفتي المظلمة. ظنت أنني سأنسى؟

ـ أنا لم أطلق النار عليك.

ـ لا، كنت تطلق النار على الشيشاني، فأصبحت حاوية من كبريات الأمونيوم، وأوقيت المسحوق في حوض من الألومينيوم المذاب، فوقع الانفجار! الشيشاني يقطر من السقف، ولازلو الفقير العاجز يحترق، وتضررت أعصاب الجزء السفلي من جسده بسبب استنشاق الأبخرة السامة.

ـ هز كورت كتفيه استهجاناً وقال: «هذا هراء. ذنب من هذا؟ كنت تساعد إرهابياً على دخول الغرب. كان يجب على وكالة الاستخبارات المركزية أن تعيني للتخلص منك».

أجابه: «ربما كان ينبغي أن يفعلوا ذلك، لكنني منذ ذلك الحين أقمت صداقات مع رجال طيبين في وكالة الاستخبارات المركزية. بعد أن جاءني مكتب التحقيقات الفيدرالي للتتحدث معي، جاءت الوكالة، كانوا هم من أخبروني أنك كنت قائد المجموعة التي فجرت مستودعي ودمرت سامي. صدق أو لا تصدق، في هذه الأيام، علاقة العمل بين محطة الاستخبارات المركزية المحلية ولازلو جيدة نسبياً».

ـ ولماذا لا أصدق هذا؟ لطالما لعبت على كل الحال.

ـ أعتقد أن علاقتنا ستتحسن الآن بعد أن اتصلت بهم وأخبرتهم أنني قد أسرتك. إنهم في طريقهم إلى هنا لاصطحابك.

انتفضت عضلات وجه جينترى وقال: «قل لي إنك لم تفعل هذا».

ـ بل سأسلمك إلى الاستخبارات المركزية مقابل هدنة بسيطة. علاقتنا معقدة لدرجة أن تسلimi لهدفهم الأول لن يجعل حياة لازلو أسهل.

ـ كم تبقى من الوقت حتى يأتوا إلى هنا؟

ـ أقل من ساعتين. رئيس المحطة يجهز طائرة هليكوپتر مليئة بالفرق الثقيلة من فيينا لاعتقالك. قلت له إن سمعتك مبالغ فيها، في النهاية أمسك بك لازلو العجوز الضعيف بنفسه، لكن هذا لم يردعه. أنت بحاجة إلى عملية كبيرة فقط للإمساك بك. عليك فقط أن تسلi نفسك في هذه الأثناء إلى حين...

ـ لازلو، عليك أن تنصت إلى بحذر.

ـ ها! إنه يرتجف! انظروا إلى الرجل الرمادي يرتجف كالطف...

ـ إنهم لن يرسلوا فريقاً ليأخذني بعيداً، بل سيرسلون فرقة من القتلة. هناك أمر صادر ضدي بإطلاق النار عليٍّ فور رؤيتي. وعندما يأتون إلى هنا للقضاء عليٍّ، لا تتوقع منهم أن يرحلوا تاركين وراءهم شاهداً. هذا ليس أسلوبهم في العمل.

ـ مال لازلو برأسه، وبذا أنه يفكر في الأمر ثم قال: «لن يؤذوني. وكالة الاستخبارات المركزية بحاجة إلى».

قال جينترى: «لقد احتاجوا إليك فقط حتى إجراء تلك المكالمة الهاتفية أيها الودع!».

بدأت أعصاب سزابو تفلت، وصرخ: «كفى كلاماً! إذا كنت تعتقد أن ملك الموت في طريقه إليك، فربما يجب أن تقضي الدقائق القليلة القادمة في طلب المغفرة من الله عن خططياك». رد عليه قائلًا: «وأنت أيضًا».

اختفى وجه لازلو سزابو المتغضن والمرتبك من الزجاج فوق كورت.

رن هاتف السير دونالد فيتزروى في الساعة الثالثة. ضغط لويد على زر مكبر الصوت، على الرغم من أن المكالمة لم تأت من هاتف جينترى الذى يعمل بالأقمار الصناعية.
— أمن شلتهم.

— مساء الخير، أيها السير دونالد. أنا أتصل بخصوص مسألة تجارية مهمة.

— هل أعرفك؟

— لا أعتقد أنها تصادفنا، يمكنك أن تدعوني إيجرور. كان فيتزروى مقتضبا مع المتصل. فلديه ما يكفي ليمنعه بلا ذنب من التعامل بكىاسة مع محام بل肯ة أجنبية واضحة.

وقال: «ويمكنك أن تدعونى غير مهم. أنا مشغول، إذا كان لديك عمل حقيقي، فيمكنك الاتصال بسكرتيرتي وتحديد موعد».

— نعم، حسناً. يبدو أن الرجل الرمادى يعتقد أنه يمثل لك عملاً حقيقياً. أخبرنى أن أتصل بك، ويصر على أنك ستدفع جيداً مقابل عودته الآمنة.

— الرجل الرمادى معك؟

— بالفعل.

— مع أي فريق أنت؟

-أي فريق! أنا فريقي الخاص يا سيدى.

نظر فيتزروى ولويد أحدهما إلى الآخر. ضغط لويد على زر كتم الصوت وقال: «لا أعتقد أن هذا أحد صيادينا».

نقر السير دونالد على الزر للسماح للمتصل بسماعه وقال: «دعني أتحدث معه».

أجابه: «هذا ليس ممكناً في الوقت الحالى».

ضغط لويد على زر كتم الصوت مرة أخرى. التفت إلى الفني وكومة أجهزة الكمبيوتر المعلقة على الحائط. قال الشاب: «جاءت المكالمة من بودابست، من بيست. لديه بعض برامج التوجيه المحرف، سأحاول تحديده».

نظر لويد إلى الخريطة الكبيرة على شاشة الحائط وقال: «ماذا يفعل جينترى في بودابست بحق الجحيم؟».

تجاهله فيتزروى وضغط على صندوق السماعات في منتصف الطاولة، وأطفأ زر كتم الصوت مرة أخرى.

وقال: «قد أكون مهتماً للغاية بخدمتك، إيجرور. أحتاج فقط التتحقق من أن رجلي في رعايتك حقاً».

رد قائلاً: «لم تعد هناك ثقة في هذا العالم، تلك هي المشكلة. حسناً يا دونالد، أعطني لحظة. أنا لا أتحرك بالسرعة التي اعتدت عليها».

كان هناك تشويش في مكبرات الصوت لمدة دقيقة تقريباً. ثم أخيراً: «تفضل سيد فيتزروى، يمكنك التحدث».

سأل فيتزروى: «يا فتى؟ هل هذا أنت؟».

جاء صوت جينترى بعيداً أو مكتوماً بشيء ما وقال: «لقد اتصل بالوكلة. فرقة قتل ستكون هنا في أقل من تسعين دقيقة، يا دون! أنا في...».

كان هناك المزيد من التشويش، والأصوات المتضاربة عبر السماعات. ثم عاد الصوت ذو الل肯ة الأجنبية على الخط: «لديك

ساعة واحدة يا سير دونالد. أرسل خمسمئة ألف يورو، وسأدع ابنك يهرب وفي وقت يكفي لتفادي عرض مضاد من منافس. ها هو رقم الحساب، ألديك قلم؟».

بعد دقيقة انقطع الاتصال. نظر كل من فيتزروي ولويد إلى الفني، هز الشاب البريطاني الشاب الذي يضع حلقاً في أنفه رأسه وقال: «بودابست، المنطقة السادسة. هذا ما نعرفه. لكن لم أتمكن من تحديده عن قرب. يوجد ربع مليون هاتف في الحي السادس. يمكنه الاتصال من أي واحد منها».

انزعج لويد بشدة، لكنه كان متوجلاً لدرجة أنه لم يُظهر ذلك. التفت إلى أسيره وقال: «من يعرف في بودابست؟».

فرك فيتزروي جبهته وهز كتفيه.

وأتبع لويد: «تبّا لك! فكِر، من قد يذهب إليه جينترى هناك؟». رفع السير دونالد رأسه بسرعة وقال: «سزابو! ليس في شبكتي، كما ترى هو مزور قديم، كان يعمل لمصلحة الشيوعيين في...». قاطعه لويد قائلاً: «هل لديك عنوان؟».

-يمكنتني الحصول عليه.

-أقرب فرقه قتل في فيينا، على بعد مائة ميل. بأي حال من الأحوال يمكننا أن نرسلها هناك في ذلك الإطار الزمني. سيتعين علينا أن ندفع لسزابو لإبقاء جينترى بعيداً عن أيدي وكالة الاستخبارات المركزية.

هز فيتزروي رأسه وقال: «انس هذا. سزابو خبيث، إذا اتصل بالاستخبارات المركزية فذلك ليكسب ودهم. لقد اتصل بي للتو لأن جينترى أخبره أنني سأدفع مقابل إطلاق سراحه. سيأخذ سزابو أموالي ومع ذلك سيسلمه لوكالة الاستخبارات المركزية. سيخدعني قبل أن يخدعهم بلا شك».

-هل ستأخذ الاستخبارات المركزية جينترى أم ستقتله؟

- غير مهم. إذا قتلوه فلن يتركوا أي آثار وراءهم. لن تظهر الجثة لأسابيع، هذا إن حدث. أبو بكر لن يوقع إذا أخبرناه أن جينتربي محاصر، ستقتل عائلتي كما لو كان جينتربي قد نجا.

- إذاً أمامنا أقل من ساعة لإرسال القتلة إلى موقع سزابو قبل أن يصل شباب الاستخبارات المركزية إلى هناك.

كانت رقبة جينتربي تؤلمه بسبب تحديقه المتواصل إلى السقف البلاستيكى فوقه، سمع ضجة عند الفتحة فصاح: «كيف ستخرجني من هنا قبل أن يصل عملاء الوكالة لقتلنا؟».

ظهر وجه سزابو المتغضن بالأعلى وقال: «فور حصولي على أموال السير دونالد. الشخص الوحيد الذي سيخرج من هنا هو أنا». - سيفتكلك فيتزروي لخداعك إياه.

- ما زال لدى أصدقاء في الشرق، كنت أبحث عن مخرج آمن، سيكفي نصف مليون يورو من أجل بداية جديدة.

ناشده كورت: «انظر، هناك خطر أكبر مما تعرفه، لقد تعرضت أسرة للخطف، وهناك فتاتان توأمان، عمرهما ثمانى سنوات. ستعرضان للقتل إن لم أصل إلى فرنسا في الوقت المناسب. أخرجني من هنا، وأقسم لك أن أعطيك أموالك، ستحصل على كل ما...».

- فتاتان صغيرتان؟

- نعم.

- قتل؟

- إلا إذا تمكنت من الوصول إلى...
صحيح لازلو ساخراً:

وقال: «حتى التبس عليك الأمر، وحسبت أنني ذو مشاعر، لقد أزالها الروس جراحياً قبل خمسة وثلاثين عاماً. في الحقيقة لا أعبأ بما تقول».

اتصل لويد بريجيل في مكتبه المكسو بألواح خشب الساج، أجاب الرجل الألماني قبل أن تنتهي الرنة الأولى. سأله الأميركي: «هل لديك عملاء في بودابست؟».

ـ لدى عملاء في كل مكان.

ـ قتلة من الدرجة الثالثة؟

ـ لا، فقط عدد قليل من فناني الأرصفة. يمكنني ترتيب بعض القتلة منخفضي الأجر، لكن لماذا؟ ألم أزودك بما يكفي من أكفاء القتلة في الاثنين عشرة ساعة الماضية؟ حتماً لم يأكلهم الرجل الرمادي كلهم بعد!

كانت هناك نبرة ساخرة في كلامه مع المحامي الشاب.

ـ لقد أرسلنا الفرق غرباً، لكن جينترى ذهب جنوياً إلى المجر، على ما يبدو للحصول على جواز سفر لاستخدامه في الفرار من أوروبا بعد أن يصل إلى نورماندي.

ـ ذكي. متفائل لكن ذكي.

ـ نعم، لم يُوقف تماماً. خدعه المزور في بودابست. حبسه واتصل لتوه بالسير دونالد للمطالبة بفدية.

ـ دعني أخمن. لازلو سزابو؟

ـ كيف عرفت؟

ـ لا يمكنك أن تُذكر (بودابست) و(خداع) في الجملة نفسها دون أن يظهر اسم سزابو.

ـ هل يمكنك إرسال بعض الرجال إلى عنوانه في بيست؟

ـ بالطبع. هل لازلو وحده أم لديه أمن؟

– الأمر أكثر تعقيداً من ذلك. لقد سلم سزابو كورت إلى وكالة الاستخبارات المركزية. لديهم فريق يتسابق إلى موقعه الآن، يفترض أنهم على بعد ساعة.

تنهد ريجيل وقد بدا الإحباط في صوته وهو يقول: «إذا وقع في أيدي وكالة الاستخبارات المركزية، فانسَ عقد لاجوس. إذا أخذوه، فلن نستطيع أن ثبت لأبي بكر ما إذا كان حيّاً أو ميتاً بحلول يوم الأحد.

– إذا لا يمكننا أن ندع ذلك يحدث، صحيح؟

– تريد إرسال فريق ليتبادل إطلاق النار مع الاستخبارات الأمريكية؟ هل أنت مجنون؟

– ستعتقد الاستخبارات المركزية أنهم رجال يعملون لصالح جينتري أو يعملون لصالح الخاطف. إذا كان رجالك بارعين، فلن يظلوا في أماكنهم لشرح دوافعهم.

فكر ريجيل لحظة، وعندما تحدث أخيراً، بدا للويد كما لو أن الألماني يرسم الخطة في أثناء خروج الكلمات من فمه: «فريق القتلة الإندونيسي في الجو الآن. إنهم في طريقهم إلى فرانكفورت، لكن من المفترض أن يكونوا فوق جنوب وسط أوروبا الآن. ربما يمكننا تحويلهم، وإنزالهم على الأرض وإدخالهم إلى المدينة في الساعة التالية، ستكون مجازفة، لكنها فرصتنا الوحيدة».

– هل هم أكفاء.

– نعم. إنهم من الكوباسوس⁽¹⁾، المجموعة الرابعة. أفضل رماة يمكن لجاكيتا أن تقدمهم. دعني أمضي إلى العمل.

(1) : فرقة القوات الخاصة التابعة للجيش الإندونيسي، تأسست عام 1952، وتقوم بعمليات خاصة للحكومة الإندونيسية، كالحرب غير الرسمية، ومكافحة التمرد والإرهاب وجمع المعلومات الاستخبارية والاستطلاع الخاص.

راح الكابتن برنارد كيلزير يفحص الارتفاع على مقياس التحليق اللاسلكي.

لقد كانت من طراز فولفسبورج، فلم تكن مألوفة تماماً له، بل استؤجرت، ولم تكن طائرته المعتادة. كان يطير من الغرب إلى الشمال الغربي على ارتفاع 37000 قدم. بومباردييه تشالنجر 605 هي أحدث ما توصلت إليه تكنولوجيا الطيران السلكي. واجباته ومسؤولياته كونه طياراً هائلة، ولكن في هذه المرحلة، بعد سبع ساعات من رحلته التي تستغرق تسع ساعات من نيودلهي إلى فرانكفورت، لم يكن أمامه ومساعده الكثير سوى البقاء مستيقظين، ومراقبة الأنظمة الموجودة على متن الطائرة، ورصد السماء بعد الظهرة.

حلق الطيارات لمدة ست عشرة ساعة دون توقف تقريباً. مسارهما في جاكرتا بإندونيسيا الساعة الثانية صباحاً بالتوقيت المحلي. سافرا غرباً، وتوقفاً للتزويد بالوقود في نيودلهي، ثم عادا على الفور إلى السماء.

في العادة، كان الكابتن كيلزير ومساعده، الضابط الأول لي، يطيران برؤساء الشركات في جميع أنحاء جنوب شرق آسيا. هما أيضاً من نقلاء علماء مجموعة لوران، وموظفي تكنولوجيا المعلومات ذوي الأهمية، وأي شخص في أي منشأة من خمس عشرة منشأة تابعة للشركة من الطرف الجنوبي للبابان إلى الحافة الشرقية للهند.

بالإضافة إلى رحلات العمل هذه، نقل كيلزير ولی أيضاً المديرين التنفيذيين وزوجاتهم في إجازات التنقل بين الجزر، أو إقامة حفلات فخمة في بروناي مع السلطان نفسه. حتى أنهما نقلوا ذات مرة عملاء الشركة وعاملات الجنس الفلبينيات إلى جزيرة استوائية منعزلة يسكنها طهاة فرنسيون، ومدللون سويديون ليستمتعوا لمدة أسبوع بالفجور والكلسل.

نقل كيلزير جميع أطيااف موظفي مجموعة لوران، لكنه لم ينقل مجموعة مثل تلك التي كان ينقلها الآن. خلفه في المقصورة كان ستة رجال. الإندونيسيون، بدوا كأنهم عساكر شبان، لكن في ملابس مدنية. كان عنبر الشحن في طائرة تسانجرو مليئاً بحقائب ظهر قماشية خضراء. التزم الرجال الصمت في معظم الأحيان. ألقى كيلزير نظرة على المقصورة التي يبلغ ارتفاعها ثمانية وعشرين قدماً في أثناء خروجه من قمرة القيادة إلى الحمام، فرأى الظلام متقوياً بالأقلام المضيئة، حيث انكب بعض الرجال فوق الخرائط بينما نام آخرون.

بدأ أنهم مجموعة منضبطة، في طريقها إلى مهمة خطيرة، ولم يكن لدى كيلزير أدنى فكرة عن سبب تكليفه بنقلهم. مد الطيار الألماني الأصلع البالغ من العمر ثمانية وثلاثين عاماً يده وراءه ليخرج صندوق غدائه. ومضت الشاشة متعددة الوظائف فقال مساعدته: «لديك مكالمة أرض - جو من المكتب الرئيس على الرابط الآمن».

قال: «حسناً». التفت كيلزير بعيداً عن وجنته، وشغل وحدة التحكم المركزية لإرسال المكالمة المنتظرة إلى أذنيه وحده.

- نوفمبر. ديلتا. ثلاثة. صفر. ويسكي. حول.

- ريجيل يتحدث، هل تسمعني؟

كان كيلزير يعلم أن ريجيل هو نائب رئيس العمليات في المجموعة بأسرها. عُرف عن ذلك الألماني أنه وغد وعنيف بشكل لا يصدق. وفجأة تصور كيلزير مهمة أولئك الشباب الأقوياء في المقصورة خلفه على نحو أوضح.

- أسمعك بوضوح سيد ريجيل، كيف يمكنني مساعدتك؟

- ما مدى قربك من بودابست؟

- أعطني لحظة.

نظر كيلزير إلى مساعد الطيار، وهو آسيوي ذو ل肯ة بريطانية. قال: «إنه ريجيل. يريد أن يعرف إلى أي مدى نحن قريبون من بودابست».

فحص الضابط الأول لي موقع رحلته على نظام إدارة الملاحة. راح ينقر على لوحة المفاتيح على يساره وأجاب بعد بضع ثوانٍ: «نحن على بعد مائة وسبعة كيلومترات بين الجنوب والجنوب الشرقي وارتفاع اثنى عشر كيلومتراً».

نقل كيلزير المعلومات، فقال ريجيل: «لدينا تغيير في الخطط. أريدك أن تهبط هناك في أقرب وقت ممكن».

شعر كيلزير بقطرة عرق تناسب حتى آخر رقبته. لم يشعر بالارتياح لتخييب أمل رئيس العمليات الأمنية.

ـ آسف يا سيدى، هذا غير ممكّن، لم نضع خطة طiran للمجر. سنواجه مشكلات جدية مع إدارة الهجرة والأمن.

ـ لا تقل لي ما هو ممكّن. أنزل الطائرة على الأرض، ووزع المعدات على الإندونيسيين، ثم اخرج من هناك.

لم يتراجع كابتن كيلزير على الفور وسأل: «كيف يفترض بنا أن نخرج من هناك؟ سُلّقى في السجن إذا هبّطنا دون إذن، إذا...».

ـ أعلن حالة الطوارئ. بالتأكيد يمكنك أن تجد سبيلاً للهبوط بالطائرة أينما تريده. إذا احتجزوك لاستجوابك، فسأدفع ثمن خروجك، يمكننا تسوية الأمور مع المجرمين بعد وقوع الحدث، هذا ليس شأنك. فقط تتحقق من نزول الإندونيسيين من الطائرة قبل أن تبرح المدرج.

ـ هناك الكثير من الأمن في مطار بودابست. سيحاصرون الطائرة، وسنـ...».

ـ لا تهبط هناك إذا، ابحث عن أي مطار إقليمي قريب، اهبط بالطائرة وأخرج من تنقلهم من الرجال، مفهوم؟

قلب الطيار بشكل محموم بين الصفحات على شاشته متعددة الوظائف. مر بين الخرائط الإلكترونية لجميع مطارات المنطقة. وقال: «توكول على بعد أربعين دقيقة بالسيارة من وسط المدينة. مدرجه طويل بما يكفي».

رد عليه: «بعيد للغاية! أحتاج إلى الإندونيسيين في وسط المدينة في أقل من ساعة!».

وأصل كيلزر البحث، ثم قال: «هناك بودورس. الوصول إليها سيسغرق نصف الوقت، لكن المدرج غير مرصوف وقصير للغاية». - إلى أي درجة؟

- هذه الطائرة بحمولة كهذه تحتاج إلى مدرج بمساحة ألف متر مرصوف على نحو مثالي، بودورس بالضبط ألف متر، لكن هناك أمطاراً غزيرة، وكما قلت الطريق غير ممهد. سيكون مثل الطين! - إذا يجب ألا تواجه مشكلات في الإبطاء قبل انتهاء المدرج. اهبط بالطائرة!

- أنت تطالب بهبوط تحطم يا سيدي! لن يكون آمناً على الإطلاق. - إذا كنت ت يريد أن تكون في مأمن مني، أيها الكابتن، فستهبط بتلك الطائرة في بودروس. مفهوم؟

صرّ كيلزر على أسنانه، فقال ريجيل: «سارسل حافلة وسائقاً إلى هناك لاصطحابهم».

- سيدي، أريد أن أؤكد مرة أخرى، سيؤدي هذا إلى حادثة.

- سأتولى أنا هذا الأمر.

- علم يا سيدي.

أنهى كيلزر المكالمة، وضغط بيديه على مقود التحكم في إحباط. سأله مساعد الطيار: «ماذا يحدث؟».

أجابه: «يبدو يا لي أننا على وشك أن نساعد إندونيسيا على غزو المجر». .

سحب وجه الضابط الأول وقال: «ريجيل وغدا!».

قال كيلزر: «هذا صحيح». ثم ضغط على بعض المفاتيح في وحدة التحكم المركزية الخاصة به، وأخرج الطائرة من نظام الطيار الآلي،

دافعاً مقوداً للتحكم ببطء إلى الأمام. ثم تحدث في سماعة رأسه متادياً: «النجدـةـ النـجـدـةـ نـوـفـمـبـرـ دـلـتـاـ ثـلـاثـةـ صـفـرـ وـيـسـكـيـ».

خلال تلك الساعة استخدم لازلو سزابو جهاز الكمبيوتر الخاص به كل خمس عشرة دقيقة، ليت فقد حسابه البنكي السويسري الذي أعطى رقمه لفيتزروي. وبين كل مرة وأخرى كان يحزم حقيبة مليئة بالأشياء الأساسية التي قد يحتاج إليها في رحلة بحرية دائمة. واتصل بخدمة سيارات محلية، حيث أمر سيارة ليموزين بالانتظار في الخارج عند الساعة الرابعة والنصف على أن تتجه إلى مطار بودابست. اشتري تذكرة سفر إلى موسكو من الدرجة الأولى، ثم اتصل بأحد معارفه في العاصمة الروسية لترتيب اصطحابه من المطار هناك.

وبالرغم من كل هذا النشاط، ظل يعرج كلما مضى إلى الحامل الخشبي لينظر من خلال الزجاج بين الحين والأخر، ليتحقق من وجود صيده. جلس الرجل الرمادي نصف عارٍ على المرتبة في الحفرة الباردة، وحقيقة ملتصقة بالجدار اللزج، وعيناه مثبتتان إلى الأمام.

لم يشعر لازلو بالذنب مطلقاً لتركه الشاب يموت، ولا لأنه سأخذ نصف مليون يورو من السير دونالد الثري ثم يتراجع عن الصفقة، ولا للتأكد السخيف بأن حياة فتاتين لا ذنب لهما، معلقة في ميزان مخططه الذي ضبطه بسرعة. لم يولد مختلاً اجتماعياً، لكنه أكتسب هذا بطريقته، ونفذ مبادئ هذا الاضطراب بدقة شديدة، وينفس اهتمامه بالتفاصيل الذي يفعله عند تزوير جوازات السفر.

لم يكذب حين قال إن الروس أزالوا مشاعره بعملية جراحية. لقد عاش وقتاً طويلاً مخبراً، وعمل مع المقاومة الشعبية لتهريب منشقين خارج البلاد، ثم أبلغ الروس عن مسارهم نحو الغرب. سنواتٍ ظل

يعلم مع الجانبين حتى انعدم الصواب والخطأ في نظر لازلو، إن هي إلا طرق لتحقيق مصلحته وعقبات يسعى إلى تجاوزها.

بعد مرور ساعة بالضبط تفقد حسابه. لم تُحَوَّل الأموال بعد. اتصل بفيتزروي فعلم أن هناك تأخيرًا في مصرفه. يحتاج إلى بعض دقائق فقط. كانت الأموال في طريقها. أرباب لازلو، وأقسم أنه سيفرغ الرصاص في رأس الرجل الرمادي بنفسه إذا لم يأت المال قريباً، ثم هدد السير دونالد بأن الاستخبارات المركزية ستتبرع كل تفاصيل عملية شركة شلتهم الحقيقة من أفضل قاتل فيها بالدم، وسيكون رأس فيتزروي نفسه على المحك في غضون يوم أو يومين من تسليم سزابو للرجل القابع في حفرة إلى الأميركيين.

أخيراً منح لازلو الرجل الإنجليزي المقنع خمس عشرة دقيقة إضافية، وت فقد سجينه في الحفرة، ثم اتصل بالسائق المنتظر في الخارج وأخبره أنه سيتأخر، ولكن عليه أن يُبقي المحرك يعمل.

عاش سزابو على المحك طوال حياته. إذا وصل قاتلة وكالة الاستخبارات المركزية قبل مغادرته، فمن المحتمل أن يُقتل. إذا لم يفعلوا ذلك، فستكون بدايته الجديدة في روسيا.

التفت الكابتن برنارد كيلزير بيده إلى الضابط الأول لي. دفعت الحركة العرق على جبهته إلى عينيه. نظر لي إلى الوراء نحو قائده ونشر عرقه بعيداً. كان وجها كلا الرجلين شاحبين كلون الطباشير.

وقفت طائرة بومباردييه تشالنجر ثابتة في الوحل. يمكن للطيارين رؤية العشب والسياج الذي تحجبه أمطار غزيرة خلف الزجاج الأمامي. لقد استخدما كل سنتيمتر من المدرج، ثم ثمانين متراً إضافية من الحقول المفتوحة المبللة.

لم يكن هناك المزيد. خفق قلب كيلزير وغلى دمه. أجبرهما ريجيل على هذا الموقف، وهو الموقف الذي حدث في غضون ثلات ثوانٍ

من زمن الطيران الذي انتهى بشكل سيئ للغاية، وعلى الرغم من أنه لم ينتهِ إلى حريق وتعويضات تأمينية تُدفع لزوجته، فإن الكابتن الألماني كان لديه حدس قوي بأنه سيحل ضيفاً لبعض الوقت خاصّاً لنظام العقوبات المجري.

ومع ذلك فقد نجوا. كانت هذه الطائرة مجهزة بمكابح كربونية مانعة الانزلاق، وبنظام لتفادي الأجسام الغريبة، وهي حواجز موضوعة حول ترس الدرجة ثلاثة العجلات لمنع حطام المدرج من تدمير الطائرة عند الهبوط. ومع ذلك، علم كل من كيلزير ولبي أن تشالنجر المستأجرة لن تطير من المجر بقوتها، فبالطبع تضررت التروس والمحركات، وسيستغرق الأمر بعض معدات قطر هائلة لسحب هذه الطائرة التي تبلغ تكلفتها عشرين مليون دولار من حفرة الطين التي ترقد فيها الآن.

بعد بعض ثوانٍ أخرى للتعافي من إجهاد الهبوط وإرهاقه، أغلق كيلزير جميع الأنظمة، وهو إجراء روتيني عند نشوب حريق على متن الطائرة. الآن لم يعد هناك سوى صوت هطول الأمطار على جسم الطائرة ونواتها.

في رسالة الاستغاثة إلى برج المراقبة في مطار بودورس، ادعى أنه اشتم رائحة الدخان في قمرة القيادة. ربما كان سيتوصل إلى خدعة أكثر إقناعاً لو تنسى له المزيد من الوقت. ولكن منذ أن تلقى مكالمة من ريجيل حتى هذه اللحظة، مرت خمس وثلاثون دقيقة فقط، في غضون ذلك كان ذكاؤه مشغولاً تماماً، حيث أسقط طائرته من ارتفاع أربعين ألف قدم وسبعين أميال في الهواء إلى طريق مسدود، بعد حافة مدرج قصير للغاية، وغارق في المطر، وغير ممهد، في مطار لا يعرفه. لقد أبلى بلاءً حسناً، وكان يعرف ذلك. حتى أنه اعتقاد - في أعلى لحظات التفاؤل الناتج عن ارتفاع الأدرينالين بعد الهبوط - أنه قد يتمكن من إقناعهم بالخروج من السجن إذا استمر في سلسلة انتصاراته لبعض دقائق أخرى. لكن هذا الحلم الكاذب تلاشى عندما أعادته إلى

الواقع حركة خارج الزجاج الأمامي. اخترقت شاحنة سوداء السياج أمامه مباشرةً. ظهر الإندونيسيون الستة حول ميمنة الboombarديه، يسحبون حقائب الظهر التي أخذوها من عنبر الشحن.

صعدوا بسرعة إلى السيارة. في حين جلس الكابتن كيلزير والضابط الأول لي في صمت يحدقان إلى الحركة أمام قمرة القيادة الخاصة بهما. كانت الشاحنة السوداء تسير في الوحل والعشب من حيث أتت، وانزلقت في مياه الأمطار في الجانب الآخر من الطريق، ثم انطلقت بسرعة عبر العاصفة.

كان كيلزير يعلم أن هذا الحدث الدرامي لن يمر دون أن يلاحظه أحد من برج المراقبة خلفه. وهذا الحدث الدرامي، على حد علم كيلزير، سيزج به هو ولی خلف القضايان حتى يتمكن هذا الأحمق ريجيل من إخراجهما.

وخطر ببال كيلزير وهو يضع قبعته على رأسه ويغادر الطائرة تحت المطر الذي انهمر على وجهه، ويصل إلى سمعه صوت صفارات الإنذار، أن السيد ريجيل سينشغل قطعاً بفوضى أخرى عليه أن يعتني بها قبل انتهاء اليوم؛ لذلك يجب أن يستعد هو ولی لنسيان أمرهما البعض الوقت.

ظهر التحويل البنكي في حساب سزابو، بينما كان يُجري مكالمة ثلاثة عنيفة مع فيتزروي. كان من المقرر أن تصل وكالة الاستخبارات المركزية في غضون عشر دقائق. بدا موقفه شديد الخطورة، ولكن الآن استلم الأموال، ويمكنه المغادرة. أغلق الهاتف في اللحظة التي أجب فيها فيتزروي. بعد ذلك، عاد مرة أخرى إلى الرجل الرمادي، ودّعه وتمنى له حظاً سعيداً، وانتهى من حزم حقيبته، ثم خرج من الاستوديو/المختبر /ورشة العمل الخاصة به، متربّعاً في الردهة بسرعة بقدر ما يسمح جسده المشلول.

كان على وشك أن يبلغ الباب عندما رن جرس الهاتف. قرر أن يجيب معتقداً أن رئيس محطة وكالة الاستخبارات المركزية سيقدم له تحديداً بشأن تقدم العملاء في الطريق، كان عليهم أن يتصلوا لو كانوا على بعد لحظات. رفع الهاتف. قال فيتزروي: «لقد أوفيت بالجزء الخاص بي من الصفقة. لقد حان الوقت لكي تفي أنت بالجزء الخاص بك».

ـ أنا مندهش يا سير دونالد. هواتفي مشوشة، كيف فعلت...؟

ـ لدى طرقى، لازلو الآن حرّ الرجل الرمادي قبل أن يأتوا إليه! العرق الذى كان يقطر بالفعل على ظهر المجرى السنينى تحول إلى جليد بارد. كان فيتزروي يعرفه جيداً. أدرك سزابو أن الرجل الإنجليزى الماكر سيظل يطارده لبقية حياته. فقال: «سأطلق سراح فتاك على الفور».

ـ لن تخدعني، أليس كذلك؟ تخادعني وتخادع وكالة المخابرات المركزية؟

ـ أعدك كرجل نبيل.

ـ حسناً لازلو، استمتع بالمال.
وانقطع الخط.

فكرة سزابو في اتخاذ خطوةأخيرة على الحامل، ألقى نظرة أخرى إلى الحفرة، لكنه قرر عدم فعل ذلك. وعاد مسرعاً عبر الرواق والحقيقة في يده.

انطلق نحو الباب الحديدى الصغير، لكنه طار عائداً إلى الداخل عندما وصل إليه. إذ سطعت أضواء باهرة في عيني المجرى، على الرغم من أن الجو في الخارج كان مظلماً وممطرًا. ففز للخلف مصدوماً، وتعرّثت ساقه المصابة ليسقط على ظهره. نظر إلى الأضواء بعيداً، ورأى فريقاً من الرجال يرتدون ملابس سوداء وأقنعة، وستة مسلحين بأسلحة ذات ماسورة قصيرة مثبتة على مستوى العين. كان يبرز من كل

بندقية كشاف إضاءة قوي. هبط أقرب رجل له على واقي ركبة أسود اللون، ورفع سزابو من رقبته.

تحدث بهدوء باللغة الإنجليزية: «أتنوي الذهاب إلى مكان ما؟». كانوا من الاستخبارات المركزية. بصعوبة رأى سزابو العينين اللتين خلف نظارة العميل.

ـ أنا.. كنت أنتظركم. كنت فقط سأضع الحقيقة في السيارة، كما ترى. سأخرج بعد أن تنهوا يا رفاق.
ـ بالتأكيد. أين الطرد؟

ساعدوا سزابو على النهوض على قدميه. أبقى جميع الرجال في القاعة الضيقة أسلحتهم مشهرة أمامهم.

قال: «إنه في الغرفة الأمامية، في نهاية الردهة. اصعد على الحامل، وانظر إلى أسفل. إنه على عمق اثنى عشر قدماً في الصهريج، مغطى بطبقة سميكه من...».

قال له: «أرنا».

أدرك سزابو من نبرة الرجل أنه ليس هناك تفاوض. استدار وعرج مرة أخرى في الردهة مع القوات الأمريكية شبه العسكرية.

داخل الغرفة منخفضة الإضاءة. وجّه قائد وحدة الأنشطة الخاصة رجاله الخمسة ناحية الجدران وصعد ببطء إلى الحامل. حثه لازلو على ذلك، وأخبره أنه لا يوجد ما يخاف منه، وحرص على ذكر اسم رئيس المحطة ما لا يقل عن ثلاث مرات كطريقة لإعلام مسلحى وكالة الاستخبارات المركزية بأنه «واحد منهم». أخيراً صعد القائد المسلح على الحامل وحدق بحدٍر إلى الزجاج.

قال لازلو الذي لم يكف عن استجداء ودهم: «من المحتمل أن يكون معه مسدس، لكنه لا يستطيع استخدامه عندما يكون الغطاء مغلقاً. يجب أن يكون راقضاً بارعاً لكي يتفادى الارتداد في تلك

المساحة الصغيرة. رئيسك في العمل وعد لازلو بأنه سيجري الاعتناء به. ربما يجب أن أتصل به ويمكنكم جميعاً التحدث حتى تروا كل ما فعله لازلو من أجلكم. لازلو المخلص، هكذا يناديني».

انحنى قائده فريق العمليات إلى أبعد من ذلك، ثم أبعد. ووضع ركبته فوق الزجاج، ثم استدار ببطء وعاد إلى سزابو وصاح: «ما هذا بحق الجحيم؟».

لم يفهم لازلو فسأله: «ماذا تقصد؟ إنه الرجل الرمادي ملفوف في ربطة لطيفة لأصدقائي في الاستخبارات المركزية».

سأل العميل الأميركي الذي كان قد وقف في هذه اللحظة واستدار لمواجهة المجرى: «هل قتلتة؟». أجابه: «بالطبع لا. لماذا تسألني هذا السؤال؟». سرعان ما عرج السيد المزور على عصاه نحو الحامل ليرى ما الخطأ.

لم يكن كورت مكتوف اليدين طوال السبعين دقيقة الماضية كما افترض سزابو. ما إن تركه المجرى شأنه سحب قladته من رأسه، ومزق الطبقة الخفيفة ليستخرج منها سلكاً شائكاً، استخدمه ليقطع أنبوب الماء المكشوف أسفل المراتب. كان يقطعه من طرفين بحيث يفتح السلك بضعة ممرات أخرى في الأنبوب ويملاً الخزان بمياه الينابيع الساخنة في غضون دقائق.

مع انتهاء ذلك، سحب جينتري مسدسه، وأخرج الطلقة من غرفة الإطلاق، وأخذ الطلقات الاحتياطية من سرواله.

استعان بحذائه المضاد للماء كصندوق تجميع، وبكمامة من أداته متعددة الاستخدامات، فك كل خرطوشة، وصب البارود الذي يحتوي على نترات البوتاسيوم في الحذاء العالي. بعد أن جمع المسحوق من ثلاثة رصاصات خاصة كان يحملها، ففك إحدى خزائن الرصاص وأزال الزنبرك، وأعاد لصق الصفيحة، وأحكم ملأها بالبارود من حذائه،

ثم وضع المشط في الجزء العلوي ليصنع ضغطاً يحفز التفجير بشكل أكثر إحكاماً في الخزينة المعدنية.

استخدم كورت زنبرك الخزينة لربط المشط بأمان في مكانه. تفقده لازلو من وقت آخر. أحدث العجوز الكثير من الضوضاء في أثناء التسلق على الحامل الخشبي، ولم يكن أمام الرجل الرمادي سوى أن يحشر مشروعه الفني وأدواته أسفل المرتبة العفنة في الوقت المناسب لتجنب اكتشافه.

نزع جينترى جوربًا وملأه بالخراطيش الفارغة، لأن المسحوق لن يشتعل دون مساعدة من الفتيل الذي تحتويه كل خرطوشة. حشر الخزينة المليئة بالمسحوق في الجورب وربط كل شيء معاً بإحكام مع حذائه.

في قبضة يده جورب كبير وثقيل يضاهي القنبلة اليدوية قوة تقريباً. مرق جينترى بعض القطع من القماش من المرتبة، وربطها معاً ليصنع حبلًا رفيعاً يصل طوله عشر أقدام تقريباً. أعاد حشو مسدسه الفالتر بالرصاصة المتبقية، وترك الخزينة فارغة.

ربط المسدس بمزيد من خيوط المرتبة، إذ وضع فوهه الماسورة التي يبلغ قطرها 3 بوصات ونصف في بقعة فارغة داخل الجورب المليء بالفتائل والمتفجرات. ثم ربط الخيط الطويل بزناد المسدس.

في النهاية خلع جينترى سرواله، وربط رجليه بإحكام عند الكعبين ثم مرة أخرى عند الجذع، وفر له هذا فقاعتين مملوءتين بالهواء. لن تصمدوا في المياه لفترة طويلة لكن ما يكفي لاحتياجاته. ثم استخدم رباط الحداء الأخير لربط القنبلة اليدوية بالسراويل.

جلس وينظرون ملتفون على رجليه حتى لا يلاحظ لازلو بسهولة أنه خلعه. أخيراً، سحب حشوat من الإسفنج المبلل من المرتبة لاستخدامها كسدادات للأذن عندما يحين الوقت.

هكذا كان كورت مستعداً. انتظر، وسرعان ما انحنى سزابو مودعاً ثم
اختفى.

كانت هذه إشارة الرجل الرمادي. قطع الأميركي أنبوب الماء بحدة. في غضون دقيقة امتلاً منسوب الخزان، لأعلى من الركبة، بالماء الساخن مثل حوض الاستحمام. نهض كورت حاملاً القنبلة والمسدس مثبت عليها، والسروال الذي يحوي غرف الهواء، كل هذا في يديه.

وقف هناك بملابس الداخلية وانتظر ارتفاع الماء. في غضون ثلات دقائق طاف مع الماء والمراتب، وثبت في مكانه. بعد ست دقائق، امتلاً الخزان حتى القمة تقريباً. حارب الذعر. كان يعلم أنه لا يوجد ما يضمن أن جهازه الغريب سيعمل أو حتى لو نجح هل سيكون قوياً بما يكفي لفتح الباب المسحور؟

عندما كان الماء على بعد ثلاثة بوصات من السقف الزجاجي، أجبر كورت نفسه على التنفس السريع في المساحة الصغيرة. ملأ كل رئتيه، ثم انبطح أسفل السطح، ووضع القنبلة العائمة في إحدى المفصلات. دفع المرتبة بينه وبين قبنته، ثم سبع إلى أسفل الخزان، بيد واحدة ممسكة بخط قماش الفراش الذي يؤدي إلى زناد المسدس، واليد الأخرى ملفوفة حول أنبوب الماء لثبيته في العمق.

نظر إلى أعلى ليتيقن من أن كل شيء في مكانه، ورأى أن جهازه الغريب قد طاف بعيداً عن المفصلة. صعد بسرعة إلى الأعلى مستخدماً احتياطي الهواء. الآن لم يكن هناك هواء للتنفس. أزاح المرتبة على الجانب بصعوبة، وأعاد وضع القنبلة، ثم صارع للوصول مرة أخرى إلى القاع. كان جرحه الحديث في فخذه اليمنى يؤلمه بشدة مع اثناء عضلاته. بدا أن الهلع والجهد المحموم ونفاد الأكسجين ينافس بعضها بعضاً للضغط على قلبه وسحقه بقوة داخل جسده. أخيراً وصل إلى أنبوب الماء وتمسك به. نظر إلى الخلف ورأى أن جهازه في مكانه.

و قبل أن يسحب الجبل، رأى هيئة دكانه لشخص يخطو على الحامل ويجهو على ركبته، قبل أن يلتفت إلى الخلف مواجهًا شخصًا ما في الغرفة.

قال قائد الفريق: «لا بد أنه مات. هذه الفتحة مليئة بال....». مع فرقعة صامتة، طار العميل الذي كان يرتدي ملابس سوداء في الهواء. انفجر السطح الزجاجي تحت قدميه، وانهمر الماء الأبيض في جميع الاتجاهات، ومزقت قطع من البلاستيك الحاد السقف أعلاه. سقط العميل على يسار الحامل، واندفعت موجة مد من الماء الدافئ فوقه.

هرع المسلحون الآخرون بحثاً عن مخبأ، بينما سقط سزابو على ظهره في منتصف الغرفة. كان القائد على قيد الحياة. جثا على ركبتيه واستعاد سلاحه على الحامل إلى يساره.

صرخ: «يا يسوع! كل العناصر، قف سريعاً!». بينما تصفر طبلة أذنه من الانفجار.

في ذلك الوقت، تدفق عبر الردهة رجال صغار البنية يرتدون ملابس مدنية ويرفعون بنادقهم عالياً إلى الغرفة، واندلع إطلاق نار في كل مكان.

كان لازلو سزابو أول من مات.

حتى مع سدادات أذنيه البدائية صرخت أذنا كورت من ضغط الانفجار. دفع قدميه إلى قاع الخزان، وأطلق النار على السطح. لم تكن لديه فكرة عما يتظره بالأعلى. وكالة الاستخبارات المركزية؟ هل عاد (لازلو) ليتفقده للمرة الأخيرة؟ في النهاية، لم يكن الأمر مهمًا. كان بحاجة إلى الهواء.

دفع نفسه إلى أعلى، وعندما تخطى رأسه سطح الماء، دفع الباب البلاستيكي ليفتحه. تحطم كل المفصلين، وكسر الحاجز الزجاجي. سحب نفسا هائلا من الهواء وتدافع إلى الجانبين، ليتدرج من الحامل الخشبي إلى الأرض، محاطا بموجة من الماء الدافئ.

وجد نفسه قبلة الجدار في الزاوية الخلفية للغرفة. دوى صوت إطلاق نار وصياح الرجال عن قرب في كل المكان، لكن كورت لم ير أحدا حول حافة المنصة. جثا على ركبتيه وانحنى على الأرض، ثم انطلق نحو الردهة الخلفية، تضرب قدماه مشمع الأرضية من تحته. لم يُضع وقتا في النظر إلى الوراء.

أياً كان ما يحدث في هذه الغرفة، لم يكن لدى جينتري أي نية لخوضه دون سلاح ناري، ولم يكن يعرف هوية اللاعبين.

تناثر مقبض الباب المؤدي إلى الردهة بنيران مسدس رشاش على بعد خطوة من وجه جينتري. ركض نحوها مباشرة، عبر ضغط الذخيرة الأسرع من الصوت والشظايا المتطايرة، نزولا إلى الردهة المظلمة وإلى الحمام حيث كان يحلق ذقنه قبل ذلك بساعة ونصف. اندفع بسرعة نحو حقيقته وألقاها على كتفه.

انطلق بسرعة إلى غرفة نوم صغيرة في نهاية القاعة، مرتدياً ملابسه الداخلية فقط وضماده على فخذه. فوق السرير المزدوج المنخفض كانت توجد نافذة بها شبكة سلكية رفيعة. حطم الزجاج بطاولة ذات قوائم معدنية، ورفع المرتبة دافعاً إياها فوق حافة النافذة لتغطية أي إشظايا متبقية، ثم زحف فوقها إلى فناء صغير. كان باب المبني قد أغلق خلف لازلو، لذلك ركض كورت إلى أبعد زاوية في الفناء.

فوق نافذة في الطابق الأول استخدم قضبي الأمان الحديديين ليشق طريقه صعوداً إلى شرفة بالطابق الثاني، حيث حطم النافذة الزجاجية بعد أربع ركلات واهنة أو خمس من كعبه الأيسر.

استمر دوي الطلقات النارية تحته وخلفه. وحرص على تجنب الزجاج المكسور المتبقى في اللوح الزجاجي إذ يخطو عبر النافذة، لكن عندما صعد إلى الشقة، جرح كلتا قدميه وهو يطأ السجادة. صرخ من الألم، وسقط على ركبتيه، فجرحهما أيضاً.

مشى ببطء في غرفة النوم الصغيرة، وقف أخيراً ليعرج نحو الحمام، وأخذ يفتح خزانة الأدوية.

بعد ثوان جلس على كرسي الحمام وضمَّد إصاباته الجديدة. كانت قدمه اليمنى بخير، وخزة صغيرة سكب عليها مُطهراً ولفها بورق الحمام. لكن مشط قدمه اليسرى كان أسوأ حالاً؛ فكان به ثقب عميق نسبياً. غسله بسرعة وشد حوله منشفة يد لا يغاف النزيف. كان الجرح بحاجة إلى خياطة، لكن كورت علم أنه لن يحصل على هذا في أي وقت قريب.

على غرار قدميه، كانت ركبته اليسرى بخير، إلا أن إصابة الركبة اليمنى كانت بالغة. جفل بينما يسحب قطعة زجاج من جلدته، علق نصل بائس بجسمه في أثناء إزالته، فسالت دماؤه على الأرض.

«ثباً!». تأوه وهو يننظف ويضمد جروحه قدر الإمكان، وبعد ثلات دقائق، انتبه إلى أن إطلاق النار قد توقف في الفناء. سمع صفارات

الإنذار وصراخ طفل يبكي في الشقة المجاورة، أيقظته الحركة من غفوته.

في البدء ظن أن الشقة فارغة، وحين دخل غرفة المعيشة، كان لا يزال مرتدِّياً سرواله الداخلي الرطب، لكن بقدمين وركبتين مضمدتين. وجد سيدة مسنة تجلس بمفردها على الأريكة. نظرت إليه بعينين باسمتين وثابتتين وزرقاءين لا يملؤهما خوف. مد يده لتهديتها، لكنه أنزلها ببطء.

قال: «لن أوذيك». لكنه لم يكن واثقاً ما إذا كانت تفهم. أشار بيده كأنه يشد بنطلوناً، فأشارت ببطء إلى غرفة في نهاية الردهة. هناك وجد ملابس رجالية. زوج ميت ربما؟ لا، ابن في عمل بعيد. وجد معاطف زرقاء وارتدى واحداً، وأخذية ثقيلة ذات طرف فولاذي. كانت كبيرة للغاية، لكنها ستتناسب مع زوجين من الجوارب البيضاء.

شكر جينترى السيدة بانحناءة وابتسمة، فبادلته إيماءة بطيئة. أخرج من حقيبته رزمة من اليورو ووضعها على المنضدة. قالت المرأة العجوز شيئاً لم يفهمه، انحنى مجدداً قبل أن يخرج من باب الردهة بالطابق الثاني.

خرج كورت جينترى في المطر المنهمر مصاباً، غير مسلح، ودون وسيلة النقل أو الوثائق التي قطع الطريق كاملاً إلى بودابست للحصول عليها. نظر في ساعته، كانت الخامسة بعد الظهر، ثمانى ساعات ونصف الساعة منذ أن بدأ رحلته. والآن يشعر أنه أبعد مما كان عليه حين بدأ.

في مكتب مجموعة لوران في لندن، انتظر لويد وفيتزروي أخبار الإندونيسيين. جاءت الأنباء بعد الرابعة مساءً، لكن ليس من الفريق نفسه. رن هاتف السير دونالد.

كان جينترى.

ـ شلتتهاـم.
ـ هذا أنا.

كان على فيتزروي أن يستعيد هدوءه قبل التحدث، وأخيراً قال:
ـ الحمد لله! هل تخلصت من سزابو؟».

ـ نعم، منذ قليل.
ـ ماذا حدث؟

ـ لست واثقاً. يبدو أن فريقاً ميدانياً من إدارة الأنشطة الخاصة قد ظهر، لا بد أن سزابو كان لديه بعض الأمان الشخصي، لقد تفجر الوضع.

ـ تبادل لويد وفيتزروي التحديـق.
ـ أوه.. حسناً، مفهوم. كيف حالك؟

ـ على قيد الحياة.
ـ أين أنت الآن؟

ـ ما زلت في بودابـست.

نظر كل من لويد وفيتزروي إلى الفـني. انحنى رأسه فوق جهاز حاسوب، لكنه أومأ إلى أعلى وإلى أسفل، مؤكداً مصداقية الهدف عبر تحديد البرج الخلوي الذي يستخدمـه الهاتف.

سأل فيتزروي: «وماذا الآن؟». كان السؤال موجـهاً إلى الأمريكي على يمينه بقدر ما كان موجـهاً إلى الأمريكي على الطرف الآخر من الخط.

ـ أنا أتجـه غـرباً. كل شيء لا يزال على المسار الصحيح. هل لديك مزيد من المعلومات لي؟

ـ نـعم. الرجال الذين قابلـتهم هذا الصـباح في براغ كانوا ألبـانـيين، مرتبـقة بـسطـاء، استأجرـتهم الاستـخـبارـات الـنيـجـيرـية.

ـ لقد تعاقدـوا على الأرجـح مع فـريق جـديـدـ الآنـ. هل هناك أيـ فكرة عـما يـنتـظـرـنـيـ؟

- يصعب القول يابني. أنا أعمل على ذلك.

- ماذا تعرف عن هيكل قوة الأعداء الذين يحيطون بعائلتك؟

- أربعة أنواع أو خمسة من الشرطة السرية النيجيرية. ليسوا من مسلحي الدرجة الأولى بأي حال من الأحوال، لكنهم قطعاً يشيرون ذعر أسرتي.

- كلما اقتربت، سأحتاج إلى الموضع المحدد.

- نعم. ستكون هناك بحلول صباح الغد؟

- لا. علىَّ أن أتوقف أولاً لإجراء أمر ما.

- آمل ألا يكون هناك منعطف خطير آخر.

- لا، هذا أمر سريع.

تردد فيتزروي ثم قال: «حسناً. هل تحتاج مني إلى شيء آخر».

- أي شيء آخر؟ ماذا أعطيتني حتى الآن؟ انظر، أنت مديرِي، فلتُدرِّي أي شيء. أحتاج إلى معرفة ما إذا كنت سأواجه المزيد من الحمقى في طريقِي. أريد أن أعرف كيف اكتشف النيجيريون اسمِي، وكيف عرفوا عنك. هناك شيء معقد للغاية هنا، وأحتاج إلى معرفة أكبر قدر ممكن منه قبل أن أصل إلى نورماندي.

- أتفهم. أنا أعمل على ذلك.

- هل كان لديك أي اتصال مع الخاطفين؟

- بشكل متقطع. يعتقدون أنني أفتshed كل مكان بحثاً عنك. أنا أتصَّل بجميع من في شبكتي، فقط لتجميل الصورة كما تعلم.

- استمر في ذلك. سأبقى بعيداً عن الشبكة. اتصل بي إذا علمت أي شيء.

وانقطع الخط.

في غضون دقيقتين حصل فيتزروي ولويد على شرح أوفى لما حدث. اتصل ريجيل، وتمكن الثلاثة من ربط بعض التفاصيل ببعض. قضى على الإندونيسيين الستة بالكامل، كلهم موتى. كانت الاستخبارات المركزية قد أضرمت النيران في المبنى لتغطية آثارهم. ولم يعرف ما إذا

وقع ضحايا في صفوف الوكالة. مات سزابو، واستعلن جينتري بحياة أخرى من حياته التسع، لكنه فر طليقاً.

سأل ريجيل: «إذا أين هو الآن؟».

يتجه غريباً من بودابست.

عبر قطار؟ سيارة؟ دراجة نارية؟.

لا نعرف. اتصل بنا من هاتف محمول على الأغلب اختطفه من أحد المارة، وتركه بعد أن أغلق الخط مباشرة.

سأل كيرت ريجيل: «أي شيء آخر للإبلاغ عنه؟». صاح لويد في الهاتف غاضباً: «أبلغني أنت يا ريجيل! ماذا حدث لفرقة الكوباسوس الإندونيسية؟ ظنت أنك قلت إن جينتري لن يقدر على مواجهتهم!».

أجاب ريجيل: «جينتري لم يقتلهم. القوات شبه العسكرية التابعة للاستخبارات المركزية هم من فعلوا ذلك. انظر يا لويد، كلنا نعلم أن الرجل الرمادي لديه قدرة على التحمل. كانت خطتي طوال الوقت هي أن يستطيع فريق أو فريقان إفساد توازنه، ودفعه إلى التفاعل بدلاً من أن يكون استباقياً. بهذه الطريقة سيتعثر في الفريق التالي ويكون غير مستعد».

قال لويد: «لدينا عشر فرق أخرى تنتظره. أريده ميتاً قبل انقضاء الليل».

أجابه: «اتفقنا على شيء ما إذن».

أغلق ريجيل الخط.

حول لويد انتباهه إلى الإنجليزي. كان وجه الرجل الأكبر سنًا يتلوى ألمًا.

سأله: «ما الأمر؟».

كان ألم فيتزروي شديداً.

ـ ماذا دهاك؟

ـ أعتقد أنه قال لي شيئاً. لم يكن يقصد إخباري، لكنني أدركت الأمر.

جلس لويد، واختفت مع حركته الثنائيات القليلة في بدلته المخططة
وأسأله: «ماذا؟ ماذا أخبرك؟؟».

أجابه: «أنا أعرف إلى أين هو ذاهب».

اتسع وجه المحامي الأمريكي الشاب ببطء إلى ابتسامة.

وقال: «ممتنع!». ثم مد يده إلى هاتفه محمول وأضاف: «أين؟؟».

ـ هناك مشكلة. هذا المكان الذي يذهب إليه، لم يعرف عنه سوى
ثلاثة رجال فقط. أحد هؤلاء الرجال ميت، والآخر هو الرجل الرمادي،
وأنا. سأخبرك أين، ولكن إذا لم تدمره مسابقة برنامجك الواقعي هذه
هناك، فسيعلم أنني من أوقعتك به. إن أخطأ فتىancock إصابته هذه المرة
سينتهي الأمر.

ـ دعني أقلق بشأن ذلك. أخبرني إلى أين هو ذاهب.

ـ جراوبوندن.

ـ أين هذا بحق الجحيم؟

جلس سونج بارك كيم بلا حراك متأملاً في أثناء الطيران، لكن عينيه كانتا مفتوحتين، مستيقظتين ومنتبهتين عند الهبوط في مطار شارل ديغول. كان الراكب الوحيد في طائرة رجال الأعمال فالكون 50، استقرت يداه الصغيرتان الخشنتان على ركبتيه، واختبأت عيناه خلف النظارة الشمسية الأنiqueة تناسب بذلك المخططة المفضلة بدقة بيئته تماماً.

خُصصت المقصورة لسفر المسؤولين التنفيذيين، ويدا أنه مسؤول تنفيذي آسيوي شاب لكن ليس شديد الأهمية.

انزلقت الطائرة الفالكون على المدرج، ثم خرجت من الممر لتجاوز صفا طويلاً من الطائرات المتوقفة في هيئة واحدة. فتح باب لتبدو الطائرة كمستودع مفتوح، حيث تنتظر فيه سيارة ليموزين، لا تزال مبتلة من رذاذ الأمسيّة الغائمة، ويقف بجانبها سائق. وما إن توقفت الطائرة تماماً وهدأ محركها، عاد مساعد الطيار إلى المقصورة ذات السبعة مقاعد حاملاً حقيقة رياضية من النايلون.

جلس أمام سونج بارك كيم، وأنزل الحقيقة على طاولة خشب الماهوجني بينهما. لم يقل كيم شيئاً.

قيل لي أن أعطيك هذا عند الهبوط، جرى التعامل مع الهجرة. لا مشكلات جمركية. هناك سيارة في انتظارك.

أو ما الرجل الكوري قصير الشعر بإيماءة مقتضبة على نحو فظ، تكاد تكون غير ملحوظة. قال مساعد الطيار: «استمتع بباريس يا سيدى». تراجع إلى قمرة القيادة، وأغلق الحاجز الصغير خلفه.

فتح سونج بارك الحقيقة، وسحب مسدسًا آلئًا من طراز هيكلر وكوخ (MP7A1). تجاهل الدبشك المثبت عليه منظار، وأمسك بالسلاح أمامه كأنه مسدس عادي، وهو ينظر من خلال وحدة الرؤية البسيطة. به خزيستان طوبيلان ورفيعتان، كل واحدة مليئة بعشرين طلقة مجوفة من عيار 4.6x30 مم. خراطيش نقطية، ربط بعضها بعض بحزام من النايلون.

أعاد السلاح إلى الحقيقة.

بعد ذلك أخرج هاتفًا محمولاً وسماعة أذن. وضع سماعة الأذن في مكانها على جانب رأسه وشغّلها، وكذلك الهاتف الذي فتحه قبل وضعه في جيب معطفه. وفي الجيب الآخر وضع جهاز استقبال محمولاً لتحديد الموضع. بقي في الحقيقة المزيد من خزائن سلاح (MP7)، كاتم الصوت، وبعض الملابس في الحقيقة لم يمسسها أحد. وأخرج من الحقيقة سكيناً قابلاً للطي بمقبض أسود، ووضعه في جيبه.

بعد دقيقتين جلس في السيارة الليموزين. نظر السائق إلى الأمام مباشرة بينما يقول كيم: «وسط المدينة». تحركت الليموزين إلى الأمام نحو أبواب المستودع.

كان كيم كوريًا جنوبًا قاتلاً يعمل في جهاز المخابرات الوطني. كان أفضل من لديهم. تولى خمس عمليات خطيرة داخل كوريا الشمالية، معظمها دون دعم على الإطلاق، حواله هذا إلى أسطورة في وحده، إلى جانب تنفيذ سبع عمليات أخرى في الصين تجاه منتهك العقوبات الكورية الشمالية، واثنتين في روسيا ضد مسربي الأسرار النووية، وعدد قليل من الضربات ضد زملائه الكوريين الجنوبيين الذين يحتاجون إلى تعديلات دائمة في المواقف تجاه جيرانهم الشماليين العدوانيين. كل هذا جعل سونج بارك كيم، ذا الاثنين والثلاثين عامًا، الخيار الواضح عندما طلب من قادته تجهيز قاتل لاصطياد آخر في باريس مقابل مبلغ نقدي.

لم يصرح كيم بآرائه بشأن مهامه. إذ كان يعمل بمفرده، ولم يكن لديه من يصرح له. ولكن لو طلب رأيه، لقال إن هذه المهمة كانت مرتبطة حتى النخاع. عشرون مليون دولار لرأس الرجل الرمادي، وهو عميل سابق في وكالة الاستخبارات المركزية، وكما سمع من الإشاعات، لم يكن يستحق التخلص منه كما فعل رؤساؤه.

عرضت شركة أوروبية العشرين مليون دولار. لم يشبه هذا العمليات القومية التي تولى أمرها كيم طوال حياته المهنية. ومع ذلك، كان كيم يعلم أنه أداة للسياسة الداخلية والخارجية لكوريا الجنوبية، لم يطلب أحد مشورته، وأولئك الذين تقرر تغليب حكمهم قرروا أن عليه أن يأتي هنا إلى باريس، ويستقر، وينتظر مكالمة تعطيه موقع الرجل الرمادي، ليفرغ الرصاص الساخن في ظهر ذلك الوغد البائس.

جراوبوندن هي مقاطعة في شرق سويسرا، تختبئ في مكان صغير بالقرب من الحدود الجنوبية الغربية للنمسا. تُعرف باسم مقاطعة المائة وخمسين وادياً، ويمتد أحد هذه الوديان من الشرق إلى الغرب في منطقة تسمى إنجادين السفلى.

هناك، تقع قرية جواردا الصغيرة فوق الحافة الحادة لتل شديد الانحدار أعلى الوادي، على بعد أميال فقط من الحدود النمساوية الإيطالية. لا يوجد سوى طريق واحد فقط ومتعرج يؤدي إلى القرية الصغيرة، ويربط المنازل نصف الخشبية بمحطة قطار غير ثابت التوقف ذات غرفة واحدة، وهي تستغرق أربعين دقيقة من المشي الشاق.

لا توجد في القرية سيارات تقريباً، بل حقول يفوق عدد الحيوانات فيها عدد البشر المقيمين. تنتشر الطرق الضيقة المرصوفة بالحصى صعوداً بين المباني البيضاء، جنباً إلى جنب مع أحواض المياه والحدائق المُسيجة. تنتهي المدينة فجأة، وواصل التل انحداره

الشديد، وهو مرج يرتفع إلى غابة صنوبر كثيفة تفسح المجال أمام المنحدرات الصخرية التي تلوح في الأفق فوق المدينة، وتشرف على قاع الوادي بالأسفل وكل من يمر أو يقترب.

يفهم القرويون اللغة الألمانية، ولكن فيما بينهم يتحدثون الرومانش، وهي لغة لا يكاد يتكلمها سوى واحد بالمائة من السبعة ملايين ونصف المليون سويسري، ولا يفهمها شخص آخر على وجه الأرض. في الرابعة صباحاً، دارت بضع زوابع ثلجية حول الطريق الصغير من سفح الوادي إلى جواردا. يعرج على الطريق المترعرع شديد الانحدار رجل وحيد، يرتدي الجينز السميك، ومعطفاً ثقيلاً، وقبعة قماشية سوداء، وقد علق حقيقة ظهر صغيرة على كتفيه.

قبل عشر ساعات، وبعد دقائق من التحدث مع دون فيتزروي من هاتف خلوى وردي كان قد اختطفه من الحقيقة المفتوحة لطالبة جامعية ثملة للغاية، تترنح بمفردها على الرصيف. وجد جيتري متجرًا للملابس في الهواء الطلق في بودابست، واشترى خزانة ملابس كاملة، جديدة تماماً، بداية من حذاء جلدي وحتى الجزء العلوي من قبعة السوداء القماشية.

في غضون ساعة من مغادرته مبني سراپو، استقل حافلة في محطة نيبليجت متوجهًا إلى بلدة هيجالسالوم عند الحدود المجرية.

نزل من الحافلة على بعد نصف ميل من الحدود، وسار شمالاً خارج القرية إلى أحد حقل، ثم استدار يسأراً. لم تكن الليلة مقمرة، كان لديه مصباح يدوی ميداني في حقيقته، لكنه لم يستخدمه. بدلاً من ذلك، مشى متعرضاً إلى الغرب، وسار مسافة ميل واحد على قدميه المصايبتين، وشعر بالوخز والدم الدافئ في جواربه وبين أصابع قدميه الباردة.

أخيراً، قبل الساعة الثامنة مساءً بقليل، عبر حقلًا مليئاً بطاواحين الهواء الحديثة، ووجد نفسه في بلدة نيكلسدورف النمساوية الواقعة على الحدود.

لقد وصل إلى الاتحاد الأوروبي. كانت مسافة ميل آخر - ظل يرجع بجرح من طلق ناري في الفخذ والقدمين، وركبتين مصابتين - قبل أن يجد الطريق. مشى غريباً رافعاً إبهامه لبضع دقائق. أوقف سائق شاحنة، لكنه كان متوجهاً إلى الشمال ولم يستطع مساعدته. سائق ثان ثم ثالث كانوا يسيرون في الاتجاه المقابل.

في التاسعة والربع، أقله رجل أعمال سويسري متوجه إلى زيورخ. أخبره كورت أن اسمه جيم. أراد رجل الأعمال أن يمرّن إنجلزيته، فامتثل له كورت، تحدثاً عن حياتهما وعائلتيهما في الرحلة عبر النمسا. اختلف كورت قصته بالكامل، لكنه كان محترفاً. ابتدع له حكاية عن طلاق مرهق في فيرجينيا، والرغبة الدائمة في زيارة أوروبا، وسطو كلفه ممتلكاته في بودابست، وحظه الطيب بأنه لم يفقد محفظته وأمواله وجواز سفره، وصديق في شرق سويسرا يمكنه مساعدته حتى يدبر السفر عائداً إلى الوطن في الأسبوع التالي.

راحَا يتحدثان في أثناء رحلتهما بالسيارة طوال الليل، أبقى كورت جزءاً من تركيزه على المرأة الجانبية ليتيقن من أن أحداً لا يتبعه، حريصاً ألا يلاحظه السائق. وفي خضم قصص الهراء عن الأماكن التي لم يزرتها من قبل والأشخاص الذين ابتكرهم من نسج الخيال، لم ينس مهمته الحالية، وحاول أن يرکز في أحداث الثلاثين ساعة القادمة.

كانت ليلة الجمعة، حركة المرور على الطريق السريع (A1) مزدحمة، لكن سيارة أودي التي يقودها رجل الأعمال كانت انسيابية وسريعة. لقد تجنبًا شمال سالزبورج، ثم عرض كورت عليه القيادة، فحصل رجل الأعمال السويسري على ساعتين من النوم.

انعطفت الأودي إلى شارع إنجادينير وعبرت الحدود الشمالية الشرقية لسويسرا في الساعة الثالثة صباحاً. لم تكن هناك رقاية جمركية على الحدود السويسرية، على الرغم من أن سويسرا لم تكن رسمياً عضواً

في الاتحاد الأوروبي. توقف السائق السويسري في استراحة مبيت، وأصر على أن يجرب جيم البيرة السويسرية، وأن يعبر عن رأيه بصدق. فعل كورت هذا، وأثنى على الشكل واللون والملمس، محظياً ببعض السمات الأخرى التي سمعها عن المشروبات الألمانية ذات مرة في بيرجارت في ميونيخ. وفتن هذا رجل الأعمال بأن يأخذ جيم مباشرة إلى وجهته بدلاً من إنزاله ما إن يفترق طرقاً هما.

سلكاً طريق 180 جنوباً ثم 27 غرباً عبر الوادي، إلا أن مصابيح السيارة الأمامية لم تكشف لهما شيئاً في الليل المليء بالغيوم. أخيراً في برج لافين، اختار جينترى منزلًا نصف خشبي قبالة الطريق الرئيس، وادعى أنه وجهته.

في الواقع كانت مغادرة السيارة الأودي الدافئة تعني أن كورت أمامه مسافة ميلين من المشي في الثلج، لكنه قرر لا يعاقب هذا الرفيق اللطيف على عمله الصالح بأن يقحمه في أي مشكلة قد تنتظره عند بلوغه وجهته النهائية.

قال له: «شكراً على التوصيل. إلى اللقاء⁽¹⁾».

نزل كورت من السيارة وصافح الرجل عبر النافذة. وقف في الطريق ملوحاً ومتمنياً له ليلة سعيدة.

وبينما تختفي المصابيح الخلفية للسيارة الأودي عند زاوية الطريق. استدار الرجل الرمادي في الاتجاه المعاكس وبدأ يمشي غرباً فوق الثلوج الخفيفة.

تعدم أن يبحث خطاه بالرغم من إرهاقه الشديد. دفعه الأدرينالين والانضباط إلى الأمام دون توقف على مدار العشرين ساعة الماضية، وكل ما تبقى هو الانضباط. كان بحاجة إلى الراحة، وأمل في أن ينال بعض ساعات منها على الطريق المنحدر في جواردا.

(1) بالألمانية في الأصل.

بحلول الساعة الرابعة وعشرين دقيقة، زاد تساقط الثلوج. كان كورت الآن في القرية أعلى التل، لكنه لم ير أي إنسان، في حين انبعثت إضاءة خافتة من الفندق الصغير، وأطفأ القرويون أنوار منازلهم، ونام الرعاة والحدادون وأصحاب الفنادق والمتقاعدون لبضع ساعات أخرى.

وواصل مسيرته صعوداً إلى القرية. اجتاز أحواض المياه الحجرية القديمة لقطاعان الأغنام، التي مررت عبر شوارع القرية المخصصة للمشاة فقط، مروراً بالحقول المسيحية بأسوار منخفضة أمام المنازل الصغيرة. حتى قطع الطريق إلى الطرف الآخر من المدينة، وتسلق التل شديد الانحدار عبر طريق ترابي. تراكمت ثلوج المساء مبكراً، وغطت سفح التل تقريباً، على الرغم من أنه حتى في الليل غير المقمم، كان بإمكان جينترى رؤية بقع من الظلام، بقع عارية بارزة لم يغطِها ضوء القمر.

بعد التسلق عبر المروج البيضاء لمسافة ثلاثة ياردات أعلى جواردا، نفر جينترى على كشاف الإضاءة التكتيكي الصغير.

امتدت خلفه المراعي الشاسعة، لكنه دخل إلى غابة صنوبر، وبالرغم من الأشجار والليل الدامس، أخفت دوامات الثلوج معالم الطريق أمامه، لكن ساعده ضوء الكشاف. جاهد في السير إلى الأمام مائة ياردة أخرى حتى عثر على وجهته في الغابة، كوخ صغير.

وقف على بعد ثلاثين ياردة من الطريق الذي استمر ارتفاعه عبر المنازل المهجورة. لم يكن هناك سبب لمرور أي شخص آخر، وإذا فعل أحد، فلا يوجد ما يدعوه لأن ينظر إلى يمينه عبر الغابة ليلاحظ هذا البناء البسيط.

ثمة قفل ضخم صدئ معلق على الباب الأمامي، وقد أغلقت من الداخل النوافذ الثلاث حول الكوخ المكون من غرفة واحدة، ونمّت شجيرات الصنوبر المحيطة بلا تشذيب حتى حواف المبني تقريباً.

سار جيترى عبر الأشجار وطاف حول المبنى بِضوءِ كشافه. في الجزءِ الخلفي من الكوخ كان هناك مخزن أدواتِ أحكِم إغلاقه كذلك. فحصه ووْجده آمناً. وواصل السير حول المبنى، فحص الجدران والشرائح الخشبية على السطح، وأخيراً الباب الأمامي. خلع قفازاته، وأدار أصابعه ببطءٍ حول حافات الباب، وفي الزاوية اليمنى العليا عشر على ما يبحث عنه، عود أسنان خشبي مغروس في الإطار. في حال ما إذا فتح هذا الباب، يسقط هذا المُنبه على الأرض ليعلم الرجل الرمادي بأنَّ كوخه مُعرض للخطر من بعضِ الزوار.

أدار كورت ظهره إلى الباب الأمامي بعدما أَمِنَ المكان، وسار ثلاثة خطوة نحو أشجار الصنوبر، دافعاً الأغصان المدببة. بعد ثلاثة خطوة، تحرك خمس ياردات إلى يمينه، وجثا على ركبتيه.

كان المفتاح مدفوناً في علبة قهوة معدنية، على بعد ست بوصات أو نحو ذلك، تحت نشاره الصنوبر والأوساخ المجمدة. حفرها بحجر مسطح. وبعد أن حصل على المفتاح عاد إلى الكوخ وفتح القفل.

كان الهواء بالداخل جافاً وعفناً وبارداً تماماً كما هو الحال خارج الباب. يوجد فرن فحم بارتفاع الركبة في الزاوية، لكن جيترى تجاهله، وأشعل مصباحاً على طاولة صغيرة في وسط الغرفة، وكان توهجه الخافت هو أقصى دفء يمكن الحصول عليه.

ثمة رفٌ معلق على الحائط به أغلفة المؤونة العسكرية والوجبات الجاهزة للأكل. مرق الأمريكي البالغ من العمر ستة وثلاثين عاماً أول وجية يحصل عليها بعد خروجه من المرحاض الكيميائي. التهم البسكويت والمكسرات بهم وهو يجلس وحيداً إلى الطاولة الصغيرة. أنهى وجبته في تسعين ثانية. بعد ذلك، نهض ليدفع فرن الفحم الصغير بعيداً عن الزاوية، ورفع الألواح الأرضية المخلوعة تحته.

وضع كشاف الإضاءة العسكري في فمه، ونزل على سلم خشبي، كشف بعد إزالة ألواح الأرضية، إلى قبو محاط بجدران ترابية بارتفاع

ست أقدام وعرض عشر أقدام. عندما التفت بعيداً عن السلم، واجه ثلاثة أكواخ من الحقائب السوداء بارتفاع الصدر، كل واحدة بحجم صندوق أدوات ضخم. شغل هذا ما يقرب من نصف الغرفة في القبو تحت الأرض، وملأة طاولة عمل معدنية المساحة على يمينه.

كان الصعود والتزول على السلم الضيق صعباً إذ يحاول التحرك بما يسمح له أن يتحكم في الحقائب. رفع كورت أول حقيقة في المجموعة الأولى، وألقاها على المنضدة بقوة، وفتح المزلاج.

في وقت مبكر من صباح ذلك اليوم، عندما أخبر كورت فيتزروي أنه سينفذ عائلته، قرر على الفور الذهاب إلى جواردا في سويسرا، إلى مخبأ أسلحته الضخم المختبئ في الغابة. كان لديه ستة مخابئ أخرى في جميع أنحاء القارة، لكن لا شيء يضاهي مخبأه في جواردا.

كان مخبأ جواردا هي الوريد الرئيس والمعدن النفيس.

احتوت الحقيقة الأولى على مسدس رشاش سويسري أسود من طراز بروجر وتوميت MP9. أخرجه من مرقه الإسفنجي، وركب خزينة محشوة في المتعدد بسرعة، ووضع القاذفة في كعبه، ورفعه فوق رأسه دافعاً به خارج الباب السري إلى الأرض فوقه.

احتوت حقيقة أخرى على ذخائر إضافية، وهي عبارة عن منصة من النايلون والقماش مليئة بخزائن محشوة بالسلاح الذي من شأنه أن يربط بين فخذه وحزام أدواته. ألقى هذا عبر الفتحة الموجودة فوقه أيضاً.

في الدقائق الخمس التالية، نظر كورت في حقيقة تلو الأخرى. ودس جميع أنواع الأسلحة الصغيرة والمتفجرات داخل حقيقة قماشية. ووضع سترة سوداء ضد الرصاص في حقيقة صغيرة، وقناعاً ونظارة باليستية، ومسحّاً ضوئياً صغيراً للمراقبة يسمع له بالتقاط اتصال قصير المدى، وزوجاً من المناظير.

أخيراً، قبل الساعة الخامسة صباحاً بقليل، قفز جينتري من الطابق السفلي، دافعاً الحقيبتين إلى الخارج أمامه. وترك مدخل مخبأ الطابق السفلي مفتوحاً.

شرب من زجاجة ماء نصف مجمرة، وابتلع اثنين من مسكنات الألم الخفيفة لتخفيف ألم فخذه، واستخدم المرحاض الكيميائي للمرة الثانية، ثم أخذ حقيبة النوم من الرف، وبسطها على الأرض. فتح قفل الباب الأمامي، وتفقد الوسائل الدفاعية في الكوخ قليلاً، ثم دخل فراشه. ضبط منه ساعته على السابعة والنصف. يجب أن تكفيه ساعتان من النوم ليقضي يوماً طويلاً آخر.

انطلقاً في إثره بعد الخامسة بقليل. انزلقت الشاحنة الصغيرة حتى توقفت عند سفح التل. بالنسبة للركاب، بدا الأمر كما لو أن السائق خرج عن السيطرة في الشوارع الملساء تقريرياً طوال ساعتين ونصف الساعة بالسيارة من زيورخ.

افتقار السائق إلى المهارة في مثل هذه الظروف أمر مفهوم. هناك جليد أسود على الطريق، وانعدمت الرؤية في بعض الأحيان. بالإضافة إلى أن هؤلاء الشرق - أوسطيين أموروا أن يصلوا إلى وجهتهم المحددة على (نظام تحديد الموضع العالمي) بأسرع ما يمكن، وكان الفني يتصل بهم عبر هاتف الأقمار الصناعية كل عشر دقائق للحصول على تحديث.

كان خمسة منهم ضباط أمن ليبيين، انشقوا عن جهاز أمن الجماهيرية، وطاقم رماة من أفضل رجال القذافي. جميعهم من فرق كوماندوز الجيش السابق، كل منهم يعرف مسدسه الرشاش من طراز سكوربيون 61 Vz كصديق موثوق به.

بلغ قائدتهم من العمر واحداً وأربعين عاماً، وجهه صارم وملتح، يرتدي ملابس سفاري مدنية مثل باقي أعضاء فريقه. جلس بجوار

السائق، وراح يوجه أوامر وتحذيرات بلا رحمة لفرد الكوماندوز الذي تولى القيادة. على الرغم من أن الكل يعرف أن السائق كان أكثر اعتياداً على التعامل مع الكثبان الصحراوية في سيارة جيب مدرعة أكثر من اعتياده على الجبال الجليدية في شاحنة صغيرة.

ومع ذلك، وصلوا إلى جواردا في الوقت المناسب، وأوقفوا شاحنتهم في الساحة بجانب محطة القططار أسفل الوادي. رفع السائق غطاء المحرك، وأزال بسرعة عمود ناقل الحركة الموزع، وألقاه في حقيبة الرياضية، ما يجعل السيارة عديمة الفائدة ريثما يعود. بعد ذلك عثروا على الطريق الصغير إلى أعلى التل، وانتشروا فيه على أوسع نطاق ممكن، وهم يصعدون سيراً على أقدامهم.

حمل كل رجل مسدساً صغيراً في حقيبة رياضية، وطعوا كعبوها، ومسدساً احتياطياً في جراب الكتف. وكذلك قنابل يدوية وعبوات اختراق. ارتدى جميعهم قبعات قماشية وسرافيل قطنية ثقيلة، ونفس السترات السوداء عليها علامة تجارية باهظة الثمن اعتاد عليها الرياضيون المحترفون.

وكان في حقائبهم الرياضية أيضاً نظارات للرؤية الليلية لم تُستخدم حتى الآن.

تسلق الليبيون الخمسة الطريق المنحدر والمترعرج المؤدي إلى القرية في الظلام. تحركوا بسرعة وكفاءة. سيعرف أي عابر سبيل، من تجانسهم وتعابيرات وجههم الجادة التي تتماوج صعوداً وهبوطاً في بخار زفيرهم، أنهم أشرار. لكن لا يمشي أي من السكان المحليين على طريق التلال في الساعة الخامسة والنصف صباحاً في عاصفة ثلجية؛ لهذا وصل الليبيون دون أن يكتشفهم أحد في شوارع القرية السويسرية الصغيرة المرصوفة بالحصى.

لكل عميل راديو صغير محمول باليد متصل بحزامه ويسمعه أذن. تفرقوا بأمر واحد من قائدتهم في الطرف الغربي من جواردا، وساروا فرادى إلى الشرق، كل واحد عبر ممر صغير مختلف.

يضمن هذا التكتيك ألا يرى أي شخص ينظر من نافذته إلا رجالاً واحداً. إذا أطلق جرس الإنذار وبدأ القرويون يتحدثون عن الغرباء، فقد يحسب جميعهم أنهم رأوا نفس الشخص.

في الطرف بعيد من المدينة، أعادت فرقة القتل تشكيل صفوفها، كخلايا بيولوجية تتلحم تحت عدسة المجهر. نظر القائد إلى جهاز (الجي بي إس) الخاص به، واستدار يساراً في طريق غير ممهد، يمتد من الحافة التي تقع عليها القرية الصغيرة، حتى أعلى التلال، وفي الغابة التي لا يمكن رؤيتها من مسافة بعيدة إلا بعد ارتدائهم أجهزة المراقبة الليلية الخاصة بهم.

زود القائد الفريق بإحداثيات من (الجي بي إس).
«أربعمائة متر».

تکوم الثلوج على نحو أكبر. وتحولت أشرطة الثلوج الدوامة إلى صفائح سميكة من اللون الأبيض المتساقط. رأى الليبيون الثلوج من قبل، في أثناء تدريبهم في لبنان أو في مهام أخرى في أوروبا، لكن لم تكن أجسادهم معتادة على هذا البرد.

قبل ثمان وأربعين ساعة، كان فريق العملاء هذا تحديداً يجلس في شقة في طرابلس، ليتواصل مع فرقة مراقبة إلكترونية، لتبعد مصدر البث الإذاعي المنبعث من المدينة، الذي أدى بتعليقات تنتقد العقيد القذافي.

كانت درجة الحرارة في تلك الغرفة الضيقة تقارب المائة، لذلك صدم برد الوادي السويسري الشرقي وظائف أجسادهم حقاً.

قادوا يمرون بالكوخ دون ملاحظته. وحدها إحداثيات (الجي بي إس) التي وفرها لهم الفني هي ما اختصرت عليهم ساعات من التجول

في الغابة. والآن أخرجوا مسدساتهم الرشاشة من حقائبهم الرياضية وعلقوها على ظهورهم، ويسطوا كعوبها المطوية. رُفعت إلى وضع الاستعداد المنخفض، وضُغطت الكعب على الأكتاف، بينما كانت الرؤية عبر نظارات الرؤية الليلية أقل من وضع النهار قليلاً.

اتخذ كل رجل موضعًا ثابتاً حول الكوخ، وأبلغوا عن مواقعهم الواحد تلو الآخر. كان القائد أولاً.

- واحد في الموقع، عشرة أمتار من الباب الأمامي. دون حركة. النوافذ مغلقة.

- اثنان مع واحد.

- ثلاثة على الجانب الغربي. نافذة واحدة. مغلقة.

- أربعة في الجانب الشرقي. نافذة واحدة. مغلقة.

- خمسة في الخلف. لا توجد نوافذ، ولكن يوجد مخزن معدات بجانب المبني الرئيس. قفل آمن من الخارج. لا شيء آخر هنا.

قال القائد: «خمسة، ابق في الخلف. ابحث عن الغطاء وكن جاهزاً.. ثلاثة وأربعة، تعاليا إلى الأمام. سندخل فريقا واحداً».

أجابوا: «علم».

ينام جينترى بلا أحلام في حقيقة نومه، بجوار الفتحة تحت الواح الأرضية المؤدية إلى الطابق السفلي الترابي. خفت المسكنات من آلام فخدنه، ومنحته الراحة الالزمة للاسترخاء. فكان نومه عميقاً ومريناً.

لكن موجزاً.

أخرج القائد قبلة يدوية من حزامه. سحب الدبوس وتحرك ببطء إلى الباب الأمامي ويده على رافعة الأمان. في المقدمة يجهز رقم اثنين

عبوة ناسفة عندما لاحظ أن الباب لم يكن مغلقاً تماماً. التفت إلى زعيمه وأشار إلى شرخ في الباب. أومأ القائد برأسه واستدار نحو الرجلين الواقفين وراءه وهمس: «إنه مفتوح. استعد». .

دفع رقم اثنين الباب بسرعة، وجثا على ركبتيه حتى تُصوَّب الأسلحة الأخرى على أي هدف بالداخل. كان مظلماً تماماً في البداية، حتى معدات الرؤية الليلية عجزت عن كشف ملامح المكان بالداخل.

ألقى رقم واحد القنبلة في الغرفة. أسرع رقم اثنين وثلاثة وأربعة إلى أطراف الكوخ لتجنب الانفجار. تركت القنبلة يد القائد واختفت في الظلام، لكن دوى ارتطام القذيفة بسطح صلب قبل الأوان. وبينما يحاول القائد الابتعاد عن الباب، ظهرت القنبلة مرة أخرى في نظارات الرؤية الليلية الخاصة به، وارتدت من الكوخ لتسقط في الثلوج أمام الباب.

لحسن حظ الليبيين، رأى الأربعة القنبلة اليدوية في الوقت المناسب، فحاولوا البحث عن غطاء، إما على الأرض الثلجية أو حول أركان الكوخ. غيَّش الانفجار نظارات الرجال الثلاثة الذين نظروا باتجاه تصويب السلاح، وأصيب الرابع في مرفقه لتسقطه شظية صغيرة.

تمالك القائد نفسه بسرعة، ونزع نظارته التي لا فائدة منها الآن، وعاد إلى حافة الباب، ودخل يطلق النار في الظلام. تبعه رقم اثنين وثلاثة، ولكن في غضون ثانيتين، حيث صرخ القائد الآخرين على التوقف في أماكنهم فجأة.

إنه فخ!

قبل لحظات من سقوط جينترى على حقيقة نومه مرهقا طوال الليل، حرك الجدار الشبكي الصدئ الكبير نحو قدمين داخل الباب الأمامي. بلغ ارتفاع هذه الأداة الغريبة سبع أقدام، وتزن أكثر من مائتي رطل، وتنزلق بطول ثلاثة أقدام على الأرضية. على طرف السياج كانت هناك مفصلات ذات أفال على جانبي الباب. أدى هذا إلى إنشاء حاجز قادر على إبطاء فريق الاختراق بفاعلية، والتضيق عليه في أخطر مرحلة من أي اختراق، وهي مرحلة الدخول.

كان الفخ هنا عندما ورث كورت هذا المخبأ المؤقت، لكنه لم يعتبره ذا أهمية كبيرة، إذ كان من السهل تدميره بالمتفجرات، أو ضربه بالمدق، أو حتى ببعض ركلات قوية من كعب الحذاء. ولكنه هب مستيقظا من نومه بعد انفجار القنبلة اليدوية عند الباب الأمامي، وعرف على الفور أن الحاجز القديم الصدئ قد أنقذه بينما هو يغط في نوم عميق.

انتفض وركل حقيبتي العتاد عبر الحفرة إلى الطابق السفلي الصغير. أمسك بالمسدس الرشاش، وأطلق خزينة كاملة على الباب الأمامي بيد واحدة قبل أن ينزلق إلى الحفرة. وفور وصوله القبو الذي يبلغ عمقه ست أقدام، رفع ذراعه إلى أعلى وسحب غطاء لوح الأرضية ليغلقه على نفسه.

في الجانب الأيسر من مدخل الكوخ جثا رقم ثلاثة فوق الثلج الملطخ بالدماء. أصابته شظية القنبلة مباشرة في مرفقه واخترفت لحمه وعظامه. لكنه كان جنديا منضبطا فلم يستكثِر كثيرا، وسرعان ما اغترف

حفة من الثلج ووضعها على جرمه، ولم يتأثر إلا بصدمة من البرد على الجلد، لأنه لم يستطع الشعور بالألم الذي علم أنه وشيك.

تجاهل رقم واحد رجله المصابة عندما أمر رقم اثنين بإطلاق فتيل كل مخزونه من قنابل الاختراق وإلقائها في المدخل. بعد بضع ثوانٍ، أقيمت كتلة بحجم علبة مناديل من مادة السيكتكس المتفجرة على طرف سياج الفخ المعدني.

استدار الليبيون الثلاثة الذين لم يصابوا بأذى في مدخل الكوخ للركض، وأمسك كل من رقم اثنين وأربعة برقم ثلاثة من ذراعه ورفعاه عن الأرض، بينما كانوا يندفعون بحثاً عن ملجاً.

كانت الغابة السوداء هادئة لبضع ثوانٍ، ولم يكن هناك صوت إلا هسهسة رفاقات الثلج اللطيفة إذ تضرب أوراق أشجار الصنوبر التي سقطت أرضًا. ولهااث فرقة القتل من طرابلس التي حوصلت خلف شجرة بلوط على الأرض.

تبعد الليل الأسود وهدوئه بوميض أبيض وانفجار صم الآذان، حتى بدا صوت انفجار القبلة اليدوية السابقة أشبه بصوت فرقعة سدادة الشمبانيا. وانفجر المدخل المؤدي إلى الكوخ، من الأرضية السفلية إلى أواخر السقف في الأعلى لتتحول إلى شظايا، وانفجرت أشجار الصنوبر والأخشاب اللينة، لتطير إلى الأمام، وتسقط على بعد مائة قدم من المبني.

طفت قطع من الحطام المحترق مع تساقط الثلوج على أشجار الصنوبر، بينما يخترق رقم واحد واثنين وأربعة الكوخ المحطم. أطلق كل رجل دفعه أو اثنين من الرصاص عندما دخلوا شق الجدار الأمامي. اتجه رقم واحد إلى اليمين، ورقم اثنين إلى اليسار، وانتقل رقم أربعة مباشرة عبر المبني الصغير. استعنوا بضوء القماش المحترق والورق لتأمين موطن أقدامهم فوق السياج المعدني المحطم، وخزانة كتب

وطاولة مهشمة، والعديد من الصناديق وأواني الطهي، وعدد ضخم من الأشياء التي لا يمكن التعرف إليها.

ما إن تيقن الثلاثة من عدم وجود أي شخص على قيد الحياة في الغرفة الرئيسية أو في الحمام الصغير، بدؤوا يركلون الحطام على الأرض، بحثاً عن الجثة المحترقة والممزقة التي حتماً ترقد بين الأنفاس. سجّل رقم خمسة الوصول للتحقق من أن كل شيء كان هادئاً في الجزء الخلفي من الكوخ، حيث بدأ الليبيون الثلاثة يشعرون بالقلق بالداخل. كان كوخاً صغيراً، استغرق الأمر أقل من عشر ثوانٍ للتحقق من عدم وجود جثة بالرغم من قوة الحرائق.

نظر رقم واحد إلى السقف. في ثانية قرر أنه لا يوجد دور علوى ولا علية. نظر إلى قدميه بيطء. وقال: «ثمة باب سحري هنا. أبحث عنه». عثر عليه رقم اثنين، بجوار الفرن المقلوب، بعد أن ركل بعض قوالب الفحم. أخذت النيران تخمد؛ لذا أشعل أحدهم مصباحاً كهربائياً سقط من أحد الأرفف لكن نجا بأعجوبة من الانفجار. وضعه على الأرض بجانب الباب المسحور.

وقال: «احذر. قد يحضر لنا مفاجأة. ما لم يكن هناك نفق عبر هذا الجبل، فهو محاصر».

أومأ رقم اثنين وأربعة، ازدادوا ثقة بعدما عرفوا أن الرجل الرمادي يختبئ مثل الفئران تحتهم. وقف رقم خمسة خلف خشب صنوبر سميك في الجزء الخلفي من المبني. أمامه بنحو عشرين قدماً مخزن الأدوات المغلق على ارتفاع خمس أقدام بجانب الكوخ، لكن من الواضح أنه منفصل عنه. أكّد الوصول مع الرجال بالداخل. كانوا على وشك رفع الباب المسحور بعمود معدني طويل، حتى يلقوا القنابل اليدوية، ويتبعوها بنيران البنادق، وأخيراً يتسلقوا لقطع رأس هدفهم. لم يلحق رقم خمسة بكل هذه الإثارة. سبَّ الثلج الذي حاوشه بصوتٍ عالٍ، بينما يمسك الشاش على مستوى منخفض. فجأة سمع

صوت محرك ينبع بالحياة داخل الكوخ. لا ليس داخله، بل في مخزن المعدات. ما إن تحركت عيناه نحو أبواب مخزن الأدوات انطلق صوت عال عبر الغابة، وانفجر القفل وفتحت الأبواب على مصاريعها. كان رقم خمسة قد بدأ للتو برفع مسدسه الرشاش إلى عينه عندما صرخ ضجيج المحرك، وانطلق هيكل ضخم في الهواء من التجاويف المظلمة للمخزن الصغير.

لم ير الجندي الليبي الشاب عربة ثلجية من قبل. استقرت العربية على الأرض كالرصاصة، على بعد بضع أقدام أمامه، فقفز جانباً، وسقط على الثلج ليترطم ظهره بقوة ويرقد بجوار جذع شجرة. نظر إلى الأعلى في الوقت المناسب ليرى هيئة لبشي على ظهر العربية، يميل إلى الأمام بقناع على وجهه وحقيقة كبيرة على ظهره. كانت الصورة في نظارة الرؤية الليلية الخاصة به ضبابية، واحتفى التشويش في ثانية واحدة.

صارع الليبي للإمساك برشاشه، لكنه فقده بين أوراق الصنوبر المتتساقطة والثلج المتراكم. في الوقت الذي أمسك فيه سلاحه وصوبه إلى وجهه، احتفى ظل العربية الأسود على ارتفاع طفيف، ليمزق الثلج والشجيرات والشتلات الصغيرة ويقذف كل شيء في طريقه على يسار زجاجاته ويمينها.

سمع الصياح من خلال سماعة الأذن: «خمسة! أجب!». إنه هنا! لقد عاد إلى هنا! إنه يتوجه إلى أعلى الجبل! – أطلق النار عليه!بدأ رقم خمسة يركض فوق التل قائلاً: «تعالوا لمساعدتي! إنه على دراجة نارية بزلاجات!».

اكتشف الرجل الرمادي أن عليه أن يدير عربة الثلج ويعود إلى الأسفل بعيداً عن فرقة القتل. انتهت الغابة فجأة عند جدار صخري ضخم على قمة التل. ربما يمكنه أن يجد مكاناً للاختباء في الغابة لبعض الوقت،

لكنه يعلم أن كل سكان جواردا استيقظوا واتصلوا بالشرطة المحلية
المتمركة على بعد بضعة كيلومترات في خور^(١).

سيستغرق الأمر منهم بعض الوقت للوصول إلى هناك، والكثير من
الوقت للحصول على قوة حقيقة بطول الطريق من دافوس، لكن
كورت لم يكن ينوي الانتظار لدقائق، فضلاً عن ساعات.

صرخ في الهواء المتجمد: «هراء!». لقد خلَّف وراءه بالفعل حقيبتي
عتاد. لم يتمكن من نقلهما من الطابق السفلي ذي الجدران الترابية
عبر النفق المائل إلى أعلى من عمق ثلاثة أقدام إلى مخزن الأدوات
حيث احتفظ بعربة الثلج. لقد أخذ بندقية قصيرة من عيار 12 من
المخزن لتفجير القفل من الداخل، والآن يستقر السلاح القوي أمامه
على مقود عربة الثلج.

كان غاضباً أيضاً لأنه يعلم أن شخصاً واحداً فقط يعرف بوجود
هذا المخبأ. دونالد فيتزروي الأحمق. عرض السير دون على كورت
موقع المخبأ الثابت بعد وقت قصير من انضمام الرجل الرمادي إلى
مجموعته. اعترف المدير الإنجليزي الموقر في ذلك الوقت أن هذا
المخزن أصبح متاحاً لأن صاحبه الذي بناه واستخدمه كوخاً للاختباء
لم يعد بحاجة إليه، إذ عُثر عليه مذبوحاً في قبر غير عميق خارج
فلاديفوستوك.

لم يكن جينتري قلقاً بشأن الفأل السيئ، وقد قبل المخبأ هديةً من
فيتزروي. أحب موقعه المركزي، وعزلة القرية والوادي، وحقيقة أن
أي عربة تقترب منه سيسمعها على بعد ياردات، أو أميال إن كانت
قوة مدعة.

كان مخباً جيداً، وأيقن جينتري أنه سيظل كذلك لو لم يفصح دون
فيتزروي عن موقعه لمن يسعون إلى قتله.

مكتبة

t.me/soramnqraa

(١) مدينة في سويسرا.

بعد أربعين ثانية من صعوده الجبل بعيداً عن القتلة اختفت الثلوج أمام عربة الثلج. دار جينتري بقوة لتجنب جدار الجرانيت الذي يبلغ ارتفاعه عشر أقدام، الذي يمتد يميناً ويساراً. استخدم قدميه ودواسة الوقود لتحويل اتجاه العربة إلى الخلف، مواجهًا الغابة والكوخ بالأسفل ثم القرية التي خلفها. حينئذ تحصن كورت بحافة تل. لم ير المسلحين بالبنادق والقنابل، ولم يتمكنوا هم من رؤيتها. لكنهم بالتأكيد يشقون طريقهم في هذه اللحظة فوق الطريق الجليدي غير الممهد.

لم تكن لديه أي فكرة ما إذا كان هناك رجال أم خمسة أم خمسة عشر أم خمسون. لقد ألقى نظرة خاطفة فقط على واحد منهم في الجزء الخلفي من الكوخ، لكنه يعرف ما إذا كان سيصادف مزيداً من الرجال في الغابة، وعلى أي حال، لقد حدث الجزء الأكبر من الإثارة عند الباب الأمامي.

تأمل كورت خياراته للحظة. نظر حوله إلى مأزقه وأيقن على الفور أنه محاصر. ربما أمكنه أن يقاتل عدداً قليلاً منهم، لكن المساحة الواسعة أمامه، والتي حتماً سيصلون إليها، كانت ثغرة بالنسبة له. إذا انتشروا عبر المرج المتجمد واقتربوا في وقت واحد في خط عريض، فلن يتمكن من الاشتباك مع الأهداف على يساره ويمينه ووسطه قبل أن يطلقوا هم النار عليه.

كان يفترض بالأرض المرتفعة أن تكون ميزة تكتيكية، لكن جينتري رأى أن هذه الأرض المرتفعة لا لزوم لها.

كان هناك طريق آخر أسفل التل على يمينه. درب أغنام، لا يزيد عرضه على أربع أقدام، وهو شديد الانحدار لدرجة مذهلة، إذ ينحدر في خط مستقيم عبر الغابة باتجاه المرج على الجانب الآخر. لكن الدرب ضيق للغاية بحيث لا يمكن لعربة الثلج أن تشق طريقها فيه. المحاولة ستكون إيذاناً بالانتحار.

الآن سمع كورت أصواتاً تحته. صيحات الرجال مسورة وراء صيدهم. كانوا يتحركون في الطريق المؤدي إليه، ويقتربون من موقعه المحاصر.

صاحب رقم واحد: «ليس لديه مهرب!». لم يكلف نفسه عناء استخدام جهاز الراديو الخاص به، إذ أضعف سمعه وبقي رجاله ضجيج الانفجار وطلقات الرصاص طوال الليل. لقد صاح لتوه في الرجال الثلاثة حوله وهم يركضون على الطريق الزلق. ترك رقم ثلاثة في الكوخ يلف الضمادات على إصابته، وكان يقطا وجاهزاً رغم كونه خارج القتال.

ألقى الليبيون الأربع، الذين اقتربوا من القمة التي تعلوهم، خزائن أسلحتهم الرشاشة، وبحثوا عن ذخيرة كافية. عملياً، أعادوا تثبيت الدبابيس، وأعادوا النقر عليها في مكانها، ثم غطت نظارات الرؤية الليلية عيونهم.

تساقط الثلج المتواصل أعاد الرؤية أمامهم. أبطئوا عند اقترابهم من القمة، وانتشروا بهدوء عبر الطريق دون انتظار تعليمات لفعل ذلك. وفجأة دوى ضجيج محرك عربة الثلج من جديد. وارتفع صوته وسرعته، ثم ظهر مصباح أمامي واحد أمام الليبيين الأربع وفوقهم، متوجهاً مثل شبح أخضر في نظارات الرؤية الليلية الخاصة بهم وهو يتوجه نحوهم.

صاحب رقم واحد مزمجرًا: «أطلق النار!». جثا القتلة الأربع على ركبهم، وأطلقوا الرصاص على العربة القادمة. أطلقت البنادق الأربع عشرين طلقة من الرصاص المجوف في الثانية. قفزت الطلقات في اتجاه مقوس، وارتسمت وارتدت في السماء مثل اليراعات التي تعمل بالطاقة الصاروخية.

على بعد ثلاثة مترًا حلقت العربية فوق الأرض على ارتفاع خمسة وعشرين متراً ثم هبطت بقوة، وارتدت مرة أخرى في الهواء، لكن هبطت على جانبها. ظل الضوء يعمل، بينما انزلقت العربية أسفل التل متتجاوزة الليبيين الأربع ووقفت خلفهم بعشرين متراً.

هذا المحرك، وانبعثت منه الغازات الساخنة لتشوش على نظارات الرجال. ركض رقم واحد إلى عربة الثلج بعد إعادة تعبئته سلاحه. انزلق على الجليد وسقط على ركبتيه. مر بجانبه رقم اثنين عندما عاد، فتأكدت شكوك الرجال الأربع بعد رصد سريع للطريق: «إنه ليس هنا!».

ظن كورت للحظة أنه ربما كان يتزلق بسرعة خمسين ميلًا في الساعة. بدا كل شيء أسرع على مستوى الأرض بالطبع، وقد دفعه الثلج والجليد والجذوع المفتة والعشب الذي طار في وجهه لإدراك سرعته. ولكن مهما تكن السرعة الفعلية، عرف جينتري أنه يهوي في درب الأغنام بسرعة كبيرة.

كان من الصعب عليه أن يتخلص عن حقيقة العتاد الثانية، لكنه لم يجد بديلاً. لقد ألقى الأسلحة والقنابل اليدوية والمناظير هناك على الجليد. وربط البنادق القصيرة بالمقود ليقى مستقيماً، ثم استخدم سلكاً طويلاً لإبقاء الضغط على دوامة الوقود.

شاهد العربية وهي تقفز فوق الحافة وتنزل إلى الطريق، ثم ركض بأقصى سرعته عبر الثلج بطول الجرف بمحاذاة جدار الجرانيت، حيث بدأ مسار الأغنام وانخفض بزاوية عشرين درجة عبر الغابة، مروراً بالحقل الأدنى، ثم إلى القرية الصغيرة التي ما زال يغشاها الظلام، فلن يزغ الفجر على جبال الشرق قبل ساعة.

قفز جينتري في الهواء بكمال سرعته، وهبط على قدميه المصايبتين على الثلج، ممسكاً بحقيقة الخيش الكبيرة خلف ظهره. كان الطريق

منحدراً تماماً في بدايته، لقد فقد السيطرة على الفور، لكنه عثر على موطن قدميه مرة أخرى عند امتداد أقل خطورة، لكن تبين أنه قصير للغاية.

سمع صوت الرصاص ورأى وميض الضوء عند التل المنحدر على يساره. لكنه لم يستغرق في التفكير لأبعد من مائة ياردة تقريباً، كان راضياً عن خطته. انزلق بسرعة خارج منطقة القتل. وفي الحقيقة، لم تكن خطة سيئة تماماً، بل اتضح أن تفيذها مقصود. عندما انزلق إلى الغابة، قطعت جذور شجرة صنوبر مسار الأغنام، فانزلق بسرعة كبيرة حتى لم يعد بوسعه التوقف.

طار في الهواء نحو بركة جليدية فوق عقدة من الجذور، وطرح جسده بزاوية قائمة في الهواء. هبط عمودياً على جانبه في الاتجاه الذي كان يسير فيه، ودفعه هذا إلى الدوران والتدحرج مراراً وتكراراً. تحملت ركباته المضمدتان وزن جسده في ضربة خاطفة بينما كان يدور، وتكونت الثلوج حول قدميه، فطَّوح هذا جسده نحو تسعين درجة أخرى. لقد وجد نفسه مقلوئاً، فقدت حقيقته المصنوعة من الخيش منذ فترة طويلة، وقد هوى من الغابة إلى بستان فوق قرية جواردا القديمة، ويداه أماماه مثل سوبرمان بلا سيطرة على اندفاعه.

استمر الانزلاق لما يزيد قليلاً على خمس وأربعين ثانية بدت لجينيري وكأنها دهر. وعندما انتهى، استلقى على ظهره في الثلج. استغرق بعض ثوانٍ للسيطرة على الدوار، جلس ليتحقق من أن وظائف جسده لم يصبها سوء، ثم وقف بثبات في الصباح الغائم ليتفحص جروحه. كان الجرح الذي أحدثته الرصاصة في فخذه اليمنى ينبع بشكل أكثر من المعتاد؛ كان على يقين من أنه أعاد فتح كل جرح كان قد التأم في اليومين الماضيين. ثمة وخز في ركبتيه، على الأرجح نزيف.

أصيب كعباه، لكن بدا أنهما جاهزان للعمل. شعر بألم في الجانب الأيمن من قفصه الصدري عندما أخذ نفساً من هواء الجبل البارد. ظن أنه ربما كسرت إحدى ضلوعه، سيكون هذا مؤلماً ولكن سيتحمله بدأ أن رسمه الأيسر قد أصيب بشيء ما أو بعده إصابات، أو شيء ما على سفح الجبل، وقد تورمت منطقة العصب الرزني بشدة.

بعد تقييمه لكل ما سبق، أيقن الرجل الرمادي أنه محظوظ لكونه بخير، إذ لم يما كان الانزلاق والتدحرج والقفز على منحدر التل الحاد في الظلام أسوأ بكثير، حتى دون تعرضه لإطلاق النار من مسلحين. لكن حين فحص متعلقاته هبطت معنوياته من جديد. لقد فقد كل شيء ما عدا مسدس فالتر الصغير في جراب كعبه، محفظته مغلقة في جيبه الخلفي، وخنجر قابل للطي في جيبه الأمامي. لقد فقد كل شيء آخر: هاتفًا خلويًا، معدات طبية، ذخيرة إضافية مسدسات، قنابل يدوية، مناظير.

استغرق الأمر عشرين دقيقة أخرى لكي يصل إلى سفح الوادي، هبوطاً على طريق واحد ومسار سكة حديد. ثم إلى محطة القطار المكونة من غرفة واحدة. كان الثلج قد تحول إلى جليد. ارتجف، ودفن يديه اللتين لا تغطيهما قفازات في جيبيه.

رأى حافلة صغيرة، السيارة الوحيدة التي توقفت في ساحة الانتظار الصغيرة. ظن أنها عربة فرقة القتل. كسر النافذة الجانبية للسائق ودخلها بسرعة، ثم حطم عمود التوجيه بركلتيه من كعب حذائه. في ثوانٍ أخرى أسطوانة التشغيل، وفي أقل من دقيقة أشعل أسلاك التشغيل. لكن محرك الشاحنة لم يعمل. راح يفتح حوله عن مفتاح تشغيل تحت لوحة القيادة، لكنه لم يجد شيئاً، قفز مرة أخرى من الشاحنة، أغلق الباب، وغرس خنجره في أحد الإطارات الأربع.

كان يعلم أن التخريب سيكشف للمسلحين أنه نجح في الوصول إلى هذا الحد، وأنه حتماً انطلق على الطريق الآن، لكنه قرر أن عليه

مغادرة جواردا فوراً، وستصل الشرطة في غضون دقائق. لن يتمكن فريق القتل من البحث عنه في العادة طوال الصباح؛ لذلك ليس مجدياً أن يسعى إلى تضليلهم بأنه لا يزال على الجبل.

في أثناء وقوفه اعتقد أنهم لا يبعدون أكثر من عشر دقائق أو ربما عشرين، اعتماداً على مدى قلقهم من أن يكشفهم القرويون أو مدى قلقهم من مقابلة أولى سيارات الشرطة التي كانت تصعد التل المنحدر. حطم كورت زجاج نافذة صغيرة في باب محطة القطار وفتح الملاج. أولاً، فحص جدول مواعيد معلقاً على الحائط لجميع القطارات في البلاد. ثم سحب معطفاً بنرياً ثقيلاً من حامل المعاطف. انزلق جينتري فيه. كان ضيقاً قليلاً عند الكتفين، لكن سيفيه على قيد الحياة.

كانت هناك دراجة نسائية ياطارات سميكية مائلة على الحائط، أخذها جينتري، وأغلق الباب خلفه، وعبس حين شعر بألم في قفصه الصدري عندما رفع إحدى ساقيه ليركب الدراجة. تخطت الساعة السادسة، وكان يعلم أن القطارات لن تبدأ بالعمل عبر الوادي حتى السابعة. عليه أن يصل إلى قرية أكبر ليأخذ أول قطار سريع في الصباح إلى زيورخ.

لذلك سار بالدراجة غرباً على طريق إنجادين بعيداً عن أفق الفجر البرتقالي الخافت خلفه. آلمه كل من ظهره السفلي وفخدنه اليمنى وركبته اليسرى كلما أدار البدال. لسع البرد وجهه فانحنى بينما يتسلط الثلج، كان متعباً بشدة وجريحًا ومحبطاً. لقد أضاع يوماً كاملاً في ملاحقة الوثائق والأسلحة، ولم يحصد شيئاً سوى الإصابات. ومع ذلك، قليل من الرجال على وجه الأرض يمكنهم استدعاء العزيمة في مواجهة الشدائـد؛ وهكذا كان الرجل المنفك الذي يتزف في معطف على غير مقاسه راكباً دراجة نسائية.

لم تكن لديه خطة، ولا معدات، ولا مساعدة، وهو الآن على يقين أنه لا أصدقاء لديه. لقد كذب عليه فيتزروي وأوقع به. علم كورت

أن له كل الحق في الاختفاء وترك دون لمن جعله يتخلّى عن عميه الأول أياً كان ليطبق عليه لكن كورت قرر المواصلة غريباً، على الأقل في الوقت الحالي. كان يعلم أنه بحاجة إلى أن يفهم ما يحدث فهماً أفضل، ولم يكن يعرف لهذا إلا سبيلاً واحداً.

قبل الساعة السادسة صباحاً بقليل بتوقيت لندن، نظر السير دونالد فيتزروي من نافذة طائرة سيكورسكي إلى حقل أخضر.

عندما كانت المروحية تطير على ارتفاع منخفض، انحسر المنظر الطبيعي وظهرت أمواج البحر والمياه الدكناه على ارتفاع ألف قدم. ظهرت تحته منحدرات دوفر البيضاء ونهاية الجزر البريطانية وبداية القناة الإنجليزية. سافر هو ولويد والسيد فيليكس، ممثل الرئيس أبي بكر، جنباً إلى جنب مع الفني وموظفي مجموعة لوران الأربعة جنوباً نحو نورماندي. لم يكن الرجل الإنجليزي البالغ ثمانية وستين عاماً يعرف السبب. «حافز إضافي» هذا ما قاله لويد قبل ساعة.

قال: «إذا فشل الليبيون في المهمة في سويسرا وغير كورت رأيه، وأخبرك أنه بالرغم من كل ما يهتم لأمره، يمكن لعائلتك أن تذهب إلى الجحيم، سيكون لدى إغراء آخر سأستخدمه للإيقاع به».

قبل أن يتمكن فيتزروي من الاستفسار أكثر، كان لويد يتحدث عبر الهاتف. طلب إرسال مروحية تعمل بالوقود على الفور لرحلة عبر القناة إلى مهبط طائرات باترسى.

سافر السير دونالد إلى دول قارة أوروبا كثيراً، أحياناً بالطائرة من جاتويك أو هيثرو، وأحياناً بواسطة قطار يوروستار فائق السرعة عبر القناة، لكنه فضل كثيراً الطريق البري والبحري. القطار جنوباً عبر شاتهام ثم إلى دوفر، على متن عبارة إلى كاليه في فرنسا أو أوستند أو زيلروجي في بلجيكا. كانت هذه هي الطريقة التقليدية، طريقة شبابه، ولا يمكن مقارنة خطوط الطيران السريعة والسهلة، ولا الوسائل العصرية كنفق يمر تحت بحر الشمال، بالفخر والحب اللذين شعر

بهمما عندما عاد إلى إنجلترا على متن العِبَارَة. وفي الضباب البعيد فوق الماء، استطاع أن يرى منحدرات دوفر البيضاء بكل جلالها.

هل من شيء يعجب الرجل الإنجليزي أكثر من هذا؟ وقد حلت الطيور البيضاء، مرحبة بالمسافرين عبر القناة مثلما رحبت بعودة الطائرة التابعة لسلاح الجو الملكي قبل سبعين عاماً، كانت هيأكل الطائرات الرفيعة مثقوبة وملينة بالشباب الصغار الذين قتلوا وما توا وخارطوا بكل شيء، من أجل صاحبة الجلالة في الحرب الجوية ضد الفاشية. الآن يحدُّق دونالد بحزن عبر النافذة الجانبية.

شاهد جمال دوفر يبتعد خلفه في الفجر المقرم، وأدرك أنه – على الأرجح – لن يرى هذا المنظر مرة أخرى.

كان لويد يتحدث عبر الخط الداخلي: «تلقيت للتو الخبر من ريجيل. لقد فشل الليبيون». وكان صوته يرن عبر ساعات الأذن التي تضغط على خصلات الشعر الأبيض على جانبي رأس السير دونالد. نظر فيتزروي حوله في الطائرة ووجد لويد على الجانب الآخر مواجهاً له. التقت أعينهم في الوجه الأحمر الخافت لأضواء المقصورة. لاحظ فيتزروي أن بذلة الشاب الأميركي قد تجعدت في الأربع وعشرين ساعة الماضية، وقد حل رباط عنقه ليتدلى من ياقه مفتوحة.

سأل الإنجليزي: «كم عدد الأرواح التي فقدت؟».

أجابه: «صفر، على نحو مدهش. أصيب رجل. يقولون إن الرجل الرمادي شبح».

قال فيتزروي في ميكروفونه: «المقارنة في غير محلها».

– «للأسف لا. ماتت الأشباح بالفعل».

أخذ لويد نفساً عميقاً ثم قال: «سأرسل الليبيين إلى بايو لدعم التغطية هناك، في حال إذا كسب جينيري التحدي».

هز فيتزروي رأسه وقال: «انس ذلك. كنت الوحيد الذي يعرف عن المخبأ المؤقت في سويسرا. سيعرف أني كنت من أبلغ القتلة. إذا علم أني كنت أخدعه طوال الوقت، فلن يميل إلى إنقاذ عائلتي».

ابتسم لويد للتو: «لقد أعددت لهذا الأمر الطارئ».

ـ هل أنت أبله؟ لن يأتي الإنقاذه. ألا يمكنك فهم ذلك؟

ـ لم تعد هذه خططي.

ـ ثم التفت لويد بعيداً، واستشار الفني.

أسرعت المروحة فوق القناة، بدا ويمض ضوء القمر على الماء أدناها كصينية من الألماس السائب. في السابعة صباحاً عبرت الطائرة⁽¹⁾

مباشرة فوق شاطئ أواماها، أكثر مواقع الإنزال دموية منذ نورماندي ما يقرب من ثلاثة آلاف شاب أمريكي لقوا حتفهم في الماء وعلى الرمال وفي الجروف قبلة الشاطئ تحتها. لم ينظر لويد من النافذة. كان يتحدث إلى الفني عبر الراديو الداخلي للمروحة؛ استمع السير دونالد لكنه لم يقل شيئاً. صاح لويد بجدية مطلقاً أوامره، وراح ينسق تحركات خبراء المراقبة مثل البيادق على رقعة الشطرنج.

أمر الفني بإرسال جميع فرق القتل شرق جواردا إلى الغرب من جواردا: زيورخ، لوسيرن، برن، بازل. وإذا قصرت المسافة بين نقطة انطلاق جينترى وهدفه، أصبحت المساحة محدودة أمام فرق القتلة العشر الذين ما زالوا يقاتلون على الأرض.

قال: «فلتنقل الفنزويليين من فرانكفورت إلى زيورخ. وجه الأفارقة الجنوبيين إلى برن حال اتجه جنوباً. من في ميونيخ؟ إذا فقد اجتاز جينترى البوتسوانيين بالفعل. فلنعدهم إلى باريس. يمكنهم دعم السريلانكيين في الموقع هناك. الكازاخيون في ليون صحيح؟ ليون

(1) : ترمز إلى انتصار الحلفاء عند غزو نورماندي في عملية أوفلورد خلال الحرب العالمية الثانية.

بعيدة للغاية في الجنوب، سنتبتهم هناك حتى نحصل على المزيد من المعلومات. تيقن من أنهم بالقرب من الطريق السريع وعلى استعداد للتوجه شمالاً. أرسل تفاصيل أخرى عن المراقبة إلى زيورخ وتحقق جيداً من قائمة شركاء جينتري المعروفين. مَنْ أيضاً في باريس؟ حسناً، لا يهمني كم هو بارع؛ رجل واحد لا يكفي. تاريخ جينتري هناك حافل، أريد ثلاثة فرق في باريس بالإضافة إلى الكوري. الكوري لم يسجل وصولاً؟ لا تقلق. فقط استمر في إرسال التحديات إليه. إنه عميل منفرد ولن يتصل ليشكو الوحدة».

جلست كلير في قلق على حافة فراشها. كانت الساعة السابعة والنصف صباحاً، قبل نصف ساعة من اكتمال شروق الشمس.

نالت قسطاً من النوم فقط لأن والدتها جعلتها تتناول القليل من دواء السعال الأخضر الفظيع الليلة الماضية. عندما استيقظت، كان الظلام لا يزال مخيماً. في البداية تساءلت عن مكانها، وبالتدريج تذكرت الأحداث المروعة التي وقعت في اليوم السابق، والتي بلغت ذروتها في رحلة قصيرة بالسيارة من فيلا العائلة في بايو إلى القصر القديم الكبير مع البوابة الضخمة والممر الطويل والعشب الأخضر. تذكرت الرجال الضخام ذوي المعااطف الجلدية، الذين يتحدثون لغة غريبة، ونظرات الخوف على وجهي أبيها وأمها على الرغم من تأكيدهما المستمر أن كل شيء على ما يرام.

تفقدت كلير أختها التي نامت بجوارها. كانت كيت هناك، تجرعت هي أيضاً دواء السعال. جلست كلير على حافة الفراش ونظرت من النافذة فلم تجد حركة إلا من الرجل الضخم الموجود بالأسفل في ساحة انتظار السيارات بجانب القلعة. علق مسدساً كبيراً حول رقبته، وكان يخرج من معطفه سيجارة تلو الأخرى ويدخن باستمرار.

بين الحين والآخر كان يتحدث في جهاز اتصال لا سلكي. تعرفت إليه كلير، وتذكرت جيم، الأمريكي الذي أقام مع عائلتها عندما كانت صغيرة. كان لديه جهاز راديو، وقد أوضح لها ولأختها كيفية الضغط على الزر والتحدث فيه مثل الهاتف، بينما ترد والدتها عبر الطرف الآخر من الحديقة الخلفية.

لم يشبه هؤلاء الرجال حولها الأمريكي جيم. على الرغم من أنها لا تتذكر كل شيء من الفترة التي أمضتها في منزلها، لكنها تذكر كم كان لطيفاً وودوداً، في حين كان لهؤلاء الرجال وجوه غاضبة عابسة.

الليلة الماضية قبل أن تجعل الأم الفتاين تشيران دواء السعال، أرادت كيت أن تستكشف جميع أنحاء القلعة. ذهبت معها كلير، لكنها لم تكن تلعب مثل اختها السخيفة. تجاهلهما الرجال العابسون وهما تشيران في المطبخ. فرعت كيت على القدور والمقالب بالملعقة فتردد صداها بقوة في القصر الضخم. تجولنا على ممرات ذات أرضيات خشبية لا نهاية لها، ولم تكمل السير في بعضها، لأنها كانت مُخيفة ومظلمة للغاية.

عثرت على قبو مليء بزجاجات نبيذ متربة، وووجدت مكتبة كبيرة مليئة بالمجلدات الضخمة، وغرفة بعد غرفة اصطفت على جدرانها رؤوس حيوانات كبيرة مخيفة، بالفراء والقرون والأسنان الضخمة. ركضت قطة برتقالية في القاعة، وتبعتها نزولاً إلى الطابق السفلي، وشاهدتها تفتح نافذة صغيرة عالية على جدار فوق رف، وتنطلق إلى الخارج في الحديقة الخلفية.

بعد ذلك اكتشفت الفتاتان سلماً دائرياً يُفضي إلى أعلى ثم أعلى ثم أعلى، فصعدتا إلى قمة برج. وهناك أشعلتا الضوء، ورأينا رجالاً على طاولة يجلس على كرسي وينظر من إحدى النوافذ المفتوحة إلى الظلام. بجواره جهاز راديو وأمامه مسدس كبير. لقد صرخ في الفتاتين بلغة أجنبية غليظة، فضحكـتـ كـيتـ وركضـتـ لـتهـبـطـ الـدرجـ.

تبعد كلير أختها، لكن قلبها خفق في صدرها. صاح الرجل في جهاز الراديو الخاص به، وسرعان ما جاء الرجال وأخذوا الفتاتين وجذبواهما من أذرعهما إلى غرفة والديهما. طلب أحد الرجال الضخام من والدهما باللغة الإنجليزية أن يضع فتاته في الفراش، وقد صاح الأب في وجه الرجل، وطلب منه إبعاد يديه، ثم اقتحم الشرفة، بينما أحضرت الأم كيت وكلير لتدخل الحمام وشرب الدواء.

لقد كان يوماً فظيعاً وليلة مروعة، والآن بعد أن استيقظت كلير، عرفت أنه لم يكن حلمًا سيئًا، ومن المحتمل أن يكون اليوم بنفس القدر من الرعب.

وبينما تجلس كلير مضطربة على حافة سريرها في الإضاءة الخافتة، ظنت أنها سمعت ضجيجاً غريباً يأتي من بعيد. سرعان ما ارتفع صوته واقترب من القصر. امتلأت السماء فوق منزلها في لندن بطائرات الهليكوبتر، لذلك لم تستغرق وقتاً طويلاً لتعرف على صوت المروحية المميز.

نهضت لتتظر عبر النافذة. حلقت المروحية فوق الغابة على الجانب البعيد من النافورة الكبيرة في الحديقة الخلفية الشاسعة. تدور دواراتها السوداء فوق جسمها الأبيض بينما تقترب من الحافة البعيدة لموقف السيارات المفروش بالحصى، ثم استدارت إلى الجانب وهبطت على عجلاتها واستقرت. انفتح الباب الجانبي ليخرج منه أربعة رجال يرتدون بدلات.

طار معطف أحد الرجال بفعل زوابع الرياح التي أثارتها المروحية، وحتى من بعد ستين متراً رأت كلير جراب المسدس ملتفاً حول قميص الرجل الأبيض. المزيد من الرجال المدججين بالسلاح.

وبينما كانت شفرات المروحية تدور فوقهم، خرج أربعة رجال آخرون. كان الرجل الأول أسود البشرة ويرتدى بدلة بنية. بينما حمل الرجل الثاني الذي يربط شعره الطويل على هيئة ذيل حصان، حقيبتين

وركض نحو القصر. ثم جاء رجل يحمل حقيبة. كان نحيفاً ويرتدي بدلة سوداء فوقها معطف واق من المطر. كان شعره الأسود اللامع قصيراً أشعث من أثر الرياح، أدركت كليئه حتى من بعد أنه شخص مهم. من تلفته حوله، واندفاعه إلى الأمام على باطن قدميه، وإشاراته لمن حوله.

الرجل التالي الذي خرج من المروحة كان أكبر وأصلع باستثناء الشعر الأبيض الطويل حول أذنيه، والذي تموج أسفل المراوح الدوارة. ضغطت كلير وجهها على الزجاج، تجاهد لإلقاء نظرة أفضل. ثم صرخت بصوت عالٍ، في البداية أيقظت كيت التي كانت قد تمكنت بطريقة ما من النوم حتى مع اقتراب المروحة وهبوطها.

«جدي!».

سمح لفيتزروي بدقة واحدة مع ابنه وزوجة ابنه في مطبخ في الطابق الأرضي من القصر. كان فيليب وإليز مذعورين ومرتلين، حتى أن خوفهما لم يفسح مجالاً للغضب. نُقل فيتزروي إلى غرفة كبيرة بالطابق الثالث أقيمت على غرار غرفة الاجتماعات في فرع مجموعة لوران في لندن. كان له مقعد خاص، كرسي كبير بذراعين من طراز لويس الخامس عشر، وكان للويد كرسيه الخاص أيضاً، ذو تصميم عصري أنيق أسود اللون.

حضر الفني بالفعل، وجهز المعدات على مجموعة طويلة من الطاولات التي نُقلت من غرف أخرى، وجمعت معاً لتناسب احتياجاته. كان الآن يضغط على مفاتيح أجهزة الكمبيوتر محمولة وأجهزة الراديو، ناقلاً مركز العمليات الجديد عبر الإنترن特.

للغرفة ثلاثة أبواب، أحدها يؤدي إلى الحمام المجاور، والثاني إلى القاعة الرئيسية، والثالث كان مدخلاً لسلم دائري صغير يتوجه حتماً إلى البرج فوقهم، ويستمر نزولاً إلى الطوابق السفلية، أو هكذا لاحظ

فيتزروي حين جاء منه أحد أفراد الحراسة البيلاروسية وتحدث على انفراد مع لويد.

استقر الوافدون الجدد من لندن في أماكنهم حتى اهتز هاتف السير دونالد على المنضدة بجوار كرسيه. امتد منه سلك إلى صندوق مكبر صوت على المنضدة.

عندما ضغط لويد على الزر للرد، صاح الفني في الغرفة بأنه لم يكن مستعداً بعد لتبني المكالمة.

قال السير دونالد بصوت متعب ومبحوح: «أمن شلتنهام».

قال الرجل الرمادي: «هذا أنا».

سأله: «كيف حالك يا فتى؟».

كانت هناك وقفة طويلة، وأخيراً قال: «أخبرتهم عن جواردا». لم ينكر فيتزروي ذلك. قال بهدوء وملل: «نعم فعلت. أنا آسف حقاً».

رد عليه: «لست آسفاً كما ستكون عندما تموت عائلتك. مع السلامة، أتمنى لك التوفيق، يا دون».

وقف لويد في منتصف الغرفة. مشى بسرعة إلى الطاولة وانحني على الهاتف وتحدث: «صباح الخير، كورتلاند».

لم يكن هناك رد على الخط لفترة طويلة لدرجة أن لويد التقط الهاتف الصغير ونظر إليه ليرى ما إذا كانت المكالمة لا تزال قائمة.

- من هذا بحق الجحيم؟

- كورت، ربما يجب أن ترأف بالفارس النبيل هنا. أخشى أنني وضعته في موقف لا يُحسد عليه إطلاقاً.

- من أنت؟

- أنت لا تعرف صوتي؟

- لا.

ـ كنا نعمل معاً. أنا لويد.

لم يكن هنالك رد.

تابع لويد: «من لانجلي، منذ أيام هالسيون أنت تعرف».

ـ لويد؟

ـ هذا صحيح. كيف حالك؟

ـ أنا لا أتذكر أي لويد.

ـ بربك يا سيد جينتري. لم يمض وقت طويل. لقد عملت لصالح هانلي، وساعدت في إدارتك وبعض العملاء الآخرين في أصعب العمليات في فترة فرقة الأشقياء.

ـ أذكر هانلي لكن لا أتذكرك.

استطاع فيتزروي أن يرى أن لويد تعرض للإهانة حقاً.

قال: «حسناً، كونك بطجيًا فلم تكن معروفاً قط بذكائك الاجتماعي». نظر إلى السير دونالد، محرج ربما؟ لوح بيد رافضة. قائلًا: «لأ بهم. المهم هو أنه بالرغم من رفضك المجيء إلى هنا إلى نورماندي لمساعدة قائدك المغوار، لكن ربما عليك أن تفكّر في الحفاظ على خط سير رحلتك الحالي فأؤكّد لك، ما زال هناك شيء تريده هنا».

ـ لست أرغب في شيء لدرجة أن أوقع نفسي في الفخ عمداً. وداعاً يا فلويد.

ـ إنها لام مشددة، وليس فاء.. لويد، وربما من الأفضل لك أن تبقى على الخط لتسمع عرضي.

سأل جينتري: «هل كنت أنت من وجه إليّ إنذار الحرق قبل أربع سنوات؟». وبذا صوته هادئاً عبر الهاتف، لكن فيتزروي كان يعلم أن سؤالاً كهذا حتماً ينطوي على مشاعر ثقيلة.

ـ لا، أنا لم أتخلص منك. لم أوفق على القرار آنذاك. اعتقدت أنه لا يزال من الممكن أن تكون مفيدة لنا.

-إذن من حرقني؟ هانلي؟

-دع هذه المناقشة ليوم آخر. ربما سنتحدث عنها حين تأتي إلى هنا.
ـ إنه موعد إدأ. وداعاً.

-في الوقت الحالي عليك ألا تقلق كثيراً بشأن من حرقك في 2006،
وأن تقلق أكثر منمن سيحرقك غداً إذا لم تأتِ في زيارة.
استنشق جينترى الهواء بصوت عالٍ في الهاتف ثم قال: «لا يمكن
حرقي مرتين».

-بالطبع يمكن. عندما غادرت الوكالة، حصلت على بوليصة تأمين.
رأيت ما حدث لك ولبعض الرجال الآخرين. كنت أعرف مدى
وحشية السياسيين الذين يديرون الهيئة إذا لم يدعموا عملية ما، مهما
تكن ناجحة، مع الرجال والنساء الذين يتquin عليهم الإدلة بشهاداتهم
 أمام الكونجرس. قلت لنفسي، لويد، أنت أذكي من أن تسقط مثل
 كورت جينترى العجوز الغبي والآخرين، لذلك فعلت ما كان علىي فعله
 لضمان بقائيـ لقد سرقت الأسرار.

-كما قلت، أنا أنجو بنفسي.
ـ أنت خائن.

-سيان. لقد نسخت المستندات التي توضح بالتفصيل العمليات
 والمصادر والأساليب وملفات الموظفين.
ـ ملفات الموظفين؟

-نعم. بحوزتي الآن.
ـ هراء.

ـ لحظة واحدة.

شاهد فيتزروي لويد يقلب ياصبعه بعض الأوراق في مجلد ذهبي
 على الطاولة. كانت هناك كومة من المجلدات المماثلة إلى جانب تلك
 التي التقطها الشاب الأمريكي. ويتلع: «جينترى، كورتلاند أ. ولد في

74/4 في جاكسونفيل، فلوريدا. الوالدان جيم وليلي جينتري.
توفي أخ واحد. التحق بالمدرسة الثانوية في...».
ـ هذا يكفي.

ـ لدى المزيد. لقد حصلت على كل شيء: تاريخ وكالتك مع
قسم الأنشطة الخاصة وبرنامج تطوير العملاء المستقلين. بطولاتك
في جولف سييرا. شركائك المعروفين. الصور وبصمات الأصابع
وسجلات الأسنان، إلى آخره.

ـ ماذا تريد؟

ـ أريدك أن تأتي إلى نورماندي.

ـ لماذا؟

ـ ستناقش ذلك عندما تصل.

استمر التوقف لفترة طويلة بما يكفي لكي يسمع فيتزروي بعض
ما يجري في الطابق الثاني تحته. كانت إليز تصيح في فيليب. السير
دونالد كان يعلم أن زواجهما لم يكن مستقرًا، وكان يعلم أن هذا
الضغط هو آخر شيء يحتاجان إليه.

أخيراً تحدث جينتري: «افعل ما شئت يا لويد. انشر المستندات
الخاصة حتى، أنا لا أكترث. لقد انتهيت من هذا».

ـ ممتاز. سأنشر بياناتك على العالم. في غضون أسبوع، كل رجل
عصابة أساء إليه، وكل وكالة عدو واجهتها، وكل قاتل غاضب تغلبت
عليه للحصول على عقد، سيلاحقونك جميعاً. سيجعل هذا الثماني
والأربعين ساعة الماضية تبدو كأنها كانت عطلة نهارية في منتجع
صحي.

ـ يمكنني تحمل الأمر.

ـ وفيتزروي سيموت. وكذلك عائلته. هل يمكنك تحمل هذا؟
قال بتrepid طفيف: «ما كان يجب أن يخدعني».

قال لويد: «حسناً. أنت رجل صلب يا كورت، فهمت. لكنَّ هناك شيئاً واحداً آخر نسيت أن أذكره. لم تكن ملفاتك هي ملفات الموظفين الوحيدة التي جمعتها من الوكالة. إذا لم تأت إلى نورماندي، فساوزع الأسماء والصور وملفات الشركاء المعروفين لجميع العملاء في قسم الأنشطة الخاصة، النشطين أو غير النشطين أو المتقاعدين أو المستبعدين بأي بطريقة. سيصبح كل قاتل مثلك تماماً، محروقاً، مطارداً، معلقاً حتى يجف لأن خدماته أصبحت عديمة الفائدة، وأسماءهم تظهر في كل محرك بحث على الإنترنت».

مر وقت طويل قبل أن يتكلم جينترى: «ما جدوى كل هذا بحق الجحيم؟ هل تفعل كل هذا فقط لتصل إليَّ؟».

أجابه: «لا يتعلق الأمر بك وحسب أيها الأحمق المتغطرس! أنت تافه بالنسبة للهدف الحقيقي. لكنني أحتاج إليك هنا. أحتاج إليك هنا، أو سأحرق أفضل العملاء السررين الأميركيين الموجودين على الأرض. سأحرص على أن ترى كل وحدة الأنشطة الخاصة وجميع شركائهم المعروفين أنهم كلاب مطاردة فحسب!».

لم يقل كورت جينترى شيئاً. اقترب فيتزروى برأسه، ظناً منه أنه يستطيع سماع إيقاع طقطقة قطار فوق القضايان في خلفية الاتصال. بعد ذلك قال لويد: «بالطبع، سيستغرق الأمر بضعة أيام لأنشر جميع ملفات الموظفين الخاصة بك أنت وفتیان وحدة الأنشطة الخاصة على الإنترنت، إنها كثيرة للغاية بحق الجحيم، سأبدأ بشيء آخر. إذا لم تكن هنا في الصباح الباكر غداً، فأول من يسجل المغادرة هم عائلة فيتزروى في الطابق السفلي. أعتقد أنني سأبدأ بالصغار. على مبدأ الوارد أولاً يصرف أولاً. تعرف ما أعنيه؟ سأقتل الطفلين، وأقتل الوالدين، ثم سأقضى صباحي في قتل العجوز فيتزروى هنا».

تحدث جينترى في النهاية: «إذا لمست كلير أو كيت، فسائلن إليك، وساعدك ببطء شديد، حتى تكون أمنيتك الوحيدة هي أن تموت بسرعة».

صدق لويد بيديه وقال: «هذا ما أحب أن أسمع! المشاعر! عاطفة! حسناً، من الأفضل أن تأتي إلى هنا في الوقت المناسب للحصول على البيض والبسكويت غداً، لأن قطع عنقي هاتين الفتاتين الصغيرتين الجميلتين سيكون أول طلب بعد الإفطار!».

كان فيتزروي صامتاً، متوجهماً. لقد جلس متزوجاً في أثناء المحادثة مثل كلب منسي. ولكن عندما قال لويد جملته الأخيرة، هب السير دونالد من كرسي لويس الخامس عشر. واندفع نحو الأمريكي وأمسك بحنجرة الشاب. علقت الأسلاك التي جرى توصيلها حديثاً بأجهزة الكمبيوتر ومكبرات الصوت في أرجلهما، فانتشرت المعدات من الطاولة. انقلب كرسي لويد الدوار إلى أعلى بينما يسقط الاثنان على الأرض. كسر السير دونالد نظارة لويد المعدنية الرفيعة. وضرب بقبضتيه وجنتي خصمه. استغرق الأمر ما يقرب من عشر ثوان لدخول الحراسين الأيرلنديين الشماليين إلى الغرفة وإبعاد الرجل الإنجليزي الثقيل عن المحامي الأمريكي الشاب.

عندما جرى فصلهما أخيراً، دفع فيتزروي إلى كرسيه. هرع الحراسان الأسكتلنديان بعد ذلك وأمسكا برأسه وذراعيه. ترددت أصوات الصيحات والصرخ في جميع أنحاء الطابق الثالث عندما جاء أحد البيلاروسيين بسلسل عشر عليها في المرأب بجانب بيت النيات الزجاجي في فيتزروي تقريباً في كرسيه، لكنه ظل يقاتلهم جميعاً بينما يربطون السلسل على ذراعي وساقي كرسي لويس الخامس عشر، ويحكمون ربطة حول ذراعي وساقي السير دونالد. علقت الحلقات الحديدية الباردة حول رقبته وجهته. وصار كل شيء مؤمناً بقفل ضخم.

ظل لويد طوال الوقت على الأرض. كان يجلس ويتنفس بصعوبة، ويسوي شعره، ويعيد عقد رابطة عنقه. وجد نظارته على الأرض، ثنى ذراعيه قليلاً ليعدهما إلى وحالتهما الأصلية قدر الإمكان، ثم عاود ارتداءها. تعرض وجهه لخدوش طفيفة، وأصيب ذراعاه وذقنه ورقبته بكدمات، لكنه لم يصب بأذى.

أخيراً جلس مرة أخرى على كرسيه ودفعه عائداً إلى المكتب بالقرب من الهاتف.

قال: «عفواً كورت هناك بعض الصعوبات الفنية. لقد عدنا إليك. هل ما زلت هنا؟».

لكن جينترى أغلق الخط.

نظر لويد إلى فيتزروي ونظر فيتزروي إلى لويد، إذ لم يستطع أن ينظر في أي مكان آخر ورأسه مشدود بالسلاسل.

- من الأفضل أن يظل على المسار الصحيح يا دون، من الأفضل أن يظل على المسار الصحيح، وإنما فستموت أنت وعائلتك موتاً بطيناً وبائساً! هل تظن أني أحمق أو ساذج؟ هذا ما ظنته وكالة الاستخبارات المركزية. كنت أخلط الأوراق السياسية بينما يحصل المهاجمون على كل المجد. حسناً، تبا لهم، وتبأ لك! يمكنني اللعب بقداره تفوق أفضل الحيل قداره. يمكنني، وسأفعل ما أحتاج إليه لأتحقق من توقيع أبي بكر على العقد، وسنكون جاهزين لعملية الغاز الطبيعي بحلول ظهر الغد. سأنسى أمرك أنت وعائلتك. حتى ذلك الحين يمكنك أن تعيش أو تموت، لا يمكنني أن أحدد على الإطلاق. هذا قرارك يا دوني الصغير. إن أسأت معاملتي مرة أخرى، فربما لا أمنحك فرصة ثالثة.

- سيفى كورت على المسار الصحيح. سيأتي وسيقتلك.

-لن يصل إلى هنا. ولكن حتى لو فعل، فالرجل الرمادي الذي سيصل إلى هنا سيكون رجلاً مختلفاً تماماً عن الرجل الذي تعرفه. سيكون جريحاً، استنفذ وقته، ينقصه النوم والمعدات.

-معدات؟

-نعم. هذا النوع هالك دون معداته.

ضحك السير دونالد بغضب ثم قال: «ليس لديك فكرة عما تتحدث عنه. إن أغلى شيء بالنسبة لكورت في رأسه. السلاح الوحيد الذي يحتاج إليه هو عقله. كل شيء آخر: البنادق والسكاكين والقنابل.. مجرد كماليات».

-سخيف. لقد صدقت خرافات العملاء المتخصصين. لكنه في النهاية ما هو إلا بلطجي ذات الصيت.

-إنها ليست خرافة، ولا مجد فيما يفعله. إنه موثوق به في العمل، وبارد ووحشي وكفء مثل جزار الحي. اعترض طريقه وسترى.

-أوه، أنوي اعترض طريقه بكل ما أستطيع.

اكتسى وجه فيتزروي باللون الأحمر الفاتح والعرق بعد مصارعته خمسة رجال. لقد قُيد مثل الوحش إلى الكرسي مع حلقات سميكية تغطي ثلث رأسه. مع ذلك، ظل مبتسمًا.

ثم قال: «لقد تعاملت مع من يشررون من قبل، أوغاد صغار يحركون أفواههم عندما يكونون في مأمن بجوار الحائط، حمقى يملكون السلطة. لقد رأيت الكثير من الرجال مثلك يأتون وينذهبون في شبابي. ستأتي فرصتك لكنها سرعان ما ستختفي. أنت لا تخيفني».

ارت杰ف وجه لويد وهو يميل بالقرب من فيتزروي ويقول: «حًقاً. ما رأيك لو مشيت في الطابق السفلي ورحت أدندن إيني.. ميني.. ماني.. مو؟ ثم عدت هنا بجائزة صغيرة لها صفات؟ ماذا لو قتلت...».

أجا به فيتزروي: «أيها الأحمق الصغير. هل تخاف من الرجل المقيد بالسلال فتهدد طفلتين؟ كلما حاولت أن تُظهر لي مدى خطورتك،

طابت انطباعي عنك عندما رأيتك للمرة الأولى. مخت صغير ضعيف. أحمق مثير للشفقة. لا يمكنك التعامل مع رجل عجوز مقيد بكرسي، لذلك عليك أن تلاحق هدفاً أضعف. خائن جبان!».

ضاقت عينا لويد غضباً، وكانت أنفاسه ثقيلة في وجه فيتزروي. جلس الأمريكي بيضاء وابتسم قليلاً. رفع خصلة من شعره بعيداً حيث تدلّت فيه على جبهته، وضغطها مرة أخرى على فروة رأسه المخدوشة. وقال: «سأريك ما يمكنني فعله. فقط أنا وأنت». مد يده خلفه، إلى أحد رجال الأمن من مينسك عند الباب. وأتبع: «فليعطيوني أحدكم سكيناً».

استيقظ سونج بارك كيم عند الفجر في جناحه في فندق بلازا أثينا الفاخر.

أثار فيه الحي المحيط مشاعر الترف، لكنه لم ينم على الفراش، ولم يشرب من الثلاجة الصغيرة، ولم يشارك في خدمة الغرف. كان ينام في خزانة خلفية على الأرض بعد أن ثبت أسلاكاً وأجهزة تنبية حوله في كل مكان.

غادر غرفته في الساعة السادسة صباحاً، وبدأ يمشي في شوارع باريس، متذكراً الطرق المؤدية من الضفة اليمنى، فوق الجسور، إلى الضفة اليسرى، مقلداً مظاهر الغربيين وسلوكياتهم، بينما يحفظ نقاط الاختناق لحركة مرور السيارات والمشاة.

لقد تلقى قائمة على جهاز (جي بي إس) تحوي أسماء وعنوانين لزملاء معروفين للرجل الرمادي في باريس: زميل عمل سابق في وكالة الاستخبارات المركزية، ويرأس الآن شركة استخبارات خاصة في ناطحة سحاب بمنطقة لا ديفونس. وفي غرب المدينة، مترجم أفغاني استخدمه قسم الأنشطة الخاصة في كابول في عام 2001، ويمتلك الآن مطعماً شرق - أوسطياً رائعاً في الناحية اليسرى في شارع سان جيرمان، مخبر في شبكة فيتزروي كان أيضاً موظفاً فيدرالياً للقلم في وزارة الداخلية في مكتب بالقرب من ساحة الكونكورد، طيار ذو مهارة مشهورة سافر في مأمورية لوحدة الأنشطة الخاصة في أوروبا ويقيم الآن إقامة شبه دائمة في الحي اللاتيني.

استخدم الكوري وسائل النقل العام لإلقاء نظرة سريعة على كل موقع، والتحقق منها جميعاً، الوصول إلى المبني، ومواقع وقف السيارات

القريبة، وطرق النقل العام من وإلى كل منطقة. كان يعلم أن هناك مراقبين محليين وظفهم الأشخاص الذين طلبوا من حكومته إرساله، وفي الواقع رأى رجالاً ونساءً في كل موقع على قائمته، رجالاً ونساءً غير قادرٍ على البقاء دون أن يكتشفهم عامل مدرب تدريبياً جيداً. لم يساوره شك أن الرجل الرمادي سيراهם أيضاً. عرف كيم أنه عليه استبدال دعمهم بمهاراته في التتبع.

بعد ذلك، أجرى كيم جولات في وسط المدينة، ولا يزال يدرس الخريطة. كان مستعداً للانطلاق إلى أي من مواقع زملاء الرجل الرمادي المعروفة إذا شوهد، لكنه لم يتوقع أن يستخدم خصمه كمساعد في مهمته الحالية. أيقن كيم أنه ربما تجاوز باريس تماماً. كانت منطقة مزدحمة للغاية، بها عدد كبير للغاية من رجال الشرطة والعديد من الكاميرات والكثير من المعارف القديمة الذين سيكونون دائماً تحت المراقبة.

كيم يعرف أنه إذا أجبر القاتل الأمريكي على الذهاب إلى المدينة لأي سبب، فسيبذل قصارى جهده للحصول على ما يحتاج إليه من مصادر أخرى غير أولئك الذين يمكن تتبعهم. أدرك كيم هذا لأنه هو نفسه كان قاتلاً منفرداً. وحيداً. لقد كان هو نفسه مطارداً مثل الكلب، وقد أجبر على تجنب كل من يتوقع أن يساعدوه.

لكن كيم كان يعلم أيضاً أن العزلة والإرهاق والإصابة والضرورة واليأس أدت جميعها إلى أخطاء، وكان يعلم أنه إذا وصل هدفه بطريقة ما إلى باريس، واحتاج إلى شيء ما في المدينة، فسيكون الرجل الرمادي حيواناً يائساً حقاً، ولن يتوقع أحد تصرفه ورد فعله.

ربما كان هذا العميل بالفعل أخطر رجل في العالم، لكن تخليه عن الخوف الواضح وسباقه المحموم مع الزمن قد يوقعه في الخطأ. لكنه سيجعله أيضاً أكثر خطورة على من حوله. كيم يعرف أنه إذا جاءت

مكالمة تفيد بوجود الرجل الرمادي هنا، فسيتدفق الدم مثل النهر عبر
شوارع مدينة الأضواء.

ركب جينتري دراجته المسروقة فجراً في أثناء تساقط الثلوج، ثم
توقف عند محطة القطار في قرية أردizin.

كان عدد قليل من السكان المحليين يستعدون للسفر، في انتظار
القطارات الصباحية الأولى المتوجهة غرباً إلى زيورخ أو شرقاً إلى
الحدود الإيطالية أو النمساوية. استعار الأمريكي هاتفا خلويّاً من طفل
ينتظر القطار المتوجه شرقاً، ودفع للصبي المراهق ما يعادل أربعين
دولاراً للاتصال بفيتزروي لمدة خمس دقائق حتى يواجه مدیره بشأن
تسليمها.

مشى عشرين ياردة أسفل المنصة الخرسانية ليحصل على بعض
الخصوصية ووقف في الثلوج بينما يمر قطار متوجه إلى إنترلا肯. أغلق
الهاتف أخيراً عندما اندلع شجار على الطرف الآخر من الخط، ومسح
الرقم الموجود في ذاكرة الهاتف، وأعاده إلى الطفل مع النقود.

بعد بضع دقائق، صعد كورت على متن القطار الأول في الصباح
إلى زيورخ. كان يوم سبت، لذلك كان الراكب الوحيد في مقصورته
لأغلب مدة السفر عبر الوادي الضيق، التي استغرقت ساعة وخمسًا
وأربعين دقيقة. تهادى القطار الأحمر اللامع على محطات السكك
ال الحديدية عبر القرى الواقعة على طول مساره.

في القطار استعد جينتري وفحص جروحه بعدما أنزل سرواله في
العربة الخالية، ووخر بأطراف أصابعه الفرووح على ركبتيه، ومداخل
الجروح اللاذعة ومخارجها في فخذه. خشي أن تصاب جروح
الرصاصة ببعدي. وبالتأكيد، لم تساعد السباحة في خزان سزاربو.

بخلاف ذلك، كان بخير. لقد سار كثيراً على قدميه المتهتكتين،
فأخذتا تحفcan بوتيرة منتظمة، تماماً مثل ضلعه المكسورة.

كان يعلم أنه عليه الاستمرار في طريق نورماندي، على الرغم من شعوره بتضليل فرص نجاحه مع كل ميل يجتازه نحو الفخ الذي ينتظره. فيتزروي حقير لخداعه كما فعل. لكن، كان على جينترى أن يعترف، لقد وضع لويد السير دونالد في موقف صعب. تساءل كورت إلى أي مدى كان سيدهب هو نفسه، ومن كان سبب. فكر لو كانت التوأمان من عائلته وتعرضت حياتهما للخطر من حفنة من القروdes المسلح الذين لا يندمون على قتل الأطفال الأبرياء.

التفكير في لويد جعل دم جينترى يغلي. إنه بصرامة لم يتذكر الرجل، لكن وكالة الاستخبارات المركزية لم تخل قط من الأوغاد التافهين الذين يجلسون خلف المكاتب في الجزء الخلفي من العمليات السرية، وقتما كان الرجل الرمادي وأمثاله على خط النار. لم يكن بإمكانه كورت أن يتخيّل أي وجه، ولكن بين الحين والآخر كان رؤساؤه يعرفونه بأحد هؤلاء الموظفين المتألقين في لانجلي. لا بد أن لويد هو أحد هؤلاء، قبل أن يأخذ سجلات موظفي وحدة الأنشطة الخاصة باللغة السرية تاركاً الوكالة للالتحاق بالقطاع الخاص.

يا له من وغدا!

أراد كورت أن يتذكر لويد، وأن يعثر على شيء ما في بنوك ذاكرته يمكن أن يساعدك بطريقة ما على الخروج من مأزقه الحالى، لكن إيقاع حركة القطار على القضبان شجعه على النوم. بالرغم من كل الجروح والخدمات والعضلات المشدودة والثقوب الإضافية، كان الاسترخاء واجباً ثقيلاً، لكن يبدو أنه كان متعباً للغاية حتى لم يعد يشعر بالألم. لقد نام قبل دقائق قليلة من وصوله إلى زيورخ، واستيقظ من النوم بسبب تباطؤ القطار والإعلان المسجل عن التوقف الوشيك. وبينما ينهض ليشق طريقه إلى المخرج، انتقد نفسه لقلة انصباطه، بسبب نعاسه في الوقت الذي يتريص به القتلة من كثب.

في محطة زبورخ المركزية، اشتري تذكرة سفر إلى جنيف. يعني ذلك ساعتين آخرين على القبيان، لذلك شق طريقه إلى منضدة النقانق واحتى شطيرة كبيرة وفنجاناً من القهوة. مزيج غريب، لكنه كان يأمل أن تُبقي جرعة الكافيين ونصف باوند من البروتين الصلب جسده في حالة تأهب.

نزل عبر المصعد إلى مركز تسوق كبير على مستوىين أسفل المحطة، قبل عشرين دقيقة من مغادرة قطاره، ووجد حماماً بأجرة، فدخل إحدى الكبائن. جلس بملابسها الكاملة على الخزف، وأرجع رأسه إلى الحائط البارد خلفه. سحب مسدسه وأمسكه واضعاً إياه على ساقه.

كانت محطات القطار موقع يسهل فيها على أعدائه مطاردته. لم تعجبه ندرة طرق الهروب من كابينة المرحاض، ولكن مع ذلك، كان أفضل له أن يختبئ في المرحاض من أن يقف في محطته لمدة ربع ساعة فقط وكأنه يطلب من القوة المعارضة أن تعرف إليه. لو عثر عليه بطلاطية لوبد هنا، فسيفرغ خزينتي سلاح في باب المرحاض أمامه ويشق طريقه إلى الخارج.

لم تكن خطة حكيمة، لكنه اعترف كورت لنفسه بأن شروعه في هذه العملية من البداية يعتبر تنازلًا عن أي حكمة مزعومة. الآن كان كل ما عليه فعله هو أن يحاول تجاوز هذا الموقف العصيب، على أمل أن يعيش فقط حتى الساعة الثامنة صباح يوم الأحد.

قبل أقل من دقيقة من المغادرة، صعد جينتري إلى الرصيف المحاذي للمسار السابع عشر، وانسل بصمت إلى القطار المتوجه إلى جنيف حينما بدأ يتحرك.

رن هاتف ريجيل في التاسعة وأربعين دقيقة صباحاً. كان في مكتبه، يقضي يوم سبت مزدحماً، بعد أن ألغى - على مضض - رحلة صيد طيور في نهاية الأسبوع في أسكتلندا.

- ريجيل.

- سيدи. كروجر يتحدث.

كان كروجر رئيس الأمن السويسري لمقر مجموعة لوران في زيورخ. قال: «لديّ معلومات عن الهدف. تلقيت تعليمات بالاتصال بالسيد لويد، لكنني اعتقدت أن عليّ أن أبلغك بذلك».

- حسناً يا كروجر. سأمرر المعلومات. ماذا لديك؟

- إنه عندي يا سيدي. لقد استقل للتو قطار 9:40 المتوجه إلى جنيف. حجز تذكرة درجة ثانية، دون حجز.

- جنيف؟ لماذا يذهب جنوياً؟ يجب أن يتوجه غرباً.

- ربما كان يهرب، أقصد أنه يستسلم.

- ربما لا. هذا مستبعد، لكن لديه معارف هناك.

- يمكنني أن أجهز المراقبة في جنيف لاعتراضه في المحطة.

- لا. سنرتب حفلة ترحيب مختلفة له هناك لو كانت هذه وجهته الفعلية. قد يكون هذا تمويهاً. قد ينزل في الطريق، ويستقل قطاراً آخر إلى فرنسا. أريدك أن تثبت تغطية في كل محطة يتوقف فيها هذا القطار بين زيورخ وجنيف. تأكد أيضاً من أنه لن ينزل قبل مغادرة القطار.

- أنا في القطار بنفسي الآن. سأتولى أمره طوال الطريق وأطلعك على آخر المستجدات كلما اقتربنا.

- حسناً⁽¹⁾. أحسنت.

(1) بالألمانية في الأصل.

بعد ذلك اتصل ريجيل بالفني في قصر نورماندي: «وجه الفتزوبلين جنوبياً لمتابعة قطار 9:40 من زيوরخ إلى جنيف. الرجل الرمادي على متن القطار، لكنه قد يحاول التزول في الطريق. يجب أن يستعد الفتزوبلين للإمساك به في أي لحظة».

مفهوم.

فحص ريجيل خريطة كبيرة لسويسرا على مكتبه وقال: «أحضر الأفارقة الجنوبيين في بازل إلى جنيف. لو وصل جينيري إلى المحطة على قيد الحياة، يجب عليهم تتبعه والتخلص منه في الشارع. سيكون هناك الكثير من الكاميرات ورجال الشرطة في المحطة».

لم يستغرق كورت سوى خمس عشرة دقيقة. وجد مقعداً بجانب النافذة في المستوى العلوي في نهاية عربات الدرجة الثانية. كان قد خلع معطفه ولفه على جسده. وثبت تحته مسدسه في حجره، وأمسك بالقبض.

ثم غرق في النوم.
أرنى هوينتك⁽¹⁾.

استيقظ بيضاء ورأسه متکئ على النافذة. وبالرغم من رؤيته المشوشة بسبب احتقان عينيه بالدماء، لكنه شاهد هبات ثلجية تضرب النافذة المجاورة لوجهه. أراد أن يخرج لسانه ويتدوّق ندف الثلج الثقيل على الزجاج. كان الريف قد اكتسى باللون الأبيض، تألقت الجبال الصخرية باللونين الرمادي والبني، حيث لم تثبت الثلوج على الجرف بسبب انحداره الشديد.

كانت السحب منخفضة ورمادية، ورأى أمامه قرية. كان صباحاً شتوياً جميلاً.

(1) بالألمانية في الأصل.

سمع صوتاً قريباً من يمينه: «أرني هويتك!»⁽¹⁾. استدار كورت ونظر بسرعة، واستطاع أن يميز السلطة في أسلوب الأمر. وقف أمامه في الممر أربعة ضباط شرطة سويسريين يرتدون الزي الرسمي. كانوا يرتدون سراويل رمادية وسترات ذات درجتين من الرمادي. كانوا من شرطة المدينة، وليسوا الفيدراليين المدربين تدريبياً عالياً، وتدلّت على أرجلهم مسدسات جлок 17 كبيرة. بينما يمد أكبر شرطي سناً ذراعه إلى الأمام.

سأله: «أرني هويتك، من فضلك».«

فهم كورت الألمانية بشكل سطحي، أراد رقيب الشرطة ذو الشعر الأبيض أن يرى بطاقة هوية وليس تذكرة قطار. هذا ليس مبشراً.

حرّك جيترى المسدس المخبأ تحت معطفه، وحشره بين الوسادة البلاستيكية وجدار عربة القطار وهو جالس. لم يكن بحوزة جيترى هوية، فقط تذكرة. ما إن أصبح السلاح بعيداً عن الأنظار، اخترق معطفه وأخرج التذكرة وسلمها.

لم ينظر الشرطي حتى في الأمر. بل تحول إلى اللغة الإنجليزية. وقال: «أريد بطاقة هويتك من فضلك».

أجاب: «فقدت جواز سفري. أنا ذاهب إلى السفارة في جنيف للحصول على واحد آخر».

اتضح أن جميع رجال الشرطة الأربع يفهمون اللغة الإنجليزية، لأن الأربع نظروا إلى كورت كأنه يستخف بهم.

سأل الضابط الأكبر سناً: «أأنت أمريكي؟». أجابه: «كندي». علم كورت أنه في ورطة. قد يلقي المسدس، لكن سيظل الجراب الجلدي ملصقاً حول كعبه.

(1) بالألمانية في الأصل.

بـدا هؤلاء الرجال على درجة من الحدة. سيفتشونه بلا شك. عندما وجدوا الجراب الفارغ في ساقه، راح رجال الشرطة يفحصون مقعده ويبحثون عن مسدسه.

ـ أين أمتعتك؟

ـ سـرقت. لقد أخبرتك بهذا.

لا جدوى من تكـوين صـدـاقـة معـهـمـ. عـرـفـ كـورـتـ أنهـ قدـ يـضـطـرـ إـلـىـ العـرـاكـ معـ هـؤـلـاءـ الرـجـالـ قـبـلـ أـنـ يـنتـهـيـ كـلـ شـيـءـ.

لم يكن يـشـعـرـ بـالـرـضاـ حـيـالـ تـحـطـيمـ رـؤـوسـ مـجـمـوعـةـ منـ رـجـالـ الشـرـطةـ الأـبـرـاءـ، لـكـنـهـ لمـ يـرـ أـيـ وـسـيـلـةـ لـلـتـحـاـيلـ عـلـىـ الـأـمـرـ، عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـهـ سـتـكـونـ مـعـرـكـةـ بـأـرـبـعـةـ مـقـاتـلـينـ، فـإـنـ الـعـمـيلـ الـأـمـرـيـكـيـ أـيـقـنـ أـنـ الـمـفـاجـأـةـ وـالـسـرـعـةـ وـالـتـعـاـمـلـ بـعـنـفـ هـوـ مـاـ سـيـضـمـنـ لـهـ السـيـطـرـةـ فـيـ مـثـلـ هـذـهـ الـمـسـاحـةـ الصـغـيرـةـ فـيـ مـمـرـ القـطـارـ.

لـقـدـ فـعـلـهـاـ مـنـ قـبـلـ.

عـنـدـهـاـ فـقـطـ، فـُـتـحـ بـاـبـ الـعـرـبـةـ، وـدـخـلـ ثـلـاثـةـ رـجـالـ شـرـطةـ آـخـرـينـ. ظـلـلـوـاـ عـنـدـ الـبـابـ، بـعـيـداـ عـنـ بـقـيـةـ الـحـشـودـ. تـبـأـ! سـبـعةـ عـلـىـ وـاحـدـ، لـمـ يـخـاطـرـوـاـ. لـمـ يـتـخـيـلـ جـيـنـتـرـيـ غـيـرـ تعـطـيلـ أـرـبـعـةـ رـجـالـ، ثـمـ التـقـدـمـ خـمـسـاـ وـعـشـرـينـ قـدـمـاـ وـإـسـقـاطـ ثـلـاثـةـ آـخـرـينـ، قـبـلـ أـنـ يـطـلـقـ النـارـ بـاتـجـاهـهـمـ.

قـالـ الشـرـطيـ ذـوـ الشـعـرـ الرـمـاديـ: «ـقـفـ مـنـ فـضـلـكـ»ـ.

ـ لـمـاـذاـ؟ مـاـذاـ فـعـلـتـ؟

ـ قـفـ مـنـ فـضـلـكـ، سـأـشـرـحـ لـكـ.

ـ أـنـاـ ذـاهـبـ إـلـىـ ...

ـ لـنـ أـطـلـبـ مـرـةـ أـخـرىـ.

أـرـخـيـ كـورـتـ كـتـفـيهـ وـنـهـضـ ثـمـ تـحـرـكـ خـطـوةـ وـاحـدـةـ فـيـ المـمـرـ. اـقـرـبـ مـنـهـ شـرـطيـ شـابـ وـأـدـارـهـ. سـرـعـانـ مـاـ قـيـدـتـ يـدـاهـ خـلـفـ ظـهـرـهـ. كـانـ الرـكـابـ الـآـخـرـونـ فـيـ الـعـرـبـةـ يـنـظـرـوـنـ إـلـىـ مـاـ يـحـدـثـ بـذـهـولـ. وـظـهـرـتـ الـهـوـاـتـفـ المـزوـدـةـ بـكـامـيرـاتـ، وـبـذـلـ جـيـنـتـرـيـ قـصـارـىـ جـهـدـهـ لـلـابـتـعـادـ عـنـهـاـ.

فتشه الضابط الشاب، الذي سرعان ما اكتشف في جيبي السكين القابل للطي، وجراب كعبه في ساقه. راحوا يُفتشون مقعده، ورفع المسدس عاليًا في الهواء مثل الكأس ليراهم جميع من في العربية.

قال كورت: «أنا عميل فيدرالي للولايات المتحدة». قال هذا لأنه لم يكن لديه شيء آخر. لم يكن يتوقع أن يسلمه مسدسه ويرجعوا على مؤخرته، لكنه كان يأمل أن يسترخوا قليلاً فيمنحوه فرصة للهروب.

سأل الضابط المسؤول: «أنت بلا هوية؟». أجابه: «لقد فقدتها».

سأله أحد رجال الشرطة: «لقد قلت هذا. هل كنت في جواردا هذا الصباح؟». لم يوجه الرجل الرمادي، الذي أحاطت به كاميرات الهواتف ونظارات التحديق الواسعة، فلم يشعر أنه رمادي بما يكفي. لم يرد. تحدث أحد رجال الشرطة الجدد عند المدخل عبر جهاز الاتصال اللاسلكي. بعد لحظة أبطأ القطار.

تلقي ريجيل المكالمة في الساعة الحادية عشرة وثمان وثلاثين دقيقة صباحاً.

- سيدى، كروجر مرة أخرى. لقد نقل جينترى من القطار في قرية صغيرة تسمى مارناند. ليست محطة توقف مجدولة.

- من استوقفه؟

- الشرطة. إنه مقيد بالأصفاد وجلس على الرصيف محاطاً بالشرطة. سمعت أحد رجال الشرطة يطلب وسيلة نقل، سترسل عربة من لوزان. يجب ألا يستغرق الأمر أكثر من ثلاثين دقيقة.

- هل نزلت من القطار أيضاً؟

- لم يسمع لأي ركاب آخرين بالخروج. سأنزل في لوزان وأذهب مباشرة إلى مركز الشرطة؛ أنتظر وصوله.

حدق ريجيل إلى خريطة على جهاز الكمبيوتر الخاص به، بينما أنهى المكالمة واتصل بلويد. وقال: «أخبر الفنتزويلىين أن جينترى في مارناند، على بعد ثلاثين كيلومتراً تقريباً شمال لوزان، إنه في قبضة الشرطة».

ردالأمريكى على الفور: «لا يجب أن يحصلوا عليه! نحن بحاجة إليه!». نظر ريجيل عبر مكتبه، إلى رؤوس عشرات الحيوانات اللامعة، تذكارات صيده التي تبادله النظارات. قال: «أعرف ذلك. أخبروا الفنتزويلىين أن لهم مطلق الحرية في استخدام السلاح. يمكنهم تدمير كل من يعرض طريقهم».

- هذا هو المطلوب! هل هم بارعون؟

ـ إنهم من مكتب الاستخبارات العامة، الشرطة السرية لهوجو تشايفيز.
إنهم أفضل ما يمكن لكاراكاس أن تقدمه.

ـ حسناً، هل هم بارعون؟

ـ سعرف في أقرب وقت، أليس كذلك؟

جلس جينتري يرتجف على مقعد خشبي على الرصيف الوحيد
بمحطة القطار الصغيرة. قُيدت يده اليسرى إلى ذراع المقعد الحديدي.
وقف حوله خمسة من رجال الشرطة في البلدية وسط تساقط الثلوج
الخفيف. وظل الباقيون في القطار.

شعر أن أوصافه انتشرت بعد المشاجرة الصباحية في جواردا. وخمن
أن الدراجة المسروقة قد شوهدت في محطة القطار في أرديز مما جعل
الشرطة تخضع فتاة التذاكر للاستجواب. لا بد أنها ستذكر أجنبياً
في أول قطار متوجه إلى زبورخ في ذلك الصباح، فزيورخ مركز النقل
الرئيس في الدولة الصغيرة، ولا يحتاج الأمر سوى تنبية كل شرطي
للتحقق من كل قطار وحافلة وطائرة من زبورخ بحثاً عن رجل ذي
شعر بني، في الثلاثينيات من عمره، يسافر وحده.

دللت العالمة على الرصيف على مارناند. لم يكن لديه أي فكرة عن
موقع هذه البلدة على الخريطة، لكنه شعر أنه ربما نام لمدة ساعتين،
لذلك شك أنه لم يتبع عن جنيف. كان عليه أن يجد طريقة للتخلص
من هؤلاء الرجال والعودة إلى الطريق. أحسّ أن هناك ساعة تدق بالعد
التنازلي في عقله.

جلس بجواره قائد الشرطة، شعره أبيض مثل قمة جبل مغطاة بالثلوج،
وتتفوح منه رائحة مرطب ما بعد الحلاقة.

ـ ننتظر سيارة من لوزان. سأخذونك إلى المحطة. يأتي المحققون
ويتحدثون إليك بشأن القتال في جواردا والمسدس الذي معك في
القطار.

-نعم، يا سيدى.

كان جينتري يحاول أن يتعامل بود الآن، وباستراتيجية مسالمه، لأنه لم يكن يعرف ماذا يفعل. لن يؤدي ذلك إلى إطلاق سراحه، ولكن قد يساعده على أن يحتوي غضب الشرطة، مما يجعلهم يقللون من حذرهم بما يكفيه لاستغلال الفرصة.

مع ذلك، كان حمل أحد مسدساً في سرواله في سويسرا يعادل خطورة القتل الجماعي في أمريكا.

-هل يمكنني الذهاب إلى الحمام؟

-لا. احبس بولك.

ضحك رجال الشرطة الأصغر سنًا.

نهد كورت، كان الأمر يستحق المحاولة.

كان الطريق المترعرع إلى يساره، أسفل الرصيف، ذا حارتين، ويرتفع إلى أعلى، وكان رطبًا ونظيفًا وأسود مثل عرق السوس، ويُشطره تساقط الثلوج البيضاء على التل. كانت هناك شاحنة ذات ألواح خضراء دكاء على ارتفاع أعلى التل، على بعد خمسين ياردة من حافة المحطة، ومائة ياردة أو نحو ذلك من حيث يجلس كورت ورجال الشرطة على رصيف المحطة الوحيد.

انفجرت أبخرة العادم من كاتم صوت السيارة وارتقت في الهواء. نظر كورت إلى يمينه، ما زال يحاول إيجاد فرصة قبل ظهور المزيد من رجال الشرطة. على يمينه كانت حافة القرية نفسها. وكانت هناك بيوت طينية تشبه عيش الزنجبيل متباشرة بين الأبنية الأكثر حداثة، وتصاعدت خيوط الدخان الناتجة عن احتراق الخشب في الهواء فوق البيوت، لتلاشى في السماء الرمادية فوقها.

تهادت شاحنة خضراء قادمة من القرية، مماثلة لتلك التي على يمينه، ودخلت محطة وقود على بعد ثلاثة ياردات حيث يجلس كورت، ثم وقفت في ساحة انتظار السيارات بعيدًا عن المضخات.

توصل الرجل الرمادي في ثوان إلى أنه تعرض للحصار. صاح منادياً الشرطي المسؤول على الفور: «أيها الرقيب!». كان الرجل الأكبر سنًا يتحدث مع مرؤوسه، لكنه سار باتجاه كورت على الرصيف.

قال جينترى: «أرجو أن تنصت إلى بعنایة. لدينا مشكلة. على جانبينا شاحناتان خضراون. في هاتين المركبتين أو بالقرب منها هناك رجال قد أرسلوا لقتلي. لن يتزدروا في قتلك وقتل رجالك للوصول إلى». تلفت الشرطي يميناً ويساراً باتجاه كلتا الشاحنتين ثم عاد إلى جينترى.

- أي هراء تنطق به؟

- سيكونون قتلة مدربين تدريباً عالياً. عليك أن تنقلنا جميعاً إلى الداخل، في المحطة. أسرع!

سحب الشرطي جهاز الاتصال اللاسلكي الخاص به من حزامه بيده ووضعه أمام فمه. لم تبتعد عيناه عن جينترى. أمر رجاله بالألمانية أن يأتوا، ثم تحول إلى اللغة الإنجليزية: وقال: «توجد شاحنات خضراون. واحدة في الشمال والأخرى في الجنوب. هذا الرجل يقول لي إنهم تحملان رجالاً جاؤوا هنا الإنقاذ». رد قائلاً: «لا، ليس إنقاذاً! بل قتلاً».

نظر الخمسة جميعاً إلى أعلى الرصيف وأسفله صوب الشاحنتين اللتين لم يصدر عنهما أي تحرك. قال ضابط شاب أشقر بينما يفك صمام الأمان عن مسدسه: «إنها خدعة».

سأل رجل آخر: «من أنت؟». لم يجب كورت. بدلاً من ذلك قال: « علينا أن ندخل بسرعة».

قال الشرطي الرئيس لضباطه: «انتبهوا له. سأتحقق من هذا». واستدار ليمشي على الرصيف باتجاه الشاحنة في نهاية محطة الوقود. صاح كورت: «أيها الرقيب! أنت حقاً لا تريد أن تفعل ذلك». لكن الشرطي ذا الشعر الفضي والمعطف الثقيل تجاهله، ونزل درج

الرصيف واتجه صوب محطة الوقود الصغيرة. كانت الشاحنة الخضراء ذات نوافذ مظللة، ثابتة مكانها، يتدفق الدخان من شكمانها، وينجرف بعيداً في الهواء خلفه. عندما اقترب ضابط الشرطة من الشاحنة، تحدث جينتري إلى الرجال الأربع المتبقيين.

وقال: «سيموت. لا تفزعوا، سيعين علينا جميعاً العمل معًا. إذا حاولتم الركض فسيطلقون عليكم النار. إن أردتم النجاة، فقط افعلوا ما أقوله».

قال أحدهم: «آخرس»، وكان الأربعة كلهم ينظرون إلى الرقيب وهو يقترب من النافذة الجانبية للسائق، واستخدم جهاز الاتصال اللاسلكي الخاص به لينقر على الزجاج الملون.

توسل كورت إلى الضباط الذين يرتدون الزي الرسمي ويراقبونه، قائلاً: «لا تنسوا أن هناك شاحنة أخرى!». كرر الشرطي: «آخرس». لاحظ جينتري قلقهم المتزايد حيث تلتفت رؤوسهم ذهاباً وإياباً بين الشمال والجنوب.

نقر الرقيب بقوة على الزجاج، بينما راقب جينتري والآخرون الوضع. بدا أن الرجل ذا الشعر الفضي ينظر من كثب عبر الزجاج المعتم. لا بد أنه رأى شيئاً ما، بعض الحركة أو مؤشراً آخر على الخطير، إذ سرعان ما تراجع رجل الشرطة السويسري ومد يده إلى المسدس المعلق في حزامه.

حطمت طلقات الرصاص النافذة الجانبية للسائق، تراجع الشرطي على الفور، وفتح الباب حيث نزل رجل يرتدي بدلة سوداء وقناع تزلج من خلف عجلة القيادة إلى الرصيف، وفي يده مسدس آلي صغير. أطلق ثلاث طلقات أخرى على جسد الرقيب المترنح، وسقط الضابط السويسري على ظهره ميتاً.

سحب جميع رجال الشرطة السويسريين الأربعة حول كورت مسدساتهم على نحو مرتعش. سيكون من الصعب عليهم التصويب

بدقة من بعد ثلثين ياردة، لكن الشباب أطلقوا الرصاص بينما يصرخون من الصدمة، وسقطوا بحثاً عن ملجأ.

صاحب كورت وهو ينزل على الأرض الأسمانية: «الشاحنة الأخرى! الشاحنة الأخرى!». استلقى على الرصيف البارد بجوار المقعد، وذراعه اليسرى فوقه مقيدة بذراع المسند.

نظر رجال الشرطة خلفهم، ورأوا أربعة رجال ملثمين يسيرون على الطريق الأسود باتجاه مواقعهم. يحملون جميعاً بنادق مماثلة لتلك التي كان يحملها الرجل في محطة الوقود، والذي انضم إليه الآن ثلاثة حلفاء. اقترب الثمانية جميعاً بشقة، كما لو كان لديهم متسع كبير من الوقت.

صرخ كورت: «فُكَّ قيدي! علينا أن نتوارى بالداخل!». لكن رجال الشرطة أجبروا على الاختباء بالأ月下 في المنصة الأسمانية، ما بين جلوس القرفصاء مختبئين خلف عربة دفع خشبية أو الاستلقاء في العراء، وأطلقوا رصاصاً لم يصب المسلحين، بينما اقترب ذوو الشاب السوداء مهددين، عبر دوامات الثلج المتتساقط، من اتجاهين متعاكسين.

صرخ شرطي شاب أصلع في الميكروفون المثبت على كتف سترته، إذ يجثم على بعد خمس عشرة قدماً من جينتي، خلف عربة أمتعة وفرت له غطاء واهناً أمام الرجال على التل الشمالي، ولم تتوفر له أي غطاء من الرجال في محطة الوقود جنوباً.

شاهد كورت رشقفات نارية تصطدم بخرسانة رصيف القطار، وتتسابق نحو الشرطي الشاب إذ ينظر في الاتجاه الآخر ويصرخ في الميكروفون، لم يكن يدرك اقتراب كل انفجار من الأسمنت والغار منه، حتى اخترت طلقات المسدس الآلية الأسرع من الصوت ساقيه وظهره. استدار على جانبه وانتفض على الخرسانة، ثم توقفت آلام الموت بالسرعة التي بدأت بها.

صاحب جينترى: «فليعطيني أحدكم مسدساً!». تجاهله رجال الشرطة الثلاثة المتبقون. أطلقوا النار إطلاقاً غير دقيق، وأعادوا حشو الطلقات ببطء وأيد مرتجفة.

التف كورت حول الخرسانة الباردة. وضع حذاءه على الأرجل الحديدية للمقعد وركل بأقوى ما يستطيع. حاول يائساً كسر الطرف الحديدى الكبير الذى قيد إليه، وأن يفصله عن بقية المقعد الخشبي الذى يبلغ طوله اثنتي عشرة قدماً. قضم القيد المعدنى معصميه الأيسر وهو يركل ويسحب. سرعان ما صار الأمر يحدث بشكل منتظم؛ يركل بقدميه، يحدث شقوقاً في الخشب القديم، يشعر بألم شديد في معصميه ويديه.

أصاب وايل من نيران الأسلحة الآلية النافذة التي تعلوه، مما أدى إلى كسر الزجاج على المقعد وعلى الأرض في كل مكان. وبينما كان يركل نظر إلى الخلف إلى يمينه. وأصيب شرطي ثانٍ في كتفه وورقه. ألقى مسدسه وتلوى على الأسمنت في عذاب.

استغرق الأمر أكثر من ثلاثة ضربة متزامنة بكلتا قدميه لفصل الطرف الحديدى عن المقعد الخشبي. في آخر ركلة للأسفل بکعب حذائه جذب نفسه بذراعه. كان الألم في معصميه الأيسر شديداً، لكن المقعد تحطم. زحف جينترى على ركبتيه، وجثا فوق زخارف معدنية ثقيلة ورفعها. ثلاثة رطلات ما زالت مربوطة بمعصميه الذي تورم وجُرح بشدة. ثبت ذراعه المقيدة بالأصفاد فوق المشغولات المعدنية ورفعها من الرصيف. وأمام خط النار من كلا الاتجاهين، ركض نحو الشرطي المصاب وهو يتلوى ألمًا في منتصف الرصيف.

ألقى القطعة الحديدية أمامه على بعد عشر أقدام أسفل الرجل، وانزلق عليها. تشقت على الأسمنت بنفس قدر الضجيج الذي كانت تنبuje به طلقات الرصاص في كل مكان. وتورم معصميه داخل الأصفاد المعدنية.

وصل إلى الرجل وانحنى على الضابط السويسري. صرخ الشرطي إلى منقذه: «فخذني! لقد أصبحت بشدة في...».

قال كورت: «آسف». وسحب مفتاح الأصفاد من حزام الأدوات الخاص بالشرطي الذي تلطخ بدم الشاب.

ربض بالأصل مواجهًا أينما أسرع من الصوت على بعد بوصات من ذنه اليمنى. دفع القاتل الأمريكي مسند الذراع الحديدي المزخرف أمامه باتجاه حافة المنصة، وراح يزحف، ثم دفعه مرة أخرى.

حاول الشرطي المصايب أن يمسك بساقي كورت إذ يبتعد الأمريكي، وهي محاولة بائسة لطلب المساعدة من المنقذ واستعادة السيطرة على سجينه، كما لو أن ذلك لا يزال يمثل مشكلة. ركل جينترى يد الرجل المحضر، وأخذ مسدس الشرطي من الرصيف، ثم واصل الزحف. طاردت كورت رشقات من رصاص الأسلحة شبه الآلية بطول الطريق المؤدي إلى حافة الرصيف ولم تصبه، بينما يتدرج هو والمرساة الحديدية.

انخفض جينترى أربع أقدام على الأرض خلف حافة الرصيف التي استعملها غطاء حماية. شعر بالذعر ووصل الأدربيالين إلى دماغه عندما فقد المفتاح للحظة في الثلج، لكنه سرعان ما استخرجه. نهض على ركبتيه، وحافظ على ثبات أصابعه الحمراء المجمدة في أثناء فكه الأصفاد من معصمه الأيسر.

من بين رجال الشرطة الخمسة الذين أنزلوه من القطار، ظلل اثنان فقط يقاتلان. جثم كلابهما على الرصيف غير مستترین بدرجة كافية. لم يشأ كورت وضع رأسه في مرمى البصر، أو أن يشاهد أحد وهو يسقط من الرصيف، فتحرك إلى أسفل على بعد بعض أقدام قبل أن يحدق مرة أخرى لأعلى. صاح في رجلي الشرطة، وطلب منهما كسر الغطاء والتقدم إليه. صاح أحدهما قائلًا إن ذخيرته نفذت، وأصيب

الآخر في يده اليمنى بينما يطلق النار على أصيص حجري بيده اليسرى، ما أكد لجينتري أن الرجل بارع في التصويب بيده اليمنى. لفت بعض الحركة في محطة القطار أنظار جينتري. كان المدنيون القلائل في المحطة قد هربوا منذ فترة طويلة أو انبطحوا أرضاً، لذلك عندما رأى رجلين يركضان نحو المنصة داخل المبني، علم كورت أن بعض المهاجمين تمكنا من تطويق موقعه.

فتح باب رصيف المحطة رجلان ملثمان بقناعين أسودين فوق الشرطي الذي أصيبت يده.

رفع كورت مسدس بيروت في يده اليمنى؛ كانت اليسرى عديمة الفائدة مع إصابته الجديدة. على مسافة اثنين عشرة ياردة، أطلق جينتري النار في وجه الرجلين الملثمين. تسبب اندفاعهما إلى جانب تأثير الرصاص في تعثر أحدهما بالآخر، والسقوط من الباب معاً على الرصيف البارد.

لم يطلق مسدس بيروتا 92 الذي استعاره كورت الرصاصة الثانية. فرغت ذخيرته.

قال: «أنت! مرر لي تلك البنادقية!».

كانت هذه المرة الثالثة التي يطلب فيها سلاحاً. الاختلاف هذه المرة بالطبع هو أن أول مرتين كانتا قبل أن يرى الشرطيان الناجيان ما فعله. على الفور مرر الشرطي الشاب ذو اليد الملطخة بالدماء إحدى بنادق المسلحين السوداء الصغيرة عبر الرصيف إلى جينتري. أمسكها كورت وانبطح لأسفل.

كانت من طراز (إم بي 5) الأكثر انتشاراً في العالم. أمسكها الرجل الرمادي بأريحية. سحب الأمريكي الخزينة وكانت محسنة بثلاثين طلقة من عيار تسعه ملليمترات.

صاح قائلاً للشرطي المصايب أن يمرر البنادقية الأخرى للرجل غير المصايب. وعندما حدث هذا قال كورت: «شغل الوضع شبه الآلي!

أطلق طلقة واحدة في كل مرة في كل اتجاه! افعل ذلك حتى يفرغ!
هل تفهم؟».

صاحب الشرطي: «نعم⁽¹⁾!». - هيا! أسرع كورت منحنياً بطول حافة الرصيف، ثم تحرك شمالاً، وطوى المسافة بينه وبين الأربعين الذين أتوا من الشاحنة على التل. اقترب قطار من الشمال. سمع كورت صفارات الإنذار من اتجاه القرية، فحاول أن يفرغ عقله من أي شيء وهو يزحف إلى الأمام بمحاذاة مسار القطار عبر الثلج. الآن سيحاصر الرجال الذين يعرفهم الرصيف بالقرب من الزاوية الأسمانية في المقدمة.

خفق معصميه، شعر بوخز في ركبتيه من تمزقات زجاج النافذة التي تلقاها في أثناء هرويه من لازلو سزا بو في بودابست بعد الظهر في وقت سابق. كان ألم فخده المتواصل، إثر إصابته في أثناء إطلاق النار يوم الخميس، أقل متاعبه في الوقت الحالي.

سمعهم على بعد عشر أقدام من زاوية الرصيف الأسمانية؛ رجال يتحدثون الإسبانية. الإسبانية؟ هل يسعى كوكب الأرض بالكامل لقتله؟ لقد أخفتهم الدرجات حتى بلغوا الرصيف. وبالرغم من الرنين في أذني جيتري، فإنه استطاع تحديد أصوات النقر، وشدّ الزنبرك، وسمعت أصوات أحدهما تغيير خزينة مسدس (إم بي 5)

عندما نهض، واجه رجلين ملثمين يقفان أيضاً. أطلق جيتري بيد واحدة دفعه أوتوماتيكية كاملة، في مسافة أقل من عشر أقدام. سقط كلا المهاجمين، وأطلق دفعه قصيرة أخرى على كل جسم يرتجف. ألقى المسدس الرشاش من يديه، وأخذ مسدساً جديداً من مسلح ميت، ثم دار حوله وركض عائداً إلى الرصيف.

(1) بالفرنسية.

لم يفكر قط في الهروب، بالرغم من أنه كانت لديه فرصة مثالية للهروب من فرقة القتل الناطقة بالإسبانية والشرطة السويسرية. ولكن كانت هناك معركة محتملة، وقد تورط فيها كورت بالفعل، ولا يبدو فض الاشتباك في هذه المرحلة صائباً.

ما زال اثنان من رجال الشرطة الأبراء على قيد الحياة، لكن لن يصمدوا بمفردهما طويلاً. مع اقتراب صفارات الإنذار، ضربت الأضواء الساطعة الألوان الزجاجية القليلة المتبقية في محطة القطار. ركض كورت جينترى إلى الوراء لمساعدة الشرطيين، ممسكاً بمسدس (HK) بذراعه السليمة، باحثاً عن أهداف جديدة.

جلست كلير فيتزروي على سريرها ونظرت من النافذة إلى الحديقة ثم الغابة الكثيفة وراءها. كانت السماء باهتة ورمادية منذ وصلوا القصر بعد ظهر اليوم السابق، ولكن خلال الصباح تشتت الغطاء السحابي المنخفض، والآن يمكنها أن ترى أفقاً واسعاً.

كان غداوها بجانبها لم يُمس. وأختها في الطابق السفلي في المطبخ مع أمها وأبيها والرجال ذوي المعاطف الجلدية الذين يتبعون والدها أينما ذهب، ولكن كلير أعفيت من الجلوس معهم على الطاولة. أخبرت والديها بآلام بطنهما، واستأذنت أن تعود إلى غرفتها.

كانت آلام البطن حقيقة، وذلك بسبب القلق الذي انتابها بشدة لأكثر من يوم، والخروج العاجل من المدرسة، ووجهي والديها الوجلين، والشجار في الهاتف بين والدها وجدها، ووصول الرجال المسلحين، والرحلة في السيارات السوداء الكبيرة إلى القصر في الريف.

لفت انتباها شيء في الخارج. انحنت بالقرب من نافذة غرفة النوم وحدقت، ثم وقفت بحماسة. يمكنها أن ترى الأبراج من مكانها. إنها تتذكر تلك الأبراج! إنها أبراج كاتدرائية نوتردام الضخمة في بايو، وكانت تعلم أن بايو لديها مركز شرطة، بالقرب من عجلة المياه الكبيرة التي أخذها والدها وأختها إليها. تذكرت رجال الشرطة بزيهم الرسمي وهم يتسمون لها في الصيف الماضي.

ربما يمكنها أن ترکض عبر الحديقة الخلفية الشاسعة ويستان التفاح إذا استطاعت أن تخرج من المنزل على الفور، وتشق طريقها عبر الغابة إلى بايو في هذا الجو البارد. ما إن تصل، ستتعثر على مركز الشرطة وتخبرهم بما يحدث. يمكن أن يأتوا للمساعدة، ويجروا الرجال ذوي

المعاطف الجلدية الذين يتحدثون لغة أجنبية قبيحة على أن يسمحوا
برحيل عائلتها.
سيفرج والدها كثيراً.

كانت مسافة بعيدة للغاية، لكنها على يقين أن بمقدورها تحقيق ذلك. كانت أسرع لاعبة جناح في فريق كرة القدم. يمكن أن تنزلق إلى القبو وتخرج من النافذة الصغيرة المفتوحة، التي هربت منها القطة التي طارتها هي وأختها في الليلة السابقة.

حسمت كلير فيتزروي ذات الأعوام الثمانية أمرها. أغلقت أزرار معطفها، وسحبت قفازاتها، ثم فتحت باب غرفة النوم. ما إن دخلت الرواق الطويل ذا الإضاءة الخافتة، سمعت أصواتاً عند أسفل السلم، لكنها تأتي من الطابق العلوي. اندفعت بسرعة عبر الممر وصعدت إلى السلم. تحركت قدماها الصغيرتان برفق لتجنب إحداث ضوضاء، فخف وزنها مع كل خطوة.

سمعت صرخة مفاجئة فوقها. توقفت مكانها ونظرت إلى الأعلى. كانت هناك صيحة أخرى. جاءت من الطابق الثالث.

عاودت النزول مرة أخرى، لكنها نظرت مرة أخرى إلى مصدر الضوضاء، وسمعت صوتاً منخفضاً.

كان الجد دونالد، بدا كأنه يبكي. سرعان ما شقت طريقها إلى الطابق الأول متتجاوزة المطبخ وقاعة الطعام بحذر، لأن والديها وأختها ما زالوا يتناولون الغداء، وسيغضب والدها لو رأها، وسيطلب منها العودة إلى غرفتها فوراً.

انحرفت عن القاعة إلى اليمين إلى درجات حجرية تؤدي إلى قبو النبيذ. تحركت كلير بسرعة، لكنها حرصت على تجنب أي ضجة قد تقضحها. استدارت وركضت إلى زاوية، وكادت تصطدم بحارس ضخم من الخلف.

توقفت كلير فجأة. كان الرجل يرتدي سترة طويلة العنق لونهابني، واستطاعت من الخلف أن ترى حزام البنديقة الأسود يتتدلى على صدره. بينما ثبت مسدساً وجهاز راديو على حزامه. كان يتفقد القاعة بعيداً عنها، صامتاً تماماً في تحركاته.

لم تجرؤ كلير الصغيرة على العودة أو الاستدارة والهرب. لقد وقفت في صمت، في منتصف الردهة خلفه. مشي ببطء. على بعد خمس أقدام في البداية. ثم عشر، ثم عشرين. فتح الحراس باباً على يساره، علمت كلير من استكشافاتها مع اختها في الليلة السابقة أن هذا هو الحمام الصغير.

دخل وأغلق الباب وراءه.

سمعت خلفها مزيداً من الرجال يتحدث بعضهم مع بعض. أسرعت لتجاوز باب الحمام حتى بلغت درجات القبو الحجري. بعد دقيقة واحدة صعدت إلى الرف، ودفعت جسدها الصغير عبر النافذة، وضغطت نفسها للخارج فسقطت على عشب الحديقة الخلفية.

نهضت بانحناء والتفت يميناً ويساراً. رأت من مسافة رجلاً يصطحب كلباً كبيراً بحبل. كان يتحرك في الاتجاه المعاكس تماماً كالرجل في الردهة. نظرت كلير إلى ما وراء النافورة الحجرية البيضاء، متجاوزة أشجار التفاح عبر الأفق.

إنها الأبراج؛ أبراج كاتدرائية بايو.

نظرت مرة أخرى حولها ثم غادرت. نهضت وركضت بسرعة قدر ما استطاعت ساقها الصغيرة. كان الجو بارداً، وتقطعت أنفاسها وهي تتخطى النافورة حتى وصلت إلى الجانب الآخر، ثم ركضت كأنها تركض للمرة الأولى في حياتها.

منذ بضعة أسابيع سجلت هدفاً في مباراة ضد مدرسة وولنت تري ووك الابتدائية. كانت على الجهة اليسرى عندما استحوذت على الكرة بعد تشتيت سيئ من الدفاع. استعادت الكرة باتجاه المرمى بأقصى

سرعة، وراوغت بالقرب منه، وركلت على مسافة منخفضة، وكان هذا هدفها الأول هذا الموسم.

كان والدها سعيداً للغاية حتى أنه اصطحب الفتاتين لتناول البيتسا في طريقهم إلى المنزل. ظل يذكر هذا كل يوم منذ ذلك الحين.

ركضت كلير عبر العشب الأخضر المشذب كما لو كانت ترکض بالكرة أمام المرمى. كان عليها فقط أن تتجاهل الهواء البارد الذي يلدغ صدرها، ووخز الألم الخفيف في ساقيها. عليها فقط أن تصل إلى البستان، حيث لا يستطيع الأشرار القبض عليها. عليها فقط أن تصل إلى أبراج الكنيسة حتى تعثر على مركز الشرطة. عليها فقط أن تخبر شخصاً ما بما يحدث في القصر. عليها أن تنقذ عائلتها وحسب. كانت على بعد بضع ياردات فقط من بداية البستان، يمكنها أن تشم بالفعل رائحة التفاح الحلو، وحينها طقطق انفجار البنديقة الذي يصم الآذان عبر العشب الواسع خلفها، وتتردد صداه ممتدًا لأبعد من خط الأشجار أمامها. تعثرت وسقطت بين الشجيرات المنخفضة عند حافة البستان.

صرخ لويد مذهولاً: «ما هذا بحق الجحيم؟»، رغم أنه يعرف رصاصة البنديقة إذ سمعها. أخرج رأسه من مركز القيادة. من الواضح أن الحراس في نهاية القاعة في الطابق الثالث كان جاهلاً مثل السائل. اندفع لويد بعيداً عنه على الدرج. لم يكن الشاب الأمريكي يرتدي معطفه، وقد حل رابطة عنقه حول رقبته، وباقته مفتوحة. شمر كميته بينما غطى العرق إبطه ووجهه وشعره. كان مزيجاً من العرق والدم الذي لطخ قميصه، حيث نظف مؤخراً جرحًا حديثاً.

عندما هبط إلى الطابق الثاني كاد يصطدم بأحد البيلاروسيين كانقادماً من أجله.

سأل لويد: «ماذا يحدث؟ من يطلق النار؟». أجابه: «تعال، من فضلك أسرع!».

اندفع لويد وراء الرجل ونزل إلى الطابق الأول. كان هناك صرخ من منطقة المعيشة، صوت إليز فيتزروي قادماً من المطبخ. يبادلها رجال مينسك الصياح. ظهر السيد فيليكس وسأل لويد عما حدث، لكنه أوصي بشدة بالعودة إلى المكتبة وإغلاق الباب. همّ لويد بالدخول إلى المطبخ، لكن الحارس الذي سار أمامه أمسكه من ذراعه وقال شيئاً لكن لغته الإنجليزية كانت ضعيفة. أبعد لويد يد الرجل عنه، لكنه تبعه خارج الباب الخلفي. في البداية لم ير المحامي الأمريكي سوى النافورة الحجرية البيضاء، والعشب الأخضر، وبستان التفاح البعيد، والسماء الزرقاء الصافية.

تبع الحارس حول النافورة، ووُجد ثلاثة بيلاروسيين وكلّا يقف فوق جسم ما على العشب.

جيترى؟

لم يصدق لويد، كيف نجح في ذلك بهذه السرعة، تنهى الرجل وكلبه جانبًا، مما أعطى لويد رؤية واضحة للجسد ووجهه المستلقي على العشب. تشنج فك لويد. وقال: تبا! تبا! هذا آخر شيء أحتاج إليه اليوم!».

بعد ذلك ظهر رجل آخر من البستان، على بعد مائة وخمسين ياردة أخرى. كان يمسك بحبل كلب صيد أسود كبير في يده اليمنى، وعلى صدره بندقية، بينما أحکم قبضة يده اليسرى حول معصم فتاة صغيرة ذات شعربني، إحدى التوأمین. لم يستغرق لويد الوقت الكافي لمعرفة اسميهما، فضلاً عن التمييز بينهما.

سحب لويد الراديو من ساق البيلاروسي الذي قاده إلى الفناء. ضغط على زر الإرسال. وقال: «أنت. اصحابها إلى المدخل الأمامي. لسان بحاجة إلى طفلة هستيرية بيتنا».

قال الرجل بعيداً عبر جهاز الاتصال اللاسلكي الخاص به: «حسناً يا سيدي». جذب الفتاة بقوّة، وسحبها بطول حافة البستان، بعيداً عن جسد والدها الذي انكفاً على وجهه وسط العشب الكثيف، وفي مؤخرة رأسه ثقب امتد ليحفر حفرة في وجهه.

تراجع جينترى إلى الطريق السريع واتجه جنوباً إلى لوزان، ثم تجاوز الطريق ليدور حول بحيرة جنيف غرباً. كانت شاحنته الخضراء تحتوي على عدد قليل من الثقوب التي يبلغ قطرها تسعة ملليمترات، لكن مؤشرات الزيت والوقود ظلت ثابتة. في محطة القطار وراءه مات ما لا يقل عن أربعة من الأميركيين الجنوبيين في الثلج. أما البقية فقد حاصرهم ثمانية رجال نزلوا من عربات الشرطة الأربع التي وصلت لتواها إلى مكان الحادثة. كان كورت قد عبر القضبان لحظة مرور القطار الكبير بين المدن. ثم عاد من أعلى التل، وصعد إلى الشاحنة الخضراء التي وجد بداخلها المفاتيح وأدار المحرك، والآن كان يفتر مبتعداً.

قبل خمس عشرة دقيقة كان أحد أهم المطلوبين في سويسرا، وعلى الرغم من أن الجنود اللاتينيين الذين أطلقوا النار عليه في محطة القطار قد احتلوا المركز الأول الآن، فإن كورت أدرك أنه ما زال في المركز الثاني، وسرعان ما ستعلن السلطات المحلية أن رجلاً مطلوباً بشدة، يقود شاحنة خضراء مثقوبة بطلقات الرصاص.

لم يبلغ أحد البيلاروسيين في قصر لوران عن المروحة. ونتيجة لذلك، حدث هرج ومرج عندما ظهرت مروحة سيكورسكي (76S) أعلى الغابة في الجنوب، وانحرفت بقوة لتهبط عند مهبط طائرات الهليكوبتر بجوار موقف السيارات المفروش بالحصى.

لويد وحده هو من أبلغ بوصول الطائرة المروحة من باريس. جلس في غرفة التحكم، واستمع إلى صوت دوران مراوح الطائرة بجوار النافذة الزجاجية. لقد أرسل الفني إلى الطابق السفلي لقضاء استراحة غداء، ودفع كرسي فيتزروي الذي قيد به السير دونالد إلى الحمام المجاور.

جلس لويد وحده وحدق إلى الجدار الحجري أمامه. بعد ثلاثة دقائق، فتح الباب خلفه. لم يتلفت لويد على الفور. لويد؟ لويد؟

أدبار المحامي الأمريكي كرسيه الدوار ببطء لمواجهة أحد ضيف في القصر. كان ريجيل رجلاً ضخماً، يبلغ طوله مائة وخمسة وتسعين سنتيمتراً على الأقل. كان شعره أسقر مموجاً، وحاجبه الكثيفان بهما بقع شقراء ورمادية.

كان يرتدي سروالاً سميكاً بلون كاكبي ومعطفاً رياضياً من جلد الغزال، وقد فتح ياقه قميصه. كان يكبر لويد بنحو عشرين عاماً أو أكثر، لكنه لم يترك جسده يتراهل، وقد علم لويد بالفعل أن صوته القوي وملامحه الحادة سيجعلان الظهريرة صعبة ومرهقة.

لم ينهض لويد. وقال: «سيد ريجيل. أهلاً بك في قصر لوران». كان ريجيل غاضباً. وقال: «ألم يخطر ببالك أن تذكر للحراس أنني سأصل؟ أخبرني ثلاثة بيلاروسين أنهم كادوا يطلقون النار على طائرتي». أجابه: «لو حدث هذا لكانت أمراً مؤسفاً».

بما ريجيل كأنه سيواصل الجدل، لكنه تراجع عن ذلك.
—أين ممثل أبي بكر؟—السيد فيليكس في الطابق السفلي. لقد وضعناه في غرفة المجاورة للمكتبة. أخبرته أنني سأتصل إذا كان لدى أخبار.

—سمعت أن جينترى نجا من حبل المشنقة مرة أخرى.
—سمعت.

—رغم ذلك جنيف تحت سيطرتنا، إذا ظهر هناك فسنمسك به.
—هذا ما تواصل قوله.

—ربما لم نرده قتيلًا في الشارع برصاصة واحدة، لكننا نضربه ضربات متقطعة، سرعان ما تستند أسلحته وذخيرته وطرق هروبه ووقته ودمه.
—أتمنى أن تكون على حق. يكاد رهائني ينفذون.

جلس ريجيل على كرسي الفني وقال: «كما أخبرتك عبر الهاتف في الطريق، أمرني مارك لوران بأن أقدم خدماتي على أرض الواقع. لا تنظر إلى هكذا؛ أنا لا أريد أن أكون هنا مثلكم لا تريد أن ترى هذا. هذه الفوضى التي خلقتها وضاعفتها لن تساعد حياتي المهنية، بغض النظر عن النتيجة. أنا فقط أنظف، أنا الرجل الذي يمكن تحول الوضع المأساوي إلى ما هو أسوأ. عندما سمع لوران عن إطلاق أحد الحراس النار على الرهينة. حسناً، قال على الفور: كيرت، اذهب هناك. افعل ما ينبغي لك فعله».

كان رد لويد مشوياً بالسخرية والإهراق: «لا داعي للقلق يا سيد لوران. أشك أنه سيحدث مرة أخرى. لا مزيد من الآباء هنا ليموتوا». —أين عائلة فيتزروي الآن؟.

- محتجزون في غرفة بالأصل في الطابق الثاني.
- هل يعرفون عن إطلاق النار؟
- الطفلتان لا تعرفان، الأم تعرف.
- كيف تجاوَيْتُ؟

- حقنها أحد حراسي المقربين بما يكفي من المسكنات لتسهيل السيطرة عليها لبعض الوقت.
أوما ريجيل. وسأل: «وأين السير دونالد؟». أشار لويد إلى باب عبر الغرفة وقال: «هناك». سأله: «ما الذي أدى إلى إطلاق النار؟».

هز لويد كتفيه، وبدا للحظات غير مهتم بالعملية برمتها ثم قال: «إحدى القاذورات الصغيرات هربت. رأها قناص على السطح، وأطلق عليها النار. كنت مشغولاً في ذلك الوقت، وأغلقت الراديو الخاص بي. عندما طاردها الحراس جنًّا فيل، وظن أنهم سيؤذونها على ما أعتقد. اندفع بلا أمل في وجه الفتياًن المسلحين من مينسك في الردهة، وانطلق من الباب الخلفي لإحضار ابنته». ثم؟ - ثم أطلق القناص النار عليه.

نظر ريجيل من النافذة إلى الحديقة الخلفية وقال: «كان الوغد البائس يحاول فقط حماية أسرته. كان سيعيدها، لن يتخلَّ عن الآخرين. لا يتخلَّ أب عن عائلته». لا أعتقد أن قناصنا رجل عائلة.

- هل يعلم السير دونالد؟

- نعم، أخبرته.

- كيف استقبل الأمر؟

- بلا عاطفة على الإطلاق. فقط ظل جالساً في مكانه. - حسناً. سأتحدث إليه وأحاول أن أوضح أن هذه كانت حادثة.

ـ حظاً سعيداً.

ـ لماذا لا تأخذ استراحة يا لويد؟ تبدو في حالة بشعة.
نهض لويد. رأى ريجيل الدم على قميصه، لكنه لم يقل شيئاً.
قال لويد: «ما زلتُ المسؤول».

هز كيرت ريجيل رأسه استخفافاً: «لا مشكلة لدى. لا أريد أن أتحمل المسؤولية عن هذه الكارثة أكثر من هذا. أنا هنا فقط للمشورة. ربما أقدم اقتراحات مفيدة من قبيل ألا تفقد أثر فتيات يبلغن من العمر ثمانية سنوات، وألا تطلق النار على الرهائن الذين لا يشكلون أي خطر أو تهديد بالفرار، وألا تنسى أن تخبر حراسك بأن مروحية صديقة ستذهب بينهم. اقتراحات من هذا النوع».

وقف لويد وتوجه صوب السلم المؤدي إلى المطبخ دون أن ينطق بكلمة.

عبر ريجيل الغرفة وفتح الباب الذي قال لويد إنه سيجد السير دونالد خلفه. فوجئ الألماني عندما نظر إلى حمام كبير مزين بالبلاط. كان فيتزروي جالساً على كرسي في منتصف الغرفة المضاءة بالشمعون. نظر إلى ريجيل وقد اغزورقت عيناه بالدموع، واحتقت بالدماء. كان رأسه ويداه وكعباه مثبتة إلى الكرسي بسلسل حديدية سميكية، وقد تمزق قميصه الملقي على الأرض بجانبه، ليجلس في قميص داخلي ملطخ بالعرق والدماء. تلقى وجهه ضربات، وامتلا سرواله الصوف الممزق ببقع سميكية من الدم ظن كيرت ريجيل أنها ثقوب.

قال ريجيل: «تبأ!». خرج من الغرفة، وانعطف ليخرج إلى الردهة، ونادي الحارسين الأسكتلنديين بالقرب من الدرج قائلاً: «أريد إزالة قيود السجين. أريد تنظيفه. ضمدوا ساقيه، ول記得 أحدكم ملابس جديدة! تباً يا رجال! تحرك!».

بعد خمس عشرة دقيقة، جلس ريجيل على كرسي بجانب حافة فراش مغطى في مهجن بالطابق الثاني. استلقى السير دونالد على

الفراش وحدق إليه. أطلقت يدا الرجل الإنجليزي واغتسل، ثم ارتدى ملابس جديدة. وضعت ضمادة مبللة على صدغه الأيسر حيث أصابته ضربة ضعيفة. ولم تكن الكدمات على ذقنه وعينيه خطيرة.

لم يتحدث أيّ من الرجلين في البداية، على الرغم من أن فيتزروي رفض القهوة بهز رأسه. ظلت نظراته واهنة وناقمة.

أخيراً عثّر ريجيل على نقطة لبده الحديث: «سيد دونالد. أسمى هير ريجيل. أولاً اسمح لي أن أعتذر - بصدق - عن المعاملة التي تعرضت لها. لم يكن لدى أي فكرة أن لويد سي... حسناً، لا أعتذر. أنا أتحمل المسؤولية عن هذا. سأصحح الأمور».

لم ينطق فيتزروي بكلمة، على الرغم من أن نظرته لم تحمل أي تقدير.

وأكمل ريجيل: «لقد أمرت بإحضار الطعام والماء إليك. ربما شيء أثقل؟ براندي ربما؟ أنت الإنجليز غالباً ما تستمتعون برشفة بعد الظهر، صحيح؟».

واصل السجين المسن صمته.

ثم أتى: «علاوة على ذلك. خالص التعازي في وفاة ابنك. لا يمكنني قول أو فعل أي شيء...».

قال فيتزروي: «إذا لا تزعج نفسك بحق الله». كان صوته جافاً كورق الصنفه والمحض.

قال ريجيل: «مفهوم. أنا فقط أريدك أن تعرف.. لم ينوه أحد حدوث هذا. أؤكد مرة أخرى لا أعتذر. كان يجب أن أكون هنا في الموقع طوال الوقت. ما إن سمعت عن الحادثة جئت على الفور. فعل ابنك ما كان سيفعله أي أبو. ما كان يجب إطلاق النار عليه». ثم قال مرة أخرى: «لقد فعل فقط ما كان سيفعله أي أبو في مثل هذه الظروف». بدا أن فيتزروي يفكر في هذا، لكنه لم يرد.

– من الآن فصاعداً، سأشرف على رعايتك ورعايتك أسرتك. سيتولى السيد لويد تنسيق عملية للعثور على الرجل الرمادي وهزيمته. سأكون أيضاً مسؤولاً عن الدفاعات هنا، لتجهيز الأمور حال تمكن السيد جينترى من تجاوز قتلتنا في الميدان، وإن كنت أستبعد هذا.

– سيكون هنا قريباً يا فريتز⁽¹⁾.

ابتسم ريجيل قليلاً وجلس قائلاً: «لقد هزم – أو تسبب في هزيمة – الألبان، والإندونيسيين، والفنزويليين، وقد الليبيون ضحية غير مقصودة في أثناء هرويه منهم. بمعنى أنه تسبب في تدمير ثلاث فرق قتل بالكامل واستنزاف القوة البشرية لفرقة رابعة. ومع ذلك، تفصل بيننا وبينه تسع فرق. أربعون رجلاً أو نحو ذلك. بالإضافة إلى مائة فنان رصيف يبحثون عنه، وأربعة عشر فرد أمن يطوقون هذا القصر. هذا بخلاف الغني هنا الذي يراقب هواتف وأجهزة الكمبيوتر الخاصة بجميع شركاء جينترى المعروفين بطول طريقه المحتمل. وهناك كلام أنه مصاب. من المؤكد أنه مرهق وموارده تتقلص».

قالها فيتزروي بلهجة واثقة: «سيكون هنا». ابتسم الألماني من باب اللطف. وقال: «سنزى» ثم ضاقت عيناه وأتبع: «أيها السير دونالد، أنت محترف. بالتأكيد أنت تعي وضعك. لا أرغب في الاستهانة بذلك وأخبرك أننا سنطلق سراحك عندما ينتهي الأمر مع الرجل الرمادي، كما تعلم مثلما أعلم، لا يمكننا فقط أن نفتح البوابات ونسمح لك بالخروج. لا أريد أن أكون درامياً، لكن كما يقولون في الأفلام، أنت تعرف الكثير. لا، بغض النظر عن النتيجة مع عقد جينترى ولاجوس، لن تنجو من قصر لوران، آه أنت تعرف ذلك؛ أنا سعيد لرؤيه هذا في عينيك.

(1) جندي ألماني.

لكتني ساقطع لك وعداً بين اثنين محترفين؛ لن تتعرض التوأمان وزوجة ابنك للأذى. لقد مررن بما يكفي. أحتاج فقط إلى الاحفاظ بهن هنا حتى يصل السيد جينتري ويعدها هن أحمرار. ما لم يطلب الرجل مساعدة آخرين، أو يجلب الشرطة أو الجيش إلى قصرنا الصغير هذا، فلن يكون هناك خطر على المرأة والطفلتين، سواء وقع الرئيس أبو بكر العقد أم لا.

.. أعدك أيضاً بأنك لن تعاني بعد الآن إهانات السيد لويد». أوما فيتزروي برأسه ورفع ذقنه ثم قال: «أريد تكرييم جثة ابني». أجابه ريجيل: «هذا أمر مفروغ منه. سأضمن إحضار النعش المناسب، وسننقل فيليب إلى بريطانيا بطائرة هليكوبتر إلى المكان الذي تختاره زوجته ما إن تعود إلى الوطن».

أوما فيتزروي بيطله وقال: «افعل هذا، أوجد طريقة لإبعاد الفتاتين عن خط النار عندما يظهر الرجل الرمادي الليلة، وسأكون مدیناً لك، ولن أكون عائقاً لمحمنتك».

عندما يظهر الرجل الرمادي الليلة. حاول ريجيل أن يمنع ابتسامة صغيرة وتمكن من ذلك. وقال: «أعدك بهذا بكل شرف. هل من شيء آخر يمكنني فعله، لأريحك أكثر حتى معركة القلعة؟».

لم يستطع أن يمنع القليل من السخرية.
ـ أود بشدة أن أتحدث مع كلير إذا استطعت. إنها نوعاً ما كثيرة القلق، يرهقني أن أتكهن بما يدور في رأسها الآن. مجرد دردشة قصيرة بين الجد وحفيدته على انفراد.

ـ كلير واحدة من التوأميين؟ بالتأكيد يمكنني تدبیر ذلك.
ـ سيكون هذا رائعًا، شكرًا لك.

بعد عشر دقائق، وقف ريجيل مواجهًا لويد في المطبخ. شربا القهوة وتتجاهلا السنديونتشات على طبق فوق طاولة مطبخ حجرية كبيرة.

- لماذا عذبت فيتزروي؟

- لم يأخذ الوضع على محمل الجد.

- أنت مجنون يا لويد. أظن أن هذا الجنون كان رسميًّا، جرى تشخيص حالتك، ربما في طفولتك، وتمكنت من إخفاء تفاصيل تخصك عن وكالة الاستخبارات المركزية ومارك لوران.

- العصي والحجارة يا ريجيل.

- دع فيتزروي وشأنه.

- لديك مشكلة أكبر مني يا كيرت، تحتاج إلى عملاء في سويسرا لتنظيف الفوضى التي أحدثها جينترى.

- بمعنى؟

- تلقى الفني للتو خبراً من مراقب في لوزان. يخبرنا أن السويسريين اختطفوا عمليين فنزويilian على قيد الحياة. تحتاج إلى تأكيدات بأنهما لن يتحدثا.

- إذاً تريدهما قتيلين؟

- كيف يمكننا التيقن من صمتهمما بغير ذلك؟

هز ريجيل كتفيه وقال: «دون مجموعة لوران، يتوقف النفط الفنزويلي عن التدفق. دون مجموعة لوران، لن يُصدِّر نفطهم عبر البحر إلى المصافي. يحتاج شافيز إلينا بقدر ما نحتاج إليه. إن اثنين من الرماة اللذين لم يوفقا في مهمتهما أو ماتا في أثناء ذلك، لن يعرضوا العلاقة الجيدة التي نتمتع بها مع هذا المجنون للخطر. سأتصل بمدير مكتب المخابرات العامة في كاراكاس، أخبره بذلك على الرغم من فشلهما في مهمتهما، سأرسل له جائزة ترضيه إذا حرص على ألا يفصح عميلاه عن أي معلومات. عندما يسمع السويسريون لمسؤولين من السفارة الفنزويلية بمقابلة باقي العملاء الذين ظلوا على قيد الحياة في السجن، لا أشك في أن الرسالة التي سيتلقاها هؤلاء الأوغاد ستتصف بدقة ما سيحدث لعائلاتهم في الوطن إذا لم يتحملوا عبء العملية.

فإن المُحوَّل للشرطة فقط بتجنيد شركة متعددة الجنسيات لعدة فرق اغتيال تابعة لوكالات استخبارات العالم الثالث من أجل قتل رجل كان يجتاز أوروبا، فستُلقي زوجات هؤلاء الرجال وأطفالهم وأولياء أمورهم وجيرانهم في النسخة الفنزويلية من معسكرات العمل». انبهر لويد وقال: «هذا أحد أسباب عدم استخدامك للمرتزقة، أليس كذلك؟».

أجاب ريجيل: «ليس لدى المرتزقة من يردون عليه إلا أنفسهم. أفضل استخدام الرجال الذين يخضعون لسلب أخرى للتأثير يمكنني اللطاعب بها».

أوماً لويد برأسه وقال: «لذا علينا الآن أن نعثر فقط على جينترى». قال ريجيل: «عملاء مجموعة لوران في كل نقطة مفصلية في جنيف، وفي موقع كل شركائه المعروفيين، وفي كل مستشفى. الفني هنا يراقب هواتف وأجهزة راديو للشرطة. لدينا الأفارقة الجنوبيون في وسط المدينة، جاهزون للانتشار. إذا رأى أحد مراقبى الرجل الرمادي، فسيكون لدينا فرق قتل في غضون خمس عشرة دقيقة».

لم يأكل فيتروي، على الرغم من أنه تجرع زجاجتين من البراندي وبعض المياه المعدنية. كانت المعاملة التي تلقاها من لويد قد تركته في حال أسوأ، لكنه لم ينكسر. ضربات السكين على الفخذ، وضربات الكُف المفتوح على الرأس. كانت تصرفات رجل يائس لا أكثر. عندما كان ضابط مخابرات شاباً يعمل في أولستر⁽¹⁾ في السبعينيات، اختطف دون سيارة أجراة بجانب سيارة مليئة بمقنعين من الجيش

(1) مقاطعة في أيرلندا الشمالية.

الجمهوري الأيرلندي المؤقت. اقتادوه إلى أحد المخازن، وأمضوا تسعين دقيقة في ضربه بآنابيب طويلة.

بحلول الوقت الذي انزلقت فيه قوات التدخل السريع التابعة للقوة الجوية الخاصة من المروحية، وقتل ثلاثة من رجال الجيش الجمهوري الأيرلندي الخمسة في المعركة التي تلت ذلك، وأعدم الاثنان الآخرين عند جدار المستودع، أصيب الجاسوس البالغ من العمر ستة وعشرين عاماً بكسر في ست عظام، وضعف دائم في الرؤية في عينه اليسرى. لم يشبه الضرب الذي ناله من لويد مثل ذلك.

كان الأمريكي متھماً لكنه ليس بارغاً في توجيه الألم. بالإضافة إلى أنه لم يكن لديه سبب أو قضية كبرى، بل جزء منه خلل عقلي، والجزء الأكبر قلق ناجم عن اليأس من مأزقه.

في هذه العملية برمتها، قرر فيتزروي أن الشاب لويد ربما يكون معرضاً للخطر قدر كورت جيتري. افترض فيتزروي أن لوران قد يأمر ريجيل هذا بقتل المحامي الأمريكي إذا لم يوقع يوليوس أبو بكر العقد صباح الغد في الثامنة صباحاً.

أما السير دونالد فقد تعرض للضرب لكنه قطعاً لم ينهر. كانت لديه خطة من نوع ما، وينوي استخدام ذكائه ومهاراته وخبرة حياته في اللالعب بمن حوله لتحقيق ما لا يستطيع تحقيقه بمفرده. على الرغم من تقييده بالفراش، خطط السير دونالد فيتزروي للانتقام القاسي من هؤلاء الذين تجرؤوا عليه هو وعائلته وكبير قاتليه.

فتح باب غرفة النوم الرئيسة ببطء. جرع فيتزروي آخر ما تبقى من البراندي، ووضع الكأس بسرعة على طاولة بجانب الفراش. دخلت كلير بحذر. إذ لم تكن واثقة. ثم رأته وركضت عبر الغرفة إلى جدها. عانقته بشدة والتقت ذراعاهما حول رقبته السميكة.

- مرحباً، عزيزتي. كيف حالكن؟

- أنا بخير، جدي دونالد. لقد تأذيت!

- ـ سقطة صغيرة على الدرج، حبيبي. لا تقلقي. كيف حال أختك؟
- ـ كيت بخير. إنها تحب المكان هنا.
- ـ ألا يعجبك أنت؟
- ـ لا، أنا خائفة.
- ـ خائفة من ماذا؟
- ـ من كل الرجال. إنهم يسيئون معاملتنا، ومعاملة أمي وأبي.
- ـ هل أحسنت التصرف؟
- ـ نعم، يا جدي دونالد.
- ـ فتاة مطيبة.
- نظر فيترروي عبر النافذة للحظة، ثم قال: «كلير، عزيزتي، أود أن ألعب لعبة صغيرة معك. أتودين هذا؟».
- ـ لعبة؟
- ـ نعم. أحد الرجال هنا.. يراقبنا. لقد جاء معي في الهليكووتر هذا الصباح. لقد سمعت أن زملاءه ينادونه باسم ليري. أيرلندي. هل تعرفين أي واحد أتحدث عنه؟
- ـ ذو الشعر الأحمر؟
- ـ هذه هي فتاتي!
- ـ نعم يا جدي. يجلس على كرسي في أسفل الدرج.
- ـ حقاً؟ حسناً، كلير، لقد لاحظت أن السيد ليري لديه هاتف مثبت في جيب سترته الزرقاء الكبيرة. لا أعتقد أنه يرتدي سترته في المنزل. من المحتمل أنها في خزانة، أو على الأرض، أو ربما ملقاة على أريكة في الطابق السفلي. كنت أفكر أنه ربما يمكننا أن نلعب قليلاً مع السيد ذي الشعر الأحمر، ويمكنك التسلل مثل قطة صغيرة وإخراج الهاتف من سترته. هل يمكنك فعل ذلك؟

- رأيت سترته على معطفه. رأيت الهاتف. عندما يذهب إلى المطبخ لتناول الشاي، ربما يمكنني أن آخذه.
- فتاة طيبة! أرجوك افعلي هذا من أجل الجد دونالد. وبعد أن تحصلني عليه، أريدك أن تخفيه في جيبك أو في سترتك، ثم أخبري الحراس أنك تريدين أن تأتي لرؤيتي.
- لماذا لو لم يسمحوا لي؟
- يمكنك أن تخبرهم أنك كيت. هل يمكنك التظاهر بأنك كيت؟ أخبرهم أن أختك يجب أن تأتي لرؤيتي؛ لذا فهذا عادل.
- أنا لا أبدو مثل كيت، يا جدي.
- صدقيني يا عزيزتي، بالنسبة لهؤلاء الرجال أنتما متشابهتان تماماً. ما عليك سوى تغيير ملابسك، وأخبرهم أنك كيت، وترغبين في التحدث مع جدك العجوز العزيز.
- حسناً. سأحاول سرقة الهاتف من أجلك وأدخله لك خلسة.
- إنها ليست سرقة. إنها فقط لعبة يا حبيبي.
- لا، ليست كذلك. إنها ليست لعبة. لست طفلة صغيرة. أنا أعرف ما يجري.
- نعم، بالطبع يمكنك أن تستوعبي كل هذا. هكذا اعتقدت. من فضلك لا تقلقي. سيصير كل شيء على ما يرام.
- سألته: «أين أبي؟».
- توقف فيترروي للحظة، وجهه غير متزعج. كان السير دونالد يكذب على عملائه لما يقرب من نصف قرن. لم يجد بُعداً من الكذب على أقاربه. فأجابها: «إنه في لندن، يا حبيبي. ستعودين إلى المنزل قريباً أيضاً. اركضي الآن، وكوني حذرة».

أوقف كورت الشاحنة عند محطة القطار الرئيسة في جنيف جاردي كورنافين، الواقعة على الجانب الشمالي من المدينة. كان وقوف السيارات في محطات القطار عبارة عن خدعة تقليدية بسيطة. عندما عُثر على السيارة في أسرع وقت كما ظن كورت، كان على أتباعه أن يفكروا في احتمالية أنه قفز للتو في أول عربة إلى خارج المدينة، مما يستنزف وقتهم وجهدهم البشري للتحقق من وجهته.

لم يكن الأمر مهمًا، ولكن وقوف السيارات في محطة القطار أقل فداحة من أن يأخذ سيارته المسرقة إلى الباب الأمامي لهدفه الحقيقي. كان الطقس بارداً، لكن الشمس مشرقة، وتطايرت آخر أوراق الخريف في شوارع المدينة الواسعة. سار جنوبًا من المحطة، متباوزاً بائعات الهوى في الشارع ومحلات الجنس في منطقة ريدلات، اجتاز الجسر الذي يعبر القناة إلى بحيرة جنيف الضخمة، مروراً بمصرفيين ودبلوماسيين في منتصف العمر متوجهين نحو كل شوارع بائعات الهوى ومتاجر الجنس وراءه.

على بعد خمس دقائق جنوب الجسر، أفسحت الشارع الواسعة والحديثة المجال لممرات غير مستوية مرصوفة بالحصى، وتحولت المتاجر الأنيقة التي تصطف على جانبي الطرق فجأة إلى جدران حجرية من العصور الوسطى، حيث ارتفع بعيداً عن المدينة الحديثة تل شديد الانحدار، نحو المباني العتيقة الخلابة في البلدة القديمة. استرشد جينترى بخريطة سياحية معلقة على جدار بهو الفندق، وأخفى معصميه الأيسر المخدوش والمتورم عن الزوجين اليابانيين

بجواره، ثم عاد إلى الشارع البارد بعد دقيقة أو دققتين من ارتفاع زقاق أوصله إلى الساحة أمام كاتدرائية سانت بيير.

هناك بعد ظهر يوم السبت، وقف السياح مولين رؤوسهم وعيونهم وكاميراتهم جميعاً إلى الواجهة الرائعة للكاتدرائية التي يعود تاريخها إلى ألف عام. سار كورت خلف أكثر من عشرين متفرجاً، ثم اختفى في شارع جانبي يمتد بطول الجانب الجنوبي من الكنيسة. على يساره جدار أبيض بارتفاع ست أقدام وببوابة حديدية كبيرة في المنتصف. وبينما كان يمشي عبر البوابة، نظر إلى الداخل. كان هناك منزل أبيض له حديقة أمامية صغيرة، وشجرة كستناء كبيرة على جانبي ممر ضيق يؤدي إلى الباب الأمامي.

كانت كاتدرائية سانت بيير شاهقة الارتفاع حتى أنها حجبت الضوء عن الأشجار. سار كورت في ممر مرصوف بالحصى يمتد من الشارع الصغير ذي الحرارة الواحدة، وتتبع ممر المشاة المتعرج عبر نفق ضيق أنزله إلى الجزء الخلفي من البيت الأبيض.

هناك كان الجدار بارتفاع طابقين. بجانبه مبانٍ حديثة؛ مبني سكني به صالون عناية بالأظفار في جانب، ومدرسة وحضانة في الجانب الآخر. تجول عدد قليل من السياح في اتجاه شارع تسوق ضيق يمتد نزولاً إلى التل الخلفي.

لمح جينتري المخبر على الفور. امرأة جذابة ذات شعر أشقر طويل ومضرف، جلست على طاولة في ساحة صغيرة بجانب شارع السوق. كان كورت يبعد عنها خمساً وعشرين ياردة، لكن عينيها كانتا على البيت الأبيض على يمينه.

استدار جينتري، وسار عائداً عبر نفق المشاة لأعلى، ثم دار حوله باتجاه جدار البيت الأبيض. هناك سور حديدي مدمج في الجدار لمساعدة المشاة على احتياز الممر شديد الانحدار. تثبت به كورت، وسحب نفسه إلى أعلى الجدار بذراعه اليمنى غير المصابة. رفع إحدى

ساقيه ثم الأخرى قبل أن ينزل إلى الأسفل، امتصت ساقه اليسرى غير المصابة أغلب الصدمة، ومع ذلك فقد آلمه التسلق بيد واحدة والسقوط بشدة.

رأى جينترى كاميرات المراقبة داخل الحديقة الصغيرة عبر الزجاج. كان يعرف كيف يتحايل على جميع أنواع الإجراءات المضادة، لكن هذا بدا معقداً للغاية بالنسبة له. سيحتاج إلى مخططات وأدوات وقت.

تحرك كورت أسفل النافذة، ثم ارتفع مرة أخرى عند باب جانبي. سحب مسدس بيربيتا التقاطه من رصيف القطار قبل فترة وجيزة من الفرار من موقع الحادثة، وتركه هناك رجل شرطة سويسري ميت. أخفاه بجانبه وهو يجرب باباً جانبياً، لم يكن مغلقاً.

دخل رواقاً ثم مطبخاً مجهزاً على أكمل وجه. كانت الأنوار مطفأة، استطاع أن يميز بسهولة أصوات التلفزيون من الغرفة المجاورة. انعكس وهج الشاشة على مرآة في الردهة على الجانب الآخر من المطبخ، واستخدم كورت الضوء الوامض ليشق طريقه.

رأى مسدساً على منضدة المطبخ. كالiber 1911 عيار 45، سلاح أمريكي.

عبر جينترى المطبخ الطويل بحدり. أحكم قبضته على السلاح وثبته في سرواله من الخلف. رد معصمه المتورم الحركة بتيار كهربائي امتد حتى مرفقه. انتقل جينترى إلى الردهة، ونهض بثقة الآن ليدخل غرفة جلوس واسعة.

علقت شاشة بلازما فوق مدفأة كبيرة تفرقع بها جذوع شجر الصنوبر. جلس رجل وحيد على أريكة جلدية، ظهره إلى كورت وعيناه تحدقان إلى التلفاز الذي انطلقت منه لغة فرنسية، لكن الصور كانت مألوفة بما يكفي لجينترى. قبل أقل من ساعتين، وقف على رصيف القطار ذاته، وتحدث إلى ذلك الشرطي الشاب الذي يرقد الآن ميتاً

مُنكبًا على وجهه فوق الأسمدة الثلجي، تعرّض صور الفيديو اللحظة التي وُضعت فيها قطعة قماش صفراء فوق جسده الساكن. وضع كورت مسدسه في جرابه. لم يكن هناك أي شخص آخر بالجوار.

قال: «مرحبا، موريis».

نهض الرجل واستدار. كان شاحبًا متغضن الوجه، بملامح سبعينية واضحة ومظهر يفتقر للصحة. لو كان ظهور جينترى في شقته مفاجأة للرجل العجوز، لاظهر ما ينم عن ذلك، لكنه وقف على ساقين هزيلتين. وأجاب: «مرحبا، كورت». قالها بإنجليزية ذات لكتة أمريكية.

قال جينترى: «لا تضيع وقتك في البحث حولك. لدى مسدسك». ابتسם موريis. وقال: «لا. معك أحد مسدساتي». سحب الرجل العجوز مسدساً صغيراً من تحت قميصه وصوبه نحو صدر جينترى. فائلًا: «لكن ليس لديك هذا».

- لم أظن أنك من النوع المصاب بجنون العظمة. لم تكن بهذا الحرص في الأيام الخوالي.

- مع ذلك، كان عليك أن تُشهر سلاحك نحوي حتى تيقن من كوني أعزل.

- على ما يبدو.

تردد الرجل العجوز عدة ثوان، لكن المسدس لم يتتردد. وقال: «تبأ يا ولد! لقد علمتك أن تفعل أفضل من هذا».

قال جينترى بخجل: «هذا صحيح، أنا آسف، سيدi». - تبدو في حالة يرشى لها.

- مررت ببضعة أيام صعبة.

- سبق أن رأيتكم بعد أيام عصبية. لم تكن بهذا السوء من قبل.

هز كورت كتفيه وقال: «أنا لست طفلاً بعد الآن».

نظر الرجل العجوز إلى جينترى نظرة طويلة ثم قال: «لم تكن قط».

أدار موريس مسدسه في يده، وقذفه عبر الغرفة إلى الشاب الأمريكي.
 أمسكه كورت ونظر إليه.

- مسدس سميك، من عيار ثمانية وثلاثين من الشرطة الخاصة،
والآخر 1911. أنت تعرف يا موريس أنه لا قانون يلزمك أن تكون
أسلحتك في مثل عمرك.

- كفاك هراءً. هل تريد بيرة؟ ألقى جينترى المسدس على الأريكة
الجلدية.

وأجابه: «أكثر من أي شيء آخر في العالم».

بعد دقيقتين جلس كورت على طاولة المطبخ. كان قد أحاط معصمه
الأيسر بكيس منتفخ من التوت الأزرق المتجمد، شعر ببرودة
القارسة على جلده، لكنها قللت من التورم. لا يزال يامكانه تحريك
أصابعه، لذا كان يستطيع استخدام يده، ولو استخداماً طفيفاً.

كان يعرف أن مُضيّفه هو موريس، موريس فقط. لم يكن كورت
يعرف اسمه الحقيقي، لكنه يعلم يقيناً أن اسمه ليس موريس. كان
من أقدم رجال الوكالة، مدرب جينترى الأساسي في مركز تدريب
برنامج تطوير العملاء المستقل، والتابع لقسم الأنشطة الخاصة في
هارفي بوينت بولاية نورث كارولينا. عرف كورت حكايات عن الرجل
وتاريخه. كان يعلم أنه فقد أسنانه في فيتنام، ونفذ عمليات استهداف
في برنامج فينيكس، ثم أمضى السنوات العشرين التي تلت ذلك في
الحرب الباردة في موسكو وبرلين.

لقد سرَّح من الجيش لسنوات، فكان مدرباً لوكالة الاستخبارات
المركبة حين أحضر قاتل عشريني مُدان إلى فصله الدراسي المصنوع
من الألومنيوم، الذي يطل على المحيط الأطلسي. كان جينترى مغروراً
وهادئاً، فجأاً لأقصى درجة، لكنه تمع بالذكاء والانضباط والنحوة.

أنهى موريس تدريبه في أقل من عامين، وأعلن لقيادة العملية أن هذا
الفتى أفضل من خرّاجهم وأقواهم على الإطلاق.

كان ذلك قبل أربعة عشر عاماً، ونادرًا ما تقاطعت طرقهما منذ ذلك الحين. أغري موريس بالعودة إلى ممارسة نشاطه بعد 11 سبتمبر، كما كان الحال بالنسبة لمعظم العملاء المتقاعدين ذوي المستوى المرفيع من بقوا على قيد الحياة. ونظرًا لسنه وصحته غير المستقرة، أرسل إلى جنيف للعمل في قسم الشؤون المالية بمديرية الخدمات السرية التابعة لوكالة الاستخبارات المركزية. خبرته بالمصارف والمصرفيين السويسريين التي تراكمت خلال أربعين عاماً من استخدام الحسابات المرقمة لشركات صورية تابعة لوكالة الاستخبارات المركزية في عملياته قد أهلته ليصبح مسؤولاً رواتب فعّالاً للعملاء والعمليات في جميع أنحاء العالم.

كان عملاً سهلاً ونظيفاً، مقارنة ببعض الوظائف التي شغلها في شبابه. لكن لم يخل هذا من الخطر أو الجدل. بعد فترة وجيزة من طرد كورت من الوكالة، استطاعت مراكز القوى أن تعزل موريس. شيء يتعلق باختلاس أموال، على الرغم من أن كورت لم يصدق القصة الرسمية على الإطلاق.

جاء الأمر من لانجلي أن يتყاعد موريس تماماً تاركاً وكالة الاستخبارات المركزية. بالطبع لم يكن كورت يعلم ذلك، ولم يكن واثقاً بنسبة مائة بالمائة أن موريس لن ينقلب عليه، الأمر الذي أوضح شكوك التلميذ الأولى بشأن معلمه.

أعطى موريس جينترى زجاجة من الجعة الفرنسية، لذلك احتضن الشاب كيس التوت المجمد في حجره وترك معصميه يرتکز عليه. خدرت البرودة اللاذعة الألم بيضاء. سأله الرجل العجوز: «هل تأذيت بشدة؟».

ـ ليس تماماً.

ـ لطالما كنت وغداً قاسياً.

- تعلمت من أفضلهم ألا أتذمر. لم تقبل بذلك يوماً.

- لم أرك منذ ست سنوات. قبرص، أليس كذلك؟

- نعم يا سيدى.

- هل رأيت المراقب في الخارج؟

- نعم. الفتاة ذات الصفائر.

- فتى بارع. إنها جميلة، تتنكر في هيئة سائح. تستقبل الكثير من السياح هنا في البلدة القديمة. أنا أكره السياح.

- وجوه انتقالية.

- هذا صحيح. أسد لنفسك معروفاً يا كورت. إذا وصلت إلى التقاعد، فانتقل إلى مكان لا يطؤه أي سائح.

- سأفعل.

سعل مورييس وتحنخ: «تدور أخبار في الأرجاء، غير متربطة بعد، تنتقل في الهواء وحسب، في انتظار أن يتصل بعض النقاط ببعض. براغ، بودابست، ثم هذا الصباح بالقرب من الحدود النمساوية. كنت أعرف أن شيئاً ما يحدث، ولم أدرك أنني أعرف أيّاً من اللاعبين حتى بدأت مراقبة متزلي في نحو الساعة 11:30. بعد نحو ساعة من ظهورها، بدأت جميع المحطات المحلية تبث أخبار تبادل إطلاق النار شمال لوزان، في تلك المرحلة، علمت أنك تسير في هذا الاتجاه».
- كيف عرفت أنه أنا؟

- ربط بعض الخيوط ببعض. رجل مطارد ظل على قيد الحياة مخلفاً وراءه الموت والدمار. عندما اقتربت الجثث، قلت لنفسي: هنا هو كورت يقترب.

أكاد جينترى، وهو ينظر إلى الزجاجة في يده: «هأنذا».

- أخبرني أنك لم تطلق النار على رجال الشرطة المساكين.

- أنت تعرفي. لن أقتل شرطياً.

- كنت أعرفك. الناس يتغيرون.

- أنا لم أتغير. احتجزتني الشرطة عندما ظهر فريق من القتلة. حاولت إقناعهم أنني لم أعد أكبر مشكلاتهم، لكنهم لم ينصتوا.
- كثيرون يريدونك ميتاً يا كورت.

- أنت نفسك لست من المفضلين. لقد تخلصت منك وكالة الاستخبارات المركزية أيضاً.

- لا توجد تعليمات بإطلاق النار علىَّ عند رؤيتي. أنت من دمروه حقاً.

- ومع ذلك كان تلقيق التهم ضدك خاطئاً يا موريس. كنت من المخلصين. كان يجب أن يتركوا سمعتك نظيفة كما هي. لم يقل موريس شيئاً.

سأل كورت: «ماذا تفعل هذه الأيام؟». أجاب موريس: «تمويل القطاع الخاص. انتهيت من الأعمال المربيّة».

جال كورت بعينيه متفحضاً العقارات باهظة الثمن من حوله، وهو يقول: «يبدو أنك بخير».

قال موريس: «العمل في قطاع المال مربع للغاية، ألم تعرف ذلك؟». استشعر كورت القليل من الحذر في حديثه. كان يشرب الجعة، ويدير ذراعه ليخفف من تورم معصميه. قال: «هل تذكر رجلاً في لانجلترا اسمه لويد؟».

- بالتأكيد. مخت أنيق صغير، شهادة في القانون من لندن. كلية كينجز على ما أعتقد. لقد أعاقد عملية مالية اشتغلت بها في جزر كايمان قبل فترة وجيبة من عزلي. ولد ذكي لكنه وغد.

- إنه الرئيس المدبر لكل هذه الأشياء التي تحدث لي الآن.

- لا تمزح؟ كان يبلغ من العمر ثمانية وعشرين عاماً في ذلك الوقت. لا بد أنه في الثانية والثلاثين أو نحو ذلك الآن. سمعت أنه غادر لانجلترا قبل نحو عام.

سأل كورت بطريقة بلامبية: «ماذا حدث لجميع الأخيار؟». أجاب كورت: «قبل 11 سبتمبر كنا سلة بها عدد قليل من التفاح الفاسد. بعد ذلك، أصبحنا بستانًا. يوجد الآن ما يكفي من التفاح الفاسد لملء السلال. نفس الهراء، لكن بمقاييس مختلفة. لا عجب».

احتسى كلاهما الجعة لمدة دقيقة في صمت، مسترخيين في صحبة بعضهما بعضاً، كما لو أنهم يقضيان ظهيرة كل يوم سبت معاً. أصاب موريس سعال جاف متقطع بشدة، وعندما انتهى سأله جيترى: «ما خطبك؟».

نظر موريس بعيداً للحظة، وأجاب بلا عاطفة: «الرثان والكبد، اختر ما شئت».

ـ الوضع سيء؟

ـ الخبر السارٍ هو أنني قد لا أموت من سرطان الرئة لأن مرض الكبد قد يصيني أولاً. على العكس من ذلك، قد أدفع مع كبد جيدة إذا مُت من سرطان الرئة. شرب الكحوليات والتدخين لا يُؤثر من خمسين عاماً.

ـ آسف.

ـ لا عليك. إذا اضطررت لإعادة ما سبق، فلن أغير أي شيء. ضحك وتحول هذا إلى نوبة سعال جافة أيضاً.

ـ كم من الوقت لديك؟

ـ يقول الطبيب العجوز هيني يونج مان إن أمامي ستة أشهر للعيش. قلت له: لا أستطيع دفع فاتورتك. فمنحي ستة أشهر أخرى. تحولت ضحكة موريس إلى أزيز ثم سعال جاف عنيف.

ـ ستة أشهر إدا؟

ـ هذا ما قالوه. قبل سبعة أشهر.

سخر كورت قائلاً: «لا تدفع لهم». لقد كانت من المضحكات المبكيات، إلا أن جينترى لم يعجبه المزاح مع معلمه حول موت وشيك.

ـ دعنا نُعد إليك. ما الذي تورطَ فيه؟
ـ إنه متعلق بمهمة خضتها الأسبوع الماضي. أعتقد أنني أغضبت شخصاً ما.

ـ الرجل الملون الذي قُتل في سوريا. علي بابا أو أيّاً كان اسمه. كان هذا أنت، أليس كذلك؟

صحيح له كورت: «أبو بكر»، لكنه لم يؤكّد أو ينفي تورطه. هز موريis كتفيه وقال: «كان يجب التخلص منه. لقد تابعت مسيرتك المهنية كونك قاتلاً خاصاً. عملياتك دائمًا تغلب الخير على الشر. ليس أداءً جيداً وحسب، ولكن أيضاً أخلاقي وعادل». ـ قل ذلك للويد.

ـ كثير من الناس يقولون إن هذا الشيء في كيف يخصك.
ـ هذا ما يقولونه.

ـ و...؟رن هاتف موريis. مد الرجل العجوز يدّاً رفيعة كالقصبة ليمسك بسماعة الهاتف على الحائط ورد على المكالمة. اتسعت عيناه الرماديتان قليلاً عندما نظر إلى ضيفه الشاب.
وقال: «هذا لك».

«تبًا!». أمسك جينترى السماعة وقال: «أجل».

ـ كورت؟ أنا دون.

ـ ماذا تريد؟

ـ إنهم لا يعرفون أنني أتصل. لقد جعلت كلير تشنل هاتفاً من أحد الحراس الذين يحرسون القصر. هذا الشبل من ذاك الأسد، أليس كذلك؟

جز جينترى على أسنانه. أعطاه موريس زجاجة جديدة من الجمعة الباردة. وقال: «ما خطبك يا دون؟ كلير ليست مخبرة من بلفاست! لا يمكنك تشغيلها مثل أحد عملائكم! إنها فتاة صغيرة! إنها عائلتك!».

ـ إجراءات يائسة للأوقات اليائسة يا صديقي. كانت رائعة.

ـ أنا لا أحب ذلك.

ـ هل تريد المعلومات التي أملكها أم لا؟

ـ كيف يمكنني الاستعانة بأي شيء لديك؟ كيف لي أن أعرف أنك ما زلت لا ...

ـ قتلوا فيليب يا كورت. ركضت كلير. أطلق الأوغاد النار على ابني عندما ذهب لحماية طفلته.

ـ يا إلهي!

ـ لا يسعنا إلا أن نأمل.

ـ أنا آسف.

ـ توقف كورت مؤقتاً. ثم سأله: «كيف عرفت أنني هنا؟».

ـ لويد يعلم أنك في جنيف.

مكتبة

t.me/soramnqraa

—لقد اعتقدت أن تبادل إطلاق النار في الطريق من زیورخ سیجذب انتباھه.

—تماماً، لقد أرهقت بالي فيما كنت تفعله هناك. علمت أنك أذکى من أن تقترب من شخص ما في شبكتي. ثم تذكرت أن هناك مصرفی وكالة قديماً في جنیف، في إدارة الأنشطة السرية، أجرى تدريباً صعباً للعملاء. اعتقدت أنك قد تعاملت معه في حياتك السابقة. اتصلت بعض المعارف وحصلت على الرقم.

—كيف يمكنك إجراء مکالمات هاتفية دون علمهم بذلك؟

—يعتقدون أنني استسلمت. أنا ملقى على سرير بجروح وأسنان مكسورة بفعل ذلك المخت لويد. لقد حاول تعنيفي لكنه فشل. لا يمكنه أن يعذب رجلاً بطريقة غير لائقة. القوني على سرير كحزمة العلوی، كأني عجوز معته وحانع مصدوم، وربطوني في السرير كحزمة ذابلة من الخضراوات. لكتني لم أستسلم يا كورت. عندما اعتقدت أن الأمل الوحيد لعائلتي هو موتك، كانت هذه هي نیتی. ساعترف لك بذلك. الآن أعرف جيداً أن الأمل الوحيد لعائلتي هو أن أحضرك إلى هنا. لمساعدتك بأي طريقة يمكنك أن تصلك بها إلى هذا المكان بأقصى ما تستطيع وبكل ما لديك.

—فقط أبعد الفتاتين عن الأمر من الآن فصاعداً. هل تستطيع فعل ذلك؟ إنهم طفلتان فحسب.

—أعدك.

—هل لدى لويد بالفعل الوثائق التي يدعى امتلاکها؟

—لديه ملف موظفي وكالة الاستخبارات المركزية الخاص بك، بضع عشرات آخرين أيضاً. أوراق وأقراص كمبيوتر. لقد أتى بنا من لندن بالإضافة إغراء آخر، للتيقن من قدوتك.

—لماذا يفعل هذا؟

أخبر فيتزروي كورت بكل شيء عن مجموعة لوران. بطلب أبي بكر. وأخبره عن ريجيل وقوات حراسة مينسك وفناني الأرصفة. وعن التحدي المتمثل في عشرات فرق الاغتيال، من اثنى عشرة وكالة استخبارات في اثنى عشرة دولة من العالم الثالث، أرسلت جميعاً وراءه للحصول على مكافأة قدرها عشرون مليون دولار.

بينما ينقل السير دونالد جميع المعلومات التي كانت بحوزته عن العملية إلى جينترى، سحب موريس صندوقاً أزرق من الخزانة وأحضره إلى طاولة المطبخ حيث كان يجلس كورت. راح الممول المسن والمدير السابق للخدمات السرية ينظف الجروح على معصم رببه الشاب بمطهر، ثم ضغط أكياساً من الهلام البارد لإحداث تفاعل كيميائى، مما أدى إلى تحول الكمامات إلى اللون الأبيض الفاتر في ثوانٍ. لفها حول معصم جينترى الأيسر المتورم، متبعاً بضمادة ضاغطة لتثبيت كل شيء في مكانه ومنع المزيد من التورم. كانت عملية محكمة وسليمة نفذها شخص من الواضح أنه تدرب على رعاية الجرحى.

عندما أنهى فيتزروي تقريره، قال جينترى: «لاأصدق أنهم سيخوضون كل هذا من أجل العقد فقط. لقد فهمت، عشرة مليارات دولار مبلغ كبير، ولكن لكي يقدم أبو بكر بكل ثقة طلبًا مثل هذا، يجب أن اعتقاد أن هناك دافعًا آخر وراء الأمر هنا».

قال فيتزروي: «أنا موافق. تبادل إطلاق النار مع رجال الشرطة السويسريين؛ هذه مخاطرة لا تصدق من شركة مثل مجموعة لوران، حتى لو فعلوا ذلك بالوكالة مع القتلة الفنزويليين».

قال جينترى: «إن الأمر أكبر من كونه عقداً على المحك. فلتتبين هذا الأمر، حسناً يا دون؟».

ـ سأتحدث إلى ريجيل. إنه أكثر وضوحاً من لويد.

ـ حسناً. احتفظ بهذا الهاتف معك. واكتم رنينه.

- كيف يمكنني الاتصال بك في أثناء تنقلك؟

نظر جينتري إلى موريس: «أليديك هاتف محمول يعمل بالقمر الصناعي يمكنني شراؤه منك؟». ضحك الرجل الأكبر سنًا، واحتفى في ممر طويل. دفعته نوبة سعال جديدة للابطاح تقريرًا في مرحلة ما. عاد بعد لحظات بهاتف قمر صناعي. لقد كان موتورو لا إيريديوم عالي التقنية، وهو نموذج يعرفه جينتري جيدًا. استخدمه الجواسيس والجنود والمعامرون المعرضون لمخاطر عالية، ولم يكن أكبر بكثير من الهاتف الخلوي العادي. وضعه في علبة بلاستيكية شفافة مقاومة للصدمات، ومقاومة للماء، ومقاومة للقنابل عمليًا. أومأ كورت برأسه تقديرًا عندما أخذه. كتب الرقم على شريط في ظهره، وقرأه كورت على دونالد قبل أن يضع الجهاز في جيبه الأمامي.

بعد أن أعاد قراءة الرقم، توقف فيترولي للحظة، ثم قال: «كورت يا ولدي، أمر آخر. عندما ينتهي كل هذا، عندما تقتل آخر شيء حي يمثل تهديدًا لك، سأتصل بك وأعطيك عنواننا. سيكون صغيرًا للغاية، مكان يسهل عليك الدخول إليه والخروج منه دون قلق. ستجد كوخًا صغيرًا من غرفة واحدة، وسأكون فيه، جالسًا على كرسي، مُجردًا من قميصي الداخلي ويداي مبسوطتان على طاولة. سأنتظرك، وسأكون أعزل تماماً. فما ورطتك فيه، وما فعلته من أجلي، سأرده لك بحياتي، سيمنحك القليل من الراحة وحسب، لكن ربما يساعدك. أنا آسف لما فعلته بك في الثماني وأربعين ساعة الماضية، لقد كنت يائساً. لم أفعل ذلك من أجلي، لقد فعلت ذلك من أجل عائلتي. أنقذهم، وسأمضي لحتفي لأعطيك قدرًا من السلام.

كورت؟ هل ما زلت هنا؟».

أجا به كورت: «حافظ على سلامة الفتاتين يا دون. افعل هذا الشيء من أجلي وسن Sovi باقي الأمور عندما ينتهي هذا». أغلق جينتري الخط.

بعد أن أعاد كورت الهاتف إلى موريس، أنهى قارورة العجة الثانية. مسح بصمات أصابعه عنها بخرقة على المنضدة، ومشى إلى الجزء الخلفي من المنزل لينظر من خلال الستائر الطويلة.

— عندما أغادر، هل يمكنك التعامل مع المراقبة؟
— إنها تجلس هناك وحسب. أعتقد أنني أستطيع تولي ذلك. لم أمت بعد.

— ستعيش أكثر منا جمِيعاً.

— لا يريحيني أن أسمع هذا الكلام منك تحديداً.
كانت لهجته قد تغيرت فصارت أكثر أبوة، سأله: «كيف يمكنني مساعدتك؟».

— يجب أن أفعل «شيئاً» في شمال فرنسا. يجب أن أنهض وأنطلق صباح الغد.

— حالتك لا تسمح لـ ...

— لا يهم. يجب عليّ أن أذهب.

— هل تحتاج إلى بعض المال؟

— قليلاً، إذا كان في مقدورك.

— بالطبع، يمكنني منحك بعض النقود. ماذا تريد أيضاً؟

— سأخذ مسدساً من طار خمسة وأربعين، وإذا كان لديك بعض الرصاص.

ضحك موريس وانتابه سعال جاف. بدا أن المرض في رئتيه ينمو مع المحادثة. وقال: «من المحتمل أن تؤذني نفسك بسلاح رجولي كبير كهذا، لقد كفوا عن تصنيعه. أنت ابني، سأوفر لك شيئاً أكثر عصرية».

— كنت أتمنى أن يكون لديك حقيقة طوارئ تحتفظ بها ليوم مطر. ليس لديك شيء؛ لهذا فأي معدات يمكنك توفيرها ستكون محل تقدير كبير.

-لدي مخاً طوارئ على بعد شارعين من هنا، حال وقعت أي مصيبة. مما تخبرني إياه، أعتقد أنك قد تحتاج إليه.
ـ أنا أقدر هذا حقاً.

ـ أي شيء لأفضل تلاميذى.

اختفى موريس في الردهة الخلفية. عاد بعد دقيقة ومعه حزمة من اليورو في ظرف ومفتاح في سلسلة. كتب عنواناً على الظرف وسلمه إلى تلميذه. وقال: «أظن أنك ستفرح بالمعدات». وضع كورت الأشياء في جيبه.
ـ بيرة أخرى؟

ـ كنت أود هذا، لكن من الأفضل أن أتحرك.
ـ مفهوم.

سكب موريس في يد جينترى العديد من الأقراص المضادة للالتهابات من زجاجة في الخزانة. بلعها كورت باخر جرعة من زجاجته. ثم سارا معًا نحو الباب الخلفي.

قال كورت: «أتمنى أن أقول إنني سأراك مرة أخرى. إذا نجحت في ذلك غداً، فسأضطر إلى الاختفاء لبعض الوقت. ربما إذا لم تدفع فاتورة طبيبك، فيمكننا الحصول على بيرة أخرى يوماً ما».

ابتسم موريس، لكنه لم يضحك هذه المرة. وقال: «أنا أحضر يا كورت، لا داعي لتجميل الأمر. لا يمكنني أن أجعله أجمل مما هو عليه».

ـ هل هناك أي شيء يمكنني فعله من أجلك؟ أي شخص تريدينني أن أراه أو أرعاه بعد رحيلك؟

ـ لا يوجد أحد. لا عائلة. لا أصدقاء. لم يكن لدى سوى الوكالة.
قال كورت: «أعرف هذا الشعور».

كان قضاء الوقت مع معلمه أمر جيد، فمن النادر أن يجد جينترى فرصة للتحدث إلى شخص من بنفس الأمور التي مر بها في الحياة.

لكن الأمر كان محبطاً كذلك. إذ رأى كورت قدراً من نفسه في عيني الرجل المرهقين المستائمين اللتين واجهته في غرفة المعيشة. وعلم أنه بالرغم من أن أحداً لا يحب التقدم في السن، لكن في مهنة جينترى، فإن البقاء على قيد الحياة هو أفضل ما يمكن للمرء أن يأمل فيه.

وهل حدث ذلك حقاً؟

ابتسم موريس وهو يتحدث: «يمكنك أن تفعل شيئاً واحداً من أجلي. عندما تخلص من هذه الفوضى التي تعيشها، أريدك أن تهرب إلى جزيرة استوائية في مكان ما. عندما تقرأ في الجريدة عن مصرفي أمريكي أكبر سنًا من الأرض يموت في سويسرا، أريدك أن تذهب إلى أفضل بار تعرفه، وتلتقي فتاة جميلة، وتشرب معها طوال الليل. أنا جاد. تجاوز هذا وآخر من هذه الحياة. لا تزال هناك أجزاء من العالم لا يهتم فيها أحد بما فعلته. فلتذهب هناك. التق شخصاً ما. عش إنساناً. افعل ذلك من أجلي يا فتى».

ـ سأحاول.

ـ يوماً ما ستتعلم. كل الأشياء التي فعلتها، كل الأشياء في الماضي التي كنت تعتقد أنها ماتت ودفنت واعتقدت أنك تركتها وراءك لم تتركك. لقد خَرَّنتها بعيداً. خَرَّنتها للوقت الذي لا يوجد فيه غيرك وغرفة هادئة وذكرياتك والشياطين الذين قتلتهم.

ـ يجب أن أذهب، موريس.

ـ أعلم أنني لا أستطيع منعك من فعل ما يتعين عليك فعله، لكن فكر فيما أقوله. كل الهراء الذي علمتك إياه في هارفي بوينت. كلما نسيت ما علمتك إياه واستمعت إلى ما أقوله لك الآن، أسرعت في التصالح مع القتل والموت، انتهت الخطبة يا فتى.

ـ تصافحا.

ظهر وجه كورت الجاد مرة أخرى في ومضة. حشر رزمة النقود في جيب بنطلونه، وهاتفه في سترته وتوجه إلى الباب الخلفي. أطل من خلال الستائر من النافذة الأمامية إلى ممر من القرون الوسطى. وسرعان ما شعر أن شيئاً ما لم يكن على ما يرام.

سأل موريis: «ما الأمر؟». وقد راشه عدم ارتياح تلميذه. قال كورت: «تحقق من الخلف. انظر إذا كانت الفتاة لا تزال هناك». سار موريis في القاعة إلى غرفة المعيشة الخلفية ونادي كورت: «لقد ذهبَت». -سجّوها.

-من؟

-القتلة.

-لأنهم يريدونها أن تبتعد عن الطريق عندما تحدث ضجة.
-بالضبط.

سأل موريis إذ يعود إلى صف جينترى: «هل هم هنا؟». أجاب الرجل الرمادي: «ليسوا هنا لكنهم قريبون. يمكنني أن أشم رائحتهم بحق الله!». ضاقت عيناً جينترى وأكمل: «قل إنك لم توقع بي يا موريis».

أجاب موريis: «لم يحدث لمرة واحدة في حياتك يا كورت». مرت لحظة صامتة. ثم قال: «أصدقك، أنا آسف».

سأل موريis: «من هناك؟ أديك أي فكرة؟».

راح كورت وموريis يحصنان الباب مستخدمين دولاباً وخزانة كتب. وأجابه: «يعلم الله أن الكل كان يسعى^{إلى} قتلي في الأيام الثلاثة الماضية. لا ينقصني سوى الصياد المربي^ي». _____

(1) إحدى شخصيات دي سي كوميكس.

قال موريس: «لا بد أن هؤلاء صيادون مريخيون إذا. سمعت أنهم أوغاد حقيقيون. يمكنك أن تخرج من السقف. هناك ألواح في السندرة تميل على فتحة التهوية. ادفع فتحة التهوية إلى الخارج، يفترض أن تسعك. ستتكلك هذه إلى علية الحضانة خلف منزلي. إنها مغلقة أيام السبت. لديهم قبو يؤدي إلى صالون تقليم الأظفار المجاور. يبدو أنك قد تحتاج إلى عمل مانيكير، ولكن حاول أن تقاوم رغبتك في ذلك. انزلق من بابهم الأمامي إلى شارع بورجاتوار، ثم أسفل الزفاف الصغير إلى شارع إنفير، سيخرجنك هذا بأمان».

ـ ماذا عن رجال الشرطة؟

ـ أقرب محطة لهم في قصر العدل، لكننا لا نتحدث عن جنود في الخطوط الأمامية. من الأفضل ألا ننبههم على الإطلاق لئلا يندلع صراع دام.

وقف جينترى بلا حراك وحدق إلى موريس. ضحك الرجل المسن بحرارة وهو يجاهد ضيق أنفاسه ثم قال: «لقد أعددت طريق الهروب منذ فترة طويلة. في أيام إدارتي، كان لدى صبي من الحي يختبر السندرة، حتى بضعة أشهر مضت بما من مشكلة. أمض في طريقك إذا».

ـ تعال معى.

ـ لن أستطيع المرور من تلك السندرة. لا أحد يطاردني، اذهب الآن. موريس، في غضون ثوان سيأتي فريق محترف عبر تلك الأبواب. سيعرفون أنك ساعدتني. سيفعلون كل ما يلزم ليحصلوا منك على معلومات.

ابتسم موريس متوجهاً وقال: «لم أخش الموت قط يا كورت. الموت عبئاً هو ما يخيفني حقاً. لو كنت تلقيت رصاصة في فيتنام مثل كل صديق لي هناك، لكانت لهذا قيمة. إذا توفيت في أثناء العمل مع المؤسسة فسيكون هذا مشرفاً. أعني، اعتماداً على ما كنا نفعله في ذلك

الوقت، فأنت تعلم ما أقوله. لكن أجلس هنا في منزلي في جنيف، أقلب قنوات التلفزيون، وأنظر اللحظة التي تسعل فيها رئتي أو تتبول كلتي. ليس هناك نبل في هذا».

ـ ماذا تقول؟

ـ أنا أقول إنني سأموت من أجلك، يا فتى. لقد نفذت عمليات ناجحة أكثر من الوكالة بأكملها في السنوات الأربع الماضية. أنت تستحق أن يساعدك شخص ما إذا وقعت.

لم يدر جينترى ماذا يقول، لذلك لم يقل شيئاً.

ـ لا تفسد الأمر يا فتى. اخرج من هنا. سأبطئهم، ربما واحد أو اثنان في هذه العملية. لا توجد وعود، لكنني سأحاول تقليل عددهم بعض الشيء.

ـ لن أنساك أبداً.

ابتسم موريس وأشار إلى الأعلى. وقال: «إذا تجاوزت الأمان ووصلت إلى الجنة، سأنتظرك هناك، فلن ما إذا كنت ستلحق بي في الآخرة أيضاً».

تعانق الرجلان في حرج، كان كلاهما متوتراً ومشغول الذهن بسبب التحرك الوشيك. قال موريس: «شيء آخر. أتمنى أن تذكريني بشكل إيجابي. لا تظن بي سوءاً إذا... إذا علمت أنني ارتكبت خطأ أو اثنين في الطريق».

ـ أنت بطيء. هذا لن يتغير أبداً.

ـ شكرًا يا فتى.

كان هناك صوت فرامل شاحنة من الخارج. قال موريس: «اذهب!». أومأ جينترى. ضغط الرجل الضعيف على كتفه وقفز إلى العارضة دون أن ينطق بكلمة. سرعان ما سحب نفسه إلى العلية، بينما تشن ضلعه المكسورة ومعصمه المتورّم ألمًا. كان قد أزال البلاط لتوجه عندما

وقع اصطدام في الباب الأمامي تسبب في سقوط الدولاب لمسافة قدم في الغرفة.

دار موريس وانتقل إلى المطبخ بأقصى سرعة بساقيه الهزيلتين ورئتيه المشوهتين. حدث اصطدام آخر حطم الباب خلفه. أمسك بالموقد الضخم، وسحب جهاز الغاز القديم إلى الخلف بضع بوصات مرتعشاً. جاهد للوصول وراء المدفأة، ومدد جسده المسن إلى أقصى حد، لكنه لم يستطع الإمساك بهدفه. نظر في جميع أنحاء الغرفة بحثاً عن شيء يوسع به نطاقه.

كان الأفارقة الجنوبيون فرقة كوماندوز من وكالة المخابرات الوطنية في بلادهم. وقف قائد الفرقة المكونة من ستة أفراد في الفناء الأمامي للبيت الأبيض، وعلى كتفه بندقيته من طراز بينيلي. دخل باقي أعضاء فريقه أخيراً من الباب المحسن. انتقلوا بمهارة هجومية عالية التدريب في جميع أنحاء المبنى ذي الطابقين. في منتصف الغرفة الأولى انقسموا إلى وحدتين، اتجه أحد الفريقين إلى المطبخ ووجد رجلاً عجوزاً جالساً على طاولة، يداه فوق رأسه وأصابعه متشابكة، يواجه الحائط البعيد، صورة الاستسلام. سحبه أول رجل في الفرقة إلى الأرض بعنف وفتحه في ركن الإفطار الضيق.

وجد مسدساً في حزام خصر الرجل العجوز وألقاه إلى أعلى في الحوض.

قال أكبر الرجال سنًا: «هذه المسدس قديم أيها الأحمق!». بينما راح اثنان من الأفارقة الجنوبيين يدفعانه بقوة على كرسيه إلى الغرفة الرئيسة، وانتظرا حتى أعلن الأعضاء الأربع الآخرون في الوحدة إخلاء المنزل.

عندما عاود الفريق بأكمله الالتفاف حول السجين، نظر الأمريكي العجوز إلى جميع الوجوه، ومن الواضح أنه سمع لهجاتهم إذ قال: «أفارقة جنوبيون».

سأل القائد: «أين الرجل الرمادي؟». تجاهل موريس سؤال القائد.

وقال: «انظروا يا رفاق. ثلاثة سود، ثلاثة بيض. عاج وأبنوس. في سالف الأيام كنتم أيها البيض تضربون هؤلاء السود، أليس كذلك؟». لم يكن هناك رد.

«أنتم أيها الأولاد البيض لا بد أنكم تفتقدون أيام الفصل العنصري تلك، أليس كذلك؟».

كرر القائد سؤاله: «أين الرجل الرمادي؟».

قال موريس: «آه، لكن رئيس العملية أبيض. أنت يا أولاد ما زلت ضمن القائمة هكذا؟ وضع أصحاب المزارع العبيد في الرئاسة، لكنهم ما زالوا يصدرون الأوامر. ألسْت على حق؟».

فك أحد العملاء السود عقدة الرشاش الخاصة به من جهاز العدة على صدره، ورفعه ليحطّم بعقبه فك موريس. قائلًا: «توقف!».

صاح الزعيم: «إنه فقط يحاول إبطاء سرعتنا حتى يتمكن ابنه الحبيب من الفرار. لن يحدث أيها الرجل العجوز. الآن، أين الرجل الرمادي؟».

ابتسم موريس: «هذا هو الجزء الذي أقول فيه: من هذا؟».

قطب القائد جبيته، وتحدث بلهجة إفريقية ثقيلة، وقال: «وهذا هو الجزء الذي يضررك فيه رجلي على وجهك لإساعتك التصرف بدلاً من تقديم إجابة». أوّلًا برأسه إلى العميل الأسود الذي كان لا يزال واقفًا فوقه. صدمت مؤخرة الرشاش فك الأمريكي العجوز، ودفعت رأسه إلى الوراء.

وكرر سؤاله: «الآن أيها الأحمق، لنجرب مرة أخرى، إلى أين ذهب؟».

بصق موريس الدماء وجزءاً من شفته السفلية على الأرض أمام، ثم قال: «لا أتذكر. لقد وصلت إلى سن متقدمة حيث تبدأ الذاكرة في التغافل. كثيرون ينسىون، أنت تفهم. التقدم في العمر سيئ». .

بعد عدة ثوان من الانتظار، صرخ القائد في وجه الرجل: «لن أسألك مرة أخرى. كان الرجل الرمادي هنا. أين هو الآن؟».

أجاب موريس: «آسف أيها الشاب، أنا مريض. هل تمانعون إذا استخدمت دورة المياه؟».

نظر زعيم القتلة إلى مرؤوسه وقال: «اضرب هذا الأحمق مرة أخرى».

قال موريس على الفور: «لقد رحل ولن تجده».

سخر الإفريقي الجنوبي من الرجل النحيل قائلاً: «سأجده. سأجده وسأقتله. سمعة الرجل الرمادي ليست سوى هراء».

ضحك موريس وسعل وهو يقول: «هل لديك أي فكرة عن عدد الرجال الذين قالوا هذا الشيء تحديداً والآن يتغافلون إلى الأبد في صندوق من الصنوبر؟».

أجاب: «هذا لن يكون مصيري يا صديقي».

أومأ موريس برأسه تقديرًا: «سأضطر إلى الاعتراف لك بهذه. لن يتبقى منك ما يكفي لصندوق الصنوبر. لكن لا داعي للقلق، فأنا أسمع أن شركات الدفن هنا في جنيف مجتهدة للغاية. بقليل من الحظ قد يجدون نصف رفاتك لملء نصف جرة ووضعها على رف والدتك». مال الإفريقي الجنوبي برأسه وقال: «ما الذي تتحدث عنه بحق الجحيم، أيها المفكك؟».

أجا به موريس: «أنا فقط أقول، مستقبلك يبدو قاتماً يا صديقي، لكن ثمة أخبار سارة».

نظر الإفريقي الجنوبي إلى رجاله. من الواضح أنه كان يتحدث إلى عجوز مجنون؛ لذا قال: «سأجاريك يا رئيس. ما البشارة؟».

قال موريس: «مستقبلك الكثيب سيكون قصير الأجل».

ثم ابتسم، وبدأ يصلي في هدوء استغفاراً لخطيأه. عندها فقط جاء صوت الفنِي عبر الراديو. وضع الرجال الستة أيديهم على سماعات الأذن الخاصة بهم ليصغوا جيداً.

أخبرهم الفنِي: «مراقب رقم ثلاثة وأربعين أفاد أن الهدف خرج للتو من صالون الأظفار خلف مبني سكني خلف المنزل. إنه يسير على قدميه متوجهاً غريباً».

أومأ الزعيم الإفريقي الجنوبي برأسه، وأعاد انتباهه إلى موريس. وقال: «أخبار سارة في كل مكان يا جدي. لن نضطر إلى تعذيبك لنعرف أين ذهب».

لم تتحرف نظرات موريس عن صلاته. هز قائد الفريق الإفريقي الجنوبي كتفيه، وأنزل بندقيته على صدر الرجل الجالس، وأطلق النار بيد واحدة.

عندما غادرت الرصاصة الماسورة متوجهة نحو هدفها، انطلق الرجل الإفريقي الجنوبي في الهواء، وارتدى إلى المطبخ. كسرت رقبته، واحترق جلد وجهه ويديه. عانى الخمسة الآخرون المصير نفسه، رغم أن مساحة غرفة المعيشة كانت أقل من أن تسع طiran هؤلاء الرجال. توفي موريس على الفور من انفجار رصاصة من عيار اثني عشر في صدره من مسافة قريبة.

بعد دقائق عرف رجال الإطفاء في موقع الحادثة أن الدمار نتج عن تسرب غاز هائل، ربما من الوصلة بين الجدار وفرن المchanع الكبير. كان هذا أمراً نادر الحدوث، لكنه شائع للغاية في المنازل القديمة كهذا المنزل، ولم تكن مفاجأة. بعد ساعات فقط، أطافت النار، وانخفضت مستويات الماء والرغوة إلى حيث يمكن فحص الجثث، لكن احتار المحققون، ولم يستدلوا على شيء من الجثث السبع المبللة والمحترقة التي لا يمكن التعرف إليها، لكنهم لاحظوا الكم الهائل من الأسلحة النارية المحية بجميع الضحايا باستثناء واحد، وهو حديث غير مألوف إلى حد كبير في جنيف المعروفة بالهدوء.

بعد خمس دقائق من خروجه من صالون الأظفار، سار الرجل الرمادي غريباً في شارع دو مارشيه، باحثاً عن العنوان المدون على بطاقة الملاحظات في يده. تساقطت أمطار خفيفة، مما أعاد رؤيته للأرقام على المبني. كان قد انعطف للتو شمالاً في شارع رو دي كوميرس عندما وقع خلفه انفجار.

توقف عن المشي كما توقف المشاة من حوله على الرصيف. ومع ذلك لم يستدر جينتري كما فعلوا هم.

بعد بعض ثوانٍ من الوقوف بلا حراك تحت المطر، تقدم خطوة إلى الأمام. عاد النشاط إلى جسده، واستمر في ذلك، وأخفض رأسه وكفيه قليلاً. اكتشف مراقباً، فراوغ هارباً عبر شارع رو دو رون، إلى ممر صغير مختبئ، حيث فقد أثره في حركة السير بالقرب من مطعم ماكدونالدز.

بعد دقائق، وجد مرأياً لسيارة واحدة في الجزء الخلفي من ساحة انتظار تحت الأرض في شارع الكونفدرالية. كان ذلك بعد ظهر يوم السبت، فلم يكن هناك أحد، فتح الباب المنزلق بالمفتاح الذي أعطاه إياه موريس فأصدر صريراً، واختلط الغبار من داخل المساحة في أنفه برابحة زيت المحرك.

تحسس الجدران بحثاً عن إضاءة لمدة نصف دقيقة قبل أن يصطدم بجسم كبير في منتصف الأرض. وفوقه كان هناك سلك متصل بمصباح كهربائي معلق في منتصف الغرفة. انبهر جينتري بتألق اللمة الوحيدة، وسرعان ما سحب باب المرأب ليغلق على نفسه الغرفة، ثم استدار

ليجد أن الشيء الموجود في وسط المرأب كان سيارة مغطاة بقطعة قماش كبيرة.

لم يقل موريس شيئاً عن إعارته سيارة. ظن كورت لثانية أنه دخل إلى مكان خاطئ.

نزع القماش وتركه يسقط على الرصيف، فكانت سيارة مرسيدس سيدان سوداء كبيرة، من الفئة (إس) بأربعة أبواب مصممة داخلياً بالكامل من الجلد الأسود.

فكر كورت أن السيارة لا بد أنها تكلف أكثر من مائة ألف دولار. تتمم قائلاً: «شكراً يا موريس».

فتح باب السائق غير المؤمن، رأى الرجل الرمادي أن المفاتيح كانت في مكان التشغيل. نظر إلى لوحة القيادة ولاحظ أن السيارة تحركت أقل من أربعة آلاف ميل. لقد كانت جميلة، ومن المؤكد أنها ستجعل قيادة الساعات الثمانية إلى نورماندي أسرع وأكثر راحة، ولكن كانت هناك طرق أخرى للسفر. لا، ما كان يحتاج إليه حقاً هو أسلحة. في أوروبا، كان الحصول عليها أكثر صعوبة من وسائل النقل الفعالة.

فتح صندوق المرسيدس بشغف، ومشى إلى الخلف. كانت هناك أربع علب كبيرة من الألومنيوم بعضها بجانب بعض. سحب كورت الأولى فوق الأخرى وقلبها ليفتحها. انتفضت زوايا فمه لأعلى.

معدن ثقيل.

قال: «بطلي يا موريس».

مسدس (MP5) جرى تزييه جيداً، وخزن في غلاف من الإسفنج. أربع خزائن، حشيت بالفعل بثلاثين رصاصة من عيار تسعة ملليمترات، وضع بعضها بجوار بعض في الإسفنج، وقُبّلتان يدويتان بجوار مسدس (MP5).

عُبأ المسدس الرشاش، وجهزه لإطلاق النار، ثم ألقاه في المقعد الأمامي للسيارة المرسيدس مع باقي الخزائن الاحتياطية. أما العلبة الثانية، فقد احتوت على قنبلتين يدويتين، وقنبلتين صاعقتين، واثنتين من عبوات اختراق المداخل، ومكعب صغير من مادة سيمتكس البلاستيكية المتفجرة مع جهاز تفجير عن بعد. ترك هذه المعدات في صندوق الأمتعة في الوقت الحالي.

احتوت العلبة المصنوعة من الألومنيوم المصقول على وحدة (GPS) محمولة وجهازي اتصال لا سلكي متطابقين، وجهاز كمبيوتر محمول. ذهبت كل هذه العدة إلى المقعد الخلفي للسيارة. في العلبة الأخيرة، عشر كورت على مسدسين من طراز جلوك 19 عيار 9 ملم وأربع خزائن معبأة بالرصاص.

أيضاً في هذه الحاوية وجد كورت حزام أدوات للخصر، وحزام معدات للفخذ. كان أحدهما لحمل مسدس جلوك على وركه اليمنى، والآخر يعلق على ساقه اليسرى ويحمل خزائن للمسدس الرشاش ومسدس جلوك.

حَثَّ حُدْسَه عَلَى رُفَعِ فَرْشِ أَرْضِيَّةِ صَنْدُوقِ الْمَرْسِيدِسِ. هُنَاكَ اكتَشَفَ سَلَاحًا آخَرَ، بَنْدِيقَةٌ هَجُومِيَّةٌ مِنْ طَرَازِ (AR-15)، وَبِجَانِبِ الإِطَارِ الْاحْتِيَاطِيِّ، كَانَتْ هُنَاكَ عَلَبَةٌ بِلَاتِسِيكَيَّةٌ بِهَا ثَلَاثَ خَزَائِنَ مَحْمَلَةً بِذَخِيرَةٍ مِنْ عَيَارِ 223 وَمَجْمُوعَهَا تَسْعُونَ طَلْقَةً.

أمضى كورت بعض دقائق في تشغيل هاتف الأقمار الصناعية والتعرف إلى نظام تحديد المواقع العالمي (GPS). في الوقت نفسه استمر عويل إنذار الشرطة والمطافئ وسيارات الإسعاف على بعد ربع ميل من منزل موريس.

أنباء مخبأ الأسلحة الضخم هذا جيتري بشيئين عن معلمته السابق. الأول أنه رغم تركه وكالة الاستخبارات المركزية، فإن ثمة ما دفعه للاعتقاد بأنه قد يحتاج إلى الهروب من وضع صعب ذات يوم.

وثانياً، من مظاهر السيارة المتميزة، وهذا الكم المتنوع والهائل من المعدات، اتضح لجينيري صحة الشائعات حول معلمه. من المحتمل أنه اختلس من الحسابات التي كان يحتفظ بها لوكالة الاستخبارات المركزية.

موريس كان يعرف بالتأكيد أن جينيري سيصل إلى هذا الاستنتاج، لكنه بالرغم من هذا عرض مخبأه على تلميذه الشاب. كانت آخر أمنية للرجل المحترض أن يستخدم هذا الكتز للفرار والنجاح في مهمته، وليس أن يحكم عليه بقصوة شديدة بسبب ذلك.

عندما انسحب جينيري من المرأب، ونظر إلى الأمام مباشرةً من خلال النوافذ الدكناة، ومر بالmızيد من المتفاعلين الأوائل مع الانفجار، في طريقهم إلى مسرح الجريمة في شارع رو دو ليفيش، كانت مشاعره متضاربة.

لم يختلس كورت سنتا واحداً في حياته. لم يسبق له أن طلب رسوماً في العمليات والمهام المشبوهة لرجال العصابات وتجار المخدرات. لا، لقد كان قاتلاً، لكنه لم يكن لصاً. كانت سرقة موريس من الشركة أمراً مخيماً للأعمال، لكن في النهاية خطط كورت لاستغلال جزء كبير من تلك الأموال المسروقة على النحو الصائب. كورت مثالي وواقعي في آن واحد. كانت سرقة موريس خاطئة، لكنه قال لنفسه إنه لن يقسو في حكمه على مدربه القديم. وبدلًا من ذلك، سيترد شرف الرجل العجوز، ويستخدم كل رصاصة ومسدس لإنقاذ الأبرياء الثلاثة في نورماندي واستعادة سجلات عملاء قسم الأنشطة الخاصة.

وقف ريجيل وراء الفني، ووقف لويد إلى يساره. جلس الشاب ذو ذيل الحصان على مكتبه أمام شاشات الكمبيوتر، ضاغطاً سماعات الرأس على أذنيه.

من تعبيرات وجه الشاب البريطاني، يمكن للرجلين المسؤولين عن العملية أن يفهموا أن الأخبار لم تكن سارة.

قال الفني: «لدينا تأكيد من مصادرنا المحلية بأن جميع الأفارقة الجنوبيين ماتوا. كان هناك انفجار كبير في الموقع المستهدف. كان تسرب غاز على ما يبدو. ولا شك أنه نَجَمَ عن إطلاق النار أو أي استخدام آخر للذخائر. لا تزال إدارة الإطفاء تعمل على إطفاء الحريق. ليس لديهم حصر لعدد الجثث حتى الآن، لكنهم يؤكدون فقط عدم وجود ناجين، بل عدد من الوفيات». مكتبة سُرَّ من قرأ

قال لويد: «جينترى؟».

هز الفني رأسه وقال: «شوهد وهو يغادر المبنى قبل دقائق من الانفجار».

- من شاهده؟

- مراقب فقده وسط الحشد.

صرخ لويد: «بريك! هل يجب أن أقتله بنفسي؟».

سحب ريجيل هاتفه من جيده وأجرى مكالمة، انتظر لحظة قبل أن يقول: «نعم هذا أنا. أحتاج إلى طائرة هليكوپتر. التقط الأدوات التالية، ولتصل هنا قبل حلول الظلام. اكتب كل هذا: وحدات تصوير حراري وكاشفات حركة وأجهزة استشعار عن بعد وشاشات وكابلات. هل دونت كل هذا؟ اعشر أيضًا على سيرج وألان وضعهما على متن تلك المروحية. أخبرهما أن يأخذا أي شيء آخر يلزمهما لوضع جدار إلكتروني ثلاثة وستين درجة حول قصر لوران».

أنهى ريجيل المكالمة. حدق إليه لويد، وسأله: «ما كل هذا؟».

- معدات المراقبة الإلكترونية، ورجال لتشبيتها ومراقبتها.

- من أجل ماذا؟

- من أجل جينترى. من أجل الليلة.

- لا يزال هناك ثلاثة ميل وخمسة وثلاثون قاتلاً بينه وبيننا. تعتقد حقاً أنه سيبلغ القصر، أليس كذلك؟

- إنها مسؤولتي أن أتيقن من وفاته. وسواء مات في جنيف، أو على طريق في جبال الألب الفرنسية، أو هنا في الحديقة، فإن وظيفتي هي إنقاذ عملتيك. سأستخدم كل أداة وكل ميزة تقنية وكل جسد حي وكل بندقية يمكنني وضعها بين موقعه الحالي ووجهته.

نظر الفني إلى الرجلين خلفه. لأول مرة، تظهر عاطفة ما على الشاب الإنجليزي: الخوف. وقال: «لم يذكر أحد شيئاً عن قدومه إلى هنا بالفعل. أنا لست رجلاً ميدانياً بحق المسيح».

نظر ريجيل إليه بحزن وقال: «فلتعتبر أنك حصلت على ترقية». عاد الفني إلى محطة.

بعد ذلك، استدعى ريجيل رجال البرج، وانضم إليهم القناص البيلاروسي ولويد في الحديقة الخلفية. قابلهم القناص بالقرب من النافورة، وكانت بندقيته الكبيرة دراجونوف معلقة على صدره.

ساروا معًا ببطء فوق العشب الملطخ بالدماء، باتجاه بستان التفاح الذي بدأ في نهاية الفناء الخلفي، واستمروا لمسافة عدة مئات من الأمتار إلى الجدار الحجري المرتفع الذي يحيط بالمبنى كله. استنشق ريجيل والقناص الهواء، ثم جثوا على العشب ووضعوا أيديهما فيه. نظراً إلى كل شيء حولهما بعناية. بدا أن لويد يشعر بالملل والانزعاج. تحدث ريجيل إلى القناص باللغة الروسية. حدق لويد باتجاه البستان. وسألته: «هل تفهم قواعد الاشتباك؟».

- إذا تحرك الهدف نحو القصر، فأطلق عليه النار.

- هذا صحيح.

- بسيط للغاية.

ضغط حذاء ريجيل العالي على العشب المشدبة بعناية. استنشق الهواء مرة أخرى ثم قال: «هل كان هناك ضباب هذا الصباح؟».

-نعم. الرؤية لا تزيد على مائتي يارد. لم أستطع الرؤية لأبعد من أشجار التفاح حتى الساعة العاشرة صباحاً تقريباً.

- لا ينبغي أن تكون مشكلة. إذا وصل هنا من الأساس، فسيكون ذلك قبل شروق الشمس.

أوما البيلاروسي برأسه وهو يتفحص البستان من خلال منظاره. قال ريجيل: «ما كان يجب أن تطلق النار على الأب».

هز القناص كتفيه وهو يتفحص المسافة القريبة ثم قال: «لو كنت في موقع الحادثة لما فعلت ذلك. حقيقة الوضع أني لم يكن لدي قيادة. لقد اتخذت قرار إطلاق النار. هذا ما أفعله ما لم أكلف بخلاف ذلك».

أوما ريجيل برأسه. نظر إلى قناته للحظة ثم قال: «رأيت الجثة، الجرح الخارجي. وسواء أكان القرار صائباً أم لا، لقد كانت ضربة موفقة».

أنزل البيلاروسي عينيه عن سلاح الدراجونوف، لكنه واصل تفحص البستان، وقال بلا ذرة عاطفة: «نعم. كانت كذلك».

سِئِم لويド تجاهله وقال: «انظر يا ريجيل، أنت تضيع الوقت. حتى لو نجح جينتري في الوصول إلى هنا، وهو ما لن يفعله، هل تعتقد حقا أنه سيأتي راكضا في منتصف الفناء؟».

—ربما. سيفعل كل ما يري أنه خياره الأفضل.

— هذا جنون. لن يقتحم القلعة بنفسه.

— يجب أن أستعد كما لو كان سيفعل: ستكون خياراته محدودة.

— حسناً، لماذا لا تملأ الحديقة بالألغام الأرضية؟

قويلت سخرية لويد باستخفاف تام.

أطال ريجيل النظر فيه للحظة قبل أن يقول: «هل تعرف أين يمكنني الحصول على بعض الألغام الأرضية؟».

في هذه اللحظة بالضبط، رن هاتف لويد في جيـه.

-نعم؟

-معك الفني. جينتري يتصل على هاتف السير دونالد. يمكنني إعادة توجيه المكالمة إليك.

ضغط لويد على مكبر الصوت في وحدته. وقال: «افعل هذا». -مرحباً يا لويد.

كان صوت جينتري متعباً.

-إذا فقد انزلق حبل المشنقة مرة أخرى. كنت أتمنى أن أقف فوق رفاتك المتفحمة في وقت ما هذا المساء.

-لا. بدلاً من ذلك، قتل المرتزقة المستأجرون بطلاً أمريكياً يبلغ من العمر خمسة وسبعين عاماً.

-نعم. جاسوس على وشك الموت جرى تسریحه. اسمح لي أن أمسح الدموع من عيني.

-تبأ لك يا لويد!

-هل أنت في جنيف؟

-أنت تعلم أنني هنا.

-هل تريدينني أن أرسل إليك خريطة بالفاكس؟ يقع شمال فرنسا في شمال فرنسا، وليس جنوب سويسرا. لا أعرف لماذا ذهبت لرؤيه موريس. مال، وثائق، أسلحة، مسلح آخر، أيها كان. لن يصنع أي من هذا الهراء فارقاً كبيراً على المدى الطويل. الشيء الوحيد الذي يجب أن تقلق بشأنه الآن هو الوقت، لأنه في صباح الغد عندما يشير عقرب الساعة الصغير إلى الثامنة ويشير العقرب الكبير إلى الثانية عشرة، ستواجه الفتاتان البريطانيتان الصغيرتان وقتاً عصبياً هنا!

-لا تقلق يا لويد. سأكون هناك قريباً.

-لماذا تتصل؟

- كنت أجلس هنا قلقاً من أن تبدأ في الاسترخاء اعتقاداً منك أنني مت في الانفجار. إن احتمال قضائك فترة ظهيرة مريحة كان حقاً يثير غضبي، لذلك قررت أن أهاتفك، وأن أخبرك أن تنتظر قدومي الليلة. تنفس لويد بغضب في الهاتف وقال: «أردت فقط أن تتيقن من أنني لم أتخل عن المهمة، ولم أذهب إلى الطابق السفلي وأقتل عائلة فيترروي لأنني لم أعد بحاجة إليهم».

- وهذا أيضاً. لا أعرف عدد فرق القتل بينك وبيني، لكن كل الحمقى على وجه الأرض لن يمنعوني من الإمساك بحلقك في غضون ساعات قليلة.

ركض الفني إلى الرجال الثلاثة في الحديقة الخلفية لاهثاً، رفع ورقة كتب عليها كلمات على عجل: «هاتف قمر صناعي، غير قابل للتتبع». عبس لويد وقال: «كورت، إن موتك حتمي. لماذا لا توفر علينا بعض الوقت، وتجعل الأمور أسهل على الجميع وتقتل نفسك، ثم ضع رأسك في صندوق ثلج واشحنه لي».

- سأعقد معك صفقة. سأجلب لك الرأس. وأنت احصل على صندوق الثلج. بعد فترة وجيزة، سأمنحك الفرصة لوضع الاثنين معاً.

- تبدو كأنها خطة، يا صديقي.

- صباح الغد، سيتعين على يوليوس أبو بكر أن يعثر لنفسه على عاهرة جديدة ليساوم بها، فعندما تفشل، وسوف تفشل، فإما أن أقتلك وإما سيقتلك شخص آخر.

ارت杰ف وجه لويد في حالة من الغضب وقال: «أنا لست عاهرة أحد، أيها الوغد الأحمق. لقد رأيت الكثير من المستغلين المتعجفين يأتون ويرحلون طوال حياتي، أنت لست مختلفاً. عليك أن تتذكر أنه حتى مع سمعتك ولقبك المخيف، فأنت بطاطجي ممجد فحسب، ستموت في غضون ساعات قليلة، وسأنسى أمرك قبل أن يقضي عليك الدود». كانت هناك وقفة قصيرة.

ـ اسْمَحْ لِي أَنْ أَخْمَنْ يَا لَوِيدْ. كَانَ وَالدُّكْ شَخْصًا مَهْمًا.
ـ فِي الْحَقِيقَةِ، وَالَّذِي شَخْصٌ مَهْمٌ.
ـ لَيْسَ غَرِيبًا. أَرَاكَ قَرِيبًا.
أغلق جينترى الهاتف.

أَخْفَى رِيجِيل ابتسامته عَنْ لَوِيدْ. لَا يَزَالُ الْفَنِي يَقْفَ وَيَدَاهُ عَلَى رَكْبَتِيهِ، لَاهِثًا مِنَ الرَّكْضِ. قَالَ: «يَبْدُو أَنْ جِينْتَرِي يَعْتَقِدُ حَقًّا أَنَّهُ سَيَصْلُ إِلَى هَنَا». كَانَ هَنَاكَ رُعبٌ وَاضْعَفَ فِي صَوْتِهِ بَيْنَ شَهْقَاتِهِ مِنْ أَجْلِ الْهَوَاءِ.

صَرَخَ لَوِيدَ فِي وَجْهِهِ: «عَدْ إِلَى الْعَمَلِ. أَرِيدُ طَائِراتَ هَلِيكُوِيتَرَ فِي الْهَوَاءِ، أَرِيدُ رِجَالًا فِي الْقَطَارَاتِ، وَأَرِيدُهُ مِنْتَ قَبْلِ أَنْ يَصْلُ إِلَى بَارِيسِ!».

بَعْدَ سَاعَةٍ، وَقَفَ رِيجِيل عَلَى سُورِ مَسْطَحِ يَحَادِي الْجَزْءِ الْخَلْفِيِّ مِنْ سَقْفِ الْقَصْرِ. نَظَرَ إِلَى الْخَارِجِ مِنْ خَلَالِ الأَسْوَارِ المَزَخرَفَةِ فِي الظَّهِيرَةِ رَغْمَ سَطْوَعِ الشَّمْسِ، سَارَتْ ثَلَاثُ فَرَقٍ مِنَ الْبِيَلَارُوسِيِّينَ فِي تَقَاطِعَاتِهِ، تَأَلَّفَ كُلُّ فَرْقٍ مِنْ رِجَلَيْنِ يَحْمِلُانِ بَنَادِقَ هَجُومِيَّةَ وَأَجْهَزةَ رَادِيو. كَانَ الْقَنَاصُ وَمَرَاقِبُهُ عَلَى يَسَارِ رِيجِيلِ، فِي الْبَرْجِ الْعَالِيِّ مَعَ رَؤْيَةٍ شَبَهَ مَثَالِيَّةَ تَبْلُغُ 360 درجةً لِلْحَدِيقَةِ الْخَلْفِيَّةِ وَالْحَدِيقَةِ الْأَمَامِيَّةِ. أَبْلَغَتِ الْمَرْوِيَّةِ الْمَزوَّدَةِ بِمَعْدَاتِ التَّصْوِيرِ الْحَرَارِيِّ لِلْتَّوِ عَبْرِ الْلَّاسِلَكِيِّ أَنَّهَا فِي طَرِيقٍ عَوْدَتِهَا مِنْ بَارِيسِ، وَمَعَهَا جَمِيعُ الْمَعْدَاتِ وَفَرِيقُ مِهْنَدِسِيْنِ اثْنَيْنِ يَمْكُنُهُمَا إِعْدَادُهَا فِي أَقْلَى مِنْ سَاعَةٍ.

وَضَعَ الْفَنِي فَرِيقًا نَاجِحًا عَلَى مَتْنِ الْقَطَارِ فَاتَّقَ السَّرْعَةَ مِنْ جَنِيفَ إِلَى بَارِيسِ. لَمْ يَبْلُغُوا عَنْ مَشَاهِدَةِ جِينْتَرِيِّ. اتَّخَذَتْ ثَلَاثُ فَرَقٍ أُخْرَى وَمُعْظَمُ الْمَرَاقِبِيْنَ الْمَتَاحِينَ مَوْاْقِعَهُمْ عَلَى الْطَّرُقِ السَّرِيعَةِ عَبْرِ جَبَالِ الْأَلْبِ الْفَرْنَسِيَّةِ الَّتِي كَانَ عَلَى الرَّجُلِ الرَّمَادِيِّ اجْتِيَازُهَا إِذَا كَانَ مَسَافِرًا بِالْسَّيَارَةِ أَوِ الدَّرَاجَةِ النَّارِيَّةِ، وَفِي بَارِيسِ كَانَتْ هَنَاكَ ثَلَاثُ فَرَقٍ قَلْ أَخْرَى. لَقِدْ

كانت منطقة تجمع مألوفة، ومدينة مليئة بأعوانه المعروفيين، مدينة قد يتوقف فيها للحصول على الإمدادات أو الدعم.

لم يكن أمام كيرت ريجيل الكثير ليفعله في الوقت الحالي سوى الانتظار.

ومع ذلك، أزعجه أمر ما.

بدأ الأمر كصداع شديد في الجزء الخلفي من عقله، وزاد مع مرور الوقت وهو يتصالح مع حقيقة أنه رتب كل نهايات العملية قدر إمكانه في الوقت الحالي، لكن هنا تم بعدما لم تعد هناك أي استعدادات أخرى يمكنه اتخاذها.

أخيراً، اقترب من سبب ضيقه؛ أمر قاله الرجل الرمادي للويد. بالتأكيد، اكتشف جينتري أن هذا الهجوم ضده له علاقة باغتياله إسحاق أبو بكر. ولكن ماذا يعني بقوله إن لويد عاهرة أبي بكر؟ كيف عرف جينتري أن لويد لم يكن موظفاً عند أبي بكر وحسب، أو في وكالة الاستخبارات المركزية، يؤدي عملاً ما؟ بل أدى عمله لسبب آخر، صفقة من نوع ما.

قرأ ريجيل نص محادثة هاتفية سابقة بين جينتري ولويد كتبها الفني بخط اليد قبل أن يأتي ريجيل للموقع. أيُّ من لويد أو فيتزروي لم يذكر مجموعة لوران أو الأسباب الحقيقية وراء هذه العملية. لماذا بحق السماء يفترض الرجل الرمادي أن هذه العملية تتضمن نوعاً من الصفقة بين الأطراف، التي من الواضح أن المقصود بها ضمنياً مساومة؟ لماذا بحق السماء يفترض الرجل الرمادي أن حياة لويد سيحدد مصيرها نجاحه؟

مررت دقيقة أخرى كاملة من التكهنات، وعندما جاءته الإجابة كانت كالعلامة كما لو كان يصطاد فريسة في رحلة سفاري. عند تبع حيوان ما، يمكن للصياد الماهر أن يجد مؤشراً على مسارات الحيوان،

وإشارات إلى أنه يعرف أن أحداً يسعى وراءه. لقد اشتم رائحة، أو لمح حركة. تتغير المشية عندما تشعر الفريسة بالمتاعب، ولا يمكن سوى صياد ماهر مهارة فريدة من التقاط هذا التغيير الدقيق في المسارات الواقعية في محيط بصره.

كيرت ريجيل كان صياداً حقيقياً.

لدى جينتري أكثر من رائحة تشير للعملية الحقيقة ضده. كانت لديه تفاصيل محددة لم يكن ليحصل عليها إلا بطريقة واحدة. دار كيرت ريجيل حول الأسوار ودخل القصر. مرّ على لويد الذي كان يخرج من الحمام، واستمر في النزول إلى الممر كأنه جندي غاضب.

رأى لويد تصميم الصياد. وسأل: «ما هذا؟ ماذا دهاك؟».

لم يقل ريجيل شيئاً. سار في القاعة وهبط الدرج الواسع المغطى بالسجاد المؤدي إلى الطابق الثاني. اقتحم

هذا المدخل إلى الشمعدانات واللوحات، بعد باب غرفة إليز فيتزروي، ثم عبر غرفة النوم حيث حُبست الطفلتان. وفور وصول لويد، اجتاز ليри أحد المجرمين الأيرلنديين الشماليين الذين أحضرهم لويد من مجموعة لوران.

صدم الألماني البالغ من العمر 52 عاماً بكتفه الباب الثقيل الذي كان يحرسه ليри، وفتحه. في الغرفة الكبيرة خلفها، استلقى سير دونالد فيتزروي على ظهره في فراش من الكتان الأبيض مواجهًا الباب، وحدق مرة أخرى إلى موكب الرجال الذين دخلوا الغرفة.

قطع ريجيل الغرفة إلى فراش السير دونالد. لم يُظهر أياً من المجاملات التي أظهرها في اجتماعهما السابق. كان وجهه وجه رجل مخدوع متعطش لدماء ترد اعتباره. سأله ريجيل سؤالاً من كلمة واحدة بصوت خافت يتعارض مع سلوكه: «أين؟».

وقف لويد وليري في وسط الغرفة. نظراً إلى بعضهما بعضاً، يحاولان فهم ما كان يحدث.

سؤال دونالد: «عم تتحدث؟؟».

سحب ريجيل مسدسه من طراز ستير، وضغط بقوة على جبهة رأسه الأصلع وقال: «فرصتك الأخيرة». كان صوته لا يزال همساً. ثم سأله: «أين هو؟؟».

بعد وقفة وجيزة، تحركت ذراعاً السيد دونالد فيتزروي ببطء تحت الأغطية. سرعان ما ظهر هاتف محمول. سلمه إلى الألماني الكبير. ريجيل لم ينظر إليه. فقط أدخله في جيده، وقال: «من؟؟» الآن يسأل بصوت خافت وغاضب. لم يقل السير دونالد شيئاً.

«سيستغرق الأمر مني ثواني لتحديد مالك هذا الهاتف. يمكنك أن توفر على نفسك قدرًا من الboss بأن تعطيني الإجابة بنفسك». نظر السير دونالد بعيداً عن ريجيل، عبر الغرفة إلى لويد، ثم انحرفت عيناه إلى الحارس الأيرلندي الشمالي.

قال دونالد: «عمل بادريك ليри عندي في الأيام الخوالي، في بلفاست. لقد كنت واحداً من أفضل مخبري يا بادي». عاد ينظر إلى كيرت ريجيل. وأكمل: «ومع ذلك، أخذ مني الوغد مبلغاً كبيراً لإجراء بعض مكالمات فاشلة».

عندما تحول غضب ريجيل من الرجل الإنجليزي إلى الأيرلندي، صرخ فيتزروي للحارس المذهول: «آسف أيها الشاب. لا أعتقد أنه يمكنني الحصول على عشرة آلاف جنيه استرليني في النهاية، سيكون عليك فقط الاكتفاء بعزم أنك ستظل خادماً مخلصاً لأحد النبلاء في الناج البريطاني».

نظر ليри إلى ريجيل وصاح: «كذبة مفتراء! إنه شخص بريطاني يكذب عليك! إنه يكذب كذباً فجأاً! منذ يومين لم أنظر قط إلى اللقيط العجوز الوغد!».

أخرجه ريجيل من جيده وأمسك به وسأله: «هل هذا هاتفك؟». ثم نظر إليه ليري لعدة ثوانٍ، ثم بدأ في السير نحو فيتزروي في فراشه. وسأله: «كيف بحق الله وصلت بيديك الضعيفتين الباليتين إلى...». دوى طلق ناري في الغرفة الصغيرة. انطلق رأس ليري إلى الأمام، وسقط منكبًا على وجهه عند قدمي ريجيل. سقط الألماني على ركبته فجأة ورفع سلاحه في ومضة وهو يجثو.

وقف لويد في منتصف الغرفة وذراعه ممدودة تمسك بمسدس فضي صغير. كان لا يزال يصوب إلى حيث كان الجزء الخلفي من رأس الأيرلندي مكانه قبل أن تدفعها الرصاصة الموجفة من عيار 0.380 للتأرجح إلى الأمام.

صرخ ريجيل في صيحة جermania: «لا!». بينما كان لويد يتحدث، لوح بالمسدس في جميع أنحاء الغرفة، واستخدمه ليشير به في كل الاتجاهات مع إيماءاته اللاإرادية. وقال: «لدينا ما يكفي من المشكلات.. لسنا بحاجة إلى القلق من أعداء بيتنا». ثم أشار إلى ريجيل الذي كان لا يزال على ركبتيه، وعيناه على المسدس الذي يترافق في الغرفة في نهاية ذراع لويد. وأكمل: «أردت أن تعامل دوني الصبي مثل رجل نبيل، وهذه هي الطريقة التي يكافئك بها. كنت متسللاً للغاية، وقد استخدم ذلك ضدى. لقد كان يتلاعب بالناس من قبل ولادتني. هذا ما يفعله! فلتعرف بمن اتصل وماذا قال له. افعل هذا الآن، أو سأتصل بمارك لوران وأخبره أنك تعوق مهمتي!».

أنزل لويد المسدس واستدار ليغادر الغرفة. بعد بضع ثوانٍ أخرى جثا على ركبته ومسدسه مرفوع لا يزال يبحث عن هدف، وضع ريجيل سلاحه في جرابه ونظر إلى فيتزروي قائلاً: «أشعر بخيبة أمل».

كان ثبات صوت فيتزروي يثير الدهشة. وقال: «أرى اليأس يا ريجيل. أراه في عينيك وكذلك في صوت لويد. لا يتعلق الأمر فقط بعقد شفط الغاز الطبيعي وشحنـه. لدى أبي بكر شيء آخر يمتلكه في

مجموعة لوران. بعض الأوساخ عن ماضيك، ممارساتك. شيء ما إذا عُرف فستنهار مؤسستك».

نظر ريجيل في مرآة معلقة فوق دولاب كبير. صفت شعره الأشقر الشائب بأطراف أصابعه، وقال: «نعم أيها السير دونالد. لقد سمحنا لأنفسنا بأن نقع في مأزق لا نحسد عليه. اعتاد والدي أن يقول: إذا استلقىت مع الكلاب فستستيقظ مع البراغيث. لقد استلقينا مع العديد والعديد من الكلاب لسنوات عديدة. أبو بكر من أسوئهم وهو يعرف جيداً ما يمكن أن يفعله مارك لوران من أجل المال والسلطة. منذ إنهاء الاستعمار في إفريقيا، أصبحت موارد القارة جاهزة للاستغلال من أي شخص مستعد للرقص مع طاغية. أبو بكر في جيبيا الخلفي منذ سنوات، والآن صرنا نحن في جيبيه الخلفي. إنه يهدد بفضح المدة التي قضتها مارك لوران في استنزاف موارد إفريقيا. ليست قصة جميلة. نفضل أن يكتم الرئيس المنتهية ولايته فمه».

بعد ذلك، اتجه ريجيل نحو الباب. دون أن ينظر إلى الوراء، وقال لسجينه: «سارسل شخصاً لتنظيف آثار الجثة».

- لا تزعج نفسك. عندما يصل كورت إلى هنا، سيمتلئ المنزل بالجثث.

حلق خمسة جنود من المخابرات العامة السعودية، أو رئاسة الاستخبارات العامة، غرباً فوق جبال الألب بطائرة يورو كوبتر **EC145** مسروقة. كانت المروحية تابعة لمالك محلّي حقق أرباحاً جيدة من نقل المترجلين على الجليد إلى قمم يتذرّع الوصول إليها في مون بلان⁽¹⁾ والجبال الأخرى في المنطقة.

الآن قُتل مالك يورو كوبتر الأسود الأنيق في قمرة طائراته، وهو رائد سابق في الجيش الفرنسي، نال رصاصة واحدة في القلب بمسدس كاتم للصوت، وحلق السعوديون بمركبته شمالاً على الطريق السريع. كان الطريق متعرجاً فارتفع بهم وهبط، وتقطّع واحتفى في أنفاق جبال الألب، متجاوزاً الغابات الخضراء الباهرة والبحيرات التي لم تضاهِ زرقتها الساطعة السماء المشرقة.

الطيار السعودي وحسب هو من يتحدث الإنجليزية. ظل على اتصال متقطع بالفني، وهو اتصال مفتوح ثنائي الاتجاه بين سماعة رأسه ومركز القيادة، وقد تقطّع مع القمم الحادة التي حاوّلت الطائرة. في الوقت نفسه أدار الفني فرقاً أخرى ناجحة في المنطقة، ونقلوا تقارير من المراقبين في محطّات الحافلات ومواقف سيارات الأجرة. لم يُبلغ عن أي علامة على الرجل الرمادي منذ احتاز مراقبيه بعد مغادرة متزل الخبرير المالي في جنيف.

بعد الطريق السريع **A40** هو الاختيار الأسهل لأي مسافر من جنيف سويسرا، عبر جنوب غرب فرنسا، إلى قلب فرنسا.

هناك في مدينة فيريات، يمكن للمرء أن يبقى على الطريق **A40** إلى **A6**، أو يمكن للمرء أن يتوجه إلى الشمال الشرقي على الطريق

(1) الجبل الأبيض على الحدود الإيطالية الفرنسية.

إلى ديجون. في كلتا الحالتين، تستغرق الرحلة نحو خمس ساعات بالسيارة إلى باريس، مقارنة بست ساعات أو أكثر إذا جرى تجنب هذه الطرق.

يعرف السعوديون في المروجية أين يبحثون عن هدفهم إذا جاء عبر هذه الطرق، فسوف يمر أسفلهم على الطريق A40.

لم يعرفوا نوع السيارة التي كانوا يبحثون عنها. تمركز ثلاثون مراقباً على الجسور العلوية، وتوقفوا للراحة بطول حارات الطوارئ على الطريق السريع بعد أن غطوا سياراتهم. وقاد آخرون عبر حركة المرور. راقب كل فنان رصيف الطريق، ورصدوا ركاب أكبر عدد ممكن من السيارات بحثاً عن مواصفات أساسية محددة.

كانت العملية أكبر من أن تجهلها الشرطة، ولهذا السبب وغيره، كان ريجيل ضد المشروع تماماً. عندما أصبح واضحاً أن جينتري لم يستقل القطار أو الحافلة، أراد ريجيل سحب جميع المراقبين وجميع فرق القتل وجميع العملاء إلى باريس. كان على يقين من أن الرجل الرمادي لن يتتجاوز باريس. افترض ريجيل - ولم يعارضه لويد - أن المسؤول المالي في الاستخبارات المركزية، الذي التقاه كورت في جنيف ربما زوده ببعض المعدات والأسلحة وعربية ورعاية طبية ونقود على الأرجح.

افتراض ريجيل أيضاً أنه إذا كان لدى الرجل الرمادي الوقت الكافي لانتظار مكالمة من سير دونالد فيتزروي، فلا بد أن لديه الوقت للتواصل مع أطراف أخرى من معارف المصرفي النافذ، والعميل السابق بوكالة الاستخبارات المركزية. إذا كان كورت قد اتخذ الترتيبات اللازمة لالتقطان الرجال أو المعدات، فلن يكون لديه الوقت للذهاب إلى أي مكان آخر غير الموضع الموجودة بالفعل في طريقه.

باريس هي آخر مدينة كبرى في طريقه، وكانت مكتظة بالقتلة ومزورى الوثائق، وتجار السلاح في السوق السوداء، وعملاء سابقين في وكالة الاستخبارات المركزية، وطيارين، وجميع أنواع الأعمال الطائشة الأخرى التي يمكن أن يستغلها الرجل الرمادي، لمساعدته

على إنقاذ عائلة فيتزروي، واستعادة ملفات الموظفين التي سرقها لويد من الاستخبارات الأمريكية.

أراد ريجيل أن تنصب جميع موارد العملية على باريس، لكن لويد طالب بنصب كمين أخير عند نقطة اختناق الطريق السريع الرئيسي إلى الشمال، لإيقاف جينتري قبل أن يقترب من القصر.

لكن جينتري لم يسلك الطريق A40 إلى A6 أو A39، كانت أكثر الطرق عملية بلا جدال، لكن حسبما رأى كورت، كانت عملية فقط لأولئك المسافرين غير المستهدفين من عشرات القتلة بطول هذه الطرق.

لا، قرر كورت أن العملية ضده سبب كاف لإنقال جسده المرهق والمتألم بساعتين أو أكثر من القيادة. سيكون أمراً مزعجاً، سبع ساعات كاملة خلف عجلة القيادة فقط للوصول إلى باريس، لكنه لم ير بدلاً. لم يكن خيار الحافلات والقطارات وارداً مع كل المعدات الموجودة في صندوق السيارة، والتي كان عليه أن ينقلها. لا بد أن يقود. على الأقل كان يقود أحدث طراز. كانت سيارة مرسيدس S550 أنيقة وصلبة، وقد ملأ الفرش الداخلي الجديد أنهه برائحة الجلد الفاخر. محركها بقوة 382 حصاناً يتحقق بسرعة خمسة وثمانين ميلاً في الساعة، وسماعات تعمل بالأقمار الصناعية آنسَت كورت.

فمن وقت لآخر شغل الراديو المحلي، وجاهد لالتقاط المعلومات باللغة الفرنسية حول المعارك بالأسلحة النارية في بودابست وجواردا ولوزان، وشيء عن انفجار منزل في المدينة القديمة في جنيف.

بحلول الخامسة بعد الظهر، هدد إرهاق جينتري بطرده من الطريق، فتوقف للاستراحة قبل بلدة سانت ديزيه. تزود بالوقود واشتري شطيرة لحم وجبنًا فرنسيًا في خبز فرنسي كبير. شرب اثنين من المشروبات الغازية واشتري زجاجة ماء ضخمة بعد زيارة الحمام. بعد خمس عشرة دقيقة عاد إلى الطريق. أخبره GPS المثبت على لوحة القيادة أنه لن يصل إلى باريس قبل الساعة التاسعة مساءً.

قدَرْ جيترٍ كُلَّ ما يتعيَّن عليه فعله قبل التوجه إلى نورماندي، وخلص إلى أنه سيصل إلى القصر الساعة الثانية والنصف صباحاً تقريباً. واعترف لنفسه أن هذا مرهون بعدم وقوع متابع في باريس.

قال ريجيل: «حان الوقت لإعادة الجميع إلى العاصمة». وقف خلف لويد والفنى، إذ عاد لتوه إلى مركز القيادة بعد العمل لمدة ساعتين مع مهندسي الأمن الفرنسيين على الطوق الإلكتروني حول القصر. أومأ لويد وكرر كلمات الألماني للفنى الجالس بجانبه. ثم عاد إلى نائب رئيس إدارة المخاطر الأمنية.

- أين هو بحق الجحيم؟

- كنا نعلم أنه من المحتمل أن يسلك طریقاً آخر. بوسعي استخدام مئات الطرق. رحلته عبر الريف ستؤخر وصوله إلى باريس، لكنها ستوصله إلى هناك.

- هذا في حال ذهب إلى باريس.

- نفترض أنه لن يهاجم نفسه حصناً محمياً مليئاً بالمسلحين والرهائن. سيعين عليه الحصول على بعض المساعدة قبل أن يأتي إلى هنا، ولديه شركاء معروفون في باريس أكثر من أي مكان آخر. إذا توقف لأي ظرف، فسوف يتوقف في باريس. جميع شركائه خاضعون للمراقبة. ولأنه مُصاب فلدي رجال في كل مستشفيات باريس لمراقبته.

- لن يذهب إلى المستشفى.

- على الأغلب لا. لن يفضح نفسه على هذا النحو.

- طبيب في شبكة فيتزروي، ربما؟

- ربما. لكن فناني الأرصفة موجودون في كل مكان، ويراقبون في كل جهة اتصال معروفة.

- لا أريده أن يخرج حياً من باريس.

- لقد حشدت ما يكفى يا لويد.

اقتجم جينترى الحافة الشرقية لباريس بعد الساعة التاسعة من مساء يوم السبت. أنساه التعب الشديد آلام قدميه وركبته وفخدبيه ورسغه وأضلاعه، لكن لم يثنه عن تقدمه إلى المدينة، وعثر على موقف سيارات باهظ الثمن في مرأب تحت الأرض بجوار محطة قطار سان لازار. وضع كل الأسلحة في المقعد الخلفي، وأغلق السيارة وتوجه إلى الشارع.

كان لديه متسع من الوقت لوضع خطة عمله في باريس في أثناء القيادة واستخدم الـ GPS للعثور على متجرين في المنطقة. بعد بضع دقائق سيراً على قدميه خلال المساء البارد الضبابي، عثر على مطعم ماكدونالدز، وتقدم عبر حشد من الأطفال من جميع الجنسيات، وشق طريقه إلى الحمام. أمضى دقيقة ونصف الدقيقة في غسل وجهه المرهق، وصفف شعره الأشعث، واستخدم المرحاض، ومسح ملابسه بسائل صغير من معطر الجو.

كانت محاولة تنظيف بائسة، لكنها كانت أفضل من لا شيء.

بعد خمس دقائق، دخل متجر ملابس رجالى في شارع روما بينما يوشك البائع أن يدير لافتة «مغلق» عند الباب. التقاط كورت بذلة سوداء مقلمة باهظة الثمن، وقميصاً أبيض، ورابطة عنق زرقاء مصممة، وحزاماً وحذاه، دفع ثمنها عند طاولة المشتريات. ثم اتجه عبر الشارع إلى متجر للسلع الرياضية، إذ يضع البذلة على كتفه. وهناك اشتري خزانة ملابس كاملة من الملابس الخارجية السميكة ذات اللون البني الخافت.

عاد إلى الشارع في الوقت الذي أغلقت فيه آخر متاجر الملابس التي تعمل ليلاً أبوابها، وووجد صيدلية على الجانب الآخر من المحطة فاشترى ماكينة حلاقة كهربائية وشفرة حلاقة، ومقصاً، وكريم حلاقة، وبعض الحلوي. أخذ من الرف نظارة ذات إطارين أسودين وجريها، وقرر أنها تناسب احتياجاته. ما إن اتجه إلى طاولة المدفوعات، رأى مظلة سوداء طويلة مميزة تتدلى من الرف، بمقبض معقوف جيد الصنع.

جذب المنتج انتباذه. تحسس بضاعته الجديدة وحقائبه الأخرى، ثم انتزع المظلة ودفع للأسوي الملول على طاولة المدفوعات.

بعد العاشرة بقليل، نقل جيتري كل بضاعته إلى محطة القطار، ويفي قريباً من الجدران، وأخفض رأسه بعيداً عن الكاميرات الأمنية المنتشرة في القاعة الطويلة المفتوحة. تجاهل عشرات النساء البوسنيات اللاتي يتولسن من أجل فكة، ودخل حماماً فارغاً أسفل الردهة من رصيف كان يستقبل آخر قطار في المساء. وضع كل حقائبه في المرحاض واستعد للعمل.

سرعان ما تجرد من ملابسه الخارجية وقص شعره. حاول أن يُسقط أكبر قدر في المرحاض، لكنه وضع أيضاً الأكياس البلاستيكية التي حوت ما اشتراه من ملابس على الأرض لتجمع الباقي.

بعد ذلك، استخدم ماكينة الحلاقة الكهربائية ليحلق رأسه حتى يصل إلى الدرجة الخفيفة. أنهى كريم الحلاقة والشفرة المستقيمة المهمة. خرج من المرحاض مرتين للتحقق من عمله في المرأة، لكنه كان يتراجع إلى مساحته الخاصة بسرعة لتجنب إثارة الشك إذا دخل أحد. عندما انتهى، رمى أكياس قصاصات شعره بعناية في سلة المهملات، ثم غسل المرحاض من الشعر. بعد أن حلق رأسه تماماً اغتسل مرة أخرى في الحوض، وسرعان ما ارتدى البذلة والقميص وربطة العنق

والحذاء. وضع نظارته على وجهه بسلاسة، وثبت مظلته المميزة، ثم حمل باقي حقائبه.

بعد ثمانية عشرة دقيقة من دخول جينتري إلى الحمام، خرج رجلاً مختلفاً.

تغير شعره وملابسـه بالطبع، لكن مشيته أيضاً كانت أسرع، ووقفـته أكثر انتصاباً. قاوم كورت رغبـته في أن يـعرض على ساقـه اليمـنى. نـزل النـبيل الذي يـرتدي بـذلة على الـدرج عـائداً إلى مـرأب السـيارات وـترك حقـائبه في السـيارة. أخذ مـسدس جـلوك ثم عـاد إلى الشـارع. هـا هو رـجل بـاريسي يـرتدي مـلابـسـ أنيـقة يـمشـي بمـفرـده في طـرـيقـه إلى المـتـزـلـ من مـطـعم جـمـيلـ. تـأـرـجـحـ بـجـوارـهـ مـظـلـتهـ، إـذـ يـنـتـقـلـ معـ المـارـةـ في ضـبابـ نـوفـمبرـ. استـقـلـ سـيـارـةـ أـجـرـةـ في شـارـعـ سـانـ لـازـارـ في السـاعـةـ 11:30ـ، وأـمـرـ السـائقـ بـفـرـنـسـيـةـ مـتـعـثـرـةـ أـنـ يـنـقـلـهـ إـلـىـ حـيـ سـانـ جـيرـمانـ دـيـ بـرـيـ فيـ الضـفـةـ الـيـسـرىـ.

رصد سونج بارك كيم الكازاخـيين بـجـوارـ كـاتـدـرـائـيـ نـوـتـرـدـامـ. تـيقـنـ منـ كـوـنـهـ قـتـلـةـ يـسـعـونـ وـرـاءـ الـهـدـفـ نـفـسـهـ الـذـيـ كـانـ يـسـعـيـ إـلـيـهـ. كـانـ منـ الصـعـبـ أـنـ يـفـلـتوـاـ مـنـ مـراـقبـتـهـ الـحـادـةـ، وـلـمـ يـكـنـ لـدـىـ الـكـوـرـيـ شـكـ فيـ أـنـ الرـجـلـ الرـمـادـيـ سـيـعـرـفـ إـلـيـهـ بـالـسـهـوـلـةـ نـفـسـهـاـ. كـماـ أـنـهـ اـجـتـازـ ثـلـاثـةـ -أـوـ أـرـبـعـةـ- عـنـاصـرـ مـراـقبـةـ ثـابـتـةـ، وـاسـتـطـاعـ أـنـ يـرـصدـهـمـ رـغـمـ زـحامـ مـسـاءـ السـبتـ، لـكـنـهـ مـعـ ذـلـكـ أـقـرـأـنـهـمـ عـلـىـ قـدـرـ كـافـ مـنـ الـمـهـارـةـ.

فـهـمـ كـيمـ هـدـفـهـ. لـوـ تعـيـنـ عـلـىـ الرـجـلـ الرـمـادـيـ التـوقـفـ فـيـ بـارـيسـ، لـكـانـ وـصـلـ الآـنـ. اـحـتـدـتـ حـوـاسـهـ الـفـائـقـةـ بـالـفـعلـ أـكـثـرـ قـلـيلاـ كـلـمـاـ أـلـقـىـ الـفـنـيـ عـلـىـ سـمـعـهـ تـقـرـيرـاـ غـيرـ مـبـشـرـ. سـارـ الـكـوـرـيـ مـنـ شـارـعـ إـلـىـ شـارـعـ، وـبـداـ غـيرـ مـبـالـ، لـكـنـهـ ظـلـلـ عـلـىـ مـسـافـةـ مـتـسـاوـيـةـ مـنـ الـمـوـاقـعـ الـمـتـدـاخـلـةـ وـالـمـعـروـفـةـ.

سار كيم في صمت تام في الشارع الخالي. حانة أيرلندية وحسب أضاءت الأحجار المرصوفة أمامه؛ وبخلاف ذلك كان الظلام حالكاً واستغل الكوري الليل باعتباره صديقه الصدوق. يتحرك بسرعة وبطريقة مريحة مثل صياد ليلي. عند تقاطع شارع سانت ميشيل وشارع سوميرارد، توغل في زقاق، ووجد مخرج طوارئ رآه في وقت سابق عندما تجول ليوم كامل في المدينة، وقفز عالياً للانفراد به. تأرجحت حقيقة الظهر على ظهره، ومالت حقيقته الخضراء الزيتونية إلى الأسفل بسبب المسدس الآلي من طراز إتش كي والخزانة الإضافية، بينما يصعد القاتل الكوري الدرج.

ارتقى السالم المعدنية في صمت حتى بلغ الطابق السادس. رفع ذراعيه القويتين مرة أخرى فأصبح فوق القمة، على السطح. من هنا كان يرى برج إيفل على بعد أكثر من ميل أمامه، ونهر السين على يمينه، والحي اللاتيني يمتد إلى يساره. استمرتِ أسطح المنازل بطول شارع سان ميشيل، ولامس بعضها بعضاً، فشكلت طريقاً أعلى من الشوارع أدناها.

ستكون هذه نقطة انطلاق كيم في المساء. إذا غامر جينترى في أي مكان على الضفة اليسرى، يمكن لكيم التحرك بسرعة وهدوء فوق هذا الصف من المباني أو غيرها من المباني المماثلة. إذا ظهر الرجل الرمادي على الضفة اليمنى، يمكن لكيم أن يصل هناك في غضون دقائق من خلال التزول والركض عبر أي من الجسور، لمسافة بضعة مبان إلى الشمال، التي تمتد عبر النهر البارد الجاري الذي تتلألأ صفحات مياهه، إذ يتذفق عبر أضواء المدينة.

قفز كورت جينترى من سيارته الأجرة إلى مقهى إنترنت في شارع سان جيرمان. طلب ساعة لاستخدام الإنترنت وكوب إسبريسو مزدوجاً من البار. دفع حسابه ثم شق طريقه بأدب عبر حشود الطلاب باتجاه

جهاز كمبيوتر مفتوح في الخلف. أنزل نظارته على أنفه، وأمسك بالكوب والصحن، وعلق مظلته الفاخرة على ذراعه.

ما إن اتصل بالإنترنت، فتح محرك بحث وكتب: «أملاك مجموعة لوران في فرنسا». نقر فوق أحد مواقع الويب التي تعرض عقارات الشركة الضخمة: المواني والمكاتب والمزارع الصغيرة وصفحة الويب الخاصة بأماكن الاستجمام التابعة للشركة. هنا وجد قصر لوران، منزل عائلي تستخدمه الشركة شمال شرق قرية ميزون الصغيرة في نورماندي. فور حصوله على الاسم بحث على الويب للحصول على مزيد من المعلومات حول العقار، وعثر على موقع يعرض قصوراً خاصة في أوروبا، وألقى نظرة على اللقطات الساحرة لمنزل العزبة من القرن السابع عشر. احتفظ في ذاكرته بالعديد من المعلومات، وتجاهل حقائق أخرى لا تبدو شديدة الأهمية، مثل حقيقة أن ميتaran أطلق النار على الأرانب على الأرض، أو أن بعض كبار ضباط روميل قد ضربوا زوجاتهم هناك في أثناء وجودهم في المدينة لاتخاذ الاستعدادات النهائية لجدار الأطلسي.

كتب العنوان بقلم استعاره من صبي أسمري جلس بجانبه، ثم تصفح موقع ويب شركة لوران. استغرق الأمر منه بعض دقائق حتى عثر على العنوان ضمن ممتلكات الشركة، كان القصر مُدرجاً كونه مكتباً فرعياً وحسب، وليس موقع استجمام تابعاً للشركة، قاد هذا كورت للعثور على رقم الهاتف المدرج للمبني. كتب هذا على ساعده بينما ضحك الطفل الصغير الذي أقرضه القلم إذ يقدم له ورقة، لكن جينتري رفضها.

بعد ذلك استغرق الأمريكي بعض دقائق لإلقاء نظرة على خريطة القمر الصناعي للمنطقة المحيطة بالقلعة. رسم يوضح الغابة، وجداول المياه التي تجري بالقرب منها، والبساتين خلف المبني الحجري

الذى يبلغ عمره 300 عام، والطرق الريفية المرصوفة بالحصى خارج الجدار المحيط.

ألقى نظرة أخرى على الصور التي التقطت للمبنى. كان البرج الكبير هو أعلى نقاطه. عرف كورت أن القناص حتماً سيختبئ هناك.

كان يعلم أيضاً أن هناك 200 ياردة من المساحة المفتوحة بين قصر لوران وبستان التفاح الخلفي. وأمام المبنى مسافة أقصر، لكن هناك جداراً حجرياً أعلى، وإضاءة أقوى. تخيل أنه سيكون هناك رجال يجرون دوريات بصحبة كلاب، ومخبرون في القرية، وربما حتى مروحيّة في الهواء.

من الواضح أن لويد كان لديه كل الموارد المتاحة لحماية القصر من هاجم خائب يعرج.

لم يكن التحسين منيعاً؛ قليل من الأماكن وحسب يصعب على جينترى اختراقها. لكنه لو غادر باريس في هذه الدقيقة تحديداً، فلن يصل إلى بايو قبل الساعة الثانية صباحاً، وكان أمامه حتى الثامنة لإنقاذ فيتزروي قبل موعد لويد النهائي.

لكن لم تكن هذه سوى راحة خادعة، لقد أدرك أن أي فرصة لنجاح خطوطه يجب أن تكون في جوف الليل، عندما تترنح قوة الحراسة، ويتأخر رد فعلها.

لذلك بالرغم من وجود طرق مؤكدة، أدرك كورت أن اختراق قصر لوران صعب دون انتظار ساعات وساعات حتى يألف الإجراءات الأمنية.

لكن لم تكن أمامه ساعات وساعات، بل ساعة على الأكثر قبل حلول ضوء النهار.

ومرة أخرى، كان هذا مرهوناً فقط بمعادرته باريس الآن، ولم تكن هذه خطته.

في الواحدة صباحاً، جلس جينتري في مقهى لوكمبورج وشرب ثانية إسبريسو مزدوج له في المساء بين الفتيات الجميلات في شارع سوفلوت. ظلت شطيرة لحم الخنزير الصغيرة على طبق أمامه دون أن يمسها. كانت القهوة مُرّة، لكنه يدرك أن الكافيين سيساعدة خلال الساعات القليلة القادمة، هذا إلى جانب شرب الماء، لذلك استهلك زجاجة المياه المعدنية الثانية بخمسة يورو، بينما كان يتظاهر بقراءة نسخة أمس من جريدة لوموند، شردت عيناه لكنهما ظلتا تعودان إلى المبني المقابل لشارع 23.

في الحقيقة أراد كورت فقط أن ينهض ويمضي خارج المدينة دون السعي وراء هدفه في باريس. كان يعلم أنه سيخوض مخاطرة هائلة لزيارة الرجل في المبني السكني المقابل للشارع الصغير، لكنه احتاج إلى المساعدة، ليس فقط لنفسه ولكن أيضاً إلى وسيلة لإطلاق سراح عائلة فيتزروي.

يدعى الرجل الساكن في المبني فان زان، هولندي، ربان مركب سابق متعاقد مع وكالة الاستخبارات المركزية، وطيار بارع للمرؤحيات الصغيرة. خطط كورت ليجري زيارة مفاجئة له، ولاغرائه ببعض النقود، وهو ما يشكل خطراً أقل من الذهاب في رحلة في الخامسة صباحاً إلى بايو لالتقاط عائلة مكونة من أربعة أفراد وكورت نفسه، ثم نقلهم على ارتفاع منخفض فوق قناة إلى المملكة المتحدة.

كان فان زان شريكاً معروفاً، لذلك كان لويد يتتصت على هاتفه في غضون دقائق من بدء هذه العملية ووضع مخبره خارج بابه. أدرك كورت أن الاتصال بفان زان غير وارد، لكن ظن أن بمقدوره اجتياز مخبر أو اثنين ويزوره شخصياً.

نعم، لقد كانت خطة جيدة، قال كورت لنفسه وهو يتطلع إسبريسو مريضاً ويوجه عينيه الشاردتين إلى الصحيفة أمام وجهه. لكنه أدرك بيضاء أن هذا لن يحدث.

علم كورت بلا شك أنه بمقدوره الإفلات من اثنين من المخبرين الأشقياء وأن يمضي للقاء فان زان.

اثنان، نعم.
لكن ليس العشرات.

في أثناء احتسائه قهوة الإسبريسو، كشف خمسة مخبرين مؤكدين، وشخصا آخر غير مؤكدة في الزحام.

تبئا! فكر كورت. ليس لأنه تيقن من عدم وجود سبيل إلى فان زان ليقدم له عرضه، ولكنه بدأ يشعر بالضيق الشديد والضعف، محاطا بعشرات المراقبين النسور.

تسكع زوجان شابان في كوالتي برج في الجهة المقابلة من الشارع. راحا يفحصان كل ذكر أبيض من المارة، ثم رفعا رأسيهما نحو مدخل الفتحة المؤدية إلى منزل فان زان. ثم كان هناك رجل وحيد في سيارته المتوقفة. شرق - أوسطي ينقر بأصابعه على لوحة القيادة كما لو كان يستمع إلى الموسيقى، ويراقب جموع المارة.

وقف رقم أربعة عند محطة الحافلات أمام حدائق لوكسمبورج، كما لو كان ينتظر الحافلة، لكنه لم يلقي نظرة حتى على واجهة أي من الحافلات التي توقفت ليعرف اتجاهها.

وقف رقم خمسة على شرفة بالطابق الثاني، يحمل كاميرا بعدسة بحجم الخبز الفرنسي، وتناظر بالتقاط صور لمقاطع الشوارع المزدحمة، لكن كورت لم يصدق الأمر ولو لثانية. لم تبعد «صوري» التي يلتقطها عن الرصيف تحته، ولا عن المدخل الواقع في الجهة المقابلة من الشارع، لم يلتفت لمقربة العظاماء عالية الإضاءة في الطريق إلى يساره، ولا أكشاك المنتجات الفرنسية التموجية والسياج الحديدي الجميل حول حدائق لوكسمبورج.

رقم ستة كان امرأة بمفردها في المقهى، على بعد بعض طاولات فقط من جيتري. تعمد أن يحصل على طاولة في الخلف ولكن بالقرب

من النافذة الممتدة بطول المطعم. من هنا استطاع أن يراقب كل من في الغرفة معه في أثناء تغطية وجهه بالصحيفة، ومع ذلك لا يزال ينظر إلى يمينه حيث مبني فان زان وما حوله. لقد فعلت الشيء نفسه في أثناء جلوسها أمامه.

رقم ستة كانت ماكرة. أمضت 80% من وقتها في النظر إلى قهوتها الموكا الرغوية الكبيرة، ولم تقفر نظراتها إلى النافذة بين الحين والأخر. لكن خطأها كان لباسها وسلوكها. كانت فرنسية - عَرَفَ هذا من الملابس والوجه - لكنها كانت وحيدة ولا يبدو أنها تعرف أي شخص في المقهى. فتاة فرنسية جميلة في العشرينات من عمرها، قضت ليلة السبت بمفردها، بعيداً عن الأصدقاء، لكنها ما زالت في الحشد، في مقهى غير مألوف لها، في جزء من البلدة لم تكن تعرفه. لا، قرر كورت أنها فنانة رصيف، ومخبرة ومتوصدة، استُوْجِرَت للجلوس هناك وإبقاء عينيها الكبيرتين مفتوحتين.

بعد أن أكل شطيرة صغيرة وانتهى من قهوته، وبعد تخليه عن خطه الرائعة لرسم طريق هروب مضمون بعد إنقاذ عائلة فيتزروي، قرر أنه بحاجة إلى الهرب خارج المدينة، وأن يمضي إلى بايو لتدبير أمر ما. هبطت معنوياته إلى أدنى مستوياتها منذ صباح أمس، كان أكثر حزناً مما كان في الحفرة المتعرجة بمعمل لازلو.

لكن جينيري عرف أن أسوأ شيء يمكن أن يفعله الآن هو أن يجلس مفتماً. فألقى رزمة من أوراق اليورو على طاولته، وانزلق من القاعة الخلفية إلى الحمام. بعد أن أراح نفسه، واصل النزول إلى القاعة، واقتحم المطبخ كما لو كان يعمل به، وسار مباشرة إلى الباب الخلفي ثم اجتازه إلى شارع مسيو لو برنس. لم يلتفت أحد في المطبخ إلى الرجل الذي يرتدي البذلة السوداء.

كان لدى الرجل الرمادي تلك القدرة.

بعد خمس دقائق، وقف ريجيل مرة أخرى على الممشى أعلى السطح وحدق إلى جدران الحدائق المقمرة. امتنجت رائحة بستان التفاح من بعيد بالظلام البارد. كان ريجيل يأمل في تصفية ذهنه قليلاً، والابتعاد عن لويد والفنى والبلاروسين والتقارير الإذاعية المستمرة من المراقبين في باريس الذين لم يرصدوا أي شخص بعد، وفرق القتل التي لم تقتل أي شخص بعد.

رن هاتفه في جيبيه. في البداية أراد أن يتتجاهل المكالمة. ربما كان أحد زعماء المخابرات الأجنبية يتتسائل: لماذا لم يسجل فريقهم الوصول؟ وكيف قضي عليهم جميعاً في أثناء العمل في وظيفة تجارية؟

عرف ريجيل أنه سيقضي شهوراً أو سنوات في التخفيف من خسائر هذه الكارثة، وذلك في حال تم توقيع عقد لاجوس بحلول الساعة الثامنة صباحاً، لم يشا ريجيل حتى أن يفكر في الأمر، ولكن إذا لم يحدث ذلك، فمن المحتمل أن يفقد وظيفته أو على الأقل منصبه. كان لوران يأمل في كثير من العكاسب من وراء هذه العملية ولم يدخل عليها بأي جهد ممكن.

شعر ريجيل أنه في خطر مثل لويد. ليس تماماً، إذ أيقن ريجيل أن لوران سيأمره في النهاية بقتل لويد إذا فشلت العملية. لن يموت ريجيل بسبب هذا الفشل الذريع مثل الشاب الأمريكي، ولكن مع ذلك، ستدمي حياته المهنية إذا كشف عن تجاوزات شركته في إفريقيا الوغد يوليوب أبو بكر.

رن الهاتف مرة أخرى. سحب الهاتف من جيبيه بتهيدة تنفس بخار الليل.

-ريجيل.

-سيدي، الفني معك. هناك مكالمة لك على الخط الأرضي. يمكنني إرسالها إلى هاتفك المحمول.

-الخط الأرضي؟ هل تقصد هاتف القصر؟

-نعم، يا سيدى. لا أعرف من كان، إنه يتحدث الإنجليزية.
-شكراً.

نقرة، ثم سأله ريجيل: «من يتكلم من فضلك؟».

أجاب المتصل: «أنا الرجل الذي يبدو أنك لا تستطيع قتله».

سرت قشعريرة في عمود كيرت ريجيل الفقري. لم يكن يعلم أن فيتزروي أعطى اسمه للرجل الرمادي.

بعد لحظة استجتمع فيها شتات نفسه قال: «سيد جينترى، إنه لشرف لي أن أتحدث معك. لقد تابعت مسيرتك وأعتبرك خصماً له كل التقدير».

-الإطراء لن ينفعك.

-كنت أقرأ ملفك.

-مشير للاهتمام؟

-كثيراً.

-حسناً، اقرأ يا كيرت، لأنني أنوي سحب ملفي من يديك الباردتين الميتتين.

ضحك كيرت ريجيل بصوت عالٍ قبل أن يقول: «ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك؟».

-أردت فقط إجراء مكالمة ودية.

-لقد اصطدمت كل أنواع الفرائس في حياتي، كبیرها وصغيرها، بما في ذلك عدد غير قليل من البشر. هذه هي المرة الأولى التي أجري فيها محادثة ودية مع فريستي قبل وقت قصير من قتلها.

-وأنا كذلك.

كانت هناك وقفة قصيرة، ثم ضحك ريجيل. انتشرت ضحكاته عبر الامتداد المظلم للحديقة الخلفية للقصر. قال: «أوه، أنا فريستك الآن؟».

- أنت تعلم أنني قادم من أجلك.

- لن ننجح، وإذا تمكنت بطريقة ما من الوصول إلى نورماندي، فقطعاً لن تصل إلى.

- سترى.

- نعلم أنك في باريس.

- باريس؟ عم تتحدث؟ أنا أقف خلفك مباشرة.

قال ريجيل بضحكه خافتة: «أنت رجل مضحك، وهذا يفاجئني». لكنه لم يستطع من نفسه من النظر إلى الخلف بطرف عينه وإلى الممر الفارغ حول سطح القصر. وأكمل: «عشرات المخبرين يراقبون جميع شركائك المعروفين».

- حقاً؟ لم أكن أعرف.

- نعم. لا بد أنك تنتقل من صديق قديم إلى آخر. أنت ترصد فرق المراقبة الخاصة بي لأنك بارع، لكنك لست بارعاً بما يكفي لتلاشى. لذلك يجب عليك الابتعاد عن مصدر المساعدة المحتمل. الماء، الماء في كل مكان، لكن لا توجد قطرة واحدة تصلاح للشرب.

- فخور بنفسك، أليس كذلك؟

- ما إن نراك، ستنقض على الأرض. لدى عدد من الأسلحة في باريس يقارب عدد ما لدى من مراقبين.

- محظوظ أنني لست في باريس.

توقف ريجيل مؤقتاً، وتغيرت لهجته عندما عاود الحديث: «أريدك أن تعرف، موت فيليب فيتزروي كان حادثة مؤسفة. كنت بعيداً في ذلك الوقت. لم يكن ينبغي أن تحدث».

- لا ترهق نفسك وتسعى إلى إغوائي باحترافيتك، فهذا لن ينفك عندما آتي. أنت ولويد كلاكمي ميت.

ـ هذا ما تواصل قوله. يجب أن تعلم، لقد استعدت الهاتف الذي أخذه السير دونالد من الحراس. لقد قضينا على مصدر استخباراتك داخل القصر.

لم يقل كورت شيئاً.

ـ يبدو وضعك محبطاً يا صديقي.

ـ صحيح، ربما سأغادر وحسب.. أستسلم.

فكر ريجيل في هذا وقال: «لا أعتقد ذلك. عندما اتجهت جنوبًا إلى جنيف، اعتقدت أنك ربما ترك المطاردة. لكن لا، أنت صياد مثلّي، يجري الأمر في دمك، أليس كذلك؟ لا يمكنك الابتعاد. لديك فريستك.. هدفك، سبب وجودك. دون استهداف رجال مثل لويد وأنا، ستكون روحًا حزينة، حقا. لن تمشي في الصباح. ستأتي من أجنا، وستموت في الطريق، يجب أن تعرف هذا. لكنك تفضل أن تقتل على يد فريستك بدلاً من التخلّي عن المطاردة».

قال جينترى: «ربما يمكننا إجراء اتفاق بديل».

ابتسم ريجيل وقال: «آه. الآن وصلنا إلى سبب مكالمتك. إذن، ليست مكالمة ودية في النهاية. أنا أنصت يا سيد جينترى».

ـ ستختسر العقد. عندما أكون على قيد الحياة في غضون سبع ساعات، سيعطى أبو بكر صفة الغاز الطبيعي الخاصة بك لمنافسك، وسيستخدم ضدك كل ما لديه على مجموعة لوران. لا يمكنك تجنب ذلك. لكن إذا سمحت للفتاتين وأمهما بالرحيل، أصبحبُهُنَّ فقط إلى مكان آمن، عندما آتي غداً بعد الموعد النهائي، سأقتل لويد، وأتولى عمل عملك نيابة عنك وأعفو عنك.

ـ تعفو عنّي؟

ـ أعدك.

– لطالما تصورتك مفترساً محدود الفكر، مسلحًا ليس أكثر. لكنك في الحقيقة زميل ذكي، أنا وأنت يمكن أن تكون صديقين في ظروف أخرى.

– هل تتدرب إلىَ؟

– تدفعني إلىَ الابتسام يا جينترى، لكنك ستجعلنى أبتسم أكثر عندما أقف فوق جثتك، تذكار آخر لصندوقى.

– يجب أن تفكِّر في عرضي حقًّا.

– أنت تبالغ في تقدير نفوذك التفاوضي يا سيدى. سنتواصل معك في غضون ساعة.

كان هناك لحظة صمت. ثم قال جينترى: «فلتتمنَّ ذلك، نم جيدًا سيد ريجيل».

– قد أبقى مستيقظًا بعض الوقت. أتوقع بعض الأخبار الجيدة من زملائي في باريس. عمت مساء⁽¹⁾ يا كورت.

– إلى اللقاء⁽²⁾ يا كيرت، أراك قريباً.

– أمر واحد فقط يا سيد جينترى. ثمة فضول مهنى، لكن لم يكن أنت من كان بكيف، أليس كذلك؟ انقطع الخط، وارتعش ريجيل في البرد الذي بدا وكأنه قد وصل من الساحل، على بعد أربعة كيلو مترات شمالاً.

(1) بالفرنسية في الأصل.

(2) بالفرنسية في الأصل.

كان المراقب يشعر بالملل، لكنه اعتاد عليه. لقد أمضى اثنتي عشرة ساعة في زاوية الشارع نفسها، واحتسى قهوة الإسبريسو في ثلاثة مقاهٍ مختلفة، أول اثنين على طاولات بالخارج في الصباح المشرق وفي أوقات الظهيرة الباردة الغائمة، ثم أخيراً في الداخل على طاولة بجوار نافذة، حين عبأ البخار الهواء، فقد الشارع والرصيف دفأهما.

في التاسعة انتقل إلى سيارته، سيارة سيتروين صغيرة تقف عند عداد بال الساعة ظل يطعمه طوال اليوم مثل حيوان أليف جائع.

كان المراقب ماهراً. ولم يؤثر ملله في مهنته. أدار المحرك من أجل الدفء لكنه لم يُشغِّل الراديو، إذ ربما تلتقط أذناه أي تلميح من طرفيته مثلما تفعل عيناه. كان الراديو يسرق من صوابه الحدة اللازمة لالتقطان رجل لم يره من قبل من بين حشد يضم الآلاف.

لم يعرف الصورة الأكبر لهذه المهمة، عرف دوره وحسب. كانت مراقبته ثابتة. وخلافاً لباقي المراقبين الآخرين في تلك المهمة، لم يُثبت في مكان معروف، بل حددت حراسته عند نقطة اختناق مزدحمة. كان لديه صورة لرجل، وعليه أن يقضي اليوم في محاولة مطابقة الصورة ثنائية الأبعاد، التي مضى عليها خمسة أو سبعة أعوام، مع هدف حي يتفس ويتحرك. ومن المحتمل أن الهدف خصم لتدريبات على المراقبة المضادة، ولا شك أنه سيختلط بحشدٍ من شأنه أن يعوق رؤية المراقب.

لكن المراقب ظل متفائلاً. لم تكن هناك طريقة أخرى للعمل، كان يعلم أنه إذا شك أنه سيرى الرجل، فسيتقصى هذا من حدة حواسه التي يحتاج إليها في مهمته الصغيرة.

لم يكن المراقب قاتلاً، بل كان فقط عينين مدربيْن تدريبياً جيداً. منذ فترة طويلة كان شرطيّاً في نيس، ثم عمل لفترة في مكافحة التجسس الفرنسي فنان رصيف، تابعاً للروس أو أي شخص حوله في فرق المراقبة النوعية، أدنى درجات سلم التجسس. عمل في الآونة الأخيرة محققاً خاصاً في ليون، لكنه أصبح الآن رجل المهام الغربية بالدرجة الأولى، ويعمل لدى ريجيل في باريس.

دائماً ما تكون هناك حاجة لمراقبة شخص ما في القارة، وعادة ما كان هذا المراقب أحد أفراد الفريق. على الرغم من أنه كان أكبر سنًا من معظم البقية، لكنه لم يكن قائداً. كان أفضل من البقية عندما يكون يقظاً، إذ كان سكيراً دائماً، فلم يكن الاعتماد عليه لفترة طويلة أمراً ممكناً. بالرغم من أنه توقف الليلة عن الشرب في أثناء المهمة.

نظر المراقب إلى الصورة التي في يده مرة أخرى، للمرة ألف. لم يشغله ما اقترفه صاحب الوجه أو المصير الذي ينتظره. لم يكن الوجه رجلاً، بل كان مجرد هدف. لم يكن الوجه حياً، لم يتنفس أو يفكر أو يشعر أو يؤذ أو يحتاج أو يحب. كان الوجه هدفاً فحسب، وليس إنساناً.

إن التعرف إلى الهدف في الميدان له مكافأة من ريجيل، فلم يجلب ذرة من الأسف أو الذنب للمراقب.

بعد الواحدة والنصف بقليل، تبول المراقب في زجاجة بلاستيكية دون أن يفوت أي قطرة، وأيضاً دون أن يرمش رمثاً على حماقة تصرفاته بين الأشخاص ذوي الهيئة الحسنة الذين يمرون فجأة على بعد أقدام منه في بوليفارد سان جيرمان. أحكم غلق الغطاء وألقي الزجاجة الدافئة على أرضية السيارة، ونظر إلى أعلى حين ظهر رجل في ضوء مصباح الشارع الخافت. سار مع مجموعة أخرى من المارة، لكنه جذب انتباه المراقب بطريقة ما.

كان أصغر سنًا من الآخرين، ولم يكن مقترباً بأحد كما كانوا، تعارضت بذلته قليلاً مع ملابسهم الأقل رسمية. كان على بعد خمسة وعشرين متراً عندما لاحظه الجالس في السيارة السيتروين.

كلما اقترب اتضحت صورته، النظارة والرأس الحليق وملامح وجهه العامة.

لم يحرك المراقب أي عضلة، بل نظر فقط إلى الصورة وقد طويت وتغصنت وأصبحت رطبة في يده، ثم عاد إلى الهيئة ثلاثية الأبعاد التي تقترب منه في ضباب المساء.

ربما. على بعد خمسة عشر متراً، حدق المراقب، ظنَّ أنه لاحظ عرجاً خفيفاً في الخطوة. نعم، هذا الرجل كان يفضل ساقه اليمنى. سبق أن قال البريطاني الذي يتحدث الفرنسية ويرسل التحديات طوال اليوم، إن الهدف قد يكون مصاباً في إحدى فخذيه.

نعم. عندما انتقل الهدف إلى أقرب نقطة له من السيارة السيتروين، التي لا تبعد أكثر من خمسة أمتار، لاحظ المراقب أمرتين في وجه الرجل، مما أكسبه يقيناً بأن اختياره لنقطة المراقبة المزدحمة هذه، ووقفه الذي استمر اثنى عشرة ساعة قد أتياً بشمارهما. كان خد الرجل يجفل مع كل خطوة، بل كلما لامست قدمه اليمنى الأرض.

وهناك أيضاً عيناه؛ كان المراقب ماهراً ومدربياً، حيث رأى نظرات الشاب المندفعه وهو يمشي. وفي الوقت الذي صورت لغة جسده رجلاً يتتجول عبر الضفة اليسرى دون اكتراث بالعالم، لم تكف عيناه عن الحركة.

هذا الرجل يراقب المراقبين، وما إن لاحظ فنان الرصيف في السيتروين، قطع المراقبة، ونظر إلى يديه حتى يجتاز الرجل تماماً.

انتظر عدة ثوانٍ ثم نظر عبر مرآة الرؤية الخلفية وقلبه ينبض بشدة، لم يلتفت أو يرفع كتفيه أو حتى يشنِّ رقبته لفعل ذلك. فقط رفع عينيه

والقطط الرجل الذي يرتدي البذلة في أثناء تقدمه غريباً في شارع سان جيرمان.

أدبار المراقب سيارته إذ يضغط على زر في سماعة أذنه. بعد صوت تنبية يشير إلى إجراء مكالمة سمع: «هنا الفني، تفضل».

كان المراقب مدرباً وبارعاً، لكنه لم يستطع إخفاء الحماسة في صوته، فهذا ما عاش من أجله، أكثر حتى من الأموال التي اكتسبها من باقي المهام.

قال: «أيها الفني، هنا ثلاثة وستون». سكت سكتة موجزة للغاية وأتبع: «إنه هنا. يتحرك شرقاً سيراً على قدميه».

لا يحتاج إلى قول المزيد. سيحدد الفني موقعه على (GPS). أثارت مثل هذه اللحظات المراقب، وأبعدته عن الشراب حتى اكتمال مهمته. لقد أبلى بلاءً حسناً، وكان يعرف هذا. والآن سيعود إلى المنزل ويحتفل مع دورق نبيذ. كان يحتفل بالطريقة نفسها التي يعمل بها وحيداً.

كانت المكالمة تبث عبر شبكة يشترك في الاستماع إليها جميع فرق القتل الخمسة في باريس في وقت واحد. كان هذا خطأ من جانب الفني، إذ رسم الخصومة بين المتنافسين، ولم يسمح بوجود فرق احتياطية أو تغطية لطرق الهروب. لكن الشاب البريطاني لم يستطع مقاومة ذلك، لقد منصف يوم دون رؤية مؤكدة للهدف، وكان ذهابه إلى باريس على الإطلاق تنبئاً فحسب، لذلك عندما تم تحديد الهوية، أرسل كل رجل يحمل مسدساً صوب موقعه.

منذ اختفاء الهدف في جنيف يجاهد الفني لثلا يفتضح ذعره الشديد أمام لويد أو ريجيل. لقد كان يدير عمليات، وعمليات قدرة، وعمليات مشبوهة، وأشرف على إمدادات العملاء الخطرين، ولكن لم يكن يعرض نفسه لأي خطر. إنها المرة الأولى التي يُعد فيها رؤساؤه

خطة يكون الرجل المطارد فيها قاتلاً خارقاً، يعرف جيداً أين مركز العمليات الغيض وكيفية الوصول إليه. لقد منح الرجل الشرير دعوة ذهبية للحضور إلى الموقع الفعلي للفني، وكان ذلك محض غباء. ومع ذلك، تتحتم على الرجل ذي ذيل الحصان الجالس أمام طاولة الأجهزة الضخمة أن يعترف، أن هذا الخوف دفعه للتركيز الشديد في المسألة المطروحة أمامه.

تحفظ الفني تحفظاً شخصياً للإمساك بهذا الوغد قبل وصوله إلى القصر، ولهذا السبب كان يثبت الإحداثيات الحالية للهدف بمجرد وصول التأكيد.

فجأة ظهر لويد خلفه، في الوقت الذي يعترف لنفسه بأنه اتخذ خطوة غبية. كاد يقفز في مكانه حين اقترب منه رئيسيه، تصبيه العملية كلها بالتوتر.

-سمع ريجيل عبر الراديو! هل حصلنا عليه؟

- رصده أحد المراقبين في شارع سان جيرمان، وهو محارب قديم من الدرجة الأولى، في نقطة الاختناق. كان احتمالاً ضعيفاً في الحقيقة، لا أستطيع أن أقول من قائمة شركائه المعروفيين إلى أين سيذهب بحق الجحيم.

-لن نفقدك، أليس كذلك؟

-أرسل المزيد من المراقبين إلى المنطقة. ليس الكثير، من المؤكد أن الرجل الرمادي سيرصد أي شخص غير محترف.

- مفهوم. أى فريق قتل سترسله لملاحته؟

تردد الفني محرجاً. بالتأكيد سيغضب لويد حين يعلم أنهم جميعاً في طريقهم. ولكن قبل أن يتمكن الفني من الإجابة، قال لويد: «تبأاً! يجب أن ينتهي الأمر الآن. أرسل كل سلاح لديك وراء هذا اللقيط. من يعبأ بحق السماء إذا ساعت الأوضاع، يجب أن نمسك به هناك».

تنفس الفني الصعداء مما أدى إلى تفريغ رئتيه وقال على الفور:
«أجل يا سيدي».

كان البوتسوانيون والكاذاخيون هم الأقرب؛ ركضوا من أطراف مختلفة في الحي اللاتيني، وقد أنزلوا أذرعهم إلى الأسفل بجانبهم لكثلاً تنفتح معاطفهم في أثناء الركض فتكشف أسلحتهم. ثبتوا أعينهم على العقبة التالية أمامهم وهم ينصلون بتركيز لسماعات الراديو التي في آذانهم.

أرسل الفني آخر مكان معروف للهدف. لقد أصبح خارج مجال رؤية المراقب الأول الآن، لكن فناني الأرضفة كانوا يقتربون، وستُنقل معلوماتهم.

كان البوتسوانيون خمسة رجال، يحملون أسلحة نارية من عيار 32، وهي رصاصة ضعيفة نسبياً، لكنهم عززوا قوتهم النارية المحدودة بأساليبهم القتالية. لقد تدرب هؤلاء الرجال على تنفيذ ثلاث جولات من الرصاص مرة واحدة تسمى مثقب موزمبيق: زوج من الطلقات السريعة على الصدر ثم الثالثة رصاصة الرحمة في الجبهة. جاء المصطلح والتكتيك من القتال في موزمبيق، عندما اكتشف جندي روسي أن مسدسه من طراز كالبير الصغير لا يكفي لقتل شخص إفريقي بطلقات في صدره وحسب، لذلك أضاف تسديدة في الرأس لإضفاء المزيد من التأثير.

علق الكاذاخيون الأربع تحت معاطفهم الشتوية مسدسات من طراز إنجرام آلية صغيرة، بكعوب معدنية قابلة للطي. وأثار ركضهم انتباه أحد الشرطيين فنادهم إذ يركضون عبر الشارع، لكنه حسبهم سياحاً أجانب وأشار لهم أن يبطروا.

حمل أحد أعضاء كل فرقة قتل أيضاً كاميرا فيديو رقمية متصلة عبر البلوتوث بهواتفهم المحمولة، هكذا يثبتون لمن في مركز القيادة

أنهم الوحدة المسؤولة عن إنهاء الهدف والفريق الذي يستحق الجائزة الكبرى.

في النهاية ما زال الأمر مسابقة.

علم كل فريق من سماعات الأذن الخاصة بهم أن الفريق الآخر يقترب من آخر مكان معروف للهدف في الاتجاه المعاكس. كان هذا يدفعهم للإسراع من أجل محاصرة الهدف قبل أن يختفي. كانت أكثر من مطاردة، لقد كانت منافسة، وبالنسبة لهذه الفرق، لا يقل الفخر المهني قدرًا عن الربح المادي.

«كل العناصر، الفني معكم. لدينا مراقبان على بعد ثلاثة بنايات شرقاً. لم يبلغ أي من المراقبين عن أي علامات على الهدف. ربما دخل إلى فندق أو مقهى في الشارع، أو اتجه جنوباً إلى الحي اللاتيني، أو شمالاً باتجاه كويري 9 لعبور النهر».

أبطأ الفريقان اللذان اقتربا من اتجاهين متعاكسين، وتشاورا فيما بينهما بعد ورود آخر معلومات من الفني. ثم واصل كلاهما الركض في شارع سان جيرمان حيث اتجه البوتسوانيون شرقاً والказاخيون غرباً. انتشرت ليغطيان جانبي الشارع في مجموعات من شخصين أو ثلاثة، يبحث كل فريق صغير من القتلة في الداخل والأزقة والمcafés والفنادق بطول الطريق.

ركض سونج بارك كيم على أسطح المباني، واحتاز آخر موقع شوهدت فيه فريسته، ثم عادت الحياة إلى سماعة أذنه. عرف الكوري من أصوات التنبية المميزة أن الإرسال لم يكن مفتوحاً لباقي الفرق والمراقبين الآخرين. كان هو الوحيد الذي يتلقى الرسالة.

ـ من الفني إلى بانشي 1 هل تسمعني؟
ـ أسمعك.

ـ اذهب إلى الشارع وسأرشدك إليه. سيكشف باقي الفرق الأخرى والمراقبين ويحاول الابتعاد. سيجبرونه على الفرار ولن يتوقع قاتلاً واحداً. سأضعك في موقع يسمع لك بإيقافه.

نعم.

صعد كيم إلى حافة سطح مبني سكني من ستة طوابق، وهبط بسلامة على حافة النافذة. أنزل جسده ووصل إلى ماسورة الصرف، وقفز فوقها، كان الأنبوب متلتصقاً بشكل سيء بالجدار، لذلك استخدمه فقط ليشق طريقه كمخرج طوارئ، وتبعه لأسفل، وقفز الأقدام القليلة المتبقية على الأرض، ستة طوابق من الهبوط في أقل من دقيقة.

ـ بانشي 1 في الشارع أيها الفني، أرشدني إلى الهدف.

ـ هناك فريقان أقرب منك يا بانشي 1. نعتقد أنه انعطاف إلى شارع بوسى، ليحمي بالحشود. يمكنك أن تتحرك مسافة بنايتين إلى الشمال، وحينها ستقطع طريقه إذا لم يكتشف.

قال كيم: «حسناً». لكنه لم ينوي اتباع هذا الاتجاه.

شعر الكوري أنه يستطيع قراءة أفكار الرجل الرمادي. تعرض كيم للمطاردة عدة مرات، ومن خبرته شعر أن بوسعه التنبؤ بكل يخطوها هذا الرجل المطارد. كيم سيلاحظ إذا كانت فرق العملاء الأجانب تلاحقه عبر وسط باريس ليلة السبت، وكذلك الرجل الرمادي. إذا ثبتت عشرات المراقبين في طريقه، فسيعلم كيم ذلك على الفور، وكذلك الرجل الرمادي. قد لا يتعرف إلى كل خصم، لكن الفني ألقى العديد من الجثث في العملية، عميل بارع كالرجل الرمادي لا بد أن يدرك أنه يواجه عملية قتل صريحة وكاملة، وأن عليه أن يودع كل محطات وقوفه، وقواعد الاشتباك العادية وضبط النفس.

لن يكون بمان وسط حشد من الناس، فحتماً سينتهز المسلحون الذين رأهم الرجل الرمادي أول فرصة لتدمير هدفهم، وستكون الأضواء الساطعة والمارة عائقاً للرجل المطارد أكثر من كونهم ساتراً.

نعم، كان كيم يشعر بما يشعر به الرجل الرمادي الآن، وقد سمح لهذا التعاطف أن يوجهه بدلاً من توجيهات الفني. هذا الاندماج العقلي بين كيم الصياد والرجل الرمادي المطارد قاد القاتل الكوري عبر الليل الضبابي، على بعد ثلاثة بنايات شرقاً، إلى زقاق مظلم يبعد مسافة نصف بناية من الضوضاء والأضواء وأسراب رواد المطعم والمحتفلين. كان يعلم أن نهر السين يقع على بعد مائة متر فقط إلى الشمال، ما يعني أنه إذا اكتشف الرجل الرمادي المراقبة الشديدة، فسيضطر إلى الالتفاف جنوباً ليذوب في الليل؛ لن يوفر له الشمال سوى جسر أو اثنين، نقاط الاختناق الطبيعية التي سيتجنبها بأي ثمن. وجد سونج بارك كيم أظلم بقعة في الزقاق الصغير، على بعد خمسة وعشرين متراً شمال شارع سان جيرمان، وعشرين متراً جنوب شارع دي بوسى. يمكنه أن يتحرك في أي من الاتجاهين في ثوانٍ إذا رصد المراقبون الهدف في مكان قريب. لكن كيم شعر أن هذا الزقاق الصغير سيكون موقع مواجهته الأخيرة مع خصمه.

على بعد أمتار قليلة من موقع اختبائه المظلم ثمة مطعم ونوابٍ ليلية تعج بالرواد. بالإضافة إلى فرق قتل متنافسة في مكان قريب. لم يرغب في لفت الانتباه إلى ما يفعله باستخدام سلاح ناري، لذلك ترك رشاش (MP7) في حقيبة الظهر على كتفيه وسحب سكينه القابل للطهي من جيبه الأمامي، وفتح الشفرة السوداء غير اللامعة، واحتباً في الظلام منتظرًا فريسته.

شعر كورت جينيري أن بذلته السوداء تتبلل من العرق الذي تدفق على ظهره بينما يمشي شرقاً في شارع دي بوسى. تأرجح في يده اليمنى مظلته مع كل خطوة، وقد قاوم رغبته في استخدامها كعصا لأن قدمه كانت تؤلمه من التمزقات التي أصيب بها في بودابست قبل يومٍ

لكن لم يكن المشي هو ما جعله يتعرق، بل كانت عيناه اللتان ترصدان الشارع أمامه. على بعد ثلاثين ياردة، رأى زوجين شابين تكوما على مقعد واندمجا في الحديث، لكنهما يراقبان الرجال من المارة. رأى كورت شخصاً أصلع في مثل سنه فقرر أن يتبعه؛ أبقى عينيه على الرجل ليتبين ما إذا كان مظهره مثيراً للاهتمام، فيتضاع حينها لجيترى هل رصده فرق المراقبة الأخرى في المنطقة وتعرفت إليه عبر الراديو.

فور تحديق العاشقين الصغارين إلى الرجل الأصلع لبضع ثوان، بدا أن أحدهما يتحدث مع الآخر عنه، ثم تحركت أعينهما، راضيين أنه لم يكن هدف مراقبتهما.

علم كورت على الفور أنه كُشف. لقد رأى ما لا يقل عن عشرة مراقبين حتى الآن وكان واثقاً إلى حد ما بأنه أفلت منهم جميعاً، لكن لا بدّ أن هناك شخصاً واحداً لم يتجاوزه، أو بعض العملاء الثابتين في نافذة مظلمة أو سيارة في الشارع أو في مكان ما لم يتمكن جيترى من تحديده، وقد أرسل هذا العميل صورة كورت لكل مراقب وقاتل في المدينة.

وبسرعة، ألقى كورت نظرة خاطفة إلى الوراء. تحرك بسرعة ثلاثة رجال ذوو بشرة داكنة وراحوا ينظرون عبر نافذة متجر لا يبعد أكثر من عشرين متراً خلفه. في الناحية الأخرى من الشارع كان هناك اثنان آخران. كلهم ضمن مجموعة واحدة، وكانوا يفحصون الجانب الشمالي من الشارع، وينظرون إلى طاولات مليئة بالرواد أمام أحد المقاهي.

تبأ!

استدار كورت إلى اليسار ليهبط ممراً صغيراً قبالة شارع لانسيان كوميدي وتتبعه في الظلام. انبعث من نهايته ضوء خافت في ممر هادئ على بعد عشرين ياردة.

سيتشتت المراقبون في الطريق الرئيسي للضفة اليسرى ما داموا لم يعرفوا أنه كشف مراقبتهم. سار كورت في الظلام، وعيناه على الضوء أمامه، يخدرس طرف مظلته الأحجار المبللة، تردد صدى الضوضاء في الممر الأسود المستتر.

احتاج كورت أن يستقل سيارة أجرة إلى سان لازار ليأخذ سيارته المرسيدس ويتجه إلى بايو. لم يختلف توقفه في باريس عن توقفه في بودابست بعد ظهر أمس، وكذلك في جواردا الليلة الماضية، كلها محطات غير مجده. على الأقل هذه المرة ابتعد دون أن يصاب بأذى، وكان هذا مهمًا، مع أنه يحتاج بالفعل إلى مزيد من المساعدة قبل...

ثمة ومض من الحركة في الظلام القريب، سرعان ما ظهرت هيئة شخص على يساره. وقبل أي رد فعل خاطف من كورت، شعر بمزيدٍ من الحركة، ذراعٌ تأرجح نحوه. حرك جينتري ذراعه اليمنى لتفاديها، لكنه كان بطريقاً للغایة. ولم يكن قط بطريقاً للغاية.

شعر كورت جينتري بطعنة السكين في بطنه إذ تجزَّ اللحم الناعم فوق عظم الفخذ الأيسر.

مكتبة
t.me/soramnqraa

في الثانية صباحاً، تدفق الضوء في غرفة النوم القاتمة بالطابق الثاني حيث استلقى السير دونالد مستيقظاً. كان باقي أفراد الأسرة قد انتقلوا إلى غرفته لكي يكتفي حارس واحد فقط بمراقبتهم. نامت كلير نوماً متقطعاً على يسار جدها، بينما غطت كيت في نوم عميق على يمينه. كانت إليز مخدراً لدرجة لم يتضح معها إذا كانت هنا أم لا، إذ استلقت على كرسي ومتكاً في الجانب الآخر من الغرفة.

رأى دونالد ظل الحارس الأسكتلندي الذي يدعى ماكسبادن. لقد اعتقاد أنه جاء ليضريه سراً، تسأله: هل بإمكانه تحمل المزيد؟ مشى ماكسبادن إلى الفراش وتجاهل الفتاتين الصغيرتين، وهمس لفيتزروي: «سأعقد معك صفقة، أيها الرجل العجوز. هذا هاتف، أخذته من إحدى حقائب مجموعة إيفان. كلهم في مراكز القتال الآن. أنا الوحيد في الطابق».

قال فيتزروي: «أغرب عن وجهي. أحياول النوم».

ـ لديك متسع من الوقت لهذا لو متْ صباحاً».

ـ ألا تعتقد أن بإمكانني أن أشم رائحة فخ؟ لماذا قد يعطيوني وعده مثلث هاتفاً ملطخاً بالدماء؟

ـ لأن.. لأنني أريد بعض التقدير.. عندما ينتهي كل هذا.

أدأر فيتزروي رأسه الضخم وضغط به على الوسادة ليستمع جيداً إلى الرجل الذي يقف فوقه. وسألته: «أي نوع من التقدير؟».

فأجابه الأسكتلندي: «الرجل الرمادي، سمعت أنه مننفذ عملية كييف. إذا نفذها، ونفذ نصف العمليات الأخرى التي يقولون إنه نفذها، ولو كان تخلص من الفريق في براغ ويودابست والفرق في سويسرا، فيا للجحيم، لو فقط وصل هنا وكرر ما فعله، سأرمي سلاحي،

سأهرب، لن أحارب ذلك اللقيط بارد القلب. لدى بضعة أمور أعيش من أجلها، حقاً، هل تفهمني؟ أجل، إذا جاء سأهرب، ولا أريد أن يطاردني دونالد فيتزروي المجروح أو كلب حراسه المجنون، هل تفهمني؟».

أعطي الأسكتلندي الهاتف لفيتزروي فأأخذه.

سأل فيتزروي: «هل أنت صادق؟».

ـ قد تموت في الصباح سيد دونالد. أنا لا أخاطر بنفسي كثيراً، ولكن إذا نجحت، فتذكرة أن إيوان ماكسبادن هو من ساعدىك.

ـ سأفعل ذلك يا إيوان.

ـ اتصل بكلبك، وأخبره إذا نجح، فأنا الرجل ذو القميص الأخضر والسروال الأسود. سأتخل عن سلاحي. لا داعي للقلق بشأن ذلك.

ـ أيها الفتى الطيب، ماكسبادن.

ـ تراجع الأسكتلندي إلى الظلام. وظهر عمود الضوء من جديد ثم ضاق وانطفأ خلفه.

غُرز السكين أعمق في معدة جينترى. كان الألم مروعاً.

ـ ثمة ضعف في الركبة، وارتخاء في الأمعاء. هناك خطب ما لم يفهمه جينترى، لذلك نظر إلى الأسفل، ورأى أنه أمسك معصم المهاجم بخطاف المظلة. سحب جينترى إلى أسفل وبعيداً على عمود المظلة، لكن لم يقو على سحب السكين من جسده، إلا أن جهده على الأقل منع النصل من الغوص أكثر من بضع بوصات. مؤلم، مؤلم بشكل رهيب، لكنه أفضل بكثير من حفر السكين حتى المقبض أو ما هو أسوأ؛ تقطيع أمعائه كشراح السمك.

ـ أنزل كورت يده اليمنى بكل قوته على المظلة. ومد يسراه نحو المهاجم. لكمه في صدره بضعف، لقلة القوة الاحتياطية بعد مجehود

ذراعه اليمنى والألم العميق في بطنه. بادله القاتل اللكمات، وحاول أن يضربه برأسه، لكن ابتعد عنه كورت في الوقت المناسب. وصل كورت إلى حزام خصره، وأمسك بمسدس جلوك بيده اليسرى الضعيفة، لكنه سحبه على أي حال من حزامه، ضربه القاتل. رن صوت السلاح المصنوع من الفولاذ والبوليمر بالحصى، واختفى مجلجللاً في الظلام.

تعارك الاثنين بأيديهما، وتصدى المهاجم في الظلام لمحاولة اقتلاع عينه، بينما شتت جيترى انتباهه بضريبة في حلقة من شأنها أن تقتله حتماً على الرغم من أنه ما زال مطعوناً بالعمود المعدني الصلب.

تخلى المهاجم عن محاولته سحب السكين إلى عظمة الصدر أو دفعها إلى عمق؛ منعه خطاف المظلة على ذراعه من إنجاز أي من المهمتين. وبدلًا من ذلك، شق النصل لأسفل حتى استقر على عظم الورك، وظل يحفر فيه.

خنق جيترى صرخته، كان على وشك أن يفقد عقله من الألم. لكنه يعرف أن المزيد من القتلة كانوا على بعد ياردات. قد تخفي أقل فرصة للنجاة من السكين المحشور فيه والرجل الذي يتلاعب بها، إذا سمع صرخاته المزيد من الرجال العازمين على قتله.

غير كورت خطته بنفسه. دفع ساقيه إلى الأمام، ودفع صدره بالرجل الآسيوي الأصغر الذي أصبح يراه بوضوح الآن. لقد صدمه في الحائط، ما أدى إلى وخز السكين بداخله نحو بوصة أعمق.

أعقب كورت ذلك بضريبة رأس صدمت جبهتي الرجلين معًا بصوت فرقعة أعلى من أي صوت آخر في الزقاق منذ بدء القتال. ما زالت المظلة تقيد يد الآسيوي اليمنى. دفع كورت مرة أخرى بجسده، وتعثر الآسيوي إلى الوراء بطول الطريق عبر الزقاق واصطدم بالجدار الآخر. كان نصل السكين ما زال محشورةً في كورت، لذلك تحرك مع مهاجمه. الضوء أفضل هنا، وبالرغم من الألم الذي هدد بتغييب عقله،

رأى كورت أريطة حقيقة الظهر فأدرك أن الرجل يحاول الآن السيطرة على شيء ما خلفه في الحقيقة بيده الحرة.
أمسك كورت معصم الكوري بيده فقط، ودفعه مرة أخرى ليصطدم بجدار من الطوب.

سأله كورت بصوت يرتعش من الألم والإرهاق: «ماذا لديك؟ ماذا يوجد في الحقيقة؟». كان هناك ما يكفي من الضوء ليتبادل الاثنان النظر على جانب الزقاق المستتر. لم ينقطع التواصل البصري على الرغم من ارتعاش جفوني الرجلين مع بذل الجهد. اندفع أحدهما إلى الأمام بينما عاد الآخر إلى الخلف. وكرر: «ماذا يوجد في الحقيقة؟». انزع جينتري المظلة فأفقد الآسيوي توازنه بسرعة، واستغل ذلك ليصل خلف الرجل إلى الحقيقة المضغوطة على الحائط. كان على الأمريكي أن يشد بطنه لفعل

ذلك، فتحشرج صوته وهو يئن من الألم.
أدأر الآسيوي السكين. أدى الالتواء لفتح الجرح بعمق بوصتين، وشعر جينتري بالدم يجري بسلامة بين فخذيه، وإلى الأسفل حتى باطن الساقين.
آه!

كانت أقل من صرخة، لكنها رغم ذلك ترددت في الزقاق. سيطر كورت على الحقيقة الآن ووضع يده على السحّاب. ضرب كيم يده بجانب رأسه، لكن فوجي القاتل بضريبة رأس أخرى من جينتري، وسرعان ما فتح كورت الجزء العلوي من حقيقة الظهر ومد يده اليسرى إلى الداخل.

سأل عندما بدأت الدموع تنهمر على وجهه: «ما هذا؟ ما هذا؟». ليقطعها تناثر اللعاب من فمه، إذ ينشج وهو يتكلم. تطاير اللعاب في وجه مهاجمه، إذ يقول: «هذا ما تريده؟ هذا ما تبحث عنه حقاً؟».

سحب كورت من الحقيقة كعب مسدس آلي أسود صغير، وحدق إلى الخوف الجديد في عيني خصمه. حاول كيم العودة إلى الوراء، ومد يده ليمسك بكتام صوت المسدس، ثم ضغط بقوة على مقبض السكين، وحاول كورت التراجع عن النصل، لكنه لم يستطع، فغُرِّز ملليمترًا آخر في أحشائه.

أنزل كورت إصبعه على الزناد وأطلق النار من الرشاش (MP7). ترك كيم مفتاح محدد إطلاق النار في وضع شبه تلقائي، تماماً كما يفعل جينتري، صوب فوهته نحو جدار من الطوب خلف كيم، واخترق الرصاصات البناء، فتآثر الحطام حولهما. سحب جينتري الزناد بأقصى سرعة. تسبب اشتعال كل خرطوشة في الفجوة إلى ارتدادها، مما جعل جسد كورت يرتعش، وأدى ذلك إلى نهش السكين لبقة جديدة من اللحم والعظم في أمعائه.

ثلاث رصاصات، خمس رصاصات، عشر رصاصات، عشرون رصاصة. صرخ كيم في معاناة حتى ترك كاتم صوت السلاح الذي تفحمت فوهته تقريبًا من حرارة إطلاق النار. لف يده الملسوعة حول اليد التي كانت تحمل السكين، يحاول بكلتا قبضتيه وبكل قوته دفع النصل دفعةأخيرة سريعة وهائلة حتى العمود الفقري للرجل الرمادي. تدفق دم الأمريكي على أصابعه المحروقة.

أمسك جينتري الرشاش الفارغ بحركة سريعة، وضرب وجه كيم بفوته الساخنة فكسر أنفه.

سقط كلا الرجلين على الحصى، وانقطعت علاقتهما أخيراً. استلقى كيم على ظهره، ورأسه على الجدار مليء بالثقوب، وتدفق الدم من أنفه، ويده المحترقة في حضنه، وصدره يئن من الإجهاد. استلقى جينتري على جانبه في وسط الزقاق، وصدره يئن أيضًا، بينما يبرز المقبض الأسود للسكين السوداء بشكل فاضح من أسفل بطنه.

حاول كورت سحب السكين، وصرخ في أثناء ذلك. نهض الآسيوي على ركبتيه بعدما أنهكه الارتجاج وصدمه، وزحف محموماً عبر الحجارة الباردة ليهجم عليه. قفز في الهواء على ارتفاع خمس أقدام في محاولة يائسة لوضع يده على السكين قبل أن يخرجها الرجل الرمادي من بطنه.

قبل لحظة من هبوطه على هدفه، ظهر الطول الكامل لنصل السكين السوداء في الضوء الخافت، زلق ومبلاً بالدم. شق به كورت حلق الآسيوي ذي العينين الواسعتين، فتدفق الدم من أحد شرايينه. انسحق سونج بارك كيم في الزقاق ومات في ثوانٍ، واستقر جذعه السفلي فوق جسد الرجل الرمادي.

ألقى جينترى السكين على الحصى، ودفع عنه ساقي الرجل الميت اللتين لا تزالان تتشنجان. تدحرجت الجثة بشكل مهين على ظهرها حتى توقفت حركتها. حل كورت ربطه عنقه بيد واحدة ولفها على هيئة كرة. أخذ نفساً عميقاً ليثبت نفسه، ثم ضغط الكرة إلى أسفل في الثقب الموجود في بطنه. نزل الدم على قميصه الأبيض على الرصيف. صرخ: «يا إلهي!». بينما احتفى وجهه الملتوي ألماً خلف الدموع والبصق والمخاط. شعر بالغثيان من شدة الألم، لكنه أخمدء بالتركيز على عمله.

في العادة كان حريصاً على عدم ترك أثر لحمضه النووي، لكنه الآن لم ينشغل بالأمر.

سيحتاج هذا إلى مغطس من مادة التبييض، وطاقم تنظيف مكون من خمسة أفراد، ويوم كامل لتطهير هذا المشهد، ولم يكن لدى كورت أي شيء من هذا.

قلل ضغط رابطة العنق المحسنة من شعوره بالألم عندما ثنى عضلاته، لولاها ما استطاع الوقوف. لكنه نهض وتعثر، واستقر على حائط الرقاد، وراح يمشي. سمع خلفه أصواتاً. انتبه المارة لضجيج

المشاجرة. سيحضر كلٌ من الشرطة والقتلة هنا في ثوانٍ؛ لذا تعثر عند الزاوية متوجهًا إلى ممر التسوق.

كانت المتاجر مغلقة طوال الليل، ولم يكن هناك متسوقون أمام الواجهات. ترنح بجسده المتهالك ووجهه الشاحب بعيداً عن عربدة الدم خلفه. انتقل شمالاً في الليل البارد، ودمه يسيل من ساقه ويقطر على حجارة الرصف عند قدميه.

بعد ثلاثين ثانية، شق أحد البوتسوانيين طريقه وسط الحشد المذعور ووجد جثة الكوري في الزقاق المظلم، بدا كأنه عرض رعب دام، في شعاع الضوء المنبعث من كشاف إضاءة القاتل الإفريقي، الذي اتصل بالفني:

أخبره: «يوجد رجل ميت هنا. إنه آسيوي. لقد نحر تقريرًا». وقف لويد وريجيل وراء الفني بينما يستمعان لحديث القاتل البوتسواني بإنجليزية ذات ل肯ة مميزة عبر مكبرات الصوت. دخل السيد فيليكس الغرفة ووقف في الظل يراقب باهتمام.

أدار الفني مفتاحاً في صنوف الإلكترونيات الخاص به أمامه وقال: «بانشي 1 هل تسمعني؟ بانشي 1، هل تسمعني؟».

اختلطت الأصوات في السماuga، فبدا الأمل على لويد وريجيل. قال صوت إفريقي ساخر: «لا يمكنه الوصول إلى الهاتف الآن، لا تكلف نفسك عناء ترك رسالة». من الواضح أن البوتسواني قد سحب الراديو من الكوري الميت وتحدث من خلاله.

قال ريجيل: «كان الكوري أفضل رجل لدينا في هذه المهمة. ستغضب منظمته لفقدانه في هذه العملية».

انفجر لويد قائلًا: «تبًا لهم! كان عليهم أن يرسلوا إلينا شخصاً يمكنه إكمال المهمة. عندما قدموا لنا رجلاً واحداً، عرفت أنهم لم يشاركون في المهمة يا خلاص».

ـ أنت أحمق يا لويد. هل لديك أي فكرة عما فعله ذلك القاتل في حياته المهنية؟ـ بالتأكيد. لقد ترك بقعة دهنية في أحد أزقة باريس. الباقي لا يهمني.

عندها فقط عاد القاتل البوتسواني عبر مكبرات الصوت. وقال:

ـ هناك مسار دم يقود إلى الشمال. سنتبعه. سنعثر عليه».

قال ريجيل: «كما ترى لقد أدى بانشي 1 مهمته».

بعد ثلاثة دقائق، جاء أحد المراقبين عبر الشبكة. قال: «أربعة وخمسون للفني».

ـ تحدث يا أربعة وخمسون.

ـ أنا في الطابق الرابع بالقرب من ميدان سان ميشيل، أعتقد أنني رصدت الهدف على الكاميرا. يمكنني إرسالها إليك للتحقق.

استغرق الأمر عشر ثوان لإجراء الاتصال. عندما دبت الحياة في شاشة البلازما في غرفة التحكم، سطعت أضواء باريس مما أدى إلى ظهور صورة ظليلة لكاتدرائية نوتردام. كان نهر السين شريطاً لاماً يشطر المدينة. لا يبدو أن الكاميرا التقطت وجهًا محدداً.

صاح ريجيل بحس الصياد: «أين هو؟». وقد أصابته المطاردة بالتوخش الآن، باحثاً بشكل محموم عن طريده. وأكمل: «أربعة وخمسون، قرب الصورة على الهدف!».

قال: «حسناً، سيد⁽¹⁾». كبرت الصورة عند الكوبري التاسع الذي يعبر النهر إلى الكاتدرائية. شخص وحيد يرتدي بدلة دكناه يتعرّج ويتوقف وينحنى في منتصف الجسر. من الواضح أن الرجل أصيب، وهو يفر، يحاول العبور من الضفة اليسرى إلى إيل دو سيتي، الجزيرة الصغيرة في وسط نهر السين التي تستقر عليها كاتدرائية نوتردام.

صاح لويد بحماسة: «انظر إليه لقد فقد قوته! من قريب منه؟».

(1) بالفرنسية في الأصل.

أجاب الفني قبل أن ينتهي لويد من طرح السؤال: «الكا札خيون على بعد ثلاثين ثانية. ستراهم الآن يقتربون من الجسر من الجنوب. البوتسوانيون قريبون من ورائهم، والبوليفيون شمال نهر السين. لا يزال السريلانكيون على بعد عشر دقائق غرباً».

اتسعت صورة الفيديو بما يكفي لرؤيه المبني على جانبي «كواي دي سان أو جوستين»، طريق الضفة اليسرى الذي يطل على نهر السين. انطلق عدة رجال بطول الطريق، وانعطفوا يميناً نحو الجسر.

انزلق أحدهم على الأحجار المبللة وسقط، لكن الآخرين ثبتو أقدامهم وتسابقوا نحو الجسر التاسع.

أعلن ريجيل متصرّاً: «انتهى الأمر! قل لهم أن يقضوا عليه، وأن يضعوا الجثة في السيارة ويرجعوا إلى مهبط طائرات الهليكووتر. ستنقلها إلى هنا حتى يراها السيد فيليكس عن قرب».

قال فيليكس وهو يقف مثل تمثال خلف الرجال المتحركين أمام أجهزة المراقبة: «سيكون ذلك كافياً يا سيد ريجيل، شكرًا لك».

ثبتت كاميرا المراقب مرة أخرى على جينترى. لقد استدار وأصبح يواجه الكا札خيين الذين اجتازوا الأربعين ياردة الآن. وقف الأميركي المصاب منتصباً، رغم أن ذلك آلمه. نظر إلى الخلف بطرف عينيه إلى الناحية الأخرى من الجسر.

قال لويد: «لن تنجح يا كورت. لا يمكنك الهرب بعد الآن. لقد انتهى أمرك تماماً». كان هناك بهجة في صوته.

لكن ريجيل تتم: «تبأ!».

سأل لويد: «ماذا دهاك؟». كرر ريجيل بالألمانية: «تبأ!⁽¹⁾!». كرر لويد سؤاله: «ما مشكلتك؟ لقد أمسكنا به!».

(1) بالألمانية في الأصل.

بعد ذلك مباشرةً، صعد الرجل الرمادي إلى السياج الأسمتي. نظر إلى الخلف إلى الرجال الذين اقتربوا منه، على بعد خمس وعشرين ياردة.

قال لويد، متفهماً قلقاً: «لا! لا! لا! لا!».

جذب كيرت ريجيل الميكروفون من طاولة الفني، وضغط الزر إلى أسفل، وصرخ: «أطلق عليه النار فوراً⁽¹⁾!». وجد نفسه يتحدث الألمانية في حماسه. صرخ: «أطلق عليه الآن!».

ولكن بعد فوات الأولان. انقلب كورت جينترى بنفسه فوق السور، وسقط على مسافة ثلاثين قدماً في المياه المتلألئة، فانفجرت صفحتها البلورية عندما اصطدم جسده بها، واختفت هيئته الدكاء مع إعادة تشكيل التيار إلى مرآة تتدفق بسرعة.

استدار لويد مبتعداً عن الشاشة. وضع يديه على رأسه في حالة صدمة. ثم التفت إلى فيليكس الذي بقي صامتاً وراءه.

ـ هل رأيت ذلك! هل رأيته! إنه ميت!

ـ الوقوع في الماء لا يقتل رجلاً يا صديقي. أنا آسف. أحتاج إلى تأكيد لرئيسى.

عاد لويد إلى الفني وصرخ بما يكفي ليسمع صوته في جميع أنحاء القصر: «يا إلهي! قل لهم أن يلقو أنفسهم في الماء! نحن بحاجة إلى جثته!».

وأظهرت الصورة على شاشة البلازما أن الكازاخين يقتربون من الجسر التاسع الذي أخراه الهدف قبل خمس ثوانٍ فقط. نظروا جميعاً إلى الجانب. كان خمسة من الرجال على الجسر. قفز اثنان من فوق سور وسقطاً في الماء الأسود البارد، بينما ركض ثلاثة عائدين إلى الضفة اليسرى.

(1) بالألمانية في الأصل:

صاحب ريجيل بتعليمه إلى الفني: «لقد أصيّب بجروح بالغة، وهذا السقوط لن يساعدني. قل للبوتسوانى أن يذهب هناك، انقل البوليفيين والسيريانكيين أيضًا. ضع شخصًا ما في قارب في حالة لم تظهر جثته على الفور. كلف الجميع بالبحث في كلتا الضفتين. انقل كل المراقبين في اتجاه مجرى النهر للبحث عن المكان الذي قد يظهر فيه. نحن بحاجة إلى جثته، نحتاج إليها الآن!».

في الثانية والنصف بدأ هطول مطر خفيف. كان الظلام في حديقة تينو روسي حالكا، على بعد خمسمائة ياردة من الشرق إلى الجنوب الشرقي من كاتدرائية نوتردام، على الضفة اليسرى من نهر السين. وبعد خمسين قدمًا من الرصيف المرصوف بالحصى، يمتد جسر عشبي بجوار جدار حجري منخفض. هناك، بين الشجرة والحائط، استلقى شخص على ظهره، وركبته مرفوعتان قليلاً وذراعاه معوجان. سيتضح لأي شخص يمشي نحو الجسد المشبع بالمياه أنه جاء من النهر. ربما سمحت هزةأخيرة من القوة لذراعيه الواهتين بالزحف بعيداً عن حافة النهر إلى العشب الناعم الرطب؛ ربما وجدت قدماه موطنًا للحظة، ولكن لا بد أن الذراعين والساقين قد تعطلت بالكامل، وانهار الجسد على الأرض الباردة.

لم يُبَدِّلِ الجسد أي حركة، ولم يكن هناك صوت أيضًا، حتى بدأ ضجيج إلكتروني يزقزق، مكتومًا بملابس مبللة. لم يستطع تحريك جسده مرة واحدة. أخيرًا شد كتفيه، رفع رأسه قليلاً ليتعرف إلى محيطه الجديد. بعد أن تدرج مرة أخرى مد ذراعه ببطء إلى جيب المعطف، وجذب علبة بلاستيكية، وتحسسها بيد واحدة. فتح الهاتف، وسقط هاتف القمر الصناعي على العشب وظل موجهاً إلى السماء.

بعد أن قفز من فوق الجسر، اصطدم جينترى بالماء بقوة. سلب البرد ما تبقى من هواء في رئتيه بعد الاصطدام. لقد غرق بعمق، وعندما بلغ السطح، كان تيار النهر قد سحبه بعيداً، تحت الجسر التاسع باتجاه

الغرب. امتص الهواء والماء، بينما كان يتمايل لقراة الدقيقة، حتى رأى عبارة منزلية صغيرة تتجه نحوه.

بالرغم من ضعف كورت لدرجة أنه كان على وشك أن يفقد وعيه، فقد ربط ذراعاً حول الدرجة السفلية من السلم الذي تدلّى من جانب الزورق الأسود في أثناء مروره ببطء. أمسك بإحدى يديه، وأبقى رأسه منخفضاً في زيد الماء الذي خلفته حركة القارب، وسحبه مرة أخرى تحت الجسر الذي سقط منه لتوه.

سمع صراخ رجال في الماء من حوله وهم يغوصون في الأسفل بحثاً عن جثة أو يوجهون مصابيحهم الكهربائية حول امتداد الجسر.

بعد عشر دقائق، لم يعد كورت مهدداً بالكشف الفوري. حاول تسلق السلم للصعود على متن القارب بأخر ما لديه من قوة، لكنه سقط. لم تساعديه ساقاه الضعيفتان، ولا الألم في أمعائه، ولا حذاؤه المبلل، والبرد المخدر، وعاد إلى التيار المتجمد. مد يده إلى الزورق، فلم يمسك شيئاً سوى ماء النهر، بينما كانت السفينة السوداء تبتعد إلى أعلى النهر.

لحسن حظ جينترى، لم يكن بعيداً عن حافة المياه. وصل إلى الضفة اليسرى، وصارع على الرصيف، وصعد على قدميه. لكنه سقط مرة أخرى على العشب الرطب بجوار شجرة في حديقة تينو روسي. وهنا رقد لمدة عشرين دقيقة، عيناه مفتوحتان لكنهما زائفتان، إذ تساقط قطرات المطر الناعمة لتصطدم وتتفجر في حدقتي عينيه.

رن الهاتف مرة أخرى، فرفعه عن العشب، وعيناه لا تزالان ترافقان سحب المطر المنخفضة بشدة التي أضاءتها أنوار المدينة من حوله. كان صوته ضعيفاً وبعيداً.

ـ أجل؟

ـ مساء الخير، هذه كلير فيتزروي. هل يمكنني التحدث مع السيد جيم من فضلك؟

تراجع جينتري بعيداً عن المطر. ويدلاً من ذلك امتلأت عيناه بالدموع. كان يتحكم في صوته بأقصى ما يمكنه، و فعل ما في وسعه، لإخفاء الألم والإرهاق واليأس والشعور المطلق بالفشل. وقال: «لقد فات موعد نومك».

- نعم سيدتي. لكن الجد دونالد قال إنه يمكنني الاتصال بك.
- هل تذكرني؟

- أوه، نعم سيدتي. أتذكر كيف قدت بنا إلى المدرسة، نمت على سرير الأطفال الصغير في الردهة، لكن أمي قالت إنك لم تنم حقاً، لقد انتظرتنا طوال الليل. شربت القهوة، وأعجبك البيض الذي تصنعه ماما.

- هذا صحيح، كثير من الجبن.

كان كورت قد تعرض للطعن في عظمة الحوض، فشققت جدار بطنـه. لم يكن يعتقد أن السكين غرزت عميقاً بما يكفي لقطع أمعائه، لكن الألم الذي يحترق في مركز كيانـه لا يوصف. افترض أنه لا يزال يتزلفـ، لكنـه لم يفعل شيئاً لإيقاف التزيفـ منذ أن سقطـ في النهر قبل ساعة تقريباً.

مررتـ صفارـاتـ إنـذارـ سيـاراتـ الطوارـئـ على يـمينـ جـينـتـريـ، لكنـه استـرـ عنـ أنـظـارـهـ بـالـجـادـ الحـجـرـيـ وـالـظـلامـ.

قالـتـ كلـيرـ: «ـسـيدـ جـيمـ، قالـ الجـدـ دونـالـدـ إنـكـ قـادـمـ لـإنـقاـذـنـاـ»ـ.

انـهـمـرـتـ الدـمـوعـ عـلـىـ وجـهـ الـأـمـرـيـكـيـ. لمـ يـكـنـ مـيـتاـ، لكنـ هـذـاـ جـعـلهـ يـشـعـرـ أـقـرـبـ مـاـ يـكـونـ إـلـىـ الـمـوـتـ. كانـ يـعـلـمـ أـنـهـ لاـ يـسـتـطـعـ الـوصـولـ إـلـىـ بـاـيـوـ، وـحتـىـ لـوـ اـسـتـطـاعـ بـطـرـيـقـةـ مـاـ، مـاـ الـذـيـ يـمـكـنـهـ فـعـلـهـ إـلـاـ أـنـ يـتـزـفـ حـتـىـ الـمـوـتـ عـلـىـ عـتـبةـ الـقلـعةـ؟ـ

- أـيـنـ جـدـكـ؟ـ

ـ إنه في غرفة النوم. لا يستطيع المشي الآن. قال إنه سقط على الدرج، لكن هذا ليس صحيحاً. الرجال هنا يؤذونه. أعطاني الهاتف وقال لي أن أذهب إلى الحمام وأتصل بك.

توقفت. ثم قالت: «لهذا السبب علىي أن أحمس. أنت قادم، صحيح؟ من فضلك قل لي إنك قادم. إذا لم تأت، أنت فرصتنا الوحيدة، منذ أن ذهب أبي إلى لندن. سيد جيم. هل أنت هنا؟».

أمر متوقع من فيتزروي. لو كان السير دونالد هو من أجرى هذه المكالمة بنفسه، لأخبره كورت بأن كل شيء قد ضاع. لكن الوعد القذر كان يعلم أن جينترى سيكون في حالة يرثى لها الآن، فمن سيغريه لمواصلة القتال أكثر من التوأميين؟

قال جينترى: «سأفعل ما بوسعى».

سألته كلير: «هل تدعنى؟».

استلقى كورت هناك في الظلام، وبذلتة المتجمدة المبللة غير مستوية على جسده، وقد التصق الطين البارد بنهاية رقبته وحلقه. قال بيطره ويصوت واهن: «سأكون هناك في أقرب ما يكون».

كررت كلير: «هل تدعنى؟».

نظر كورت إلى الجرح في بطنه وضغط عليه بشدة ثم قال: «أعدك». وبدا أنه يستجتمع القليل من القوة في صوته. وأتبع: «وعندما أصل إلى هناك، أريدك أن تدعيني بأن تفعلي شيئاً من أجلي».

ـ نعم، يا سيد؟

ـ عندما تسمعين الكثير من الضوضاء، أريدك أن تذهب إلى غرفتك، وتزحفي تحت فراشك وتبقى هناك. هل يمكنك أن تفعلي ذلك من أجلي؟

ـ ضوضاء؟ أي نوع من الضوضاء؟ هل تقصد مسدسات؟ـ أعني المسدسات.

ـ حسناً.

-ابقي هناك حتى آتي لأخذك. فلتفعل أختك الشيء ذاته، حسناً؟
-شكراً لك يا جيم. كنت واثقة أنك ستأتي.
قال: «كلير».

ثمة ذرة جديدة من القوة في صوت جينتري الآن.
-أريدك أن تعطي الهاتف لجدع خلسة. يجب أن أطرح عليه سؤالاً
شديد الأهمية.
-حسناً يا جيم.
-كلير، شكرًا لاتصالك. كان من الجيد أن أسمع صوتك.

بعد ست عشرة دقيقة، ترتعج جينتري بطول شارع دي كاردينال
ليموان. تساقط المطر، ولحسن حظ الرجل الرمادي لم يكن هناك
أحد في الجوار. سار وكلتا يديه على الجانب الأيسر من بطنه، وتبعدت
ساقه اليسرى بينما يركلها إلى الأمام. توقف كل خمس وعشرين ياردة
أو نحو ذلك، متكتئاً على حائط أو سيارة أو عمود إنارة، انحنى إلى
الأمام من الألم. بعد عدة ثوان استعاد عافيته لكي يبتعد ويختبئ
مسافة بعض خطوات أخرى، قبل أن يلتمس من جديد ملجاً من
الإجهاد الناتج عن نزيفه.

عثر على العنوان الذي أعطاه إيهاف فيتزروي. كان الباب مغلقاً بالقفل
كما توقع. وجد بالأسفل فجوة مظلمة بعد عدة مداخل فاندوس فيها،
ثم جلس على قطعة من الورق المقوى كالمشرد، واتكاً برأسه ليستريح
على المنحدر.

دلت صافرات الإنذار الرتيبة التابعة للشرطة من بعيد، ربما صارت
على بعد ميل واحد. من المؤكد أن رجال الشرطة والقتلة والمرأقيين
بطول نهر السين يبحثون عنه، وعلى الرغم من ذلك، من مصلحته أنهم
كتفوا بحثهم في الأسفل وليس المنبع، ومن مصلحته أيضاً أن يعوق
بعضهم بعضًا.

كان على وشك النعاس بينما يضغط بقبضته على بطنه الملطخ بالدماء، عندما سمع ضجيجاً من العنوان الذي أعطاه إيه فيتزروي. أطل من الكوة ورأى الباب المغلق يفتح ببطء.

توقع أن يأتي شخص ما بالسيارة، لكن يبدو أن أياً من كان يعمل في الموقع يعيش في شقة بالأعلى في المبنى نفسه. ظهرت امرأة على الرصيف، بصعوبة يمكن رؤيتها في ضوء مصباح الشارع الذي يبعد عشرين متراً. نهض كورت واقفاً على قدميه وترنح إلى الأمام. همست منفعة: «هيا! ⁽¹⁾ أسرع».

تجاوزها وهو لا يزال مذهولاً، ووجد نفسه في ردهة طويلة.

ثبت جسده الواهن الذي تأرجح بين جدران الممر، ورأى على الفور أنه كان يلطم الجدران بيديه وهو يمشي. ثبته المرأة بسرعة ولفت ذراعه حول رقبتها. كانت طويلة ونحيفة لكنها قوية. بعد كل خطوة شعر أنه يستسلم لها أكثر فأكثر.

دلفا مدخلاً إلى غرفة مظلمة قبل أن تتمكن من إشعال الضوء، مثقلة بالرجل البالغ وزنه 170 رطلاً. دُهل كورت حين نبح كلب قريب. ثم آخر، ثم عشرة كلاب أو أكثر تتبع في وقت واحد، كلها حوله.

عندما أثير الضوء فوق رأسه أدرك على الفور أن عيادة الطوارئ التي أرسله دونالد إليها كانت في الواقع مكتب طبيب بيطري. انزلقت ركبتيه وهبط وزنه على الفتاة بجانبه. دفعته إلى الأمام ثم إلى أسفل على كرسي صغير.

سألته بينما تنظر إليه من أعلى: «هل تتحدث الفرنسية؟»⁽²⁾. نظر إلى أعلى فرأى دون سبب أنها كانت جميلة إلى حد ما.

(1) بالفرنسية.

(2) بالفرنسية.

- هل تتحدثين الإنجليزية؟⁽¹⁾

- نعم قليلاً. أنت إنجليزي؟

كذب قائلاً: «نعم». لكنه لم يكن ينوي محاولة تزيف الل肯ة.

- سيدى. حاولت إخبار السيد فيتزروى أن الدكتور قد سافر، لكننى اتصلت به، إنه الآن فى طريقه إلى هنا. سيصل في غضون ساعات قليلة. معذرة لم أكن أعرف مدى الضرر الذى أصابك. لا أستطيع مساعدتك. سأتصل بسيارة إسعاف. أنت بحاجة إلى مستشفى.⁽²⁾

- لا. أنت في شبكة فيتزروى. لديك على الأقل دواء ودم وضمادات.

- لا يوجد هنا، أنا آسفة. يمكن للدكتور ليبين أن يدخل أي عيادة قريبة، لكننى لا أستطيع ذلك. أنا أعمل هنا فقط مع الحيوانات. أنت بحاجة إلى مستشفى. أنت بحاجة إلى مساعدة طارئة. يا إلهي! أنت بارد. سأجد لك بطانية.

الفتت بعيداً عنه وغادرت الغرفة، عادت ببطانية من الصوف السميك تفوح منها رائحة براز القطط. ولفتها على كتفيه.

سألها كورت بأضعف طبقات صوته الآن: «ما اسمك؟».- جوستين.

- انظري جوستين. أنت طبيبة بيطرية. هذا قريب بما فيه الكفاية. أنا فقط بحاجة إلى بعض الدم و...»

- أنا مساعدة بيطري.

- حسناً، هذا أيضاً قريب بما يكفى. يمكننا إتمام الأمر. ساعدبني من فضلك.

- أنا أحَمِّم! أنا أحمل الكلاب من أجل الطبيب، لا أستطيع مساعدتك. الطبيب في طريقه، لكن لا يمكنك انتظاره. أنت شاحب تماماً.. أنت بحاجة إلى الدم، وإلى السوائل.

(1) بالفرنسية.

(2) تحدث بإنجليزية ركيكة.

-ليس لدى وقت للانتظار. انظري، أنا أعرف طب المعارك. يمكنني أن أصف لك ما أحتاج إليه. سأحتاج إلى بعض الدم، فقط بعض وحدات من فصيلة O موجبة، وبعض مضادات حيوية، ويديك. عندما يكون الضعف والألم أكثر من اللازم، لن أكون قادرًا على فعل ما يجب فعله.

-طب المعارك؟ هذه ليست ساحة معركة. هذه باريس!
قال كورت ساخراً: «قولي هذا للرجل الذي فعل ذلك». فتح البطانية وسحب يده من جرح سكينه. كان ضغط دمه قليلاً بما يكفي الآن ليتوقف تدفقه من خصره، لكنه كان ينزف ويتلألأ دمه في الضوء العالى لغرفة العلاج.

شهقت جوستين وقالت: «يبدو هذا سيئاً».

-يمكن أن يكون أسوأ. لقد اخترق العضلات بحق الله، لكنني سأكون بخير إذا تمكنت من الحصول على بعض دماء من فصيلة O موجبة. إذا كان بوسعك مساعدتي، فسانطلق في طريقي. سيدفع لك فيتزروي أنت وطبيبك مقابل هذا الإزعاج.

-سيدي، ألا تسمعني؟ أنا أعمل مع الكلاب!

أغمض عينيه، وبدا وكأنه يفقد وعيه قليلاً، لكنه قال: «فقط تخيليني مكسواً بالفراء».

-كيف يمكنك المزاح؟ أنت تنزف حتى الموت.

-لأننا نتجادل وحسب. أين هذه العيادة؟ يمكننا أن نذهب هناك وأحصل على ما أحتاجه. لا أستطيع الذهاب إلى المستشفى. لا توجد طريقة أخرى.

أطلقت تنهيدة طويلة، أومأت برأسها، وربطت شعرها البني على هيئة ذيل حصان خلف رأسها.

وقالت: «دعني أضع ضمادة على هذا حتى لا تفقد المزيد من الدم».

وهذا نباح الكلاب.

كان المركز الجراحي الصغير في عيادة الطبيب البيطري قذراً. لم ينْظُف جيداً بعد انتهاء العمل يوم الجمعة.
«أنا آسفة يا سيدى. إذا علمت أنك قادم...».

قال: «لا بأس». جرّ كورت نفسه صوب الحامل المعدنى في منتصف الغرفة، لكن جوستين أوقفته، وأمسكت بزجاجة رذاذ، ورطبت بشكل روتيني، ثم مسحت سطح الألومنيوم المصقول بينما اتكأ مريضها على رف من الضمادات. ركضت عبر الباب وعادت ومعها وسادة من الأريكة في غرفة الانتظار.

- يجب أن تدع ساقيك تتدليان من الجانب. إنه ليس مخصصاً للأشخاص.
- حسناً.

لقد استخدم آخر ما تبقى لديه من عزم لفتح قميصه. طارت الأزرار وارتدت فوق بلاط أرضية الغرفة . سحب جوستين حذاءه المنقوع بمياه المطر، واستخدمت مقصاً لتقطع سرواله فبقي بلباسه الداخلي. قالت: «أنا لا خبرة لي مع البشر». قال جينترى: «أنت تؤدين عملاً رائعًا».

لقد قاومت خجلها ونظرت إلى جينترى من الرأس إلى أخمص قدميه.
- ماذا حدث لك؟
- لقد أصبت في ساقى قبل يومين.
- بمسدس؟

نظرت إلى الجرح المفتوح في فخذه، الذي مرّ عليه ثلاثة أيام، ثم عادت إلى وركه النازفة. ارتدت على الفور قفازات مطاطية في يديها الصغيرتين وهي تقول: «يا إلهي!»⁽¹⁾.

قال جينترى: «وبعد ذلك جرح الزجاج المكسور ساقى وقدمي». –أرى ذلك.

–ثم كسرت ضلعاً في أثناء تدرجى هبوطاً من جبل في سويسرا. –جبل؟

–نعم. ثم خلعت بعض الأصفاد من معصمي. كانت جوستين صامتة. وقد فغرت فاها بعض الشيء. –ومعدتك؟

–جرح سكين. –أين؟

– هنا في باريس. منذ نحو ساعة، على ما أعتقد. ثم سقطت في نهر السين.

هزت رأسها. وقالت: «سيدي، أنا لا أعرف ماذا تفعل، ولا أريد أن أعرف. ولكن مهما يكن الأمر، أعتقد أنه يجب عليك العثور على وظيفة جديدة».

ضحك كورت قليلاً، فاشتعل ألم جرح الطعنة. وقال: «مهاراتي لا تنفع في الأعمال الصالحة».

–آسفة. أنا لا أفهم هذه الكلمات.

– لا تهتمي يا جوستين، يمكننا إيقاف جرح السكين بهذه الضمادة، بطريقة أو بأخرى، ولكن إذا لم أدخل بعض الدم إلى عروقى فسأفقد الوعي.

(1) بالفرنسية في الأصل.

- العيادة قريبة لكنها مغلقة.

قال كورت: «سنفتحها. دعينا نذهب، يجب أن أطلق في أقل من ساعة».

لفت جوستين ضمادة ضاغطة بإحكام حول خصر كورت لثبيت مربع الشاش السميك الذي وضعته فوق جرح السكين. وقالت: «تنطلق؟ لست بحاجة إلى التحرك على الإطلاق! لأيام. ألا تفهم مدى خطورة إصابتك؟».

قال جينترى: «أنت لا تفهمين. لدى مكان يجب أن أكون فيه! أنا فقط بحاجة إلى الراحة حتى أتمكن من المغادرة!».

ضغطت على أسنانها واتسعت عيناهما وهي تقول: «سيدي، أنا لست طبيعية، لكن يمكنني أن أعدك بأنه لا يوجد مكان تحتاج إليه الآن بخلاف الرعاية الطبية. قد تموت في غضون ساعة».

قال لها: «سأكون بخير، يجب أن أكون بخير».

انحنى جوستين وفتحت خزانة قريبة، وبدأت في سحب المعدات منها. وقالت: «هذا مستحيل! إذا نقلنا الدم إليك، فسيتسرب من معدتك إذا تحركت. أنت بحاجة إلى خياطة جرحك. وإذا تحركت فستقطع غرز الخياطة».

فكك كورت في الأمر أكثر. نظر إلى ساعة يده ليجد أنها الساعة الثالثة صباحاً. قال: «أنا.. يجب أن أصل إلى بابو في نورماندي».

- الليلة؟ هل أنت معجنون؟

- إنها حياة أو موت، جوستين.

- نعم، موتك يا سيدي.

سحب كورت ظرف موريس النقي من جيئه. كان مبللاً، لكنها معجزة أنه نجا من النهر، وكذلك مفاتيح سيارته. سلم الظرف الممتلىء إلى جوستين. سألها بينما هي تحدق إليه: «كم ستكلفني؟». ثم عادت نظراتها إلى عينيه وقالت: «الكثير».

- كله لك. فقط ساعديني في الوصول إلى باب قبل الثامنة صباحاً.
- إذا كنت لا تستطيع قيادة السيارة، فماذا تتوقع أن تفعل عندما تصل إلى هناك؟

- يمكنني قيادة السيارة، لكنني أريدك أن تخيطي جرحني وتضمديه في أثناء القيادة. يمكننا إجراء عملية نقل الدم في الطريق.
نهضت بيضاء وقالت كل كلمة على حدة: «الخياطة؟ في... الـ... سيارة؟؟؟».

أوماكورت.

- بينما تقود الـ... سيارة؟

- أجل.

تمتت بشيء باللغة الفرنسية لم يفهمه كورت. لكنه التقط الكلمة أقرب لـ «كلاب»، وظن أنها كانت تقول إنه بسبب لحظات كهذه، فضلت أن يكون مريضاً من النوع ذي الأرجل الأربع.

ربطت الضمادات حول خصره وساعدته على إعادة قميصه المبلل فوق كفيه. لم ترفع نظرها عن عملها في أثناء حديثها.

- ما الذي يحدث في باب في وقت مبكر من صباح أحد أيام الأحد ولا يمكنك أن تفوته مطلقاً؟ - هل ستصدقيني إذا أخبرتك أنني أغنى في جوقة الكنيسة؟ هزت رأسها دون أن تبتسم وقالت: «لا». قال جينترى: «حسناً. سأخبرك إذن».

أخبرها ما حدث، وما يجب عليه فعله بحلول الساعة الثامنة صباحاً لكن بحبكة فجوتها تسمع بمرور طائرات جامبو. حكى لها عن الفتاتين المخطوفتين والأب الذي مات وهو يحاول حمايتهم. أخبرها عن فرق العملاء الأجانب التي تطارده، ولأن فقدان الدم والإرهاق عبأ بصوافيه أخبرها مرة أخرى عن المكالمة الهاتفية من كلير ومرة أخرى عن الطفلتين الصغيرتين اللتين كان عليه حمايتهم.

ارتعدت عندما تحدث عن القتلة والقتل، خطر الموت الذي يحدق بفتاتين صغيرتين من أجل سمعة بعض الشركات البلطجية. نعم، تعمل جوستين لدى طبيب بيطري بمواعيد سرية أحياناً وبعض المرضى المشبوهين للغاية. أخبرها الطبيب عن فيتروي والشبكة لثلا تطرح المزيد من الأسئلة. لكنها لم تخيل قط ولو بعد مليون عام أن ثمة متواشين وقساة مثل أولئك الذين يحكى عنهم هذا الغريب.

سأل كورت: «إذن.. ما رأيك؟». –لماذا تشق بي؟– اليأس. لقد كنت ميتاً على ضفة النهر قبل 45 دقيقة. منذ تلك اللحظة، أصبحت أملِي الوحيد. إن غدرت بي، فلن يكون حالِي أسوأ مما كان في أثناء استلقائي هناك.

–ماذا عن الشرطة؟– يقول لويد إنه سيقتل الرهائن إذا ذهب أي شخص سواي إلى المنزل. أنا أعرف أمثاله، سيفعلون بالضبط ما يهددون به. عليَّ أن أذهب وحدي بمساعدتك. سأتركك في بايو. وجهتني على بعد بضعة كيلو مترات شمال القرية. يمكنك أن تستقلِي أول قطار يعود إلى باريس في الصباح. ستكونين على بعد أميال من أي خطر، أعدك.

سألته: «ماذا أسميك؟».

–جيـمـ.

–حسـناـ جـيـمـ. سـنـذـهـبـ بـشـرـطـ وـاحـدـ.

–ما هـوـ؟

–دعني أعطيك القليل من مسكن الآلام، فقط من أجل العملية، سنجد شيئاً في العيادة يمكننا تقديمها لك، وما إن يرتفع ضغط الدم بعد نقله إليك سأأخذ سيارتي. سأقود إلى جارسان لازار لتحصل على سيارتك، ثم يمكننا الذهاب. لن تكون هناك حركة مرور على الطريق ما إن نغادر المدينة. سأعالج إصابتك في أثناء القيادة.

فكرة كورت في ذلك. كانت كل ذرة من كيانه تعارض تناول أي دواء من شأنه أن يغيب عقله ويضعف حواسه، ويتركه في حالة أقل من التركيز الكامل على المهمة التي يسعى إلى إنجازها. شعر أنه يستطيع تحمل الألم.

لا، لم تعجبه خطة جوستين، لكنه يثق بها لسبب ما. وبينما كان ينظر إلى الفتاة اللطيفة الشقراء التي تقف أمامه، ولا تزال جميلة، وشعرها مربوطة كذيل حصان مبغر من نومها، ودون مساحيق تجميل في وجهها، وقد تكون العرق على شفتيها من مشقة إبقاء شخص غريب مخيف على قيد الحياة، اعترف بأنه ليس في وضع يسمح له بالمجادلة على الإطلاق.

ساعدت جوستين كورت على الوقوف على قدميه، واندفع الاثنان معًا ببطء خارج غرفة العلاج وأسفل القاعة باتجاه الجزء الخلفي من العيادة. جفل جينترى مع كل خطوة، ما إن تمايل رأسه للأسفل كما لو كان سيعشى عليه.

أنسندته جوستين إلى الحائط في الفناء بينما كانت تتحسس مفاتيحها. سأل جينترى: «ماذا هذا بحق الجحيم؟».

—إنها سيارتي.

—هذه سيارة؟

—ما الخطأ في هذا؟

—إنها صغيرة.

—عندما اشتريتها، لم أكن أعرف أنني سأنقل المرضى في مقعد الراكب.

—هذا معقول. لا بأس. من المؤكد بحق الجحيم أنها لن تلتفت الكثير من الانتباه.

ابتسم كلاهما قليلاً، لكن الابتسamas اختفت وهي تحاول المساعدة في إنزاله إلى المقعد. صرخ كورت من الألم، صرخة بلغت ذروتها باللهاش الشديد.

استغرق الأمر منها ما يقرب من دقيقة لتشغيل المحرك الصغير. بحلول ذلك الوقت كان كورت قد نام. لقد أخفض مقعده إلى حيث يمكن أن يستلقي بشكل مسطح تقريباً. تمكنت بعد مجهدٍ من رفع ساقيه على لوحة القيادة للمساعدة على حمايته من التعرض لصدمة. عندما انعطفت شماليّاً في شارع مونج، رأت طائرات هليكوبتر تحلق في الهواء على مسافة فوق النهر.

أوقفت جوستين سيارتها على بعد بضعة أميال من العيادة قبالة شارع دي إيكول. في الثالثة والنصف، لم يكن هناك أحد في الجوار على الإطلاق. تقلب كورت في مقعده، ونظر حوله للحظة، ثم طلب منها قلماً وقطعة من الورق. دست يدها في حقيقتها للحظة ثم أعطته مظروفاً وقلم رصاص.

- هناك دواء آخر أريدك أن تعثري عليه. لا بدّ أنه ضمن أدوية الأطفال.

- إحدى التوأمرين بحاجة إلى دواء؟

- لا إنه لي.

دَوَنَ شيئاً ما وسلم المظروف إلى جوستين فنظرت فيه.

- دِيكْسُتروسْتَات؟ فيَمْ يَسْتَخْدِم؟

- سيساعد، إنه مهم للغاية، ابحثي عنه.

هزت كتفيها، ووعدت كورت بالبحث عنه دون أن تقول كلمة أخرى. قفزت من السيارة الأونو الصغيرة ورجعت إلى صندوق السيارة.

لم يستطع جيترى الالتفات ليرى ما كانت تفعله. بعد ثوان سارت إلى الباب الزجاجي للمبني وتلفت حولها بسرعة في كلا الاتجاهين، ثم حطمت الزجاج بإطار حديدي في يدها اليمنى، ومدت يدها عبر

الشظايا الحادة لتفتح الباب من الداخل. راقبها كورت في عجز تام، اختفت في العيادة المظلمة حيث ملأ الإنذار المدوى الشارع. سقط كورت في النوم مرة أخرى في السيارة بالرغم من الخطر الوشيك. استيقظ مع هزة السيارة الصغيرة ذات البابين، إذ تطلق إلى الأمام. وحين ألقى نظرة على وجه المرأة الشابة، في وهج مصابيح الشوارع التي توّمض فوقهما وهمما يبتعدان عن أجراس الإنذار، لمع فيه الشدة والتصميم.

سؤال: «علام حصلت؟».

ـ ثلاث وحدات منة فضيلة () موجبة، وحقيبتان من سكر العنبر، ومورفين، وفيكودين، ومعدات نقل الدم، ومطهرات، ومجموعة خياطة.

ـ و...؟ـ والدواء الذي سألت عنه.

ـ أحسنت.

قالت بابتسامة صغيرة: «نعم.. كان هذا ممتعًا».

في مرأب السيارات أسفل جار سان لازار، استقل كورت وجوستين السيارة المرسيدس الكبيرة. استلم جيتري عجلة القيادة، وجلس هناك مشوشًا ومقطبًا جبيه من الألم. بدأت جوستين بنقل الدم وعبوات التغذية بالحقن، حيث جلسا معاً في مرأب مظلم وفارغ. لقد علقت العبوات في مفتاح الإضاءة فوقهما للحفاظ على استمرار التنقيط، بينما أفسح الجزء الداخلي المصنوع من الجلد الأسود اللين المجال لتحركات الفتاة الفرنسية، فانحنى فوق كورت، وسكت المطهر بحرية على خصره لتمتصه ضماداته وجروحوه.

أمرت جوستين كورت بالاستلقاء والاسترخاء، وغادرت السيارة. اختفت عن نظره وهو جالس بمفرده، فحاول التفكير في المهمة التي لا تزال قيد التنفيذ. كان يعلم أن هذه التأخيرات تعني أنه لن يصل إلى القصر قبل السادسة صباحاً. لن يكون لديه أي وقت تقريباً

لاستكشاف وتنصي المنطقة. لا، كما هو الحال الآن، سيكون لديه الوقت فقط للقيادة حتى الباب الأمامي ويدع هجومه إذا أراد فعل ذلك تحت جنح الظلام. تباً!

أدرك كورت أن فرصه في النجاح لم تكن جيدة على الإطلاق، ولكن بعد تعرضه للطعن في باريس، أصبحت فرصه الآن ضئيلة للغاية. عادت جوستين بعد ذلك ومعها كيس من المعجنات وكوبان كيران من القهوة. سحب من يدها أحد الكوبين المملوء بالرغوة، شرب بشراهة حتى لسع فمه.

طالبت: «توقف!⁽¹⁾. توقف. ارشف بيضاء».

أخذ كورت كرواسون ومزقه بشراسة، حاولت دهن له بالزبدة بينما كان يأكل، لكنه أخذ القليل من الزبدة من يديها والتهمها أيضاً. عنفته جوستين. قائلةً: «لن نفخر بك والدتك هكذا، استرخ، أنت تحصل على السوائل والتغذية التي تحتاج إليها من الوريد. هذا كثير من الطعام مع المورفين، سيجعلك تتقى، اشرب القهوة بيضاء. هل يمكنك القيادة؟».

قال كورت ياصرار عابس: «سنكتشف حالاً». وأرجع المرسيدس إلى الخلف، ثم خرج من المرأب تحت الأرض بيضاء، وانطلق في الليل.

أخذ الطريق السريع (A15) شمالاً خارج المدينة، وكما أكدت جوستين، لم تكن هناك حركة مرور تقريباً في الرابعة من صباح يوم الأحد.

سبَّت بصوت عال عندما لاحظت أن كيس الدم قد فرغ بعد خروجهما من المدينة بدقائق. بدلَت به كيس لتر كامل آخر، وبدلَت الدكستروز فقط حتى تظل السوائل تقطر في الوريد بأسرع معدل ممكن.

(1) بالفرنسية في الأصل.

كان الطريق (A13) هو الطريق المباشر إلى بابايو، لكن كورت تجنبه. كان يعلم أنه من السهل ثبيت المراقبة على الطريق الرئيسي للقصر. بدلاً من ذلك، سلك كورت سلسلة من الطرق الخلفية التي من شأنها أن تضيق نصف ساعة أو نحو ذلك إلى رحلته.

أَخْرَا المحتوم ساعة. تحدثت جوستين عن عائلتها وأصدقائها، وقططها الست. اتضحت توتركها لكورت من حديثها العشوائي. وقبل ساعة من الوصول إلى القصر، هدأت جوستين، وحققت وريث جينيري بعناية بجرعة صغيرة من المورفين. إذا انخفض ضغط دمه للغاية، وعاد إلى نفس معدلاته حين كان في العيادة البيطرية، لكان المورفين أوقف قلبه. ولكن بعد وحدتين ونصف من الدم، قررت أن حقنة صغيرة من مسكن الآلام القوي تستحق المخاطرة، مع الأخذ في الاعتبار ما كان على وشك أن يواجهه.

في أثناء قيادته السيارة في الظلام، بدأ كورت يشعر بالتحسن، إذ عزز مسكن الألم والدم والماء المحلي بالسكر قوته ومعنوياته. تحدثاً عن العملية، واستغرقت جوستين عدة دقائق لتجهيز الغرز والضمادات على لوحة القيادة أمامها. كانت متوتة، بينما تربط الإبرة المعقوفة الحادة لتغمسها في زجاجة من المطهر، ثم تضعها على شاش معقم. فتحت قميصه، وقطعت ضماداته، وسكت نصف محتويات الزجاجة على بطنه، فارتجمف من اللدغة.

فك كلاهما أحزمة المقاعد، ونهضت على ركبتيها في مقعد الراكب. وضع جينيري يديه عاليًا على عجلة القيادة للسماح لها بالوصول إلى بطنه. ابتلع آخر رشفة من القهوة الباردة، وألقى الكوب خلفه. ثم استخدمت جوستين شريطًا لاصقًا لربط كشاف إضاءة كورت الصغير بالجزء السفلي من عجلة القيادة، مما أدى إلى إضاءة منطقة تركيزها تماماً، طالما حرصت على منع يديها من أن تظلل فوق جرح الطعنة.

قالت جوستين: «لم أفعل هذا من قبل مع إنسان، حتى في الظروف الصحيحة، لكي خيطت جروح قطط».

قال كورت: «ستؤدين عملاً جيداً». أدرك أن كلاً منها يحاول تهدئة أعصاب الآخر.

لكن عزيمة جوستين تعثرت أولاً. نظرت إلى الأميركي وسألته: «هل أنت واثق؟ سأضطر إلى التعمق في العضلات لإغلاق الجرح. إذا اكتفيت بثقب الجلد فسيتمزق ما إن تتحرك».

أومأ كورت وعيناه تدمعن بالفعل تحسباً للألم. قال بهدوء: «جوستين.. مهما أقل أو أفعل، فلا تتوقف».

أومأت برأسها، واستجمعت رباطة جأشها وقالت: «هل أنت جاهز؟». أومأ برأسه بعد قليل، سحب حزام الأمان من صدره ووضعه في فمه ليغض عليه بشدة.

كان الطريق مسطحاً ومستقيماً كما كشفته المصابيح الأمامية.

اخترقت جوستين لحم مريضها بعد نصف بوصة من جرح السكين الدموي. وجدت الإبرة المعقودة مسارها الخاص في عمق عضلات بطنه. مررت عبر الشق، وتناثر الدم الطازج في شعاع المصباح. أدى تقوس السن الحاد إلى خروجه من جلده، على بعد نصف بوصة، من الجانب الآخر من جرح الطعنة.

صرخ كورت عاصياً حزام المقعد المثبت في فمه. أخذت جوستين الخيط بيدها التي ارتدت عليها قفازاً، وجدبت الأداة إلى الخلف مرة أخرى، وأعادت خيط الإبرة. حتى مع مرور ربع جرعة من المورفين عبر مريضها، شعرت بقطرات دموعه على ذراعيها وهي تصنع الغرزة الثانية بالقرب من الأولى.

واصلت ذلك لمدة عشرة كيلو مترات. لم تلتفت بعيداً عن عملها في أثناء تخبيطها الجرح، لكنها تحدثت إليه بفرنسية باعثة على الهدوء طوال الوقت، تماماً كما لو كان كلباً مصاباً. وفوقها جفل مريضها وتأوه.

تعجبت من مواصلته القيادة، وقيامه بانعطافات سلسلة كلما احتاج، حتى أنه لم يستخدم المكابح إلا مرة واحدة. افترضت جوستين أن امتداد الطريق أمامه وحاجته إلى التركيز فيه هما الشيئان الوحيدان اللذان جعلاه متancockاً.

استخدمت الشاش لمسح الدم في أثناء عملها، وسكتت المطهر من الزجاجة التي وضعتها بين ساقيه للحصول على رؤية أفضل للجرح الذي يضخ دمًا.

أخيراً قالت: «أوشكت على الانتهاء. ليس أمامي سوى سحبها بإحكام وربطها. بضع ثوان فقط الآن». سمعته يلهث ويت Herb فوقها. أثار إيقاع صوته قلقها. علّمت أنه قد يصاب بصدمة في أي وقت. وأكملت: «ها نحن، سأكون خفيفة قدر الإمكان». شدت الخيط، وأغلقت الجرح ببراعة، وتوقف آخر نزيف على الفور. وقالت: «نعم ممتاز. الآن أنا فقط سأربطها و...».

مررت الإطارات فوق سلسلة من المطبات، لكن ثبات المرسيدس كان رائعًا. لم تكدر تشعر بالسطح الخشن. ولكن عندما لم تتوقف المطبات بعد عدة ثوان، نظرت إلى الأعلى للاطمئنان على مريضها.

ذعرت حين رأت رأسه يتدلّى فوقها مباشرة، وعيناه مغمضتان. فقد جيم وعيه.

انحرفت المرسيدس السوداء عن الطريق، وتحطمت في الخامسة والنصف صباحًا.

كان جميع الحراس البيلاروسيين العشرة في مواقعهم حول العقار: ستة في الخارج، وأثنان عند نوافذ الطابق الأرضي، وأثنان أعلى البرج. جلس سيرج وأنل، مهندساً للأمن الإلكتروني، في مكتبة الطابق الأرضي، تفحص عيونهما الحمراء الشاشات دون كلام، وتشاهد صور الأشعة تحت الحمراء حول محيط المبني.

كانا يجريان اتصالات لا سلكية كل خمس دقائق للتواصل مع الدوريات. الليبيون هم فرقة الصيد والقتل الوحيدة التي لا تزال في المنطقة. كانوا يعانون إرهاقاً شديداً بينما تجري شاحتهم دوريات في بايو. أيقنوا أنهم استبعدوا من الفوز، أرسلت الفرق الأخرى التي كانت في المنطقة منذ ذلك الحين إلى باريس للبحث عن الهدف، كذلك فعل كل فنان رصيف على بعد 300 ميل.

منح الليبيون فرصة واضحة للهدف مرة أخرى عند سفح التل في سويسرا، وقد فشلوا، لذلك أمروا الآن أن يلزموا مكانهم وينتظروا، كان تكرار فرصتهم ضد الرجل الرمادي أمراً غير محتمل. لم يتوقع أحد وصول جينترى إلى بايو الآن.

جلس ريجيل ولويد والفنى وفيلكس في غرفة التحكم ذات الإضاءة المنخفضة، يرشفون القهوة أمام الصور المتذبذبة المتأرجحة في شاشات الكمبيوتر، التي تبئها كاميرات الفيديو الرقمية، تلك التي يحملها المراقبون وفرق القتل في باريس.

ما زال الفني يدير عملية البحث حول نهر السين. في الوقت الحالي، اعترف كل من ريجيل ولويد بنجاح جينترى في الخروج من الماء في

اتجاه مجرى النهر، وأنه ترنح مبتعداً. لذلك جرى توسيع نطاق البحث ثم توسيعه مرة أخرى على جانبي النهر.

بحلول الخامسة والنصف صباحاً، جاءت أخبار جديدة في باريس أدت إلى فورة من النشاط حول القصر. علم مراقب يستمع إلى راديو الشرطة باقتحام شخص عيادة طوارئ صغيرة في الدائرة الخامسة. كان هذا عكس تيار المياه حيث سقط الهدف في النهر، لكن الفني أرسل مراقباً لمعرفة ما في مقدوره أن يعرفه. وكان أصحاب العيادة قد وصلوا وأعلنوا أن الأدوية والدم والمعدات المسروقة كلها أدوات ضرورية لعلاج الجروح.

وقف ريجيل وراء الفني وقال: «يجب أن نقسم البحث. أبق البوليفيين والسريلانكيين في باريس. قل للبوتسوانيين أن يأتوا إلى هنا عبر الطريق السريع، واعرف هل بإمكانهم رصده في الطريق. أرسل مروحة لالتقطان الكازاخين، إنهم أمهر رماة المدفعية. أريدهم هنا. يمكنهم إجراء دوريات في الطرق الخلفية حول العقار وكشف أي شيء يتحرك. ونبه الليبيين في بايو! يجب أن يبقوا هناك لمراقبة محطة القطار والطرق عبر المدينة. إذا كان الرجل الرمادي لا يزال يقاتل بطريقة ما، فسيصل هنا قبل الفجر».

تمتم الفني في نفسه: «رأينا بحق الله، رأينا يتالم بحق الله، رأينا يسقط في الماء بحق الله».

صفعه لويد على رأسه من الخلف قبل أن يخرج من الغرفة، متوجهًا إلى الطابق السفلي ليخبر الرجال الذين يراقبون كاميرات الأشعة تحت الحمراء أن هدفهم قد يكون في الطريق.

«أرجوك! من فضلك يا جيم! يجب أن تستيقظ!».

فتح كورت جينترى عينيه، وفوقه يلوح أحد في الظلام. بشكل غريبى، مد يده وجذب رقبته وأمسكها بقوة وطرحها أرضاً بجانبه وهو يحاول التدرج فوقها.

سقط كورت على جوستين في العشب الممتد الرطب.
«آسف». كان هذا هو كل ما يمكن أن يقوله وهو يتبع عن الفتاة الفرنسية.

كانت حركته بطيئة، ومن الواضح أن جسده قد أعاقة المخدرات. كان بطبيعة أىضاً حين نهض في الظلام، ورغم ذلك استطاع أن يميز تماماً عينيها الواسعتين. جلست بجانبه في النهاية، فيما نظر هو بعيداً بازداج إذ يتفقد محیطه.

جلسا على العشب الرطب، واتكأ كل منهما بظهره إلى المرسيدس. كانوا في حقل، فقد اقتحمت السيارة ١ السوداء غابة. افترض جينترى أن الطريق كان على الجانب الآخر، حيث انبسط وهج القمر بسبب الضباب فوقه، لكنه ميز حركة الأبقار المتثاقلة في الحقل الموحل قرب السيارة.

كان الهواء بارداً.

ـ ماذا.. ما هو.. أين نحن؟

ـ لم أستطع إيقاظك. نحن غرب كاين، ما زلنا نبعد ثلاثين دقيقة عن بايو.

ـ تباً! كم الساعة؟

ـ تذكر الأميركي مهمته ببطء، كما لو أنها ظهرت من ضباب دماغه المخدر.

ـ إنها السابعة تقريباً. ستشرق الشمس في أقل من ساعة.

ـ اصطدمنا، أليس كذلك؟

ـ لا سيدى، لم نصطدم. أنت من اصطدم.

كان يستعيد وعيه ببطء. وضع يده على بطنه المصاب، على الرغم من أن ألمه كان خفيفاً في الوقت الحالي. كان يرتدي قميصاً بنيناً نظيفاً، شعر من خلاله بالضمادات مشدودة بإحكام.

نظر إلى أسفل لسرواله الجديد وقال: «هل ألبستي؟».

نظرت جوستين بعيداً صوب الحقل المظلم وقالت: «وجدت الملابس في حقيبة في السيارة، بعد الاصطدام».

سأل: «هل أصبت؟». أجابت جوستين: «ليس بشدة. بعض الكدمات. كنا محظوظين. خرجت عن الطريق إلى مسار أبقار عبر السياج. لقد اصطدمنا بتلك الأشجار. السيارة عالقة، بعد الحطام أعطيتك القليل من الدواء وضمدتك وألبستك. بقينا هنا منذ ذلك الحين. قبل فترة وجية حلقت طائرة هليكوپتر بالأعلى. لقد أخافتني. اعتقدت أنهم ربما يبحثون عنا».

بدأ جينتري ينتبه في هذه اللحظة، لقد استرد وعيه الآن.

ـ لن أصل في الموعد المحدد أبداً.

ـ قلت لي إنه في الثامنة صباحاً، ما زال بوسعنا فعل ذلك قبل الموعد.

ـ كان يجب عليَّ أن أصل موقعي قبل شروق الشمس.

ـ تنهَّد جينتري وزفر الهواء، ثم نهض فكان وقوفه أصعب مما توقع.

ـ ماذا أعطيتني؟

ـ أعطيتك بعض المسكنات، ووضعت ضمادات ضيقة للغاية حول خصرك لتخفيف الألم.

ـ فحص جينتري الضمادات من فوق القميص وهو يتحدث: «جيد. أنا لاأشعر بالسوء».

ـ لن يدوم. سيعود الألم قريباً. أنا لم أعطك المخدر الآخر، الديكستروستات، قرأت المكتوب على الزجاجة. إنه من الأمفيتامين شديدة القوة، إذا تناولت إحدى هذه الحبوب فسيرتفع ضغط دمك.

وإذا لم تكن الغرز مثالية فستنづف بشدة. وقد تنづف داخلياً كذلك. سيكون من الجنون أن تبتلع واحدة من تلك الحبوب.

لن أبتلع واحدة من تلك الحبوب، بل سأكسر ثلاثة منها، أفرغ المحتويات في كوب من القهوة الساخنة. فأحرر المادة الفعالة من الغلاف، وأحصل على كل التأثير فوراً.

قالت: «هذا انتشار! لست طبية، لكنني أعرف ما سيفعله هذا بجسمك».

قال جينترى: «سيساعدنى هذا على البقاء يقظاً لمدة نصف ساعة أو نحو ذلك. إذا نزفت بعد ذلك، فلا بأس. أنا فقط يجب أن أنجز مهمتي أولاً».

حين بدأت في الاعتراض قاطعها قائلاً: «نحن بحاجة إلى وسيلة نقل جديدة. شيء محلية، شيء لن يلفت الانتباه».

هزت جوستين رأسها من الإحباط وقالت: «ثمة مزرعة هناك مباشرة. ربما يمكنك استعارة عربتهم».

نظر جينترى إلى السياج الذي أحاط بالمزرعة، على بعد خمس وسبعين ياردة. بالفعل كان هناك ضوء في النافذة. سيارة قديمة لونها أبيض، بأربعة أبواب، منخفضة ويتناشر حولها الطين والسماد، وتتوهج في ضوء النافذة. قال: «نعم، سأذهب لاستعارة سيارتهم». وصل ببطء إلى صندوق السيارة المرسيدس وأخذ مسدس جلوك الثاني، إذ فقد الأول في ممر باريس.

سحب الشريحة إلى الوراء شبراً واحداً دون أن ينظر، واستخدم طرف إصبعه ليتحقق من تعبئة المسدس. وقال لها: «سأعود حالاً».

في الساعة الأخيرة قبل الفجر، تمركزت قوات ريجيل كافة في القصر في كل محطات القتال. إذ توقع أن يأتي الرجل الرمادي في التو، هذا

إذا جاء. قُسِّمَ المسلحون العشرة من مينسك إلى ثلاثة مجموعات من فردين، يجرون دوريات في الحديقة والممر المؤدي إلى البوابة الرئيسية، ممسكين ببنادقهم الكلاشينكوف. واثنان آخران في الطابق الأول من القصر؛ أحدهما يراقب من نافذة بالسيارة والآخر من نافذة باتجاه الحديقة الخلفية.

كان آخر اثنين من البيلاروسيين أعلى برج القصر؛ قناص واحد ببندقية دراجونوف، إنه الرجل نفسه والسلاح اللذان أنهيا حياة فيليب فيتزروي. وحارس يضع بندقية (15AR) على ظهره، بينما ينظر في كل الاتجاهات ليلاً بالمنظار.

بالإضافة إلى البيلاروسيين العشرة، كان هناك رجال لويد الثلاثة من لندن، والأيرلندي الشمالي والأسكتلنديان. يرقد الأيرلندي الشمالي الآخر الآن مهملاً في الطابق السفلي بجوار جثة فيليب. وهناك اثنان في المطبخ بأجهزة راديو في آذانهما وبنادق رشاشة معلقة في رقبتيهما، ويستظران احتياطياً أن يرسلهما ريجيل نفسه إلى أي مكان يظهر فيه الرجل الرمادي.

والثالث ماكسbaden، كان في القاعة خارج غرفة نوم الطابق الثاني، يحرس عائلة فيتزروي.

هناك أيضاً مهندسان فرنسيان في مكتبة الطابق الأول، يراقبان شاشات كاميرا الأشعة تحت الحمراء المثبتة حول الفناء. كلامهما جندي مشاة سابق في الأربعينيات من عمره. ثبتا مسدسات على أرجلهما، وهما من يجيدون استخدامها.

أخيراً كان هناك الفني ولويد وريجيل وفليكس، في غرفة التحكم. كان ريجيل الوحيد بين الأربعة الذي يُعدُّ مقاتلاً حقيقياً. إذ يضع مسدسه في حافظة كتف تحت سترته الجلدية، وسواء مثل خطراً على الآخرين أم لا، كان لويد مسلحاً بمسدسه الآلي الصغير، بينما يضع رشاش الأوزي المعبأ دائمًا على مكتب الكمبيوتر الخاص بالفنى،

بالرغم من أن البريطاني ذا ذيل الحصان لم يقترب يوماً من سلاح معيأً.

جعل هذا الأفضلية لتسعة عشر مدافعاً مقابل مهاجم واحد، لكن هذا فقط الخط الداخلي للتغطية حول القصر. كان عمالاء جهاز الأمن في الجماهيرية الليبية الأربع على اتصال لا سلكي مستمر بالفني، على بعد عشرة كيلو مترات في بايو. رأوا أن الطريق من المدينة إلى القصر ومحطة القطار التي أوشك افتتاحها، أقرب الطرق إلى باريس.

حلقت طائرة يورو كوبتر السوداء الأنثقة بالتدريج على ارتفاعات عالية، وعلى متنها خمسة سعوديين. أطلت المروحيات على الطرق السفلية من كاين إلى الشرق بطول الساحل إلى الشمال، تحسباً لظهور الرجل الرمادي بطريقة سحرية على شاطئ نورماندي من أجل إعادة تنفيذ عملية نورماندي⁽¹⁾ بـرجل واحد.

قام الكازاخيون الأربع القادمون من باريس بدوريات في سيارة سيتروين زرقاء صغيرة، وكانت بنا دقهم الكلاشينكوف في أحضانهم مطوية الكعوب. قادوا سيارتهم عبر الريف، وتوقفوا وراء أول سائقي النهار، وفحصوا لوحات سياراتهم، وسلطوا أضواء ساطعة في السيارات ليتفرسوا في ملامح ركاب السيارة.

لم يستخدم الكازاخيون أجهزة الراديو الخاصة بهم. نعم استمعوا إلى اتصال الفني مع الفرق الأخرى، لكنهم لم يقرروا قط أو يستجيبوا لطلبات الفني لهم بأن يؤكدوا وصولهم. لقد كانوا هناك لقتل الرجل الرمادي وكسب المال والعودة إلى ديارهم. ما كانوا ليتواصلوا مع الرجال في القصر إلا عندما يلقون جثة جينترى أمام البوابة الأمامية ويطالبون بأموالهم.

(1) المعركة التي مهدت لانتصار الحلفاء على الألمان في الحرب العالمية الثانية.

أشرف ريجيل على العملية كلها من غرفة التحكم في الطابق الثالث، سيكون هو أول من يعترف بأنها لم تكن معركة عادلة، أكثر من ثلاثة رجالاً مسلحاً ضد خصم مصاب بجروح مروعة، ومعه أقل الإمكانيات، ولم يحصل سوى على القليل من النوم. لكن ريجيل كان صياداً، فلم يألف المعارك العادلة.

أشرق وهج الصباح الباكر قبالة القناة الإنجليزية، ولامست درجات ألوان الصباح الأولى كتفي جوستين، بينما تقود السيارة البيضاء القدرة ذات الأبواب الأربعه غرباً على الطريق الساحلي. التزرت بالسرعة المحددة، وقرأت اللافتات بعنایة.

كان مقعد الراكب ومقعدها الخلفي فارغين باستثناء عدة حقائب مصنوعة من الألومنيوم. قادت بمفردها وانعطفت يساراً إلى قرية لونج سومير الساحلية، ولم تسرع أو تبطئ عندما انقضت طائرة هليكوبتر سوداء على مسافة بعض مئات من الأقدام فوقها. دارت مرة ثم الثانية ثم الثالثة قبل أن تختفي عن نظرها متوجهة إلى الجنوب الغربي. خلا لها الطريق كله لفترة من الوقت، ولكن بعد وقت قصير من اختفاء المروحة، انطلقت خلفها سيارة سيتروين زرقاء من مرر مليء بالحصى إلى يسارها، يتضاعد الغبار والعادم من خلفها. ألت نظرة خاطفة على منظرها الخلفي، ولم ترسو المصابيح الأمامية الساطعة. ظلت على مقربة وراءها لبعض مئات من الأمتار، ثم تقدمت بجوارها. أمسكت جوستين بعمود التوجيه الرفيع بشدة حتى اعتقدت أنه سينخلع في يدها، عندها أضاء شعاع كشاف يدوبي داخل سيارتها ليرصد المقعد الخلفي، ثم انطفأ، وابتعدت عنها السيارة السيتروين. كانت على يقين من أنها ستشاهد أضواء المكابح تضيء لتجبر على التوقف. لكن السيارة انطلقت، واختفت المصابيح الخلفية أمامها في الضباب بعد دقيقة أخرى.

بعدما توجهت جنوباً لبضعة كيلو مترات، نظرت إلى الخريطة في حجرها، ولاحظت علامات القلم الرصاص التي وضعها لها جيم هناك.

انعطفت يساراً بعد أن أطافأت أضواءها. كان الطريق الضيق مستقيماً. امتدت أسيجة شجرية عالية على كلا الجانبين. بعد ثلات دقائق من القيادة عبر الظلام، امتد الطريق جنوباً، لكنها أبطأت وصدمت السيارة الصغيرة بالرصيف، وأسرعت بما يكفي لتصل بالسيارة إلى الغابة العميقة.

ارتفع جدار حجري كبير من الأرض على الجانب الآخر من الغابة مسافة ثلاثة أمتار. ملأ الزجاج الأمامي وبدا وكأنه يصل إلى السماء اللانهائية. لقد صدمت المصد الأمامي للسيارة به، وأوقفت تشغيل المحرك.

كان الظلام دامساً بسبب الأشجار العالية على جنبي الطريق الضيق. قفزت بسرعة من مقعد السائق، وحرست لا تغلق الباب خلفها. طرقت أربع مرات ببطء على الصندوق الخلفي للسيارة الفيats، في إشارة متყق عليها مسبقاً إلى أن كل شيء على ما يرام.

بعد لحظة، رفعت غطاء صندوق السيارة. نظر إليها جيم المحشور في الداخل، وكوب قهوة فارغ بجانبه وبنديقية سوداء بين ذراعيه.

سأل وهو يقفز إلى الخارج ببطء: «لا مشكلات؟». استطاعت أن ترى على وجهه ألم تأثير الحركة في إصاباته. ترك البنديقية في صندوق السيارة، ومشى حولها إلى الجانب، وتمدد بعد أن عانى ضيق مساحة صندوق السيارة.

قالت جوستين وهي تقف خلف السيارة على الطريق: «هناك رجال في الجوار، هناك سيارة وطائرة هليكوبتر، أنا واثقة أن هناك المزيد داخل المبني. لا بد أنهم يعتقدون أنك رجل خطير للغاية حتى يكفلوا كل هؤلاء الناس بانتظارك».

دفع الأميركي الشجيرات الطويلة على جانب باب الراكب ليفتحه
ويصل إلى المقعد الخلفي وهو يقول: «سمعتي مبالغ فيها».
ـ ماذا؟

ـ لا تهتمي. أود أنأشكرك على كل ما فعلته. تستحقين كل سنت من
هذا المال. لم أكن لأفعل هذا من دونك.

ابتسمت جوستين في الإضاءة الخافتة وقالت: «لم تفعل أي شيء
بعد حقاً، يا جيم».

قال: «هذه إشارة سديدة».

سألت: «كيف حالك الآن؟».

أجابها جينترى: «كما لو أتنى ابتلعت جرعة ثلاثة من منشط مع
إسبريسو مضاعف. غررك تثبت جيداً».

دون سابق إنذار، انطلقت المصابيح الأمامية لسيارة في جسد
جوستين. التفت لتنظر إلى الضوء، ثم عادت بسرعة للنظر إلى جيم
في حيرة، لكنه كان قد رحل.

بعد ثوانٍ، توقفت السيتروين الزرقاء خلفها، وخرج منها أربعة رجال
بسرعة.

وقفت جوستين في الضوء الساطع، ورفعت يدها لتحمي عينيها.
غمّرها الضوء الساطع حتى شعرت أنها عارية. تحرك الرجال الأربع
أمام الأضواء فكانوا ظللاً، رأت ملامح البنادق الطويلة بين أذرع
الرجال.

صاحت فيها أحدهم، لكنها لم تفهم، وعجزت عن الكلام. بدلاً من
ذلك التفت يميناً ويساراً، في ظلام الفجر الذي خيم على المكان.
أيقنت أنه بعيد عن أعمدة الضوء، وفي مكان آمن، هرب جيم وتحرر
من الرجال الذين وقفوا أمامها. لا بدّ أنه شق طريقه فوق الجدار
الحجري. لقد تركها هنا لتبرر وجود صناديق المعدات في السيارة،
وتتوصل إلى سبب معقول لوجودها هنا الآن.

كاد قلبها ينفجر رعباً داخل صدرها.

قالت للظلال الأربعة بصوتها الرقيق الأقرب إلى الآنين: «صباح الخير⁽¹⁾». .

اقربوا منها في خطوة واحدة، مصوبيين بنادقهم إلى الأمام.

خمسة عشر متراً، عشرة أمتار، تقاربوا الظلال وهم يحاصرونها.

ثم تحركت الظلال الثابتة إلى الأمام فجأة، ظل سريع من اليسار انحرف نحو الحركة، وارتفع معه مسدس طويل، ثم صرخة مفاجأة من الأشباح أمامها حين تكونت أمامهم هيئة طويلة اتخذت شكل كرة.

رجعت إلى الوراء بسرعة واصطدمت بصدائق السيارة بينما شاهد حركة رقص الضوء والظلام أمامها. استطاعت أن تميز عبر الفوضى في الطريق أمامها ملامح الذراعين والساقيين حيث تمطر اللükمات والركلات، وتدور البنادق في الهواء وترتطم بالحصى المغبر وسط الصياح وشق اللحم وارتظام العظام.

سقطت الهيئة الثانية دون حراك تحت إضاءة المصابيح الأمامية. رأت أنه ليس جيم. مزيد من التقارب للظلال في سحابة الغبار الصاعدة، وهيئة رجل مظلمة يمسك برأس ورقبة شخص آخر من الخلف ويدور، ثم يرفع الظل من الرصيف، ثم سمعت جوستين طقطقة عنق بينما تحطممت فقرات عنق بالتواء شديد.

شاهدت جوستين معارك بالأيدي في برامج الحركة التلفزيونية. لكن هذا لم يشبه ما رأت، كانت الحركات أسرع وأكثر وحشية وقسوة. لم يكن هناك مشاعر أو رقة فيما بين الخصوم، لا لقد كان اصطدام صلب بصلب، وردود أفعال ارتتجاجية، ووحوش برية تصرخ وتتخر، وصعوبة التنفس من الإجهاد والذعر. أصوات الصدمات وهيجان

(1) بالفرنسية في الأصل.

القتال بلا رحمة، كانت واثقة بأن جميع الرجال سيُمزق بعضهم بعضاً في الشارع أمامها.

سقط ثلاثة رجال، وهرب第四人 من بين أعمدة الضوء ليحضر بندقية سقطت وانزلقت بعيداً عن القتال. رأت جوستين جيم وهو يلاحق رجالاً آخر في الشارع المغبر ويطرحه أرضاً. تعارك الاثنان، وسقط جيم على ظهره في الطريق البارد. استدارت المرأة الفرنسية بسرعة إلى صندوق السيارة لرفع البندقية التي تركها الأميركي هناك، رغم أنها تجهل تماماً كيفية تشغيلها حتى تستخدمنا. عندما التفت بعيداً عن القتال، سمعت صرخة ألم رهيبة. رفعت البندقية الكبيرة واستدارت لتجد جيم على ركبتيه بينما يتدرج الرجل الرابع بعيداً عنه ويداه فوق عينيه.

نهض جيم مرة أخرى وفي يده مسدس طويل اقترب به من رأسه، راقبت جوستين جيم وهو يضرب الرجل المتآلم بكعب المسدس مرة تلو الأخرى، مثل فأس تقطع الخشب، سقطت الضربات على ظهر الرجل المكافع. يداه مرفوعتان للدفاع عن نفسه، لكن كعب المسدس يشق طريقه إلى عينيه اللتين ملثتا رعايا.

احتقت عيناه بالدماء وانكسر فكه وفتح بشكل مقزز. لا بد أنه تلقى عشرات الضربات القاسية على رأسه المحطم حتى يبقى على ظهره في الطريق البارد، ولم تستطع جوستين أن تنظر بعيداً.

عندما انتهى كل شيء، أزلت الفرنسية مصدات السيارة أرضاً بيضاء، وضعت البندقية أمامها، وارتجلت يداها الفارغتان وهي تغطي وجهها وتبكي.

لهث كورت إذ يبعد الجثث الأربع عن الطريق، وسمع طائرة هليكووتر بالأعلى في ضوء الصباح. كان على المروجية أن تحلق فوقه مباشرة لتحديد موقعه، بسبب السياج على كلا الجانبين والجدار العالي

المحيط بقصر لوران. لكن جينتري كان يعلم أن كل ثانية يبقى فيها مكشوفاً على الطريق الترابي كانت مخاطرة.

hem بالبحث في صندوق السيارة عن أي معدات يمكنه استخدامها. وجد على الفور أربع مجموعات من الدروع الواقية للبدن من المستوى (A3). كل ذلك بلا قيمة أمام رصاص البنادق، لكنها فعالة في إيقاف نيران المسدس. سرعان ما دفع رأسه من خلال سترة، ولف الألواح الجانبية بإحكام حول خصره. وفي الخلف كانت هناك واقيات ركبة صلبة ووسادات للمرفق، ارتدى كل هذا أيضاً، واعتقد أن خدشاً في المرفق سيكون أقل مخاوفه وطأة في الدقائق القليلة القادمة، لكن لم يكن هناك أي معنى لترك أقل المعدات الواقية وراءه.

جلس في مقعد السائق في السيارة السيتروين الصغيرة، ودفعها نحو شجرة سميكه محاولاً إخفاءها. نظر إلى أسفل، وأدرك أن بعض الغرز التي استخدمتها جوستين لخياطة جرح معدته قد انقطعت، إن لم تكن كلها. نزف جرح السكين ونزفت ضماداته وقميصه تحت السترة الواقية من الرصاص. سالت الدماء من بطنه وأسفل سرواله، وعلى مقعد السيارة فصاح: «تبّاً!». لقد كان وقته ينفد مرة أخرى.

بعد أن أخفى الجثث والسيارة وألقى بنادق الكلاشنكوف في الأدغال، ذهب إلى جوستين، التي كانت لا تزال جاثية بجوار السيارة. مسحت الدموع وخيوط الشعر الأشعث من عينيها، ووقفت بيضاء على قدميها.

نظرت نحو الجثث المخبأة في الأدغال بإهمال، فتباعدت الذراعان والساقيان تباعداً غير طبيعي. وقالت: «كانوا أشراراً، صحيح؟».

أحابها جينتري: «أشرار للغاية. كان عليّ أن أفعل ذلك، والآن عليّ أن أعبر هذا الجدار وأفعل الكثير من ذلك». لم تستجب جوستين.

بدأ كورت يفتح علب الألومنيوم، وربط حزام الأدوات بإحكام حول خصره معلقاً جراب المسدس حول فخذه الأيمن، وحاملة الخزائن الإضافية حول فخذه اليسرى.

وقال: «نفدي الوقت. علىَّ أن أذهب». علق البنديقة القصيرة حول رقبته وذراعه اليسرى وربط الرشاش الصغير (MP5) في سترة العدة التي أخذها من السيارة السيتروين الزرقاء لتتدلى فوهرته إلى الأسفل. أدخل مسدس جلوك عيار 19 في جراب فخذه، وربط قبليتين يدويتين في مكانهما على السترة، ثم أخذ هاتف القمر الصناعي من المقعد الأمامي للسيارة ووضعه في جيبه الخلفي.

في أقل من ثلث دقائق كان جاهزاً. عاد إلى جوستين التي وقفت خلفه في صمت، فما زالت تنظر إلى الأرجل المكشوفة للجacket الأربع الممزقة. وقال: «سأحتاج إلى استخدام غطاء السيارة لتسليق السيارة. ما إن أقي نظرة على الجزء العلوي، أريدك أن ترجعي إلى الخلف، وتستديرى وتعودي بالسيارة إلى الساحل، ثم تتجهين غرباً لا شرقاً. وأوقفي السيارة عند أقرب محطة قطار، واستقللي أول قطار صباحي إلى باريس، ثم عودي إلى المنزل. شكرًا لك مرة أخرى على كل ما فعلته من أجلني».

كانت نظرات جوستين شاردة. علم جينترى أن قتل الرجال الأربع في قتال مباشر أمامها قد هزّها بشدة. فكر أن هذا من المفترض أن يزعج أي شخص، على الأقل أي شخص عادي لا يعيش الحياة التي يعيشها هو.

سأل بلطف: «هل ستكونين بخير؟». سألت وعيناها ما زالتا شاردتين من أثر القتال: «هل أنت رجل سيئ يا جيم؟».

وضع يده على ذراعها، وأمسكها برفق وإن لم يبدأ لها هذا مريحاً. قال: «لا أعتقد ذلك. لقد تعلمت بعض الأشياء السيئة. أفعل بعض.. بعض الأشياء السيئة، لكن للأشرار وحسب».

قالت: «أجل». بدت كأنها استرخت قليلاً. «أجل». نظرت إليه ثم
قالت: «أتمنى لك حظا سعيداً».

قال: «ربما، عندما أنتهي من هذا، يمكننا التحدث _____.
قاطعته قائلة: «لا». وأشارت بنظرها. وأكملت: «لا. من الأفضل
أن أنسى ذلك».

قال لها: «أفهم».

عانقته لفترة وجيزة، ولكن بدا لجينييري أنها تشعر بالحيرة، كما لو
أنها تعامله الآن كحيوان بعد عرضه الوحشي للعنف.
من الواضح أنها أرادت فقط أن تبتعد عنه وعن كل هذا الجنون.

صعدت إلى مقعد السائق في السيارة بدون كلمة أخرى، بينما تسلق
هو غطاء المحرك. منحته المسكنات التي أعطته إياها في أثناء نومه
بعض الراحة. ومع ذلك، كان تسلق الجدار معاناة شديدة لرجل مصاب
بمثل هذا الجرح الحاد في بطنه، فضلاً عن معصميه وساقه وقفصه
الصدرى.

أنزل جينييري فوق الجزء العلوي من الجدار الحجري، وأنزل قدميه
إلى أسفل ليسقط على العشب الناعم، وسمع السيارة السيدان الصغيرة
تنسحب بعيداً وتنعطف إلى الطريق. نظر كورت في ساعته، كانت
السادعة وأربعين دقيقة صباحاً. حجب الضباب الكثيف القصر تماماً.
كل ما كان يراه هو بداية بستان تفاح أمامه. فرشت الأرض بفاكهه
حمراء زاهية تحت صفوف لا نهاية لها من الأشجار الصغيرة ذات
الجذوع الضيق.

تفقد كورت معداته للمرة الأخيرة، وأخذ نفساً عميقاً للسيطرة
على آلامه وأوجاعه، وراح يركض عبر البستان في الضباب الرمادي
الكثيف.

قال ريجيل: «أغلقوها».

امثل الفرنسيان اللذان كانا يحدقان إلى صفح الشاشات في المكتبة لمدة اثنين عشرة ساعة متواصلة لما قيل لهما. بدأ في تقليل المفاتيح من اليسار إلى اليمين، وإيقاف تشغيل الصور من كاميرات الأشعة تحت الحمراء حول القصر.

ظهر لويد خلفهم جميعاً عند باب المكتبة وسأل: «ماذا تفعل؟». أجاب ريجيل: «كاميرات الأشعة تحت الحمراء تعمل في الليل يا لويد. لقد انتهى الليل».

- قلت إنه سيأتي في الليل.
- نعم فعلت.

- لكنه ما زال سيأتي، أليس كذلك؟

أجاب ريجيل الصياد: «لا يبدو الأمر كذلك». وصوته مشوب بالارتباك والغم.

سأل لويد: «لدينا خمس عشرة دقيقة للحصول على جثة لفيликس. ماذا سنفعل بحق الجحيم؟».

التفت ريجيل إلى الأمريكي الأصغر وقال: «لدينا مروحة فوقنا، وأكثر من مائة رجل وامرأة يبحثون عنه. لدينا ثلاثون بندقية هنا في القصر، في انتظاره. لقد أطلقنا النار عليه، طعناه، أرسلناه إلى سفح جبل من أعلى الجسر. لقد قتلنا أصدقاءه، وجعلناه يتزلف حتى جف. ماذا يمكن أن نفعل غير ذلك؟». حينها فقط صدر صوت الفني عبر خاصية الاتصال اللاسلكي من هاتفى الرجلين.

مكتبة

t.me/soramnqraa

قال الفني: «لدينا مشكلتان».

سأل ريجيل: «ما هما؟». أجاب الفني: «لقد خرج البوليفيون من المنافسة. اتصلوا للتو من باريس ليخبرونا أنهم استقالوا». رد لويد قائلاً: «يا للمصيبة!».

وأتبع الفني: «والказاخيون لا يسجلون وصولهم».

رفع ريجيل هاتفه عن حزامه. «إنهم لا يسجلون الوصول مطلقاً».

قال الفني: «لا يمكننا العثور على مروحية السعوديين على الطريق». تحدث لويد عبر هاتفه الآن: «كنا سنسمع طلقات نارية لو كانوا في معركة مع الرجل الرمادي. لا تقلق بشأن ذلك. ربما هرب الأوغاد مثل البوليفيين».

سار لويد وريجيل عائدين إلى الطابق الثالث. كان كلا الرجلين متعباً بشدة، لكن لن يسمع أي منهما للآخر برؤية أي علامة ضعف. وبدلًا من ذلك، تجادلا حول ما كان يمكن فعله بطريقة مختلفة، وما الإجراءات التي لا يزال من الممكن اتخاذها في اللحظة الأخيرة.

دخلوا غرفة التحكم، ولاحظا على الفور أن فيليكس يقف بالقرب من النافذة، وهاتفه محمول على أذنه. بعد ثوان، أنهى الرجل الأسود التحيل الذي يرتدي البذلة مكالمته، واستدار ليواجه الغرفة. لم ينطق بكلمة واحدة منذ ساعات. ثم قال: «أيها السادة، يؤسفني أن أقول إن وقتكم قد انتهى».

اندفع لويد نحوه بنظراتٍ منفعلة.

ـ لا! لدينا عشر دقائق. عليك أن تمنحنا المزيد من الوقت. رأيته يسقط في الماء. لقد قتلناه. نحن فقط بحاجة إلى وقت للعثور على أي خندق زحف إليه ليموت. أخبر أبا بكر أنك رأيته يسقط.

ـ كانت تعليماتك أن تحصل على جثة، لقد فشلت في هذا التعهد. وأبلغت رئيسي بهذا. أنا آسف. إنه واجبي، أنت تفهم.

ارتخت كتفا ريجيل العريضتان، ونظر بعيداً. لم يصدق أن الرجل الرمادي، إذا كان على قيد الحياة، لم يأت لإنقاذ الطفلتين.

قال لويد: «سيصل في أي ثانية. لا يجب أن يوقع أبو بكر على العقد حتى يغادر منصبه في غضون ساعة أخرى».

قال فيليكس: «إنها الآن نقطة خلافية. لقد أبلغت الرئيس عن تقدمك. أو بالأحرى، عدم إحرازك لأي تقدم. لقد وقع عقد منافسك في أثناء مكالمتنا، تلقيت تعليمات بالعودة إلى باريس في انتظار المزيد من التعليمات».

أوما ريجيل برأسه بيضاء وقال لفيليكس: «يمكنك العودة مع المهندسين الفرنسيين. سيعادران إلى باريس في غضون ساعة».

بادله فيليكس إيماءة تقدير وقال: «أنا آسف أن هذه المهمة لم تتجزء معك. أنا أقدر مهاراتك، وأأمل أن تلتقي مصالحنا مرة أخرى ذات يوم».

انحنى الألماني والنيجيري لبعضهما بعضاً. تجاهل فيليكس الأمريكي، وترك الغرفة استعداداً للمغادرة.

نظر ريجيل إلى الفني وقال: «أبلغ الفرق أن المهمة انتهت، لقد فشلوا. دعهم يعرفون أنني سأتصل برؤساء وكالاتهم بعد ظهر اليوم لأقدم لهم نوعاً من الـ.. مواساة».

نفذ الفني ما قيل له. أغلق الشاشات أمامه، نزع سماعات رأسه ووضعها على المنضدة بيضاء، وتخللت أصابعه شعره الطويل.

جلس باقي الرجال الثلاثة في غرفة التحكم بمفردهم شاردين لبعض دقائق. سطع ضوء الصباح عبر النافذة، بدا كأنه يزحف على الأرض تجاههم، ويسخر من فشلهم. كان عليهم أن يحصلوا على رجلهم مع شروق الشمس، في حين يسخر شروق الشمس منهم الآن.

نظر لويد إلى ساعته وقال: «إنها الثامنة وخمس دقائق الآن. لا داعي للمماطلة بعد الآن».

كان كيرت ريجيل ينظر إلى قاع فنجان قهوته، منهكاً. سأله بشرود: «المماطلة في ماذا؟».

قال لويد: «الالتزامات في الطابق الثاني».

انتبه ريجيل وقال: «تفقد السير دونالد. سأتولى الأمر. أنت ستستغرق اليوم كله».

هز لويد رأسه وقال: «ليس دون فقط، كلهم، الأربعة».

نهض ريجيل من كرسيه وقال: «عم تتحدث؟ ت يريد قتل المرأة؟ الأطفال؟».

ـ أخبرت جينترى أنه إذا لم يظهر فسوف يموتون، وهو لم يظهر. لا تبد متفاجئاً هكذا بحق الله.

ـ لم يظهر؟ هذا يعني أنه ميت. لماذا تتعاقب ميتاً أيها الأحمق؟

ـ كان يجب أن يبذل جهداً أكبر.

سحب لويد مسدسه الآلي فضي اللون من وركه وتركه يتدلل من يده.

ـ أفسح الطريق يا ريجيل. لا تزال عمليتي.

ـ ليس بعد الآن.

كان ثمة تهديد في صوت الألماني الكبير.

قال لويد: «مهما يكن الأمر، لا يزال لدى عمل لأقوم به، ولا يمكنك منعي. يمكنك أن تนาول تلك العائلة، لكنك تعلم أن بوسفهم التعرف علينا، وتحديد هذا المكان. يجب أن يموتوا».

تخطى ريجيل ودخل الرواق. رن هاتف سير دونالد فيتزروي على مكتب الفني. سرعان ما ظهر لويد في المدخل، وجلس الفني الشاب على الفور واضعاً سماعاته فوق أذنيه، وعاد فيليكس إلى الغرفة من باب الفضول، حقيبة الدبلوماسية في يده وعلى ذراعه معطفه الواقي من المطر ذو اللون الجملي.

أوصل الفني المكالمة بمكبرات الصوت العلوية. قال لويد: «أجل؟».

ـ صباح الخير يا لويد. كيف الأحوال؟

ـ فات الأوان يا كورت، لقد خسنا العقد، مما يعني أنك فشلت.
لست بحاجة إلى نفوذ فيتزروي بعد الآن. كنت متوجهًا إلى الطابق السفلي لإطلاق بعض الرصاص عليهم. هل تريد الاستماع؟

ـ أنت بحاجة إليهم أحياء أكثر من أي وقت مضى.
ابتسم لوييد. «أوه حقاً، ولماذا؟».
ـ تأمّلنا لحياتك.

ـ نعم.. كورت، شاهدتك تسقط من فوق ذلك الجسر الليلة الماضية.
أنا لا أعرف أين أنت بحق الجحيم، لكنك لست في وضع يسمح لك
ـ

ـ انسوا العقد مع أبي بكر، لا تقلق بشأن طرد رئيسك إياك من العمل، وانس احتمال ظهور أتباع ريجيل عند بابك ذات ليلة باردة.
تجاهل كل مشكلاتك المستقبلية في الوقت الحالي، الخطر الوحيد في عالمك هو أنا.

ـ كيف تكون خطراً على...

ـ لأنني مدجع بالسلاح، وغاضب بشدة، وأقف بالخارج.
دبّت نوبة نشاط صامتة في غرفة التحكم. انتقل ريجيل إلى النافذة بسرعة، ودفع ستائر الدانتيل جانباً بأطراف أصابعه، ودقق النظر في الضباب الكثيف الذي غطى الحديقة الخلفية. ترنح الفني عبر المكتب إلى جهاز الراديو محمول الخاص به وبدأ يهمس بالأخبار للحراس في ذعر. أخرج فيليكس هاتفه محمول واندفع نحو الردهة، وهو يضغط على الأزرار بينما يتحرك.

وحده لوييد لم يجفل. وقف كما لو أن قدميه عالقتان في الأرض.
وقال: «أنت مخادع. هل تتوقع أن أسمح لأسرة فيتزروي بالرحيل فقط لأنك تقول إنك بالخارج؟ أي نوع من الحمقى تحسبني؟».

أجاب جينتري: «أحمق متهي الصلاحية. وأفترض أن حاصل الأرواح في مجموعة لوران يستمع إلى ريجيل، الأمر نفسه ينطبق عليك. إن مسست شرة من رأسى الطفلتين أو السيدة فيتزروي، فستموت في هذا المنزل».

تحدث ريجيل: «صباح الخير سيد جينتري. إذا كنت في الخارج، فلماذا لا تأتي إلى الباب الأمامي؟ فقد عقد لاجوس. لقد تلاشى حافزنا لقتلك. لقد ألغينا للتو فرق القتل. انتهت اللعبة. إذا كنت هنا حقاً، فلم لا نذهب لاحتساء القهوة؟».

قال جينتري: «إذا كنت تشك أني قريب فربما يجب أن تحاول التتحقق من الرجال الأربع ذوي الرائحة الكريهة في السيارة السيتروين الزرقاء».

كانت هذه مفاجأة، لم يعرف ريجيل السيارة التي قادها الكازاخيون، لكن الفني المتلهف عاود الاتصال بهم. وعندما فعل ولم يتلق أي رد، نظر إلى رؤسائه بربع. أخيراً قال ريجيل: «هذا مثير للدهشة. لا يزال بمقدور رجل في وضعك القضاء على أربعة عملاء من الدرجة الأولى دون إطلاق رصاصة. كما قلت، لم يعد لدينا خلاف معك بعد الآن. من فضلك تعال وسن...».

قال جينتري: «أطلقوا سراح أسرة فيتزروي وسلموا ملفات إدارة الأنشطة الخاصة، وإنما أقسم أنني سأقتل كل شيء حي في ذلك المنزل!».

كان لويد هادئاً، ويداه على ساقيه وقد شمر كمبيه المتعرقين إلى مرافقه. لكنه تحرك الآن. اندفع عبر الغرفة إلى مكتب الفني، وانحنى إلى ميكروفون الهاتف المحمول وقال: «فلتأت أيها الأعرج القدر، في غضون ذلك سأخذ شفرة حادة لأذهب بها إلى الكلبتين الصغيرتين السخيفتين في الطابق السفلي...».

سحب ريجيل المحامي الأمريكي بعيداً عن الهاتف ودفعه بقوة في الحائط الحجري. انحنى بنفسه وتنحنح قائلاً: «نعم كورت، هل تسمع لنا بلحظات لمناقشة اقتراحك؟ أنت تعرف كيف هي الشركات، يجب أن ندعوك إلى اجتماع لمناقشة كل شيء». .

أجاب جينترى: «بالتأكيد يا ريجيل، سأعود بعد قليل. خذ وقتك، لا داعي للاستعجال». وانقطع الاتصال.

صاحب لويد في الفني: «أحضر جميع الفرق هنا، الآن!». رفع ريجيل يده ليُبقي الفني مكانه. عندما تحدث، كان صوته أكثر منطقية: «لأي غرض يا لويد؟ لم يعد العقد على المحك بعد الآن. انتهت اللعبة».

ـ لكن ما زال لدينا الرجل الرمادي!ـ هذه مشكلتنا، وليس مشكلة مجموعة لوران. لن ينفق مارك لوران سنتاً واحداً على فرق القتل الأجنبية لحمايتها. لا يوجد أكثر من عشرين مليون دولار مكافأة يتعين دفعها.

من الواضح أن لويد لم يفكر في هذا. هز كتفيه. وقال: «لا يجب أن تخبر القتلة بذلك».

هز ريجيل رأسه وقال: «لذا بدلاً من محاربة رجل جريح الآن، تريد أن تزعج مارك لوران وأجهزة أمن ست دول، وتحارب مؤسستنا وست دول لاحقاً؟ أعلم أنك مجنون يا لويد، تيقنت من هذا، لكن هل أنت انتشاري أيضاً؟».

كان الفني ينظر إلى مديريه في انتظار التعليمات. ثم أمال رأسه إلى جانب ووضع يده على سماعة الرأس.

وقال: «مهلاً! كل الفرق قادمة إلى هنا على أي حال!». قال لويد سعيداً بتسوية الأمر: «جيد».

سأل ريجيل: «لماذا؟». قال الفني: «اتصل بهم فيليكس. إنه يعرض عشرين مليون دولار نقداً من أبي بكر للفريق الذي يقتل الرجل الرمادي».

صاح لويد: « رائع! متى يبدؤون...».

قال الفني: «ليس رائعاً! لقد أخبرهم أن يقتلوا أي شخص يعترض طريقهم. بما في ذلك الفرق الأخرى! بما في ذلك نحن. سيقاتلون بعضهم البعض من أجل رأس جينتري هنا في القصر!».

لم يتردد كيرت ريجيل: «اسحب كل حراس مينسك إلى داخل المبنى! ألبرت سيرج وأنن، والحراس البريطانيين الثلاثة. يجب أن ندافع عن هذه الجدران ضد كل التهديدات! الرجل الرمادي أو فرق القتل».

نظر الفني إلى ريجيل وقال: «سيصل الليبيون إلى هنا خلال لحظات! وال سعوديون فوق رؤوسنا الآن!».

نظر ريجيل من النافذة للمرة الأخيرة وصاح: «اتصل بمجموعة لوران في باريس، فليأتوا بمرحومية الإخلاء لإخراجنا من هنا! ثم شكل فرق القتل، وأخبرهم أنه لا يزال بإمكاننا العمل معاً. قل لهم كورت بالخارج. أخبرهم أننا لن نسمح لأي شخص بالدخول إلى القلعة. يجب أن يقتلوه قبل أن يدخل».

دار الفني في كرسيه وأجرى اتصالاً بالمقر الرئيسي.

لم يكن لدى جينتري أي نية للاتصال بريجيل مرة أخرى. أمام كل ثانية أجل فيها هجومه على القصر هناك ثانية أخرى يمكن للمدافعين أن يجهزوا فيها أنفسهم، وبحثوا عنه، ويحضروا المزيد من التعزيزات. وقد حان الوقت لقتل الفتاتين.

لا، كان عليه أن يتحرك الآن. كانت الأرض قد غمرها ضوء الصباح وهو يرقد في بستان التفاح في الجزء الخلفي من المنزل. بصعوبة

يمكنه أن يميز حدود البناء الكبير الذي يلوح أمامه على ارتفاع في الضباب الرمادي. لقد قطع ربع ميل منذ سقط فوق الحائط، وكان لا يزال على بعد مائتي ياردة فقط من قصر لوران.

المساحة المكشوفة أمامه هي مصدر قلقه الأكبر. ما إن يتحرر من تغطية صفوف الأشجار والضباب الكثيف العالق في الهواء، سيكون مكشوفاً تماماً. كما حلت طائرة هليكووتر في حلقات عالية في الجو. لم يستطع رؤيتها، لكن المروحة الخفّافة أعلنت وجودها فوق العقار. سيكون هذا صعباً بما يكفي حتى لو لم تكن إصاباته كثيرة، ولكن بغض النظر عن ظروفه الشخصية السيئة، كان يعلم أنه لا وقت ليضيعه. نهض كورت على واقيات ركبته، ثم انحنى بيضاء. شعر بالدم على ساقه اليسرى، وعرف أنه كان يتدفق مرة أخرى من جرح السكين. جرعة المنشط التي أدخلها في مجري دمه ستزيد فقد الدم فقداناً كبيراً.

قال بصوت عال: «تبأ!». فك رشاش (M4) وثبته بين ذراعيه. ثم نهض وركض إلى الأمام بكل ما تبقى لديه من قوة.

ما إن نبه الفني الطوق الأمني حول القصر بأن الرجل الرمادي بالخارج، اندفع سيرج من المطبخ إلى المكتبة وقلب الشاشات مرة أخرى، إذ يعلم أن كاميرات الأشعة تحت الحمراء ستلتقط أي شخص يختبئ في الضباب. حدق باهتمام إلى شاشة واحدة ثم التالية. يرصد ذهاباً وإياباً. سرعان ما ثبت عينيه على صورة. اندفعت يده للراديو على مكتبه.

ووجه البث لجميع العناصر في القصر. منادياً:

«حركة في الخلف! حركة في الخلف! رجل واحد، يتقدم بسرعة!».

جاء صوت لويド عبر الراديو: «أين؟ أين هو بحق الجحيم؟».

أجاب: «في البستان. يا إلهي! يمكنه الركض!».

صرخ لويد عبر الراديو: «أين في البستان؟». أجاب سيرج: «إنه يركض حتى المنتصف!».

اقتجم مراقب البرج الموجة نفسها. كان صوته السميك ذو الل肯ة البيلاروسية هادئاً، عكس صرخة لويد.

وقال: «ليس لدى هدف. لا نرى أي شيء، انتظر، نعم. رجل واحد، يأتي بسرعة! سنقتله!».

ترك موريس مجموعة رائعة من المعدات لجينترى، لكن موريس كان بالتأكيد من الطراز القديم، ولم يكن العتاد الذى اضطر كورت لاستخدامه مثالياً لتلبية احتياجاته. منظار بندقية كولت فى يديه حديدي. لم تكن هناك رؤية ثلاثة الأبعاد مثل التكنولوجيا الفائقة ذات اللمسات السحرية التى يفضلها جينترى.

تضمح ملامح القصر أمامه شيئاً فشيئاً، إذ يركض بسرعة مخترقاً الضباب بمشقة، وقد رصد البرج أعلاه. كان يعلم أن هذا سيكون مخباً قناص، وتعلم أن هذا الرجل سيكون لديه أفضل مهارة وأفضل نطاق وأفضل بندقية وأفضل فرصة لوضع حد لهجوم الرجل الواحد الهزلي الذى يجريه كورت.

لذلك رفع الرجل الرمادي بندقيته على كتفه، ولا يزال في طريق مسدود. كان من المستحيل إطلاق النار بمنظار حديدي في أثناء الجري؛ هدفه ببساطة هو ضخم أكبر قدر ممكن من الرصاص في البرج لإلهاء أعدائه ربما يصل إلى جدار المبني. علم كورت أنه لا يوجد شخص في المنزل لديه القدر نفسه من التدريب أو الخبرة في المعارك عن قرب مثله. عليه فقط البقاء على قيد الحياة لفترة طويلة بما يكفي لتصبح معركة عن قرب، فيحصل على أي نوع من فرص النجاح.

رأى القناص الهدف يطلق النار من الضباب أمامه. تطايرت خصلات من البخار في دوامة خلفه وهو يركض. عدل البيلاروسي ذو الثلاثين

عاماً تصويبه ووجهه نحو صدر الرجل الجريء. وضع إصبعه على الزناد من أجل طلقة سريعة في منتصف الصدر.

لقد لاحظ الدروع الواقية للبدن تحت السترة الحرية، وأنزل كعب بندقية القنص الكبيرة ملليمترًا للتتصويب على جبهة الرجل السريع. عندما بدأت أطراف أصابعه في الضغط على الزناد الضيق، شعر بسلاح هدفه الأساسي يرتفع أمامه، لكنه لم يرَه. ومضات من فوهة السلاح وقططقة نيران البندقية. ثم سمع القناص أصوات فرقعات وانفجارات في حجارة وخشب البرج، وامتلاأ الهواء من حوله بغبار دخاني حيث اصطدمت قذائف فائقة السرعة مغطاة بغطاء معدني بحجارة عمرها مئات السنين. صرخ المراقب إلى يساره، لكن القناص كان منضبطاً. لم يرفع خده عن البندقية، ولم يرفع عينيه عن المنظار، وضغط الزناد بثقة تجاه الرجل الذي انطلق نحوه.

أطلق جينترى ما يقرب من ثلاثين رصاصة كاملة على البرج الذى يلوح فوقه بينما يقترب منه بأسرع ما يمكن. لقد أراد إنهاء الخزينة ببعض طلقات أكثر دقة في اتجاه البرج، لذلك ثبت البنديبة السوداء في مستوى العين أمامه، وحاول أن يحصل على تصويب عبر فتحة المسدد الدائيرية فوق مقبض البنديبة. وحين فعل ذلك ارتدت البنديبة مرة أخرى في وجهه، وأفلت بقوة من بين يديه، وانقلبت في الهواء.

ركض كورت دون سلاح.

بعد نحو أربع خطوات أو خمس عبر العشب المبلل، كان وجهه يحترق ألمًا من أثر ضربة الكعب أسفل عينه، أدرك أن بندينته (M4) لا بد أنها أصيبت بقذيفة من بنديبة عالية القوة. على أي حال فقد سلاحه الأساسي، أدرك أن البنديبة قد أنقذت حياته، مما أدى إلى تحريف اتجاه رصاصة القناص إلى رأسه.

مد يده إلى أسفل، وسحب المسدس الرشاش من مكانه على صدره دون أن يفقد اتزانه. أطلق النار مرة أخرى على البرج الذي لا يبعد عنه أكثر من مائة ياردة. كان مسدس (MP5) فعالاً مثل مضرب ذباب يحمله رجل يركض عبر أرض مكشوفة، ويطلق النار على نافذة صغيرة بعيدة دون تصويب، لكنه كان يأمل في أن يؤدي ذلك على الأقل إلى إلهاء بعضهم.

رأى القناص الرجل الذي يركض يتراجع من أثر رصاصته، فرفع رأسه بعيداً عن المنظار ليدعم زميله، لقد تلقى وجهه ضربة من قطعة حجر، فكسرت نظارته ونفخت جبهته، لكنه كان متمسكاً ولم يصب بأذى

شديد. عندئذ اندلع المزيد من إطلاق النار من الحديقة الخلفية. وفجأة نظر القناص البيلاروسي إلى أسفل، ورأى الرجل الذي أيقن أنه أطلق عليه رصاصة، يواصل مهمته.

علم الرجل في البرج من التقارير الواردة عن وجود البندقية في يده، أن الرجل الرمادي قد انتقل إلى مسدس رشاش عيار 9 ملم. سرعان ما جلس على الطاولة ببندقية القنص. تولى موقعه خلف المنظار في أقل من ثانية. فجأة اندلعت فرقعة جديدة من نيران البندقية، هذه المرة من خلفه على الجانب الآخر من القصر. لم يفهم للحظة ما كان يحدث، حتى جاء صوت أحد أبناء موطنه عبر الراديو على المنضدة: «إنهم الليبيون! إنهم عند البوابة الأمامية! تخلص منهم أيها القناص!». بتردد رفع القناص بندقية الدراجونوف الكبيرة من الطاولة وأخذها إلى البوابة الأمامية للبرج. أصبح الرجل الرمادي مشكلاً شخص آخر الآن، عليه أن يستتبk مع الأهداف البعيدة، الليبيين. ولم يعد الرجل الرمادي بعيداً. كان قريباً.

خارج برج القناص مباشرة حلقت مروحيّة اليوروكوپتر السوداء على ارتفاع منخفض فوق ممر السطح. اندفع أربعة عملاء سعوديون مدججين بالسلاح والمعدات العسكرية، وقفزوا من ارتفاع ست أقدام في الجانب الشرقي من السطح المنبسط، لقد تجاهلوا المعركة التي تدور عند مدخل المبني، وبدلاً من ذلك، اتخذوا جميعاً موقع خلف الأسوار المزخرفة التي تطل على الحديقة الخلفية، وعلى الرجل الوحيد الذي يركض نحوهم في المساحة المكشوفة.

عندما أوشك جينتري على بلوغ هدفه، أعاد تصويب نيرانه من البرج فوق القصر إلى نافذة في الطابق الأول حيث ومضت فوهة سلاح عدة مرات، أفرغ جينتري خزينته الأولى في النافذة أمامه. حُطمت الجدران حول النافذة، وانكسر الجرانيت إلى قطع مغبرة، وتحطم الزجاج،

وخفقت الستائر الدانتيل يميناً ويساراً حين وصلت إلى المكان بضم طلقات رصاص من بندقية كورت.

كان من الصعب إطلاق النار بسرعة كاملة، وكذلك يستحيل التصويب بدقة. لم يَرْ كورت المزيد من مضات الفوهة من النافذة، لكنه لاحظ بدلاً من هذا طائرة اليورو كوبتر السوداء الأنique فوقه وأمامه، والرجال الذين قفزوا منها.

لا يزال على بعد سبعين ياردة من أقرب غطاء، لقد دفع ساقيه بقوة أكبر ليقترب من القصر قدر الإمكان قبل أن يحصل الرجال - الذين يغادرون الآن المروحة السوداء - على وضع يسمح لهم بالانقضاض عليه. هنا على العشب المسطح سيكون هناك بطة جالسة أم نيران مصوّبة.

جذب جينيري قبلة يدوية من سترته في أثناء ركضه، ونزع الفتيل
بأسنانه، وتركها تطير.

ظهرت أمامه مباشرةً هيئة ضخمة بشعر أشقر من نافذة في الطابق الثالث، رفع مسدساً وأطلق النار عبر الزجاج. طار كورت إلى الأمام على العشب الأخضر الرطب لتجنب النار، وسقط على كتفه اليمني، وتدحرج بسرعة إلى الأمام. عندما أنهى تدحرجه، نهض على قدميه.

منع الركض والوثب جسده دفعه هائلة، قوة دفع استخدمها لإلقاء القنبلة اليدوية عالياً وبأقصى قوته. على بعد خمس وأربعين ياردة انطلق أزيز قنبلة بحجم حبة بطاطس في الهواء في حركة دائيرية، وارتقت فوق حافة الحواجز، ثم انفجرت، لكنها لم تصب مروحة اليوروكوبتر التي هربت إلى السماء، لقد هربت من القتال بأسرع ما يمكن. أسرف الانفجار فوق رؤوس السعوديين عن مقتل رجل على الفور وإصابة آخر في رقبته وظهره. وجد الاثنان الآخران الغطاء في

الوقت المناسب، لكنهما أضاعا فرصتهما في الحصول على تسديدة مفتوحة على هدفهم في الحديقة.

عند مدخل المنزل، لقي اثنان من بيلاروسيا وليبيان حتفهما بالفعل. قُتل الحراس من مينسك بالقرب من البوابة الأمامية. كانوا يركضون عائدين إلى القصر الآمن عندما تعطلت شاحنة عملاء طرابلس أمام البوابة الحديدية، أطلق الشرق - أوسطيون النار من مسدساتهم الآلية من طراز سكوربيون من السيارة المتحركة. قُتل الليبيان عندما أصدرت الشاحنة صريراً حتى توقفت في الطريق المرصوف بالحصى.

قتل قناص البرج العميل الجالس في مقعد الراكب الأمامي برصاصه في وجهه، ونال الرجل الأول الذي انزلق من الخلف ثلاث طلقات من البيلاروسيين الوحدين اللذين ما زالا خارج القصر.

قتل الليبيان المتبقيان الرجال في الممر، وأغلقا باب القصر الأمامي. أطلقوا الرصاص الآلي من مسدسات سكوربيون الآلية على نوافذ كلا الجانبين، وحافظا على مسافة مناسبة بين أحدهما الآخر، وصاحا مطالبين بالاختباء في أثناء إعادة تعبئة السلاح وإعادة تمويعهما.

أطلق رقم اثنين نصف خزينة على مفصلات الباب المصنوع من خشب البلوط الثقيل، ثم فتحه. وفي أثناء إعادة تعبئة السلاح، اصطدم بالمبني الأمامي، وأصيب بدفعتين من الرصاص من حارس أيرلندي شمالي في الردهة، مما أردى الليبي قتيلاً على الأرض. رد الليبي الآخر الذي ما زال على قيد الحياة على الأيرلندي بالسكوربيون؛ فتثارت الدماء والأنسجة على الجدار الأبيض خلف الرجل في الردهة في أثناء سقوطه.

لم يَرِيَّ ريجيل شيئاً مثل هذا من قبل. كان الرجل الرمادي في مرمى البصر، يرتدي قميصاً بنيناً أدقن عليه بقع دماء عند خصره، وجراب مسدس ينسدل على وركه اليمنى، ويوضع خزيتين في وركه اليسرى.

وتزين صدره سترة سوداء ومسدس رشاش. حليق الرأس، وحتى على بعد خمسين ياردة، ظن كيرت أنه لاحظ الشراسة في عينيه.

عندما سحب ريجيل مسدسه ووجهه نحو الرجل الراکض، كان يعلم أنها كانت تسدية بعيدة المدى بالنسبة لمسدس، لكن بالنسبة لرام ماهر الألماني، ما كان يجب أن يخطئ هدفه. لكن الرجل الذي يركض انخفض بعيداً عن رصاصاته، وتدحرج إلى اليمين تماماً لينهض على قدميه، وألقى قبلة يدوية في الهواء.

اختباً ريجيل تلقائياً بجوار مكتب الفني، مفترضاً أن القبلة كانت تستهدفه. ودوى الانفجار فوقه على السطح. سمع صرحاً وصياحاً عبر النافذة، وسرعان ما استعاد موقعه ليطلق بعض رصاصات أخرى على جيترني في أثناء اقترابه.

لكن عندما نظر إلى الخلف عبر النافذة، كان الرجل الرمادي قد اختفى، والآن لا توجد طريقة لمنعه من دخول المبني.

رائع. تماماً كما وعد جيترني عبر الهاتف في الليلة السابقة، أصبحت الفريسة هي المفترس.

اصطدم ظهر كورت بجدار القصر، وأعاد تعبيته سلاحه بخزينة جديدة من حزام الأدوات المعلق على فخذه. كان الرجل الأشقر الضخم يحمل مسدساً فوقه بطبقتين مباشرة. ويعلوه مباشرة من يطلقون النار من المروحة. أيقن بطريقة ما أنه أضعف صفوفهم بعض الشيء، لكنه لم يتواهم أنه أزال التهديد الموجود على السطح.

على يساره ويمينه كانت هناك نوافذ في مستوى خصره.

تحطم الزجاج بمسدس جيترني الرشاش فأصبح من الخطر الدخول دون الاستعداد أولاً. على يساره كانت هناك درجات تصعد إلى الباب الخلفي الرئيس، وقرب الزاوية على يساره كان ثمة معركة محتملة في مدخل السيارات الأمامي، وإلى يمينه الجدار الخلفي الطويل مبطناً

بالنوافذ، ثم مجموعة صغيرة من الأبواب. انطلق منحنياً بطول الجدار، تحتك كتفه بالحجر ليقى بعيداً عن أنظار الصيادين فوقه.

كان بالقرب من الباب عندما فتح للخارج. رفع سلاحه لإطلاق دفعة من النيران عبر الباب الخشبي، لكنه تردد في الثانية الأخيرة. ماذا لو كان أحد أفراد أسرة فيتزروي، أدرك كورت أنه لم يكن أفضل رجل لتنفيذ عملية الإنقاذ.

وقت القتال يفضل أن يطلق النار على أي شيء يتحرك؛ الآن كان عليه أن يتذكر لحظة إضافية لتحديد هدفه.

أطل رأس من حافة الباب، فكان كبيراً وسلافياً، وعندما رأى ماسورة البنديبة تمر من حافة الباب، اقتنع جيتري نفسه بصحة هدفه. أرسل ثمانية طلقات عبر الباب إذ يركض نحوه. وأغلق الباب، لكن البلطجي الذي مات لتوه ترك حاجز الباب مفتوحاً أمام جيتري ليدخل ردهة مظلمة.

مع أول صوت لإطلاق النار في الحديقة الخلفية، ركضت كلير وكيت فيتزروي إلى أمهما النائمة لهزّاهما وتصححاً في وجهها لتسقط. تعثرت إليز فور وقوفها على قدميها، فساعدتها الفتاتان على التوازن بأيديهما، وقادتاها إلى الجانب الآخر من غرفة النوم، حيث جلس الجد دونالد منتسباً على السرير المغطى ذي الأعمدة الأربع.

أبلغتهم كلير أن جيم يريدهم جميعاً تحت الفراش، ووافق الجد دونالد.

نزلت الأم بسرعة متمددةً ووجهها إلى أسفل على الخشب الصلب. تكونت كلير وكيت معاً في خوف، واسترقتا النظر تحت مفرش السرير باتجاه باب الردهة، بينما ظلل الجد دونالد فوقهما.

بعد انفجار مدوٍ على السطح من طابقين بالأعلى، نادى الجد دونالد الحارس: «ما كسباً دن! ما كسباً دن!».

رأت كلير حذاء الحارس الأسكتلندي يتحرك إلى الغرفة، وسمعت المحادثة فوقها، رغم أنها لم تفهم كل الكلمات.
ـ يا فتي، من الأفضل أن تركض الآن، لكن كن شاباً مطيناً واترك لنا سلاحاً.

ـ تبأ لك يا فيتزروي! فات أوان الجري. سأحتاج إلى سلاحٍ لمحاربة كلبك المهاجم. يقولون عبر الراديو إنه موجود بالفعل في المنزل.
ـ ما كسبادن، إذا رأيت كلبي المهاجم، فسيكون آخر شيء ينقذك هو مسدس في يدك. قد تخلع لباسك الداخلي الأبيض وتلوح به استسلاماً إذا لم تكن لطخته بالفعل. هيا يا فتي. أنت تفهم ما الذي تواجهه. لا يمكنك إنقاذ نفسك إلا بمساعدتنا.

رأت كلير الرجل يجر حذاءه كما لو كان على وشك الهرب، لكنه عوضاً عن ذلك عاد إلى جدها. مد يده إلى أسفل، ورفع إحدى ساقيه سرواله، وجذب منه مسدساً فضياً لامعاً.

وضعت كلير يدها على فم كيت لمنعها من الصراخ.
ـ سأترك لك النسخة الاحتياطية الخاصة بي. فقط ست رصاصات صغيرة.

ـ إنها رائعة يا بطل. الآن انطلق، اخرج من الباب، لترحسنا في حال ما إذا جاء ريجيل أو ذاك المعتوه لويد للتحقق. وإذا رأيت الرجل الرمادي، فأخبره أنك معي.

ـ حسناً، سيكون هذا جيداً لو أراد الدردشة معي أولاً. لقد انتهى أمري يا فيتزروي.

ابتعدت قدمًا الحارس وغادر الغرفة. بعد ثوانٍ قليلة، انزلق الجد دونالد من الفراش وزحف تحته، وبرز المسدس اللامع في يده المكتزة.

كل شيء على ما يرام، سيداتي. لن يمر وقت طويل الآن. الفتى جيمي في الطريق.

بقي ريجيل ولويد والفنى في غرفة التحكم بالطابق الثالث. وقف لويد بالقرب من الباب المفتوح الذي يؤدى إلى الردهة ومسدسه يتدللى في يده اليمنى، وياقة قميصه الزرقاء الدكناه مفتوحة، وقد علقت تحتها عقدة ربطة عنقه.

وقف كيرت والفنى أمام أجهزة الكمبيوتر، بالقرب من النافذة المحاطمة في منتصف المسافة بين مخرجى الغرفة. استخدما أجهزة الراديو للتواصل مع من تبقى من البيلاروسيين في جميع أنحاء المبنى، والمهندسين الفرنسيين في الطابق الأول. فقد أحد الأسكنلنديين، لكن الأسكنلندي الآخر والأيرلندي كانوا لا يزالان في موقعهما.

اندلع إطلاق نار فجأة على السطح، وافتراض الألماني الكبير أنهم السعوديون في المروحية اليورو كوبتر يشتباكون مع فريق القناصة عبر نوافذ البرج. فاتصل بضابط الأمن الأسكنلندي وأمره بالصعود إلى الطابق الثالث لتغطية القاعة أمام مخرج الغرفة الرئيس.

عندئذ أعلن أحد البيلاروسيين عن وصول السريلانكين وتقديمهم عبر المدخل الأمامي. حاول التحدث إلى فريق القناصين على السطح لكن لم يرد عليه أحد.

ولا أحد يعرف أين ذهب الرجل الرمادي.

أيقن ريجيل أن مهمته الوحيدة الآن هي بقاوه على قيد الحياة. لم يكن بحاجة إلى الرجل الرمادي ميتاً؛ انتهت هذه المهمة. ومع ذلك، إذا دخل جينتري إما من باب القاعة على يمينه، أو من مدخل السلم الدائرى إلى يساره، إذا جاء أي شخص من أي مكان، فسيطلق ثلاث رصاصات من سلاح شتاير الكبير في وجهه قبل أن يزعج نفسه بمعرفة هوية المقتحم.

عليه فقط أن يصمد حتى وصول طائرة الإنقاذ من مقر الوطن.

أراد كورت أن ينحني ويتحرك خفية عبر المنزل، لكن ألم بطنه حال دون هذا. إن اضطر إلى الحركة، وهو ما سيحدث بالتأكيد، يمكن حينها أن يسقط، يتدرج، يزحف، أيًّا كان ما سيتعين عليه فعله. لكنه يخشى أنه إذا اضطر إلى الانبطاح أو الاختباء فقد لا يتمكن من النهوض. لذلك سار منتصبًا بشكل كامل، يكاد يجر ساقه اليسرى المخدرة خلفه.

سمع إطلاق نار فوقه في المطبخ الضخم، في الطابق الثالث أو السطح ربما. في الطابق الأول، بالقرب من الردهة، بدا الأمر لأذني الرجل الرمادي المتمرستين كأن معركة فرد ضد مجموعة قد انتهت للتو، والآن وصل تهديد جديد، ربما أربعة ضد أربعة.

استطاع أن يميز دوي رصاص بنادق الكلاشنكوف وبنادق عيار 12، وصياحاً روسيًا بدا أنه من أحد أطراف القتال. اجتاز كورت المطبخ. كاد يصل إلى باب باتجاه الجزء الخلفي من القصر، بعيدًا عن إطلاق النار، عندما ظهر أمامه عند المدخل رجل أسود يرتدي بدلة بنية.

صوب كورت المسدس الرشاش على الرجل واسع العينين وسأله: «من أنت؟».

أجاب: «فقط الخادم الشخصي، سيدتي. ليس لي دور في هذا». أمسك جينترى بالرجل من حلقه وقاده باتجاه الحائط. ضغط فوهة سلاحه الساخنة على رقبته النحيلة، وفتح الأمريكية أسيره بسرعة فلم يجد سلاحًا واحدًا. ألقى كورت هاتف الرجل الخلوي في إناء من الماء على الموقد المجاور له. لم يعثر على أي هوية معه.

ـ ما اسمك؟

ـ فيليكس.

ـ دعني أخمن. فيليكس كبير الخدم النيجيري؟

ـ لا سيدى. أنا من الكاميرون.

ـ بالطبع يا صديقي.

دفع كورت الرجل باتجاه الباب من نهاية المطبخ. أبقى الرجل الأسود يديه في الهواء وهو يمشي وخلفه جينترى بعده أقدام. عبرا غرفة طعام مزخرفة مع مدفأة مطلية بالذهب وطاولة ضخمة من خشب البلوط. اصطفت الجداريات واللوحات على الجدران. عندما دخل إلى ممر صغير له باب على يساره مباشرة، همس جينترى مرة أخرى للرجل أمامه: «ماذا يوجد هناك؟».

قال بتردد: «إنها... إنها غرفة نوم».

ـ أنت غير واثق؟ خادم لا يعرف غرف المنزل؟

ـ أخبرتك.. غرفة نوم. أنا جديد هنا يا سيدى. أنا خائف.

ـ افتحه. دعنا نرَ ما إذا كنت على حق.

سحب كورت مسدسه الجلوك وأمسكه خلفه بيده اليسرى إذ يمشي في الردهة، بينما يصوب المسدس الرشاش إلى رأس فيليكس بيمنيه. فتح الرجل ذو البذلة الباب، وعاد إلى الرجل الرمادي. نظر كورت بطرف عينه، حيث تكدرست ملاءات وبطانيات في الأرفف من الأرضية إلى السقف. لم تكن غرفة نوم. بل كانت خزانة أغطية كبيرة.

قال كورت: «إذا كنت كبير الخدم، فأنت فاشل».

لم يقل فيليكس شيئاً. واستمر إطلاق النار في مدخل المنزل دون توقف.

ثبت كورت الجلوك على وركه، وأخذ آخر قنبلة يدوية من سترته. سحب الدبوس ووضعه في جيبيه، وأمسك بالمسمار إلى أسفل، ووضعه في يد فيليكس المترعرقة. عندما تيقن القاتل الأمريكي من استسلام أسيره قال: «لا تسقطها. ولا تحسب أن بوسعك استخدامها ضدى. يوجد فتيل مدمٍ ست ثوان.. متسع من الوقت لأرديك قتيلاً وأدخل غرفة لأتفادى الانفجار».

قال فيليكس بصوتٍ واهن. «ماذا أفعل...؟».

أجاب كورت: «استمر في السير أمامي وحسب. سأخذها منك وأدعك تغادر ما إن أصل إلى هدفي. لا تقلق، ستعود إلى وطنك في الكاميرون في أسرع وقت».

انعطف الممر إلى اليسار وانتهى عند مجموعة كبيرة من الأبواب المزدوجة. دفع كورت الرجل المرتبك إلى الأمام، حاول الرجل التحدث مرتين لكن جينترى كتم لهجته الإفريقية القوية، وأمره قائلاً: «افتح تلك الأبواب». بينما لا يزال في الخلف عند انعطاف الممر. قال فيليكس: «لكنني...».

صوب جينترى مسدسه الرشاش نحو رأس الرهينة، فاستدار فيليكس ببطء، وفتح الباب الأيمن، بينما يخبي القنبلة خلف ظهره بيده اليسرى.

تردد على الفور صدى فرقيات نيران المسدس خارج الغرفة أمامه، وتناثرت شظايا البلוט من الأبواب الثقيلة. دار فيليكس في مكانه وسقط على وجهه في المدخل. في حين خرج كورت من خط النار، وسقط على واقيات ركبتيه وهو يلهث، وراح يعد إلى ستة.

تحرك سيرج وأنن نحو باب المكتبة في وضع القتال مصوبين مسدسات بيريتا في أيديهما الممدودة.

تعرف أنن إلى الرجل الذي قتله للتو. «إنهم النيجيريون».

قال سيرج: «تبا!». وضغط على زر جهاز الاتصال اللاسلكي الخاص به في اللحظة التي انفجرت فيها القنبلة اليدوية الموجودة على الأرض بجوار جثة الرجل الميت.

قفز كل من لويد والفنى عند سماع صوت القنبلة اليدوية على مسافة طابقين أسفلهما مباشرة. لم تأتِ الضوضاء من تبادل إطلاق النار

المحتمد في الردهة، بل ارتدت إلى مؤخرة المبني. جاء الصوت أيضاً عبر مكبرات الصوت في أجهزة الراديو الخاصة بهم.

ألقى كيرت ريجيل نظرة خاطفة من النافذة مرة أخرى. لقد رأى الطائرة السوداء من طراز يورو كوبتر تجرف داخل ضباب الصباح وخارجها في أثناء تحليقها جنوباً. تحرك رجلان في انحناء بالأسفل قرب النافورة الرخامية في الحديقة. كانوا صغيري البنية ذوي بشرة سوداء، يحملان مسدسات آلية، ويرتديان ستراتي تزلج سوداويين.

قال ريجيل في الغرفة ببرود: «وصلت فرقة القتل من بوتسوانا، أو ربما هؤلاء هم الليبيريون»..

قال لويد من ورائه: «إنها أمم متحددة افتراضية من المتسكعين هنا». شاهد الألماني الأفارقة يقطعون الحديقة باتجاه سلم الباب الخلفي. لم يطلق عليهم النار، فمع وجود الرجل الرمادي في المبني، شعر كيرت أن هناك فرصة أفضل لأن يكون هؤلاء البوتسوانيون عوناً أكثر من كونهم عائقاً.

قال ريجيل: «لتحصن في هذه الغرفة. سيعين علينا نحن الثلاثة أن نتمسك بالجميع حتى تصل المروحة من باريس».

سأل لويد: «حتى لو نجوت من هذا سقتلني، أليس كذلك؟». أجاب ريجيل وهو يضع مسدسه في جراب كتفه تحت سترته: «جينيري كان على حق. عليك أن تقلق أكثر مني الآن. تعال وساعدني». رفع كرسيّاً ليضعه أمام باب السلم الدائري.

قال لويد: «مهما يكن الأمر، أفضل التعامل مع أي تهديد في أقرب فرصة ممكنة».

كان ريجيل يولي ظهره للويد، فتوقف وأنزل الكرسي وساوى كتفيه، ثم استدار ببطء. صوّب المحامي الأمريكي المسدس الآلي الفضي إلى صدر كيرت على مسافة عشرين قدماً. وقال:

«أنزل هذا المسدس. هيا يا زميل! ليس لدينا وقت لهذا. سيكون لدينا متسع من الوقت بعد العملية بعد أن نخرج من هنا». جلس الفني على المكتب وراقب الرجلين بحدة دون أن ينطق بكلمة.

قال لويد: «كان بوسعي أن أمسك بالوغد، وأن أحافظ بالعقد. عمليتك فشلت، وليس عمليتي». – كما تشاء يا لويد.

ـ لا، أريدك أن تقول ذلك. أخرج هاتفك بيضاء، اتصل بالسيد لوران وأخبره أن خطتك قد فشلت. تحمل المسؤولية.

ـ وبعد ذلك ستطلق على النار؟ فكر يا لويد! سيعرف أنني كنت أتحدث مكرهاً.

لأول مرة يسمعون طلقات نارية في الطابق الثالث، بعيداً عن الممر من موقعهم.

أكمل ريجيل: «يجب أن نغلق الغرفة الآن! ستتحدث فيما بعد!». – أخرج هاتفك، أجرِ المكالمة، لا تخدعني!

نهذ كيرت ومد يده اليمنى بيضاء إلى سترته.

رمق لويد بنظرة ثاقبة بدلاً من النظر في الهاتف، وضع ريجيل يده حول عقب المسدس. عندما بدأ يسحب المسدس من مخبئه، واستعد للاختباء جانباً لتفادي إطلاق النار الحتمي من المحامي، لاحظ أن عيني لويد قد ابتعدتا عنه وركزتا على شيء خلفه. انتهز كيرت الفرصة لسحب المسدس، وصوبه في صدر الأميركي، وحين كان على وشك إطلاق النار على لويد المشتت، نادى صوت من الخلف.

هل جئت في وقت غير مناسب؟

قال لويد: «أنت تنزف بشدة يا كورت». ظل مسدسه مصوّباً إلى ريجيل، وظهره إلى المدخل المفتوح في الطابق الثالث. لكن عينيه كانتا على الرجل الملطخ بالدماء في عتاده العسكري. ظهر الرجل الرمادي في صمت عبر باب السلم الدائرى، وبينما ثبت لويد نظره على يد كيرت داخل سترته، باعثه جينترى بمسدس رشاش عنيف المظاهر في مستوى النظر، مصوّباً فوهته إلى صدر لويد.

قال جينترى: «ألقوا أسلحتكم».

سأل كيرت بينما يولي ظهره للرجل الرمادي: «إلى من تتحدث؟». ولكي يرى جينترى كان عليه أن يرفع عينيه عن لويد، ولم يكن على استعداد لفعل هذا.

أجاب كورت: «إذا كان لديك سلاح في يدك، أيها الأحمق، فأنا أتحدث إليك».

قال لويد: «لن تصمد طويلاً يا كورت، أيها الصديق القديم. وجهك شاحب، لقد ضعفت كثيراً، دمك يلطخ الأرض».

قال كورت: «سأعيش طويلاً بما يكفي لركل مؤخرتك. ألق أسلحتك. أنت هناك عند الطاولة. انهض بيضاء».

كان الفني هو أول من نفذ ما قيل له. وقف ويداه مرفوعتان فوق رأسه وهو يرتجف خوفاً.

بدأ لويد بإinzال مسدسه. تبعه كيرت ريجيل، إذ حول الألماني نظره من لويد إلى الفني للحظة.

وحينئذ أطلق لويد رصاصة في صدر كيرت ريجيل.

أمسك الألماني الضخم بمكان الجرح ثم سقط على جانبه. تدحرج مسدس شتاير بعيداً على الأرضية الخشبية فصرخ الفني ذعراً. أطلق الرجل الرمادي سلسلة من الطلقات النارية على لويد حين اختفى في مدخل القاعة. عانى كورت نوبة دوار، نتيجة حتمية لأنخفاض ضغط دمه. تأرجح على ركبتيه وعيناه تلمعان.

بدا أن عقله يستعيد تشغيله، وعندما استعاد تركيزه، أدرك أنه قد أنزل المسدس الرشاش إلى جانبه، لكنه سرعان ما صوبه نحو الرجل ذي ذيل الحصان وسماعات الرأس الذي وقف بجوار مكتب أجهزة الكمبيوتر. لم يُبَدِّل الرجل أي حركة سوى ارتعاش يديه فوق رأسه. أدرك جينترى أنه كان من الممكن أن يجري إسقاطه بسهولة هناك في بعض ثوانٍ بأخف حركة، ففرح لأن خوف الرجل ذي ذيل الحصان كان أكبر من أن يحاول فعل ذلك.

سأل كورت: «من أنت؟».

- فقط.. فني، يا سيدى. أدير الاتصالات وما إلى ذلك. ليس لدى أي مشكلات معك.

- على الأقل لم تحاول أن تقنعني بأنك خادم شخصي.

- عفواً، سيدى؟

قطع كورت الغرفة نحو الرجل، وفي الطريق أبقى سلاحه مصوياً إلى باب الردهة المفتوح، وركل مسدس شتاير بعيداً عن جسد ريجيل في أثناء مروره. وجذ كورت الملفات السرية لإدارة الأنشطة الخاصة على مكتب الفني.

- هل هذا كل شيء؟

- حسب معرفتي يا سيدى.

- ألا توجد نسخ احتياطية؟ ألا توجد نسخ أخرى؟

- لا أعتقد هذا.

أطاح بهم كورت وألقاها في المدفأة، ثم أمر الفني بإشعال النار فيها. ما إن بدأت الملفات تتحرق، أدار الرجل الرمادي الفني ودفعه مرة أخرى إلى مقعده، في مواجهة الأجهزة أمامه. وسأله: «أنت من تتواصل مع الرجال الذين يطاردونني؟».

ـ أوه لا يا سيدي! لست أنا! أنا فقط أحافظ على الكهر...

ـ أعتقد أنني لست بحاجة إليك إذن، أليس كذلك؟

أوما الفني بسرعة وغير نبرته فجأة وهو يقول: «نعم، سيدي! أنا مسؤول عن جميع الاتصالات والتنسيق بين فناني الأرضفة وعملاء الحكومة».

ـ جيد. اتصل بهم جميعاً. قل لهم إنني قفزت للتو من النافذة وأهرب عبر البستان في الخلف.

ـ حلالاً، يا سيدي.

اهتزت يدا الفني بشدة عندما قلب مفاتيح وحدة التحكم اللاسلكية الخاصة به لتشغيل كل موجات الراديو في الوقت نفسه. قال: «كل العناصر، هنا الفني. تسلل الهدف إلى القصر. إنه يتحرك إلى الشمال، عبر البستان سيراً على قدميه».

قال كورت: «أحسنت. والآن، اخلع حزامك».

نفذ الفني ما قيل له بسرعة وقدمه للرجل الرمادي.

ـ عض عليه بقوه.

ـ عفواً سيدي؟

ـ نفذ!

اتسعت عينا الفني ووضع حزامه في فمه.

سأل جينتري: «هل بعض؟». أوما الفني برأسه.

قال كورت: «جيد».

ثم ضرب صدغ الرجل بکعب مسدسه، فسقط الفني من كرسيه، لكن جينترى أمسك برأسه بعدها فقد وعيه ووجهه إلى أسفل على المنضدة أمامه. ثم أطلق جينترى خزينة كاملة على أجهزة الكمبيوتر، وأجهزة الراديو على المكتب.

تعثر كورت إثر نوبة دوار أخرى، لكنه استرد البنديقة وأعاد حشوها، دقق في الوثائق المحترقة في المدفأة. وارتضى بنجاح هذا الشق من العملية، ثم خرج إلى ممر الطابق الثالث، وبنديقته الصغيرة أمامه.

كانت كلير فيتزروي هي أول من سمع صوت وقع الأقدام خارج الباب.

دوى إطلاق النار عن قرب، حتى في الخارج مباشرة قبل بضع دقائق، ولكن الأجراء هدأت منذ ذلك الحين، غير أن شخصا آخر كان يتقدم. لقد ضغطت كلير على كتف الجد دونالد بقوة من الخوف.

رمشت عيناهما الصغيرتان بشدة من التوتر، لكنهما تسمرتا على الجزء السفلي من الباب المؤدي إلى الرواق.

سمعت رنين المعدن على الخشب، والمزيد من المراوغات، ثم قعقة المزلاج. ففتح الباب ببطء، وشعرت كلير أن ذراع جدها السميكة تضغط بقوة على المسدس في يده، الذي صوبه الآن على قدمين تدخلان الغرفة.

كان حذاء الرجل الأيسر مبتلاً وأحمر.

أنا إيوان يا سيد دونالد. لا تطلق النار.

بدأت كلير بالزحف مع الجد دونالد، لكنه دفعها إلى الخلف ونهض بعدها مباشرة.

قال الجد: «من الجيد رؤيتك يا بني!».
أين الفتاتان؟

تعرفت كلير إلى صوت السيد جيم، والآن لا شيء يمكن أن يمنعها من الزحف من تحت السرير. عندما وقفت، ركضت نحوه واصطدمت بساقه وخصره، وعائقته بقوة أكبر مما يمكنها أن تعانق أي شيء في حياتها. مرت بضع ثوانٍ قبل أن تبتعد وتنظر إليه. كان يرتدي سترة سوداء على صدره ومعه بنادق وحقائب على حزام يتذليل من ساقيه. في يده بندقية، ووجهه ورأسه الأصلع كانا أبيضين مثل ورق الكتابة، وقد غرق سرواله البني في الدماء.

كانت عيناه حمراوين ودامعتين. يقطر العرق من وجهه مثل ماء المطر.

لاحظ الجد دونالد أيضًا بقعًا على ملابس جيم.

— لهذا دمك يا فتى؟

— لا، ليس كذلك. افترضته.

— بحق الجحيم يا رجل. أنت بحاجة إلى طبيب.

— أنا بخير.

أشار جينتري إلى الحراس الأسكتلندي الذي يقف بجانبه وقال: «يقول هذا الرجل إنه معك».

— إيوان كان متعاوناً للغاية.

— هل تثق به بما يكفي لأعطيه سلاحاً؟

صمت للحظة ثم قال: «أثق به». ثم أضاف: «فقط احترس لنفسك يا ماكسbaden».

أجاب: «أجل، سيدi».

خلع جينتري المسدس الرشاش (MP5) من رقبته وسلمه إلى ماكسbaden. سحب جينتري مسدس جلوك الخاص به من العدة حول ساقه، وأمسكه بجانبه. وسأل: «أين لويد؟ أعتقد أنني أصبته، لكنه ابتعد عنّي. ظننت أنه سيكون هنا في الأسفل ليأخذ رهائن».

قال الجد دونالد: «لم أَر ذلك البغيض». فنظر جينتري إلى كلير وكيت.

ـ دون، أمسك عليك لسانك.

ـ آسف.

نظر كورت حوله وسأل: «أين إليز؟».

سحب ماكسbadن وسير دونالد السيدة فيتزروي من أسفل الفراش من ذراعيها. ثبّتها ماكسbadن على كتفه ممسكا بالمسدس الرشاش أمامه بينما يتحرك. قاد إيوان الطريق، وكان سير دونالد يعرج خلفه متأثراً بجراحه، شاهراً المسدس الفولاذى الصغير.

تبعت الفتاتان جدهما، وترنح وراءهم جينتري ببطء، مثبتاً نفسه على جدران الممر وحاجز السلالم، حاولت كلير أن تستند في أثناء صعوده، لكنه ابتسم لها، وقال لها إنه بخير، ويجب عليها أن تظل قرية من جدها.

تحركت القافلة ببطء، وكانت تتكون من طفلتين، وشخص مصاب، وأمرأة أخرى فاقدة للوعي تماماً. بعد فترة، نزلوا السلالم إلى بهو الطابق الأول، وصاح جينتري من الخلف: «أيتها الفتاتان! فلتنتظرا مباشرة إلى ظهر جدكم. إلى الأمام مباشرة، هل تفهمان؟ لا تنظرا حولكم في الغرفة».

كانت ثمة مذبحة هائلة حولهم في مدخل ضخم من الخشب الصلب والأحجار. أربع جثث داخل الأبواب المفتوحة، وجثتان داميتان في منتصف الغرفة، وأشتنان أخريان على الدرج بجوارهم في أثناء نزولهم. بدأت كلتا الفتاتين الصغيرتين في البكاء. سعلت كيت من الرائحة الكريهة الكثيفة لغبار الكوردايت والحجر المتفجر والخشب المحروق. في نهاية الدرج هناك شخص ممدد على الأرض، يتحرك ويتوى. رجل شرق أوسطي ملتحٍ ما زال على قيد الحياة، تجاوزه

ما كسباً دن وكذاك البقية. كان كورت آخر من يمر بجوار الرجل المصايب.

التقت عيونهما لثانية واحدة، لكن كورت لم يبطئ لكي يساعدها.
لم يُظهر الرجل الرمادي أي رحمة لأعدائه.

انتقلوا من البهو إلى غرفة جلوس مفتوحة، بمنأى عن ساحة المعركة. ملئت الجدران بصور عائلية كبيرة. توقف ماكس بادن مؤقتاً ليحكم الإمساك بامرأة فيتزوبي، ومال جينترى إلى الحائط للحظة من الراحة. بعد ذلك، دخل رجل بلا قميص من المدخل البعيد، إنه أحد الحراس البيلا روسيين، يعاني إصابة في رقبته لفها بمنشفة، لكن بقي رشاشة في يده اليمنى. متراجعاً من المجموعة التي رآها أمامه، رفع سلاحه بسرعة. أطلق السير دونالد النار من مسدسه، وفجر الرجل عاري الصدر عبر المدخل وأسقطه على ظهره.

غطت الفتاتان أعينهما وصرختا.

رفع كورت رأسه ببطء عندما انتهى الأمر. لم يلحظ حتى التهديد. التفت حوله بسرعة على يقين من أن لويد سيكون واقفاً خلفه، لكن لم يكن هناك أحد.

أصاب الوهن ركتاً كورت، وسقط إلى الوراء، وتعثر في طاولة صغيرة ثم سقط عليها لتحطم على الأرض. ركض فيترروي والفتاتان نحوه، وجدبواه من قدميه، ثبتوه في أثناء استعادة توازنه.

قال كورت: «أنا بخير. استمروا في الحركة».

خرج الستة من باب جانبي إلى طريق دائري يقود إلى مدخل السيارات المرصوف بالحصى في الخلف. ومع ذلك، قاد الأسكتلندي الطريق، وعلى كتفه المرأة فاقدة الوعي، عبر بستان التفاح الضبابي. سمعوا دوي طلقات نارية. يبدو أن فرق القتل كانت يشتبك بعضها مع بعض في الضباب. عثر السير دونالد على سيارة بي إم دبليو ذات

صالون سوداء كبيرة، ورأى المفاتيح فيها، فأمر الجميع بالركوب بأقصى سرعة.

تأخر كورت في الخلف، واستدارت كلير وركضت عائدة إليه، أستدته فلم يعترض هذه المرة. نظر جينتري خلفه مرتين بحثاً عن أي علامة على لويد، وفي المرتين عاد رأسه مكانه دون نتيجة.

ترنح كالحذون، ولم يتمكن من ذلك إلا بمساعدة بسيطة من فتاة تبلغ من العمر ثمانية سنوات.

جاهدت كلير لرفع جيم. بدا الأمر كما لو كان يضع ثقلاً أكبر على كتفيهما مع كل خطوة. راح يلهث ويجهل عندما تحركوا بطول ممر الحصى نحو السيارة السوداء الكبيرة. أعطى الحارس الأسكتلندي سلاحه إلى الجد دونالد ووضع الأم في المقعد الخلفي، وصعدت كيت معها. جلس الحارس خلف عجلة القيادة، وجلس الجد في مقعد الراكب الأمامي. دار المحرك، فدفع جيم كلير أمامه، وحثها على الركض إلى السيارة.

فعلت ما قيل لها، صعدت إلى المقعد الخلفي، واستدارت للمساعدة على جذب المنفذ الذي كان وراءها. كان جيم على بعد خطوات قليلة، لكنه يقترب.

ابتسم ابتسامة واهنة عندما التقت أعينهما، وانطلقت رصاصة واحدة من القصر. كانت كلير تنظر، اتسعت عيناه ومال جسده إلى الأمام، كاد يدفعه نحو السيارة ولكن ليس تماماً. سقط الأمريكي على واقيات ركبتيه فوق الحصى، ونظر إلى الأسكتلندي الجالس خلف عجلة القيادة وصاح: «انطلق!».

ترنحت السيارة الكبيرة نحو الأمام، وأغلق باب كلير بقوة الحركة. صرخت إذ تستدير لتنظر من النافذة الخلفية، وتضرب زجاج النافذة بيديها الصغيرتين.

ترنح خلفهم جيم نحو الأمام منهاً على واقيات ركبتيه فوق الحصى،
ثم سقط بقوة على وجهه. حجبت سحابة الغبار الناتجة من أثر حركة
العجلات على الحصى رؤية كلير الرجل الذي تركوه وراءهم.

زحف كورت نفس عبر ممشى الحصى مستنداً إلى ذراعيه. تحركت ساقاه بصعوبة، والتتصق الحصى بالدماء على ذراعيه ووجهه وفروة رأسه المتعرق. كان على بعد خمس ياردات من العشب الربط الذي يفصله مائتا ياردة عن حافة بستان التفاح. بالسرعة التي كان يتحرك بها، سيحل الظلام قبل أن يصل إلى حافة البستان.

لقد كان ميؤوساً منه، لكنه تحرك دون سبب منطقي، فقط بالفطرة. أخرج من منطقة القتل. لا تبعاً بالوجهة.

جاء صراغ لويد من الخلف: «أنت! أيها الرجل القوي؟ إلى أين أنت ذاهب بحق الجحيم؟». يتبعه سحق الأحذية للحصى. اقترب وقع خطواته بسرعة.

وأكمل: «علىَّ أنتِ أعترف.. أنت ترقى إلى مستوى الضجيج الذي تحدثه. لقد أحرقت ملفات إدارة الأنشطة الخاصة وحصلت على آل فيتزروي. يبدو أنك تمكنت من إنقاذ الكل إلا أنت».

ظل كورت يزحف على ساعديه الملطخين بالدماء في الحديقة الباردة الرطبة. أخيراً داس لويد على ظهره لإيقافه. نظر الرجل الرمادي وراءه متأنقاً. أمسك المحامي بمسدس صغير من نوع بيريتا مصوّباً إياه أمامه. كانت ذراعه اليسرى وكتفه تنزفان وقد أصبحتا واهنتين، ولم يبد لويد متزعجاً من جروحه.

قال لويد: «لقد أطلقت عليك النار في الخلف. ليس فعلاً نبيلاً للغاية على ما أعتقد. لم أكن أعلم أنك ترتدي سترة. لكن أراهن أن هذا ما زال يؤلمك، أليس كذلك؟».

استلقى كورت بيضاء على ظهره. كانت سماء الصباح شديدة الzerقة منذ دخل القصر قبل خمس عشرة دقيقة تقريباً. وقف لويد فوقه ونظر إلى الأسفل مباشرةً. علم كورت أن مسدسه الجلوك قد انزلق بعيداً في مكان ما عندما سقط. لم تكن لديه القوة لرفع رأسه للبحث عنه.

قال جينترى بينما يسعل بشدة: «ما زلت لا أتذكرك يا لويد».

قال لويد: «حسناً، سوف تتذكرني في الجحيم، أليس كذلك؟ سيكون وجهي آخر شيء تراه».

رفع لويد المسدس إلى وجه كورت جينترى، وانطلقت رصاصة. حرك لويد رأسه، وقد بدا عليه الارتباك. تقدم المحامي الشاب نصف خطوة إلى الأمام. ظهر الدم على شفتيه ومن أنفه، ظلت عيناه على كورت، رغم أن جفونه بدأت ترتخي. ووجه المسدس مرة أخرى إلى صدر كورت.

جاءت رصاصة أخرى من الخلف، ثم أخرى. تشنج لويد مع كل ضربة. انطلق الرصاص من مسدس بيريتا، لكنه كان قد نزل إلى جانبه الآن. أطلقت الرصاصة رذاضاً من الحصى الأبيض بين ساقى جينترى، بينما كان الرجل الرمادي مستلقياً على ظهره يرافق.

ألقى لويد مسدسه على الحصى، ثم انهار فوقه ميتاً.

حدق كورت لعدة ثوانٍ في السماء. أخيراً دفع رأسه إلى أعلى، ونظر إلى القصر. كان ريجيل في نافذة بالطابق الثالث، وقد تحطم الزجاج أمامه، ومسدسه مصوب الآن نحو جينترى.

أنزل الألماني مسدسه بيضاء إلى جانبه.

تبادل الرجال النظر لبضع ثوانٍ، كلاهما أضعف من أن ينطق، وأبعد من أن يتواصلاً بصرياً. لكن هذا التقدير المطول أظهر إحساساً بالاحترام المتبادل؛ محاربان، يعترف كل منهما بجهود الآخر.

تراجع كيرت ريجيل إلى الوراء واختفى عن الأنظار.

القى كورت رأسه إلى الوراء في العشب. جعله الطنين الواصل إلى أذنيه يميز صوت طائرة مروحية مألفة. لم تكن طائرة يورووكوبتر سوداء. كانت طائرة أكبر تقترب بثبات من جهة الشرق.

لم يرفع رأسه عن العشب الندي، لكنه وجهه إلى اليمين في الوقت المناسب ليرى السيكورسكي البيضاء الكبيرة تهبط على بعد 75 ياردة. كتب: «مجموعة لوران» باللون الأزرق على جانبها. اندفع منها رجال مسلحون، ما يقرب من ستة أفراد، بدؤوا في التحرك نحو القصر بحذر. ثم أنزلت الطائرة ثلاثة رجال يرتدون سترات برतقالية ويحملون حقائب ظهر، قد يكونون أطباء أو مسعفين أو أي نوع آخر من أفراد الطوارئ. أخيراً، انحنى ثلاثة رجال يرتدون بدلات في أثناء مرورهم تحت المراوح الدوارة. كان أحدهم يحمل مفكرة من نوع ما، وآخر يحمل حقيبتين كبيرتين، والثالث يبدو أكبر سنًا منه بكثير، يرتدي معطفه على ظهره مثل معطف الرأس، يبدو فرنسيّاً.

فقد كورت الاهتمام بما يجري وعاود الاستمتاع بالسماء الجميلة. بعد دقيقة واحدة، أو ربما عشر دقائق، وقف فوقه رجل بیندقية، لكن بدا أنه كان مهتماً أكثر بجثة لويد التي ترقد بجانبه. صاح الفرنسي في الراديو.

بعد ذلك بوقت قصير، ظهر الرجال الثلاثة الذين يرتدون بدلات، واستند كورت على مرفقيه مشرئناً عندما اقتربوا.

لم يتعرف جينتري إلى الرجل الأكبر سنًا الذي يرتدي معطف الرأس، لكن كورت استنتج من تأثيره وسيطرته على الاثنين الآخرين أن هذا لا يمكن أن يكون سوى مارك لوران.

قال الرجل: «أفترض أنك السيد جينتري؟».

لم يقل كورت شيئاً. تقدم الرجل الصغير على يمين لوران الذي يحمل مفكرة، وركله بحذاء يبدو باهظ الثمن. لم يشعر كورت بالضررية. لقد تحدى جسده بالكامل.

قال الرجل الصغير: «عندما يسألك السيد لوران سؤالاً عليك أن تجيب!».

قال لوران: «لا بأس، بببر، إنه مريض». ثم نظر حوله إلى الجث والزجاج المكسور والدخان المتتصاعد من سقف القصر. وأتبع: «بببر.. ضع في قائمة مهامك أننا سنحتاج إلى نقل مكان اجتماع عيد الميلاد السنوي لمجلس الإدارة هذا العام. لا أعتقد أننا سنتنظر المنزل في الوقت المناسب».

⁽¹⁾

ـ حسناً، يا سيد لوران .

ـ سيد جينتري. أرى السيد لويد الشاب هناك. يبدو مفيدة كعادته دوماً. هل تعرف أين يمكنني أن أجد هير ريجيل؟ تحدث كورت بهدوء ناعس: «قتله لويد، وقتل هو لويد. حدث بعض التناقض بين إدارات مؤسستك قبيل وصولك».

هز لوران كتفيه قائلاً: «فهمت». كما لو أن رجاله يموتون طوال الوقت، ولم يكن ذلك ليثير قلقه على نحو خاص.

قال لوران: «لم أكن أعرف شيئاً عما يجري هنا». لم يجب جينتري. قيلت الجملة بالطريقة ذاتها التي يكذب بها رجل ذو سلطة بشكل فاضح. لم يعبأ إذا كان الرجل الرمادي سيصدقه أم لا، بدا فقط كما لو أنه يفي بالتزامات قانونية وحسب.

إنكار غير معقول.

فاجأت كلمات لوران التالية كورت حين قال: «أنا بحاجة إلى رجل». نظر حوله إلى الصباح المشرق. وقال: «إنها مشكلة، كما ترى. زميل تربطني به علاقة عمل طويلة الأمد انتهت قيمتها. وإذا لم يكن ذلك شيئاً بما يكفي، فهو يمتلك معلومات قد تكون محرجة لي ولمن

(1) بالفرنسية في الأصل: .

يلاحقني. والسماح له بالاستمرار في مسار عمله الحالي لن يخدم مصالح أحد».

بدأ أن مارك لوران يشعر بالملل تقريرًا. نظر إلى طلاء أظافره الحديث وقال: «وكما يحدث، أعرف أنك الرجل الذي يجب أن الجأ له بشأن مشكلات كهذه. هل يمكن أن تكون متاحًا؟».

كان كورت مستندًا على مرفقيه على العشب الرطب. أدار رأسه إلى اليسار واليمين وتفرس لدقيقة في جثة لويد.

قال جينترى: «أنا مشغول بأمر ما في الوقت الحالي».

لوح لوران بيده باستخفاف وقال: «أوه، يمكنني أن أرى ذلك».

رد كورت باستخفاف شديد: «سيكون ذلك جيداً».

قال لوران: «وكما أفهم، قد يكون من مصلحتك الشخصية أن يموت الرئيس السابق والآن المواطن العادي، يوليوس أبو بكر. الإشاعة تقول إنك قضيت على شقيقه، والآن يخطط الرئيس السابق للقضاء عليك».

تراجع كورت مرتين قبل الرد: «لقد سمعت هذه الشائعات أيضاً يا سيد لوران».

أومأ لوران برأسه وقال: «وجه أبو بكر ضدك ادعاءات محددة، كلها أكاذيب بالطبع. أدير عملاً تجاريًا نزيهاً وصادقاً لا غبار عليه».

لم يتغير تعبير وجه جينترى وهو يقول: «دون شك».

- ومع ذلك، في بعض الأحيان يمكن للأدعاءات المثيرة أن تنتشر، وتثير مخاوف غير ضرورية، وتؤدي إلى تحقيقات مزعجة. أود تجنب ذلك إن أمكن.

- لذلك تريدينني أن أقتله.

أومأ لوران برأسه وقال: «سأدفع جيداً مقابل خدماتك».

تردد كورت ثم قال: «أرى مشكلة واحدة صغيرة في اقتراحك».

ارتفع حاجبا الفرنسي وسأله: «وماذا تكون؟».

أجاب جينيري: «أنا أنزف حتى الموت».

قهقهه لوران وفرقع أصابعه، فظهر الرجال الثلاثة الذين يرتدون سترات برتقالية ومعهم نقالة.

قال لوران: «لا مشكلة أيها الشاب». بينما سقط كورت مغشياً عليه بعد أن خانه مرفقاه. لقد عاش هذه المحادثة مرة أخرى في حلم، وفيما بعد ظن أنه واحد من أغرب الأحلام وأكثرها خيالاً على الإطلاق.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الخاتمة

لم يتبقَّ سوى أربعة أيام حتى عطلة عيد الميلاد، وأخبرت الأم الفتاتين أن بإمكانهما الانتظار حتى العام الجديد قبل العودة إلى المدرسة. قبلت كيت عرض أمها، لكن كلير رفضته، فالروتين مهم للطفل، وقد أرادت العودة إلى دورة الأشياء. ربما يساعدها هذا على النسيان.

أرادت أن تنسى جنازة أبيها، والقصر في فرنسا، والضجيج والخوف والبنادق والدم. كانت تود أن تنسى كيف تركت السيد جيم وراءها. أكد لها الجد دونالد أن جيم هرب، لكنها لم تعد تصدق شيئاً مما يقوله الجد دونالد بعد الآن.

كانت تعلم أن جيم مثل أبيها، ميت.

دخلت هايد بارك، اعتادت أن تقطع طريقها من هناك إلى المدرسة، وتمشي قاصدةُ الشرق في نورث كاريديج درايف، دخلت ممراً إلى نورث رو، ثم بعد ذلك بقليل إلى مدرستها في شمال شارع أو드리. أرادت والدتها اصطحابها إلى المدرسة، لكن كلير رفضت. أرادت أن يكون كل شيء كما كان عندما كان والدها موجوداً. كانت تمشي بنفسها إلى المدرسة، وتمشي بنفسها إلى المنزل.

جلس رجل على مقعد عند الرصيف. لم تعره أي اهتمام حتى ناداها باسمها أثناء ابتعادها:
«مرحباً كلير».

توقفت خطواتها، واستدارت لمواجهة جيم. أصاب الوهن ركبتيها من الصدمة، وأسقطت كتبها المدرسية على الرصيف.

قال جيم: «لم أقصد أن أخيفك. أخبرني جدك أنك لا تصدقين أنني بخير. أردت فقط أن آتي وأكشف لك أنني حقاً بخير». عانقته، لكن عقلها كان يأبى الاعتراف بوجوده وسألت بابتهاج شديد: أنت. لقد تأذيت بشدة. هل تشعر بتحسن؟». أجابها جيم: «أنا أفضل».

نهض وابتسم وصعد بضع خطوات على الرصيف ثم عاد إليها وقال: «انظري، أنا حتى لست بحاجة إلى مساعدة على المشي بعد الآن». ضحكَت كليّر وعانقته مرة أخرى. ملأت الدموع عينيها وهي تقول: «يجب أن تأتي إلى المنزل على الفور. ستحب ماماً أن تراك. إنها لا تتذكر وجودك هناك في فرنسا». هز جيم رأسه وقال: «أنا آسف. يجب أن أذهب، لديّ بعض دقائق فقط».

عبست وسألته: «أما زلت تعمل مع جدي؟».

نظر جيم بعيداً وقال: «أعمل لدى شخص آخر الآن. ربما سأسوّي أنا دون الأمور يوماً ما».

قالت: «جيم؟». ثم جلست على المقهود ففعل مثلاها. وسألته: «الذين قتلوا والدي.. لقد قتلتهم، أليس كذلك؟».

ـ لن يؤذوا أي شخص آخر، كليّر. أعدك.

ـ هذا ليس ما سأله. هل قتلتهم؟

ـ مات الكثير من الناس. طيبين وأشاراً. لكن هذا انتهى الآن. هذا كل ما يمكنني أن أخبرك به حقاً، لا يمكنني مساعدتك في فهم كل شيء. ربما يمكن لشخص آخر، أنا آمل ذلك، ولكن ليس أنا، آسف. نظرت كليّر عبر الحديقة وقالت: «أنا سعيدة لأن الجد دونالد لم يكذب بشأنك».

قال جيم: «أنا أيضاً».

сад الهدوء للحظة، وتململ جيم في المقعد.

قالت كلير: «عليك أن تذهب الآن، أليس كذلك؟».

ـ أنا آسف. يجب أن الحق بالطائرة.

ـ حسناً. على الذهاب إلى المدرسة. لا مفر من الروتين.

ـ نعم.

ثم نهض وقال: «أعتقد ذلك».

وقف كلامها، وتعانقا مرة أخرى. وأوصاها جيم قائلاً: «اعتنى بأختك وأمك يا كلير. أنت فتاة قوية ستكونين بخير».

قالت كلير: «أعرف يا جيم. عيد ميلاد سعيد».

ثم وداع كل منها الآخر.

سار كورت ببطء خارج المتنزه إلى ميدان جروسفينور العلوي. عاوده العرج الذي تمكّن من إخفائه عن كلير،

ووجّل مع كل خطوة. خارج البوابة تقف سيارة بيجو سوداء، فانحنى ليدخل إلى المقعد الخلفي دون أن يخبر الركاب.

استدار اثنان من الفرنسيين يرتديان بذلتين لمواجهة من الأمام. سلمه أحدهما حقيبة بينما تدخل السيارة في حركة المرور. فتحها كورت بهدوء وفحص محتوياتها، ثم أغلقها.

قال فرنسي في منتصف العمر يجلس في مقعد الراكب: «الطائرة تنتظر في ستانستيد. ثلث ساعات طيران. يجب أن تكون في مدريد في وقت مبكر بعد الظهرية».

لم يردد كورت، فقط نظر من النافذة.

ثم أكمل الرجل الفرنسي: «سيصل أبو بكر إلى فندقه في الساعة السادسة. هل أنت واثق بأن لديك الوقت الكافي للاستعداد؟».

لا يزال لا يوجد رد من الأمريكي.

لقد حجزنا لك غرفة في الطابق أسفل جناحه مباشرة.

حديق جينترى للتو إلى الحديقة في أثناء مروره. مشى الأطفال مع والديهم، وتشابكت أذرع العشاق.

قطط الفرنسي في مقعد الراكب بأصابعه بواقحة أمام وجه جينترى،
كما لو كان يوجه اللوم إلى خادم غافل. وسألة:
«سيدى، هل تستمعنى؟».»

التفت الرجل الرمادي ببطء إلى الرجل. أصبحت عيناه أكثر وضوحاً الآن.

وقال: «مفهوم، لا مشكلة. الكثير من الوقت».

صاحب الفرنسي: «لا أريدك أن تفسد هذا الأمر».

-وأنا لست بحاجة إلى نصيحتك. إنه استعراضي الخاص. أنا أحدد الوقت والمكان.

أنت ملكي يا سيدى. لقد أنفقنا الكثير من المال على شفائك،
ستنفد ما قبل لك.

امتعض كورت، وهوَّ بأن ياتخاذ خطوة متهورة لكنه تراجع عن ذلك. قال: «أجل، سيدى». رغم أنه أراد أن يقول المزيد. التفت إلى النافذة، وألقى نظرةأخيرة على الطرف الجنوبي من الحديقة، حيث تختلف حياة العشاق والأطفال والأسر وحياة الآخرين اختلافاً لا يصدق عن حاته.

انعطفت البيجو يساراً إلى بيكانديلي بعيداً عن الحديقة، واختفت في زحام لندن المروري في الصباح.

مقطفات من راوية الرجل الرمادي القادمة الانفجار الخافي

شارع خافت الإضاءة في وسط واشنطن هاي لاندز كان مكاناً رهيباً للتجول ليلاً، تقع هاي لاندز في الزاوية الجنوبية الشرقية للمنطقة، تطل على نهر أناكوسنبا في الحي الثامن، حيث تزدحم بها المباني الحكومية العالية ومجمعات الشقق ذات الدخل المنخفض، والمنازل العائلية المهمللة على مسافات متقاربة تعج بالقمامة، كان الحي الثامن هو ثاني أكثر الأحياء خطورة في المنطقة بعد الحي السابع، لكنه استعاد مؤخراً الصدارة بفضل جريمة قتل ثلاثة في الأسبوع الأخير خلال الفترة المشمولة بالتقرير، وعلى الرغم من تأخر الوقت والسمعة السيئة للمنطقة، تجول أحد المشاة بهدوء في المساء الضبابي، متوجهًا شمالاً إلى شارع أتلانتيك الجنوبي الشرقي، سار على رصيف مكسور، كأنه لا يهتم بشيء في هذا العالم، ينظر إلى وهج معظم أعمدة الإنارة التي لم يطلق عليها النار أو لم تحرق وتترك سوداء، مدينة لا تهتم بأفقر سكانها، كان يلبس سروال جينز وسترة رسمية زرقاء مجعدة، شعره البني الأدكن كان مسرحاً ورطباً، ووجهه الحليق كشف عن بشرته البيضاء، ووجوده في هذا المكان وفي هذا الوقت من الليل لربما يعني أنه لا يفعل شيئاً جيداً، الساعة العاشرة مساءً، وبدأ الحي خالياً من أي حياة بخلاف عابر السبيل هذا، الذي تتبع حركاته عيون المسنين المندهشين من وراء قضبان حماية نوافذ شققهم، أم عازبة تسهر مع طفلها المريض وتراقب من خلال بابها الزجاجي الشبكي المقفل في منزلها الدوبلكس، تظهر على وجهها علامات الأسف، عالمة تماماً أن الأحمق في الشارع سيعرض بأفضل الأحوال للسطو وأسوأ الأحوال

للقتل، وقتى يحمل هاتفًا خلوةً على سطح مظلم لمبنى سكنى يراقب الرجل بعناية، وبلغ ما يراه لصديق في الطرف الآخر من الاتصال على أمل جمع رسوم الباحث إذا ظهر صديقه مع فريقه وسلب كل ما له قيمة من المتطفل البائس، ولكن لم يكن الفتى وصديقه محظوظين، لأن مجموعة أخرى من المفترسين وضعوا عيونها على هذا الصيد الشميين واقتربت منه أكثر، راقب الرجل الأبيض ثلاث هيئات ظلية بشرية حيث وقفوا في مدخل سيارة، أمام برميل سعته خمسة وخمسون جالوناً، مليء بالقمامنة المشتعلة.

مارفين الأكبر سنًا بين الثلاثة، هو في العادية والثلاثين من عمره، وقد جرى توقيفه أحد عشر مرة، معظمها بسبب الاقتحام والسرقة المسلحة، فقط توقيفان حقاً تركاً أثراً، الأول حصل على إدانة لمدة أحد عشر شهراً وتسعة وعشرين يوماً في مركز احتجاز المدينة، ثم، في الداخل، تسبب مارفين لنفسه بالسجن عشر سنوات في هاجرستاون بتهمة القتل غير العمد، قضى منها ست سنوات قبل أن يطلق سراحه لسلوكه الجيد - وهو مصطلح نسبي في السجن - والآن عاد إلى الشوارع، ولم يبحث عن عمل، بل بحث عن فرصة، وفي سعيه هذا، ضم معه شابين، هما دريوس وجيمس البالغان من العمر ستة عشر عاماً، ويسبب فارق السن، ولأن مارفين قضى وقتاً في السجن وقتل رجالاً، فقد احترمه وأطاعاه في كل شيء، وما زلوا، أحبت مارفين قيادة فريق من المراهقين لأنهم يستطيعون المخاطرة؛ وأي إدانات تسجل بحقهم على الأرجح ستُمحى في عيد ميلادهم الثامن عشر، حمل مارفين مسدساً في حزام خصره تحت سرواله الواسع، مسدساً من نوع لورسين آرمز إل 380 صدئ، قطعة بالية، حتى بالمقارنة بالمسدسات المعدنية الأخرى التي تملأ هذا المكان، حيث الجريمة في أسوأ مستوياتها هنا في «منطقة خالية من الأسلحة» في واشنطن، لم يطلق النار من السلاح قط، فهو للعرض فقط، مما يعني أنه أبقى قبضة سلاحه معروضة ، تخرج من أسفل سترته المصنوعة من جلد

صناعي، ولكن فقط عندما لا يكون رجال الشرطة في الجوار، فإذا رأى سيارة دورية، سيسقط المسدس الصغير داخل سرواله الدافع، ثم إلى الأرض، ثم يمكنه ركله أو إخفاوئه تحت شيء ما، أو يمكنه فقط الجري، هرب مارفن من المشكلات قبل فترة طويلة من قدوم هذين الولدين الواقفين معه إلى الحياة، حمل المراهقان سكاكين رفيعة قابلة للطهي، سرقاها من محل رئيس في هياتسفيل، بالرغم من أنها سكاكين رخيصة وتدعوا إلى السخرية إذا قورنت بالأسلحة، لكن لم يعرف الولدان أفضل من ذلك، وظناً أن قوتهم لا تضاهي لحملهما هذه الخردة داخل جيوبهما.

وضع كل من داريوس وجيمس أيديهما على السكاكين المخبأة تحت ملابسهما، وهما يراقبان الرجل الأبيض يختفي في الضباب، قرب سياج متداع مليء بالقمامنة المبعثرة، نظر كل منهما إلى الآخر في الوقت ذاته، مُبتسمين بالدهشة من الثروة الباهظة التي ظنا أنها ستحصلان عليها هذه الليلة، يبدو أن الرجل لم يدركحقيقة خطر مروره بجانب الرجال الثلاثة الواقفين أمام النار، مما جعلهم يعتقدون أن هذا الأحمق إما سكران وإما مخمور، أو ربما كلاهما، فهم نادراً ما يرون البيض يتجلولون في هذا الجزء من هايلاندز في واشنطن في الليل، والرجال والنساء من جميع الأعراق يأتون إلى هذا الحي لشراء المخدرات في كل وقت، خصوصاً في الليل، ولذلك لا يستطيع الشابان الصغار تخيل شيئاً آخر لوجود هذا الأحمق سوى شراء المخدرات، ومن ثم، فهو إما يملك نقوداً وإما مخدرات، ولا يهم أيهما، لأن المخدرات هي النقود هنا، نظر داريوس وجيمس إلى ما وراء ألسنة النار الخارجة من برميل النفط، في اتجاه زعيهما، فأواماً مارفين برأسه إلى فريقه، مما أعطاهم الحافز الذي ينتظرانه، خرج الثلاثة جميعاً متبعدين عن دفع البرميل، وتوجهوا إلى الرصيف، يتبعون الرجل الأبيض وأيديهم قريبة من الأسلحة التي احتفظوا بها داخل ملابسهم.

في اللحظة نفسها التي طارد فيها ثلاثة صيادين فريستهم في شارع 8 جنوب شرق واشنطن، حلقت طائرة هيلوكوبتر من نوع يورو كوبتر بقيمة 24 مليون دولار عالياً فوق العاصمة، قادمة من ماريلاند في الشمال الشرقي ومتوجهة نحو فرجينيا في الجنوب الغربي، ناقش الرجال على متنهما احتمال وجود شخص ما أسفلهم يستعد لإطلاق صاروخ أرض-جو محمول باليد باتجاه الذيل الدوار الخلفي، أو ربما يتبعبون مقدمة الطائرة بالمنظار المقرب لقاذفة قنابل صاروخية، ولذلك اتخذت التدابير الدفاعية على متن الطائرة، وأجرى الطيار مناورات دفاعية، وتركزت جميع الأعين على الخارج، تمسح الشوارع بحثاً عن توهج إطلاق صاروخ ما تجاهلهم، إلا أنهم لم يلحظوا أي توهج أو إطلاق، مع أن الرجل الذي يخشونه، في الواقع، كان في مكانٍ ما أسفلهم، لكنه لا يحمل صاروخ سام، ولا حتى قاذفة آر بي جي، ولم يملك مسدساً أو أي نقود، سار كورت جينتري وحيداً في أخطر مناطق واشنطن، مدركاً خطوات أشخاص يربدون الإطباق عليه، بالإضافة إلى الألم الذي يشعر به في ذراعه اليمنى والحكمة المجنونة تحت الجص الملفوف حول كوعه ومعصميه، عرف أن ثلاثة رجال يتبعونه، زعيم محدد بجانبه تابعان أصغر سنًا وخاضعون تماماً له، وقد حدد جينتري كل ذلك خلال نصف ثانية من نظرة ألقاها عليهم عندما مر بهم، بالإضافة إلى أصوات خطواتهم، فالرجل في المنتصف أكثر ثقة، الشابان على كل جانب غير مستقررين، يتباطئون من حين لآخر، ثم يهرعون للحاق بزعيمهما.

كان كورت مطلعاً على علم نفس الجريمة، لم يكون هؤلاء البلطجية يبحثون عن معركة؟ بل يبحثون عن صحيحة، وستتعكس قوة إصرار المهاجمين في مدى سرعة تصرفهم، فإذا أفسدوا الأمر على أنفسهم وتبعوه لعدة مبان، فمن المحتمل ألا ينجحوا في مرادهم، من ناحية أخرى، إذا تحدوه الآن، فهذا يعني أن ثقتهم عالية وأنهم لن يتوقعوا أي مقاومة، وهذا سوف يدل جينتري إلى أنهم مسلحون وأنهم فعلوا

أشياء كهذه من قبل، في هذه اللحظة، وعلى بعد نصف مبني من التقاطع التالي، ناداه الرجل الذي في المنتصف: «أنت! هل تعرف هذا، ليس عليك أن تصاب»، سرّ كورت أن هذا الرجل كان يتحدث مباشرةً، فهو ليس لديه وقت، توقف، لكنه لم يستدر، فقط توقف ووجهه ينظر بعيداً، اقترب من ورائه الشباب الثلاثة، قال زعيمهم: «استدر، أيها الأحمق! ببطء»، أخذ كورت بضعة أنفاس بهدوء، لكنه لم يلتفت، «أنت، أيها الأحمق! أتحدث معك!» هنا استدار كورت ببطء لمواجهة التهديد، وقف المهاجمون الثلاثة على بعد ست أقدام على الرصيف، فحص كورت عيونهم، هذا هو الحال دائماً في وضع التهديد، تحديد الإرادة وتحديد المهارة، لاحظ أن الزعيم مغorer ومتأنب بسبب الإثارة وليس القلق، حاول الآخرين إظهار الثقة، لكن نظرتهما الخافتة خانتهما، حمل الثلاثة أسلحة، لدى الزعيم مسدس صغير من اللون الأزرق المعدني، والشبابان اللذان معه - في الحقيقة هما بالنسبة لكورت الآن، يبدوان مراهقين - يحملان سكيناً، تحدث كورت بهدوء: «مساء الخير، يا سادة».

دهش الزعيم من رده، ثم بعد ثانية، قال الرجل الأسود الرفيع: «أريد تلك المحفظة وذلك الهاتف» ونظر حوله إلى الشارع، ثم سأله: «أين سيارتك؟».

تجاهل كورت صوت الرجل، وركز على المسدس في يده، وسأله: «ماذا لديك هنا؟»

إنه مسدس، يا غبي!
حسناً. ما نوع المسدس؟

إنه نوع المسدس الذي سيطلق النار عليك إذا لم تسحب المحفظة وتنزلها ببطء.

رفع الرجل المسدس إلى مستوى العين، مباشرةً في وجه كورت، على الرغم من سوء الإضاءة، تمكّن كورت من تحديد نوعية السلاح

بسرعة، وعلى بعد ثلات أقدام من أنفه، تنهد كورت بخيبة أمل وقال:
«L380؟ بحق الإله، ماذا يفترض أن أفعل بهذه الخردة؟»
شد الرجل زناد مسدسه، ثم ابتسם قائلاً: «أوه، فهمت، أنت تحاول
الموت الليلة.»

نظر كورت حوله إلى الشابين وسألهما: «هل لديكما أي فرصة أنها
الطفلان المقيدان؟» نظر الولدان إلى رئيسهما بارتباك، بعد ثانية،
رفعا سكاكينهما إلى أعلى، تابع كورت: «لم أعتقد ذلك»، ثم نظر إلى
السماء الرطبة بابتسامه خفيفة وقال: «حظي العاشر.»

• • •

كان مارفين يوجه السلاح إلى الناس قبل أن يبلغ الثالثة عشرة،
ويعد كل هذا الوقت لم ير أحداً مثل هذا الرجل، عادةً ما تتسع
عيون الناس لتصبح بحجم الطبق، وتركت على فوهته سلاحه، وبغض
النظر عما يفعلونه بقية اللقاء، فالشخص تحت تهديد السلاح لا يبعد
عينيه أبداً عن الأداة في يده، ونادرًا ما يرمش بعينيه، ولكن هذا
الرجل الواقف أمامه التفت نحو الشابين الآخرين، ونظر حوله في
الشارع، وإلى السماء، وحتى إلى نوافذ البيوت ذات الطابقين المتأثرة
في كل مكان، لم يبدُّ قلقاً على الإطلاق لوجود مسدس مصوب إلى
وجهه، ولم يبدُّ الرجل الأبيض مخموراً، فرائحة الكحول لا تفوح
منه، وعيناه الخاملتان واضحتان، وجسده المسترخي لا يتربع، لسبب
ما، لم يكتثر بتاتاً، وهذا أثار غضب مارفن، فليس لديه خطة بديلة
لتخويف الضحية، دار الولدان حول فريستهما، ومارفين يوجه مسدسه
نحو جبين الرجل، وصياغ يصوّبان السكاكين إليه عن يساره ويمينه،
غير أن الرجل الأبيض يهتم بشأن السكاكين أيضاً، ببساطة تألف
بعمق، وأرخي كتفيه وقال: «هل هناك أي فرصة لإقناعكم بالابتعاد؟
ليس لدى نقود، ولا هاتف، ولا سيارة... ليس لدى شيء يمكنني
تقديمه لكم سوى المشاكل، وأعدكم أنا أمثل مشكلة أكثر مما يستحق

الأمر، ماذا تقولون إذا لُثّنَيَ الليلة و...». شعر مارفين بالضجر من هذا الأحمق، وخطا نصف خطوة إلى الأمام، رفع المسدس عاليًا لتوضيح موقفه، وبينما فعل ذلك، ارتفعت يد الرجل الأبيض اليسرى بسرعة إلى الأعلى وإلى الأمام ودار على قدمه اليسرى في لمع البصر، وابتعد بجسده عن خط النار، تفاجأ مارفين بالحركة، وعندما لف الرجل، ثبت يده القوية على سبطانة المسدس، خلف الفوهه، ودفع السلاح جانبًا وأسفل، سحب مارفين غريزياً الزناد، صدح مسدس لورسين بصوته العالي في الشارع الخالي، لكن الرجل الأبيض ما إن أطلق مارفين النار دار بجسده بعيدًا عنه إلى اليمين ودفع السلاح لأسفل إلى يسار مارفين، أدرك مارفين على الفور أنه أخطأ، قفز جيمس في الهواء، ووقع سكينه على الأرض بينما يمسك بأسفل ساقه بيديه، سقط على العشب بجانب الرصيف وبدأ بالعويل، أصابت الرصاصة الجوفاء أعلى قدم الولد، عرف مارفين أنه ارتكب خطأ، لكن المسدس لا يزال في يده، ولسيب غير مفهوم، أرخى الضحية يده عن السلاح.

تحول الرجل بعيدًا عن مارفين الآن، حيث كان اهتمامه بداريوس ونصله، تاركاً ظهره معرضًا للخطر، على بعد قدمين فقط من مسدس مارفين، لم يصدق مارفين غباء هذا الأحمق ليتجاهل مسدساً ذا ذخيرة ويدير ظهره له، رفع مارفين السلاح وسدده نحو مؤخرة رأس الأحمق، مستعدًا لقتل الرجل قبل أن يفعل أي شيء لداريوس، ثم سحب الزناد، سمع صوت النقرة.

لم يلق كورت بالألا حامل السلاح الأحمق خلف ظهره، لأنه يعرف أن الرجل خارج المعركة للحظات القادمة، فعندما أمسك بالجزء الخلفي من المسدس، منعه من العمل بعد إطلاق النار، فهناك طلقة مستهلكة داخل خزينة المسدس، ويمكن للرجل الذي وراءه أن يسحب الزناد طوال اليوم ولن يحدث شيء، حتى يسحب الجزء الخلفي من سلاحه لإخراج الطلقة المستهلكة وتحميل طلقة جديدة من الخزينة، لم يعتقد كورت لحظة واحدة أن الرجل سيفهم ما يجري لمدة ثوانٍ، فمعركة

المهاجم الآن من أجل حياته، والأدريناлиين سيجعله عصيًّا وغير قادر على معالجة المعلومات المتداقة إليه، تعلم كورت منذ زمن بعيد أنه في أي معركة بالأسلحة النارية، لا يرتقي المرء إلى المستوى المطلوب، بل يتخلَّف عن المستوى الذي يتقنه، وحامل السلاح التعمس هذا لم يتقن شيئاً يتعلق بالأسلحة النارية، وإنما حمل مسدساً سيًّا كهذا، الآن لدى كورت الوقت للتصرف مع الخنجر أمامه، فقد حاول الولد طعنه مباشرةً، فاندفع بجسده لتسديد ضربة له، رفع كورت ذراعه اليمنى، واخترق السكين الجبس على ذراعه، ثم استخدم كورت يده اليسرى للإمساك بمعصم الولد التي تحمل السكين ولفها حتى سقط سكينه. واصل كورت لف يده إلى الخلف، ثم دفعها بالاتجاه المعاكس للأربطة التي تربط الجزء العلوي من ذراع الولد بالسفلي، ثم سحبها إلى الخلف بزاوية خمس وأربعين درجة، مما لوَّى الذراع بعيداً عن مفصل الكوع، متسبباً بتمزق الأربطة، بعد كل ذلك الألم استوعب الولد أن الدفاع الوحيد المتاح له هو السقوط على ظهره على الرصيف، ففعل ذلك، ثم سقط على الأرض الباردة وهو يتآلم من ذراعه، اعتقاد كورت أن الرجل الذي خلفه سيكون في منتصف حل مشكلة مسدسه، فعاد إليه، ووجد الرجل النحيل يضع يده أعلى المسدس، وبدأ للتو بسحب الزلاقة، أطلق في الهواء الطلقة المستهلكة، لكن قبل أن تنطلق الزلاقة إلى الأمام، لف كورت يده اليسرى مرة أخرى حول البارود المكشف الإطار المسدس، مما منع تقدم الترس إلى الأمام، ثم ضغط إصبعه على زر إطلاق الخزينة، مما أدى إلى سقوط الخزينة التي كانت مليئة بالرصاص على الرصيف، ترك كورت المسدس.

لا تزال قبضة مارفين على السلاح وإصبعه على الزناد، قبل أن يفهم ما يحدث، ضغط على الزناد، ضغط المهاجم على زناد خزينة فارغة، ولم يصدر سلاحه إلا صوت النقرةمرة أخرى، نظر مارفين إلى الرجل الأبيض، وعيناه اتسعتا كالطبق، نظر «ضحيته» إليه، بهدوء يميل إلى الضجر، نظر مارفين إلى مسدسه الفارغ وخزينة الطلقات على الأرض،

لم يفهم ما حدث للتو، ولكنه متأكد تماماً أن سلاحه أصبح عديم النفع، لديه سكين قابل للطي في جيبيه الخلفي، إلا أن ذلك غاب عن تفكيره، في الواقع، لن يتذكره حتى وقت لاحق، أما حالياً فتفكيره يجثم عليه الذعر.

استدار وركض، بعد كل شيء اختار مارفين الركض كما فعل طوال حياته، هرب وترك طاقمه المراهق وراءه.

شاهد كورت الرجل التحيل وهو يركض بسرعة إلى الضباب، فانحنى فوق الولدين المصابين، حيث جلس المراهق الذي يمسك ذراعه المتضررة على الرصيف، لكن الولد الذي تلقى رصاصة في قدمه لا يزال يتآلم على العشب، وأسلحتهما بعيدةٌ عن متناولها في مكان ما في الظلام، تفحص كورت المبني في جميع الاتجاهات، والنواخذ والأبواب والطرق التي يمكن رؤيتها من خلال الضباب، وبينما يفعل ذلك تحدث بلطف: «إنه رجل رائع، زعيمكم الشجاع»، فلم يجب أي من الولدين؛ فقط نظر كلاهما بربع إلى الرجل الهادئ الذي ينحني فوقهما. انتظر كورت أي رد فعل، ولكن عندما لم يفعل شيئاً، هز كتفيه، وقال: «كم تحملان من النقود؟» نظر الولدان إلى بعضهما البعض بدهشة، ثم عاودا النظر إلى كورت، الذي أخذ نفساً عميقاً وقال: «كيف ذلك؟ أنا أسرفكم، يا للسخرية! صحيح؟» مد يده، وتحسس ثياب الولد الذي لديه ثقب في قدمه، وأخرج ورقة من فئة عشرة دولارات من جيبي الأمامي، فمد الولد ذو الذراع المصابة يده المرتجفة التي تحمل مجموعة من أوراق النقود المتجمدة من بقدم الولد المصابة ونظر إلى الثقب الدموي في مقدمة حذائه الرياضي الأبيض، بصوت خافت قال: «يبدو أسوأ مما هو عليه، لذلك لا تنظر إليه»، ثم التفت إلى الولد صاحب الذراع الملتوية وساعدته على الوقوف مرة أخرى، قال له: «أنت بخير، ستؤلمك لبضعة أيام، على الأكثر، إذا وضعت الثابغ عليها، مهمتك الآن هي مساعدته، اصطحبه

إلى المستشفى، وعندما تصل هناك، قل للشرطة إن غبياً ما كان يلهمو بمسدسه وخرجت منه رصاصة أصابته، سوف يزعجونكما، لكن اثنا على هذه القصة، سيصدقونها ويدعونكما تذهبان».

أوماً الولدان بالموافقة ببطء، ثم عبس وجه كورت وأصبح صوته قاتماً: «ولكن إذا كنتما ستخبرانهم عنِّي، وتعطيانهم وصفاً، أي معلومات... فسأعود إلى هنا، سأجد ما تجان في هذا العالم... وسأقتله، هل هذا واضح؟»، أوماً الولدان مرة أخرى، بسرعة أكبر هذه المرة، قال لهما: «ليلة سعيدة».

أنشد الولد ذو الذراع المصابة صديقه ذا القدم الجريحة، ومضيا معًا يتشاران خلال ظلام الليل، لاحظ جينترى أنهما ذهبا في اتجاه مختلف عن رئيسهما، واعتبر ذلك إيجابياً، لكنه لاحظ أيضاً أن أحداً لم يخرج من أي من المنازل القريبة للتحقق من إطلاق النار، وهذا جعله يشعر بالاكتئاب قليلاً، ابتعد كورت عن الولايات المتحدة لمدة خمس سنوات، وها هي أمريكا أمامه لا تختلف كثيراً عن بعض أخطر الدول النامية التي عمل فيها، كان يعتقد دائمًا أن الولايات المتحدة هي بيته، ولملذه، ومكانه الآمن، ولكن هذا كان وهما، والحقيقة التي عرفها هي عكس ذلك تماماً، هذه هي بلاد الهنود الحمر، وهو مطلوب هنا... والخطر والتهديد يتربص به في كل منعطف.

بعد لحظة، سار كورت جينترى، جامعاً سترته حوله لدرء الهاوس البارد.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الرجل الرمادي

مارك غريني

"لم تكن هناك سوى فترة واحدة في الستة عشر عاماً الماضية لم يكن فيها كورت قاتلاً، ولم يكن جاسوساً، أو شخصية غامضة تتحرك داخل وخارج المشهد. قبل ذلك بعامين، ولأقل من شهرين، عين فييتزروي الرجل الرمادي في وظيفة مميزة تماماً عن أي شيء آخر في سيرته الذاتية، إذ تولى كورت منصباً في الحماية الشخصية القريبة، كحارس شخصي لحفيدتي السيدة دونالد".

يواجه جينترى، اعتى قاتل مأجور في العالم، إطاراً زمنياً ضيقاً بالإضافة إلى جيش من القتلة المأجورين، الذين يعترضون طريقه إلى باريس للقضاء عليه قبل أن يصل إلى مقر احتجاز فتاتين صغيرتين، فيصارع إطلاق النار مع إصاباته الشديدة واقترابه الوشيك من الموت، ليثبت أن أسطورة الرجل الرمادي حقيقة، فلا شيء يعترض طريقه، ولا حواجز تمنعه.

telegram @soramnqraa

